النداء في دفع الافتراء

تأليف

محمد عبد الرحيم

مؤرخ السودان

الجزء الاول

١٩٥٢
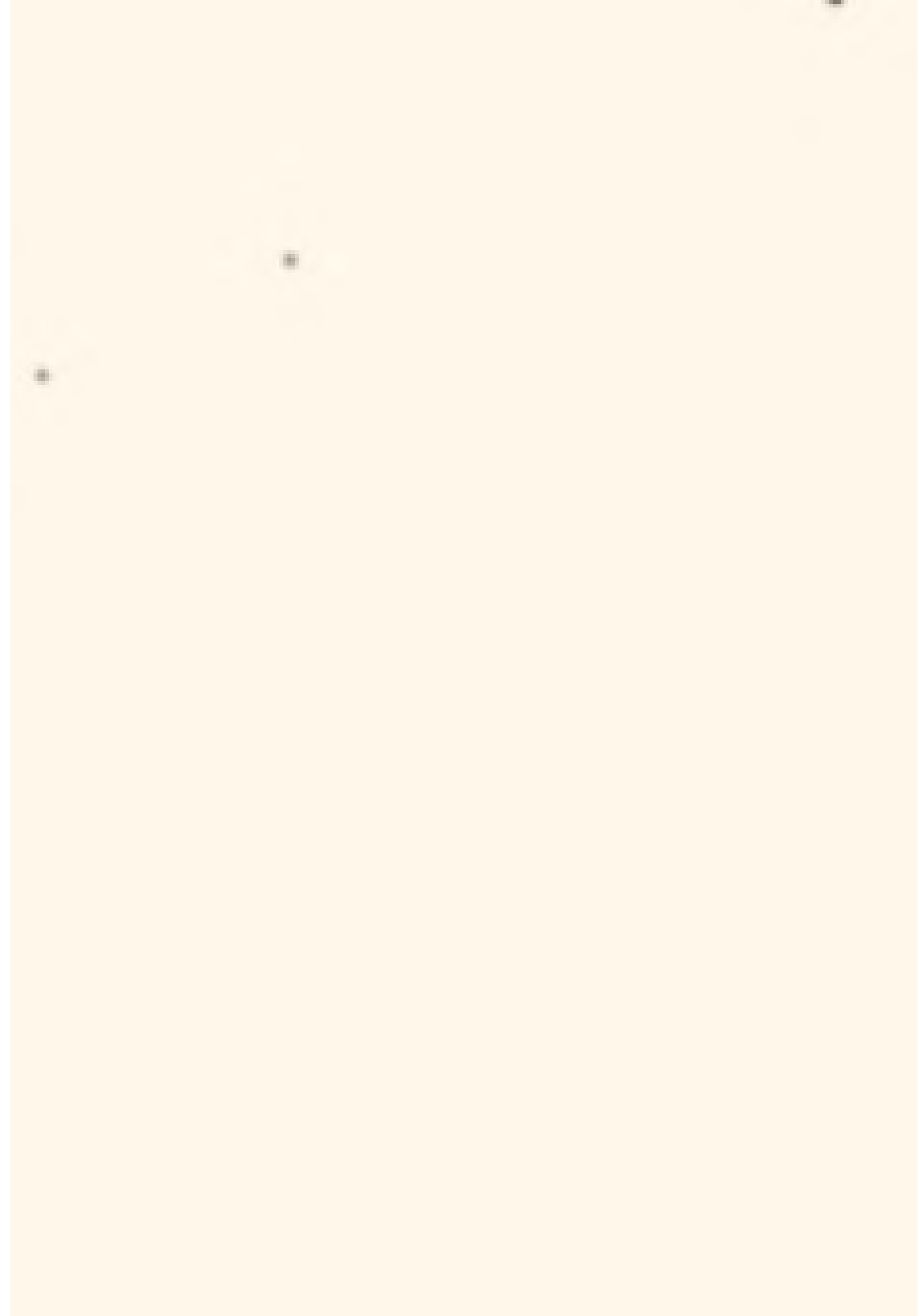
المؤلف

بعض أبناء المؤلف من اليمين إلى الشمال ضياء الدين وزين العابدين وبدر الدين

الاهداء

لسمو أمير الصعيد . عاهل الأمة . ومنهل مجدها
وحامي ذمارها . وبحر علومها . للقريب والبعيد
أحمد فؤاد الثاني . أقر الله به عينيه والديه

بعد كلمة الاهداء تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه فصار جلالته أحمد فؤاد الثانى ملكا لمصر والسودان ومن حسن حظ الامة تم ذلك الانقلاب بدون ان تراق قطرة دم . بهمة ويقظة رفعة على ماهر رئيس الوزارة المصرية وصنوه اللواء محمد نجيب قائد القوات المسلحة التى كانت قابضه على الأمن بيد من حديد تزحف الدبابات ومن فوقها اسراب الطائرات بارض مصر فأصبح كل آمنا على حقه وكل بما فعلت يداه رهين ؟

(ب)

طور مصر الجديد

قد جعل الله لكل شيء سببا فكانت لهذا الانقلاب أسباب مؤلمة اذ جمح الملك جموحا لا يليق بكرامته ونبل الأمة التي صارت في المكان الأول من دول الشرق هذا ولقد أقمت في القاهرة ٢٤ شهرا اجتمعت في غضونها بكثير من فضلاء مصر فما سمعت مثنيا على سياسة الملك ولا سلوكه الشخصي وشهدت بضع مظاهرات يهتف الشعب بسقوطه وقد تفرق تلك المظاهرات بجفاء وغلظة وبينما كان الشعب ينوء من وطأة الجور ويتألم لدستور تلاشى أمره ولم يبق سوى اسمه إذ وثب بطلان مصريان هما رفعة على ماهر رئيس الوزارة المصرية وصنوه اللواء محمد نجيب قائد القوات المسلحة المصرية وباغتا الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان باجراآت جريئة موفقة خفقت لها القلوب واشرأبت الأعناق وشخصت الابصار بجميع العالم وذلك بعد أن حوصرت سرايات الملك وأوصدت فوهات الطرق ونشرت الجنود في الاماكن المهمة وسارت كتائب الفرسان والدبابات في الطرق العظيمة ومن فوقها أسراب الطائرات

وقد قبض على بعض سماسرة الفساد وقدم القائد اللواء محمد نجيب المذكرة الآتية الى الملك فاروق الأول بواسطة الرئيس على ماهر الذى أقنع الملك بالتنازل عن العرش لابنه جلالة أحمد فؤاد الثانى فاضطر الملك الى النزول لرغبة الأمه، واليك مذكرة اللواء محمد نجيب نقلا السنة ٧٨ العدد ٢٤٠٠٤ بتاريخ ١ أغسطس سنة ١٩٥٢ و ١٠ ذى القعدة سنة ١٢٧١ من جريدة الأهرام

أذاع سعادة اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة بعد منتصف ليل أمس البيان التالى :

بنى وطنى . اليوم وقد قام الجيش بواجبه الذى قصد به الوقوف فى وجه الطغيان والفساد وتثبيت دعائم الدستور . نرى ان واجبنا الاول ، وهو مازلنا الآن ليل نهار هو إصلاح أمور الجيش وتطهيره والعمل السريع الحاسم لكى يقف قوة فعالة فى أقرب فرصة ممكنة للذود عن مصالح البلاد .

ونؤكد الآن ان الأمور السياسية وكل ما يختص بادارة الحكم متروكة فى أيدى الحكومة تزاولها فى ظل أحكام الدستور الذى كافحنا لتوطيده لصالح الشعب

الجيش وقد كان أول الهيئات العاملة على تطهير صفوفه وتسليم قيادته لايد أمينه صالحة نزيهة يرى أن يقوم الجميع بهذا العمل فى كل صفوفه على أن يكون التطهير كاملا يتناول الأداة الحكومية والأحزاب والهيئات دون أى تأخير او تسويف ، وانا نعتقد أن المصريين جميعا على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم يقدرون فى هذه الظروف المسئوليات الجديده التى يجب على الجميع مواجهتها فى جرأة وشجاعة لرفع شأن الوطن

كما يرى الجيش ان تعلن الاحزاب والهيئات المسئولة للشعب برامج محددة واضحة المعالم حتى يكون الشعب على بينة من أمره والله ولى التوفيق .

كما أذاع الانذار الموجه الى الملك السابق وفيما يلى نصه .

من الفريق أركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك فاروق الأول

انه نظرا لما لاقته الأمة فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لايطمئن على حياته أو ماله أو كرامته ، ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وماتبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وماترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى ، فأثرى من أثرى وفجر من فجر وكيف لا و ناس على دين ملوكهم

لذلك قد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة ١٣٧١ ، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتكم كل مايترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج .

فريق أركان حرب محمد نجيب

الاسكندرية فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ و ٤ من ذى القعدة ١٣٧١

الملك فاروق يتنازل عن العرش

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبغى سعادتها ورفاهيتها .
ولما كنا نرغب رغبة اكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى توجهها فى هـــذه الظروف الدقيقة ونزولا على ارادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير احمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذو القعدة ١٣٧١ ٢٦ يوليه ١٩٥٢

فاروق

المناداة بالملك أحمد فؤاد الثانى

أذاع مجلس الوزراء الى الأمة المصرية البيان التالى .

فى الوقت الذى نزل فيه الملك فاروق الأول عن العرش لولى عهده وغادر الديار المصرية ينادى مجلس الوزراء بحضرة صاحب الجلالة احمد فؤاد الثانى ملكا لمصـــر والسودان . ويدعـو الله ان تنعم البلاد فى عهـده بما تصبو اليه من رقى ومجد وسعادة

بولكلى فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ فى ٤ ذو القعده ١٣٧١

مجلس الوزراء يتولى سلطات الملك

وجه مجلس الوزراء الى الأمة المصرية الكريمة البيان التالى .

بعد ان نودى بحضرة صاحب الجلالة احمد فؤاد الثانى ملكا لمصر والسودان يعلن مجلس الوزراء انه تولى منذ اليوم سلطات الملك الدستوريه باسم الأمة المصرية . وتحت مسئوليته الى أن يحين الوقت الذى يجب عليه فيه أن يسلم مقاليدها الى مجلس الوصاية وفقا لأحكام الدستور .

التطهير

لم تقف الوزارة المصريه وقائد القوات المسلحه عند قلب الأوضاع السالفة والرجوع الى نظام الدستور المصرى قبل تطهير البلاد من القسم المخصوص والقلم السياسى اللذان طالما قاوما الابرياء ونكلا بالفضلاء بزعم هذا شيوعى وذاك يقف حجر عثرة فى سبيل نظام الاصلاح الدستورى وغير ذلك من المختلقات التى صيرت أفراد الشعب يفزعون لصوت النفير وصرير السرير فى عهد تمتع العالم فيه بالأمن على الحياة والمال بدون عناء وتحمل نفقات طائله ولما لغى هذان القسمان فى أول أغسطس سنة ١٩٥٢ كاد يتمايل الشعب عجبا ويرقص طربا لاسيما وتضاعف سروره عندما أذاع الاهرام على أن القيادة حققت ١ نسف منزل رفعه مصطفى النحاس ٢ مقتل الشهيد عبد القادر طه ٣ مقتل الدكتور محمد على أيوب ٤ الاعتداء على النائب رفيق الطرزى وعزمت فى تحقيق قضايا أخرى لاتخلو من شائبة الغرض أهمها قضية السلاح والذخائر التى كانت سببا فى فوز اليهود وضياع الكثير من رجال الجيش المصرى وقضية الشيخ حسن البنا الذى كان إغتياله واسعافه بالعلاج واجراآت القضاء ومعاملة عائلته والاخوان المسلمين صورة تمثل الظلم وجفاء الطبع بما لم يروه التاريخ منذ عصوره الاولى وقرونه الوسطى هذا والغاء الرتب والالقاب التركية التى طالما فتن المصريون بها زمنا طويلا لاسيما واستيلاء الحكومة على أموال الملك السابق وتخفيض مرتب الملك الحالى من ١٠٠ الف الى ٣٦ الفا من الجنيهات المصرية يخصم ١٢ الفا للثلاثة أوصياء عليه

القـــائد

اللواء محمد نجيب بطل رواية الانقلاب الذى طالما حاولته مصر منذ سنة ١٨٨٢ وذهبت فى سبيله بدرات المال ومهج الرجال بدون جدوى . . . لا كمحمد نجيب الذى وثب بطريقة مبتكرة جبارة دلت على عبقرية نادرة وسياسة اطلقت لسان الأمة بالثناء عليه والإذعان لآرائه الصائبة والآمال وطيدة بأن يكون الجيش فى عهده جيشاً كاملا لحماية البلاد .
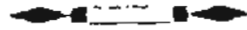
الرئيس على ماهر

قد تكررت رئاسة على ماهر الوزارة المصرية وكان فى كل طور من أطواره المثل الأعلى للنزاهة وحسن السياسة وأراد ربك أن يكون هذا الانقلاب على يده الأمر الذى جعل الأمة تشعر شعوراً تاماً بتذليل الصعاب وإماطة الأذى عن سبيلها وهى خطوة أولى من نوعها إذ زالت المؤثرات الملكية وتلاشت دسائس حاشية الفساد وأصبحت المياه صافية الأديم والطريق ممهداً لنهضة تجعل الأمة فى المكان اللائق بها .
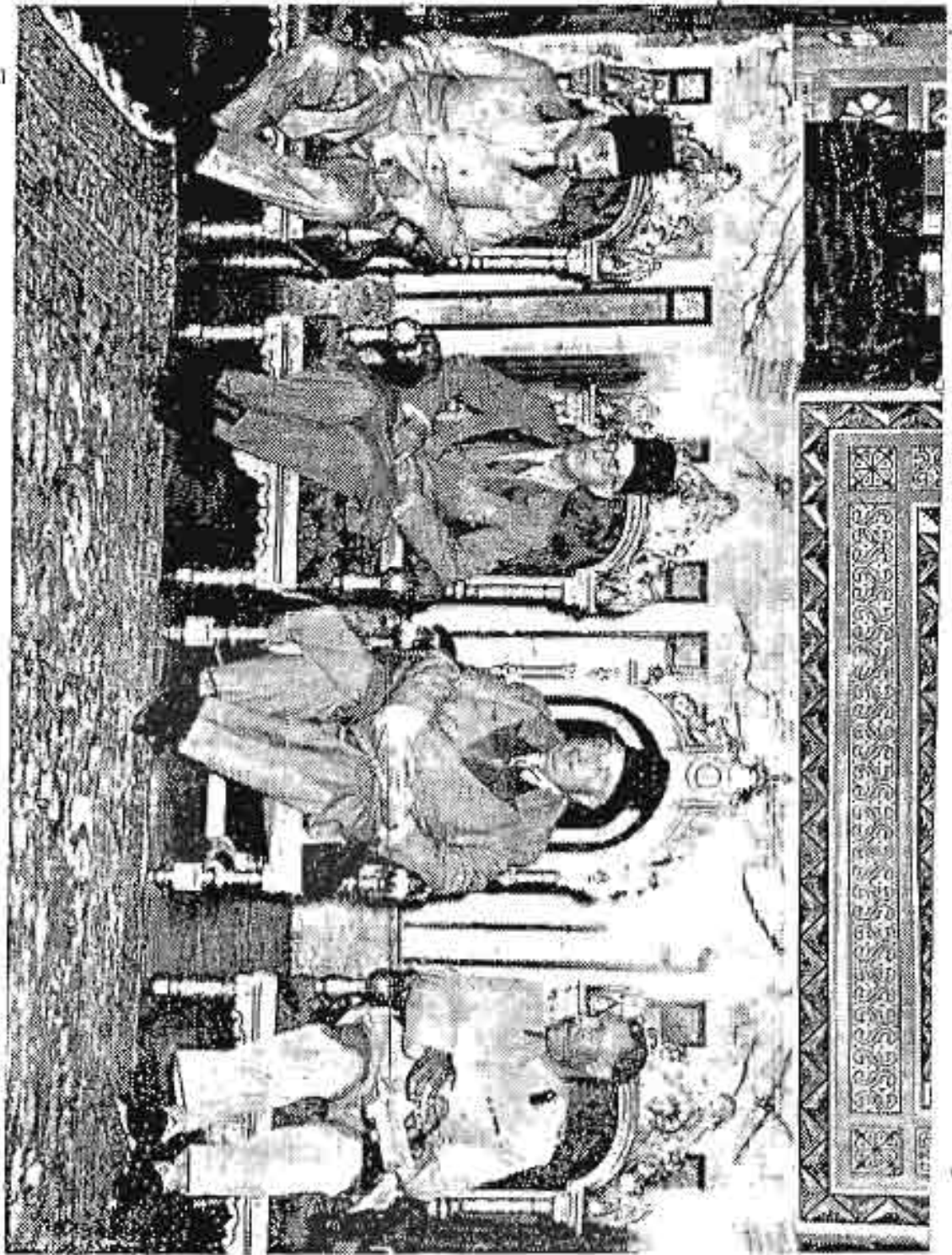
هؤلاء أعضاء مجلس الوصاية

من اليمين القائم مقام محمد رشاد مهنا وسمو الامير محمــد عبد المنعم رئيس المجلس ومحمد بهى الدين بركات احد اعضاء المجلس فهم المسؤلون عن القيام بشؤون الملك أحمد فؤاد الثانى والى جوارهم الرئيس على ماهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد فاهمال التاريخ فى السودان جعله نهباً موزعا بين العالم فهرع الكتاب عليه فأخذوه من غير أهله فضلوا به وأضلوا غيرهم واغريهم سطو الافرنج الذين يتلقونه محرفا لعجمتهم واذا ماترجمه المترجمون زادوا الطين بله وهناك ضوعف الخلط وغابت شمس الحقيقة بين هذا وذاك وبما أنى وقفت قلمى للدفاع عن الحقيقه به فاصبحت اكتب ردودا فى الصحف ولكن كان بعض هذه الاغلاط تظهر فى مؤلفات بلغات عجمى وما ترجمت إلا منذ عهد قريب فاضطررت الى نقدها نقدا بريئا تكتنفه سلامة النية لتصايح الاغلاط فى طبعاتها الثانية وانى لمستعد لتزويد المؤلفين إن تكرموا وسألونى عن أية ناحية يرى المؤلفون الاسهاب عنها وعنوانى أم درمان ربع رابع حارة أولى منزل نمرة ١١١٥ اللهم أرنا ألحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه .

هذا وأرانى مضطراً الى الاكثار من الصور لاطلع القراء على صفات السودانيين الحقيقية التى طالما اتخذها المؤلفون مكانا للسخريه بعد تشويهها والحال انهم يرون كثيراً من السودانيين عرب وزنج يجولون بين ظهرانيهم بمصر وننظر ماذا يقولون بعدئذ حتى اذا تكررت الإساآت فنعالجها بما يناسب من الدفاع اللازم حفظا لكرامة شعب وادع لاتصبو نفسه لغير السلام والوحدة بالمعنى الصحيح

ضوء جديد على مصير

الجنرال غردون باشا

اطلعت بمزيد الغبطة والسرور على ماجاء بعددي المقطم الاغر بتاريخ ١٥ و ١٦ اغسطس سنة ١٩٣١ بهذا العنوان . ذلك ماصاغته انامل اللادي جوانت كريمة المركيز سلسبوري في الجزء الثالث من كتاب « حياه روبرت مركيز سلسبوري » واني وان كنت احترم المؤلفة نبوغها وسعة اطلاعها وغزارة أدبها وأجل والدها عن تعمد الخطأ في مذكراته .

وقد كانت عبارة عن خلاصة الاخبار الرسمية التي تصل اليه في وقت يجوم فيه الخطب وأحيطت عاصمة الخرطوم بزهاء مئاتي ألف حربة تلمع وقطعت المواصلات ولايجرأ أحد من تلقف الاخبار الحقيقية الا ماكان يأخذه الجواسيس من الاطراف بلا ترو وتمحيض فلذا استميح اللادي جوانت عفواً بأن تتنازل فتسمح لي بأن اعلق تعليقا

بسيطا على ماسقته . لست اقصد من ذلك الاعتراض ومجرد الانتقاد كلا بل اتماما للفائدة التي ترمى اليها . هذا وارجو ان لايتوهم القارىء بأنى أقول على سبيل الحدس والتخمين ولا سيما لما ينقله الرواة هذا عن ذاك متأثرين بالعاطفة انتصارا للغالب أو المغلوب . ولكنى شاهدت ذلك بعينى رأسى وأن كنت يافعا حديث السن إلا أنى اعى جيدا مادار في تلك الملاحم الهائلة التي عقد دخانها اكليلا على رأس الخرطوم وكادت الأرض تميد بمن فيها لصوت البنادق وقصف المدافع وصياح الفرسان وجلبة الهجوم. وكذا رأيت بعد ماوضعت الحرب أوزارها جثة الجنرال غردون مسجاة تحت سلالم قصره كأنها مضغة لحم لاعظام فيها من شدة وقع السهام ورأسه معلقا بسوق أم درمان يحيط بها المتفرجون من الرعاع والصبيان . ومما يدعو الى الاعجاب بمواهب ذلك البطل الانجليزى انه صرف بحكمته عشرات الآلاف من صفوة السودان الى الدفاع تحت لوائه حتى صرعوا الى جانبه مع انه يخالفهم في الجنس والدين واللغة وماكان يحسن التفاهم معهم الا نادراً إذا لم يكن ثمت مترجم .

قالت اللادى جرانت فيما أخذته عن مذكرات ابيها « ولو كان غير صادق الولاء لنفسه وللقوم الذين أقسم ليحميهم لخلص نفسا واحدة فقط وهى نفسه . ومضت الشهور وهو يوزع الجرايات ويبالح لحنا على ايدى ضباط غير مخلصين واعدم بالرصاص ضابطين على جبنهما » إلى أن قالت « وكان على السطح لما بدأ الهجوم فوجد وقتا لاستلال سيفه في يد وحمل مسدسا في الاخرى قبلما تدخل طلائع العدو والقصر فقابلهم كما يقابل المحارب عدوه . ويقال أنه فتح طريقا بسيفه ومر على كومة من الجثث الى أخر السلم قبلما يسقط مثخنا بالجراح » فنقول أما قولها ولو كان غير صادق الولاء لنفسه وللقوم الذين أقسم ليحميهم لخلص نفسا واحدة فقط وهى نفسه . فذلك أمر دونه خرط القتاد وشيب الغراب . لأن الثورة إذ ذاك نشبت بنيرانها في جميع انحاء السودان . ولو أفلت بحيلة مامن محيط الخرطوم في ذلك الوقت لوجد في كل غيل كمينا كما حدث للكولونيل استيوارت في بلاد المناصير (١) لان الحماس كان يتأجج في نفوس الثوار ولا يمكنوا رجلا ابيض اللون شاحب البشرة أن يفلت من بينهم ولو اتخذ نفقا

---

(١) الكولونيل استيوارت كان نائبا لغردون باشا ولما اشتدت وطأة العدو على الخرطوم وبلغ سكانها درجة اليأس بعثه غردون على الباخرة عباس تخفرها باخرتان بهما ضابط مصرى برتبة قائمقام وعساكر ولما بلغ استيوارت محطة قنينيطه رجعت الباخرتان واستمرت الباخرة عباس في سيرها ولكنها ارتطمت في صخرة وغرقت فخرج استيوارت إلى الشاطىء تجاه سليمان نعمان ودقمر وقال له اذهب بنا نحضر لك جمال تحملك إلى كورتى ولما خرج معه قتله وأرسل سلابه للمهدى بأم درمان كان ضمنها يومية غردون ومفتاح الشفرة

الأرض أو سلما إلى السماء إلا إذا سلم وصانع فى ولاته لهم إلى أن يجد مندوحة كما فعل سلاتين باشا وغيره وقد أبى الجنرال غردون الرضى بذلك أما قولها . « مضت الشهور وهو يوزع الجرايات ويعالج المحن على أيدى ضباط غير مخلصين واعــدم بالرصاص ضابطين على جبنهما » فقول يأباه العقل ويبطله القياس . لان الناس كانوا فى السودان على حالين أما ايمان صحيح أو كفر صريح فنجد الرجل مع الجنرال غردون على اتم ولاء إلى اليوم الأخير وابنه مع المهدى وكلاهما صادق فى حجه لايشوب اعتقاده شيء من الرياء والمداجاة كالاستاذ الشيخ الامين الضرير رئيس ومميز علماء السودان الذى قاسى مضض العذاب مع الجنرال فى الحصر وابنه على الأمين من أخلص امراء المهدية الذين أداروا رحى تلك الحروب بيقين ثابت وعزم اكيد والذين اخلصوا كان اخلاصهم رغبة لارهبة وهو من اجل سياسة غردون التى نهج فيها نهجا هدم به مابناه اسلافه من ولاة السودان كما تراه من خطابه الذى أملاه على ابراهيم بك لبيب مأمور ضبطة الخرطوم الذى القاه على الوف من ســكان الخرطوم على منصة الخطابه والناس منصتون كأنما على رؤسهم الطير واليك نص الخطاب .

يا أهالى السودان عموما أن الجناب العالى الخديوى يسلم عليكم صغيرا و كبيرا أحرارا وعبيدا ، إناثا وذكورا . وكذلك جلالة الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند . وأنكم لاتجهلون شفقتى عليكم ومحبتى لــكم . وقد ساءنى ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنعتم من تأدية فريضة الحج التى هى من أركان الاسلام وزيارة قبر النبى عليه السلام وقد اساء هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم . فانتدبت من قبل حكومة جلالة الملكة لأكون واليا على السودان ومرخصا لى فوق العادة . وقد صار فصل السودان عن مصر فصلا تاما . (١) وفوض إلى الحكم المطلق . وقد خابرت السيد محمد أحمد المهدى بفحوى مأموريتى واعترفت له بالسلطنة المطلقة على السودان الغربى برمته على شرط أن لايمد يده لغيره (٢) هذا ولقد ألغيت جميع الاوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق . وتجاوزت عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٢ . وقد تجاوزت أيضا عن ضرائب ثلاث سنوات منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات . وأمرت

(١) انظر من أى زمن بدىء حديث الفصل

(٢) رفض المهدى المنصب ولم يعترف بولاية غردون ولم يقنع بسلطته وهناك كتب جوابا إلى المهدى وعنون الظرف شيخ محمد أحمد . فقال الشيخ محمد عبده أنه لم يقبل السلطنة وكذلك لانهم العزل منها .

باطلاق جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جناياتهم وعزمت منذ الآن ان لايكون اعضاء حكومتي إلا من الوطنيين حيث انى اود تشكيل حكومة وطنية ليحكم السودان نفسه بنفسه (١) وقد عينت عرض الكريم أباسن مديرا للخرطوم وانعمت عليه برتبة الباشوية . ولى الامل بان العلائق ستصبح بينى وبين سلطان العرب وثيقة العرى . وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون واتلافها وسحب الجنود منها لتلتفتوا الى عمران بلادكم وحرث اراضيكم وانماء تجارتكم والسلام عليكم .

فذهب الناس فى تاويل تلك السياسة مذهبين ففريق قال باستحسانها والدفاع عن كيانها . وفريق نبذها وراء ظهره . وقال انها ضرب من ضروب التمويه والمخاتلة ولابد أن تظهر يوما ما فى ثوب غير ثوبها الحالى . فتملص هؤلاء من بين سكان الخرطوم وانخرطوا فى سلك الثائرين . واصبحوا الد اعداء الجنرال . اما الضابطان اللذان قتلا فهما حسن باشا ابراهيم والسعيد باشا حسين الجيمابى واليك خلاصة السبب فى اعدامهما . اغار الشيخ ابراهيم بن الشيخ العبيد على ضواحى الخرطوم بحرى . وبدأ بحصر الخرطوم . فرأى الجنرال غردون طرده من حول المدينة . فانتدب اربع فرق عسكرية ثلاث منها بقيادة ضباط وطنيين . وهم حسن باشا ابراهيم الشلالى والسعيد باشا حسين الجيمابى ومولى بك الرباطابى وميتواغا التركى . جازت تلك الفرق النيل الازرق الى بلدة جليتقو أى مكان ضبطه الخرطوم بحرى الحالى . وماكاد يراها العدو حتى جاء منحدراً كالسيل الجارف وهناك حدثت بينهما معركة شديدة وكان الجنرال غردون والمستر باور القنصل الانكليزى وفرج باشا الزينى رئيس اركان حرب الجنود بالخرطوم على سطح سراى الجنرال . وكان لديهم مدفع . اخذ غردون يطلق منه القنابل على صفوف الاعداء . فرغما عن ذلك هزمت فرق الجنود شر هزيمة وقتل مولى بك وميتو اغا وصار حسن باشا والسعيد حسين باشا كل منهما يعترض للجنود المنهزمين ويضربهم بعرض سيفه محرضالهم على الكر على العدو الذى كانت اسيافه تلعب فى رقابهم . وكانت امور الصدق بين فرج الزينى باشا وهذين الضابطين ضعفائين : فقال فرج باشا للجنرال انظر خيانة

---

(١) هذا هو حديث الحكم الذاتى الذى يفانه العالم واليد الوقت الحاضر والصحيح أنه ضمن المشروعات التى زود بها الجنرال غردون منذ سنة ١٨٨٤ م ولم يزل فى مصمرات السياسة الانكليزية التى ينتظر بها الظروف والمناسبات فأشبه اليوم بالأمس كان غردون أعلن الفصل وبدأ فى حديث الحكم الذاتى كاأن السير روبرت هاو عمل المجلس التشريعى وسار على ضوئه لتاليف الحكم كما بدأه غردون باشا ومصر لاهية عما يسمى المفاوضات والتصريحات التى لاتقرب بعيداً ولاتنفع صديقا اللهم رحماك .

ضباطك كيف يضربون جندهم بالسيف ليبدوهم خدمة للمهدى فترك أطلاق المدفع واخذ بنظارته المعظمة ينظر ماذكر عن الضابطين . ولما تحقق ضربهما بالسيوف للعسكر أمر بالقاءالقبض عليهما ووضعهما بالسجن وأمر بقتلهما خفية . فقتلا سرأ بداخل السجن وكان عبد الحميد بك أبورقيبة الشابق أسيرا فى يد الثائرين قبل هذه الحادثة ، فهرب منهم وعاد إلى الخرطوم فسأله الجنرال غردون أهل سمع شيئا من الاعداء يدل على اتحاد بينهم وبين الضابطين المحكوم عليهم بالاعدام . فأجابه بان الدراويش حانقون عليهما لمحاولتهما رد الجنود للحرب فأسف الجنرال على تسرعه باعدامهما وطلب اولادهما ووعد باعطائهم الدية بعد أنتهاء ازمة الحصر . وقد انتقدت الجرائد المصرية تسرع الجنرال فى الحكم عليهما . ومن الغريب أنه كان كلاهما فى أشد الحرص على ولاء الجنرال غردون باشا ولما تآمر سليمان الزبير باشا على الجنرال فى بلدة دارا بمديرية دارفور ١٢٩١ هـ كتب السعيد خطابا سريا إلى غردون فى بلدة الطويشية يحذره نيته شر تلك المآمرة . ولما وصله الجواب احتاط لنفسه وبعد وصوله دارا منحه رتبة البكباشى وعينه وكيلاللمديرشكا . ولاغرابة من اعنظاماسلط عليه ، وكانت هذه سببا فى حدوث حرب بينه وبين سليمان الزبير باشا الذى سار بعدها واغار على مديرية بحر الغزال وفتك بمن فيها من الجنود والتجارة وقتل نائب المدير عثمان ابتر وامر شاهد ابن المدير حتى عينت له حملة عسكرية بقيادة جسى باشا الايطالى أما فرج باشا فهو ضابط مثل تلك الدسائس حتى صارت له ديدنا وخلقا ملازما . انظر ماجاء فى كتاب (كشف الستار) لمؤلفه السيد احمد عرابى باشا بالصحيفة نمرة ٢٢٠ تجد ماخلاصته ، انه دعا صف ضباط الآلاى السودانى بمصر فى سنة ١٨٨١ وحرضهم على العصيان والعقوق . فقبض عليه اولئك الجنود وسلموه الى الاميرالاى عبد العال حلمى بك فاودعه السجن وكتب تقرير عنه لوزارة الجهادية المصرية التى شكلت له محكمة عسكرية . حكمت عليه بالنفى إلى السودان إلا أن محمد رؤف باشا الحقه بالجيش المصرى فى السودان ومنحه رتبة اللواء) وعاد فثل دورا اعدم به ضابطين من احذق رجال العسكرية . هذا وانرجىء بقية الكلام إلى غدوأن غدا لناظره قريب ؟

تحريرا فى كتم بمدرية دارفور فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣١

المقطم عدد ١٢٩٩٧ بتاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٩٣١

ضوء جديد

على مصير الجنرال غردون باشا

وفاء لما وعدنا به قراء هذا الجريدة . نأتي على بقية الكلام عن مصير الجنرال غردون باشا فنقول . لما رفض المهدي قبول منصب السلطنة على السودان الغربي واخذ يلح على الجنرال غردون في التسليم والانخراط في سلك انصاره . تميز الجنرال غيظا وحسر عن ساعد الجد وعول على الدفاع . فاخذ في رسم خططه وكانت المدينة محاطة بخندق عميق [١] من النيل الابيض الى النيل الازرق يمثل نصف دائرة له ثلاث ابواب وهي «ا» باب الكلاكلة مما يلي النيل الابيض «ب» باب المسلمية وهو في مكان محطة السكة الحديد بالخرطوم الآن «ج» بري مما يلي النيل الازرق ذلك من اعمال عبد القادر حلمي باشا فزاد الجنرال غردون افي تقوية الاخيرة وشيد سور من وراء الخندق فتح به المزاغل ليقي الجنود مقذوفات العدو . ونثر امام الخندق عثرات وعوائق وكانت في الخرطوم ١٢ باخرة سلحها بالمدافع وفيها من الجنود خمس اورط نظامية اثنان من الجنود المصرية وثلاث من الجنود السودانية و ٢٥ اورديا من الباشبزق فجند سبعة أرادي أخرى علاوة على المتطوعين من الموظفين والاعيان لأن الدفاع اصبح عن العرض والمال . فقسم الجنرال تلك القوات الى خمسة أقسام . قسم بقيادة الميرلاي حسن بك الهنساوي المصري ناط به الدفاع عن الطابية الأولى أي طابية الكلاكله . قسم بقيادة اللواء فرج باشا الزيني ناط به الدفاع من بوابة المسلمية وقسم بقيادة القائمقام بخيت بك بطراكي السوداني ناط به الدفاع عن طابية بري وقسم بقيادة الميرلاي ساتي بك أبو القاسم الدنقلاوي مدير بحر الغزال وكان مأموره في الخرطوم ناط به الدفاع البحري . وقسم بقيادة اللواء فرج باشا أم درمان ناط به الدفاع عن طابية أم درمان والطوبجية في كل تلك الاقسام تحت أشراف اميرالاي محمد بك العثماني المصري ولما انتهى الجنرال من رسم خططه وإعداد معداته كتب خطابا إلى المهدي بعنوان «الشيخ محمد أحمد» أي أنه عزله من السلطنه على السودان الغربي . إلا أن المهدي كانت نعرته دينية بحتة فلم يحفل بالولاية ولم يتمتع بابهة السلطنه . فبديهي أن من كانت هذه حاله لا يؤلمه العزل منها . فالولاية لم تخفض حرارة مرجل الثورة ولم تلبس

(١) كان الخندق من عمل البكباشي أحمد ثابت اوالدكتور عجوب تابع المصري اصلا والدنقلاوي مولدا . اجتمعت به في أواخر سنة ١٩٣٤ بعد عودته من البعثة الزراعية فقابلني عند السلالم أحمد عرابي الصحفي المصرية فارسل اليه ليرجع من الطريق وقال له اقرأ ما امليته عليك ليسمعه مؤرخ ويخبرك أن كان هناك خطأ فتلاه علي فكانت أخبار صحيحة تدل بوضوح على عناية بتاريخ البلاد الذي عبثت به اقلام غيره .

الدعوة غير ردائها الملطخ بدم الحروب . وفى ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٣ قطع خط التلغراف بين سواكن وسنكات وفى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٣ قطع خط التلغراف بين بربروكسلا . فادرك الجنرال أنه لابد من قطع المواصلات بينه وبين مصر . فجاز النيل الازرق إلى قصر راسخ بك بالخرطوم بحرى وبعث أحدى عشر رسالة برقية إلى السير افلن بارنج « اللورد كرومر » أبلغه فيها بما وصلت إليه الحالة السياسية فى الخرطوم . وأردف ذلك بتلغراف بتاريخ أول مارس سنة ١٨٨٤ قال فيه مانصه . —

(لم ازل اعتقد كال الاعتقاد . ان اخلاء السودان ممكن ولكن أقول لك انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم اذالم تساعدنى الحكومة بما أوضحته اليك) فأجابه السر باريخ بتاريخ ٢ مارس سنة ١٨٨٤ قال فيه (قد تلقيت الاحدى عشر رسالة تلغرافية المرسلة الى منكم فى الأربعة أيام الأخيرة بخصوص السياسة العامة وانى شديد الرغبة فى مساعدتك بكل طريقة ولكنى لم اتمكن من معرفة ماتريده الان وأرى خير طريقة هى ان تلخص المسألة جيدا وتخبرنى تلغرافيا بما تستصوبه فكتب الجنرال غردون يقول (يجب على الحكومة مساعدتى واجابة طلباتى ضرب لازب) وبينما كان الناس يمطون النفس بانفراج الأزمة ووصول الحملة الانكليزية إذقام الشيخ المضوى عبدالرحمن الحمى خريج الأزهر فى سكان ضواحى الخرطوم فاجتمعت
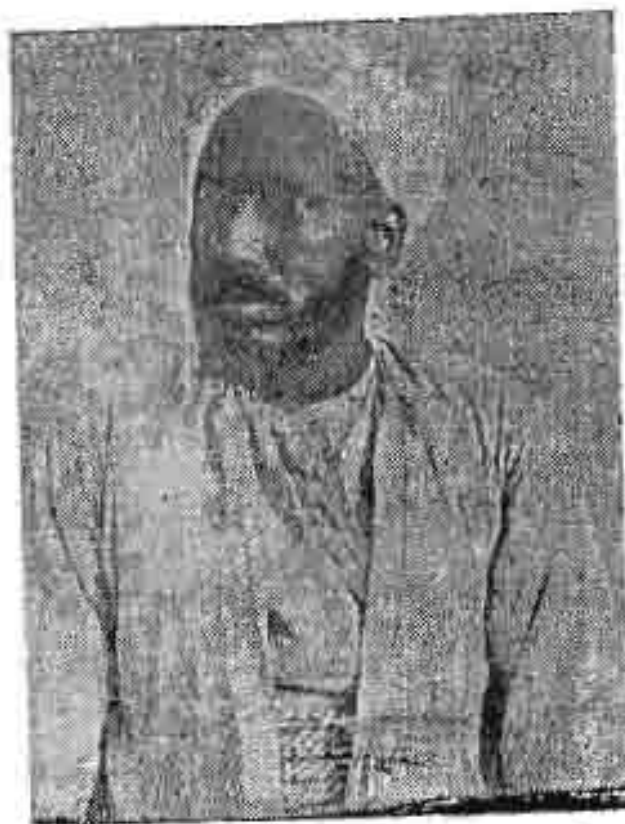
الشيخ المضوى عبدالرحمن

حوله قوات تقدر بعشرة الآف مقاتل وشرعت فى حصر الخرطوم وكانت القوات بقيادة الشيخ ابراهيم محمد بدر ومعه من الأمراء قبيله المحسن بقيادة احمد الفريع والشكرية القدورات والمسلميه بقيادة أحمد ود عماره والمغاربة بقيادة محمد عبد السلام وسكان ضواحى الخرطوم بقيادة بابكر محمد والبطاحيين بقيادة طه عبد الباقى والحمابنه بقيادة سليمان ودكامر بدأت تلك القوات بحصر الخرطوم فسارت لطردها قوه بقياده الميرالاى ابراهيم فوزى بك ولواء بعد ذلك حدثت بينهما مناوشة جرح فيها ابراهيم فوزى بك وعادت قوته بلاجدوى. أما المهدى فانتدب قائده المشهور الحاج محمد أبو قرجه ولقبه بأمير البحرين وأمره بالزحف على الخرطوم وكان جيشه كثيفا فاسرع فى زحفه إلى أن جاز النيل الابيض ووجد فى طريقه قوه من جنود الباشبزق بقيادة الميرالاى صالح بك الملك الشايقى «باشا» الذى فتك بالطيب ود حمدون داعية المهديه فى مدنى وحفر خندقا فى فداسى تحصن به ليحمى طريق المواصلات بين الخرطوم وسنار التى كان يحصرها عامر المكاشف ودكريف وعبد القادر ابو الحسنى وغيرهم. فأحاطت قوه أبو قرجه بحامية فداسى احاطة السوار بالمعصم واطلقت عليها ناراً حامية حتى أكرهتها على التسليم وأسر قائدها وبضعة سناجق من ضباطه. ثم وأصل زحفة إلى الخرطوم وحصرها. وهناك قطعت التلغرافات بين مصر والخرطوم وفى ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ سقطت مديريه بربر وفى ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ حدثت أول واقعة بين حامية الدبه وجيش محمد الهدى «١». وقد رأى الجنرال ضرورة طرد حامية أبو قرجة فانتدب لها قوة نظامية بقيادة محمد على باشا واخرى من جنود الباشبزق بقيادة خشم الموس بك «باشا اخيرا» فهجمت القوتان على حامية أبى قرجة وبعد معركة دموية هائلة قتل حصان بى قرجه وسقط أبراكبه فظن اتباعه أن أميرهم قتل

---

(١) تلك واقعة الكرد فى شمال الدبة بدنقلا قد تقابل بها جيشان أحدهما من أنصار المهدية والثانى من حامية دنقلا. وكان المدير اذ ذاك اللواء مصطفى ياور باشا الذى كان أول مدير صانع المهدى وحارب جيشه ونجا لمصر موفور الكرامة. حدثت الحرب واشتد ضرامها ولقد ساعد الأهالى فيها كالملك طمبل وغيره من المديريه والفتح كما كانت نساء تنقشى تدعين اسعيد محمد فرح فى أغان مشهورة منها.

يا يابى ود جباى لاتنوم	وفوق سعيد مثل الصقر حوم

أى احرسه واحفظه من أذى الحرب اما ود جباى فمن كبار الاولياء له مقام يزار قريبا من مكان الواقعة: هذا وقد هزم جيش أحمد الهدى هزيمة نكراء وكان قاضى السرية الفقيه وديسن من شرق مروى هجاه أحدهم بقوله.

الله من رامتونا فى الكرد	ألمنه قاضى الاسلام شرد
سبق ابطال أمامه قرد	وحساب خبر الهوم فى البلد

فهزموا شر هزيمة بعد خسائر فادحة . ومن الغريب وجدت بين قتلى الأنصار امرأة دنقلاويه تدعى ست البنات قابضة بيدها قائم سيفها كانت تحارب إلى أن صرعت فى حومة الوغى. وفى أواخر أغسطس سنه ١٨٨٤ تقدم محمد على حسين باشا بجيشه إلى بلدة العلفون فبدد بعض الثوار فيها وجاز النيل الازرق قاصدا بلدة أم ذبان إلا أن كمينا من الانصار أحاط به وأعمل فيه السيف فقتل الباشا ومزقت جنوده. وفى ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ هاجم الامير الاى ساتى بك قومندان الوابورات الحربية الأمير الشيخ فضله فى شجو محو بك وحدثت بينهما حرب هائلة اظهر الفريقان فيها من ضروب الشجاعة ما يدعوا إلى الاعجاب. هذا وقد صارت قوات المهديه تتقاطر على الخرطوم بقيادة عبد الرحمن الجنوة وعبد القادر ود مدرع وغيرهما . وقد بلغ الجنرال غردون أن رجلا من دعاة المهدية يدعى حامد ود الفكى عبد الله التفت حوله جموع عظيمة بالقطينه على بعد ٨٥ كيلوا متر جنوب الخرطوم فأمر ساتى بك بتبديد تلك الجموع فسار هذا على باخرة مسلحة وبعد مناوشة بسيطة قتل ساتى بك وعادت الباخرة . وكان هذا الضابط حاذقا مقداما. فأسف الجنرال لمقتله واظهر نهاية المجاملة لذويه وعين أخاه أحمد بك أبو القاسم فى منصبه. وكان البكاء ممنوعا فى الخرطوم فأباحه الجنرال على ساتى بك .

ووصل المهدى وعسكر فى ديم أبى سعد غربى النيل الأبيض على بعد ٨ أميال من الخرطوم وأمر الأمير حمدان أبى عنجة بحصر طابية أم درمان فتقدم هذا وحصرها حتى اجبرها على التسليم فبعث قائدها أشاره إلى الجنرال غردون باشا أخبره فيها بأن الميرة والذخيرة فقدتا فحاول الجنرال أن يبعث اليه ما طلبه فلم يمكنه ذلك وبعد اليأس كتب أشارة يأذن له فى التسليم حفظا لكرامته وصونا لدماء الجنود . فسلم قائد طابية ام درمان فى ٥ يناير سنة ١٨٨٥ م وكانت هذه سببا فى قرب مواقع العدو الى الخرطوم فأخذت مقذوفاته تنهال عليها فى كل وقت . واشتدت وطأة المجاعة فى الخرطوم ووقعت الماليه فى مهاوى الافلاس فصار الجنرال يقترض من الاغنياء ويعطيهم صكوكا . وطبع أوراق البون ولما يئس كتب وصية بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ قال فيها انى أوصى الحكومتين الانكليزية والخديوية بالإحسان الى قبيلتى الشكرية والحمدة ومكافأتها مكافأة تليق بشرف الحكومتين كما أنى أوصى بهاتين القبيلتين خيراً . وأوصيها بالرجل الذى ضحى بحياته ابتغاء مرضاة الحكومة الا وهو الشيخ محمد شريف نور الدائم استاذ المهدى وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وأنى اعفو عن كل سكان السودان الذين اشتركوا فى الثورة وأصلونى حربا دموية كادت تذهب بحياتى وحياة الالوف من أهل الخرطوم إلا أربعة منهم تحسن حكومة جلالة الملكة اذا اذعتهم على قبرى بعد مماتى وهم عثمان دقنة الذى أحدث القلاقل فى السودان الشرقى وقطع بينه وبين بربر طريقا لايكلف السفر فيها مشقة كما يكلف هنمور أبوحد والثانى محمد الخير الذى لولا قيامه بدعوة المهدى فى بربر وسقوطها فى يده لاستطاعت أنا وكل أهل الخرطوم النزوح الى مصر متى رأينا الخطر بارزا من جهة المهدى وأنصاره . ولولا قيام محمد الخير هذا وسقوط بربر لوصلت الحملة الانكليزية بأسهل مما وصلت قبلها حملة الجنرال هكس ثالثهم الشيخ المضوى الذى حرض القبائل بالضواحى على حصرى . وكان هو ومن تابعه أول من اطلق الرصاص على حصون الخرطوم وكان يكتب الى الكتب المشحونة بهجائى وهجاء جلالة الملكة خلافا لمولاه المهدى ورابعهم الشيخ العبيد

وفى مساء ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ جاز المهدى النيل الابيض على فلائك صغيرة فى جنح الظلام ولم يكن معه إلا خلفاؤه وبضعة اشخاص من حاشيته . ودعا اليه امراء جنده وأمرهم بالهجوم فى غسق الليل ثم حضهم على الثبات وودعهم وداعا ودعا لهم بخير وأذن لهم بالانصراف إلى فى مراكزهم فى خط النار وقفل راجعا لام درمان . فما ود يصل اليه حتى سمع الناس دويا عظيما يكاد يصم الاذان وهب المحصورون من سباتهم

سلاتين باشا فى عنقه جنزير يلف بعضه فى وسطه ويربط طرفه على وتد عند مدخل الخيمه التى أخرج منها لعرض رأس الجنرال غردون عليه وإنك لترى من انحنائه لهول الموقف .

وأطلقوا سواريخ لانارة الأفق لكي يتبينوا طريق الهاجمين . وهناك أطلقوا النار عليهم إلا أن العدو تمكن من كسر الضلع اليمنى واجتاح قوة الاميرالاى حسن بك البهنساوى (١) ، ولكنهم لم يدخلوا المدينة بل عرجوا إلى باب المسلمية فهزم الجنود إلى داخل المدينة وتبعهم الأنصار يعملون السيف فى رقابهم . أما الجنرال فأمر وابوره بالاستعداد وأخذ نظارته لينظر بها سير الهجوم ودفاع جنده حتى إذا ما شاهد بوارد الخطر يدخل وابوره وينجو به إلا أن جماعة من الباركيين كانوا يعرفون الطريق المؤدى إلى سراى الجنرال فجاءوا يهرولون فى الأزقة ولم يرهم الجنرال لاشتغاله بالنظر إلى سير المعركة الناشبة على طول خط النار حتى سمع طلقات عند باب السراى بين الخفراء والهاجمين . ومن ثم صعد الانصار على السلالم فقابلهم الجنرال ببذلته العسكرية والسيف فى جنبه قائلا «اين مولاكم محمد أحمد» فأجابوه بطعنة نجلاء صرعته وجروه من رجله إلى الأرض ولم يزل به رمق من الحياة ثم حزوا رأسه وحملوه بين المتحاربين الذين ما كادوا ينظرون اليه حتى كفوا عن الحرب . ثم حملوا الرأس على الوابور الذى كان أمام السراى . فسار به إلى المهدى بأمدرمان . وأشاع بعضهم أن المهدى أباح قتل ثلاث قبائل لمدة ثلاثة أيام وهى الشايقية والشكرية والشنابلة كذبا وافتراء عليه فذهبت بذلك أرواح بريئة . ويقال أن المهدى أوصى الأمراء بأسر ثلاثة وأن يقدموا اليه أحياء وهم الجنرال غردون باشا والاستاذ الشيخ الأمين الضرير والسيد عبدالرحمن الخرسانى إلا أن فساد النظام قضى بقتل الجنرال والشيخ الخرسانى ونجا الشيخ الأمين

﴿ الاسرى ﴾
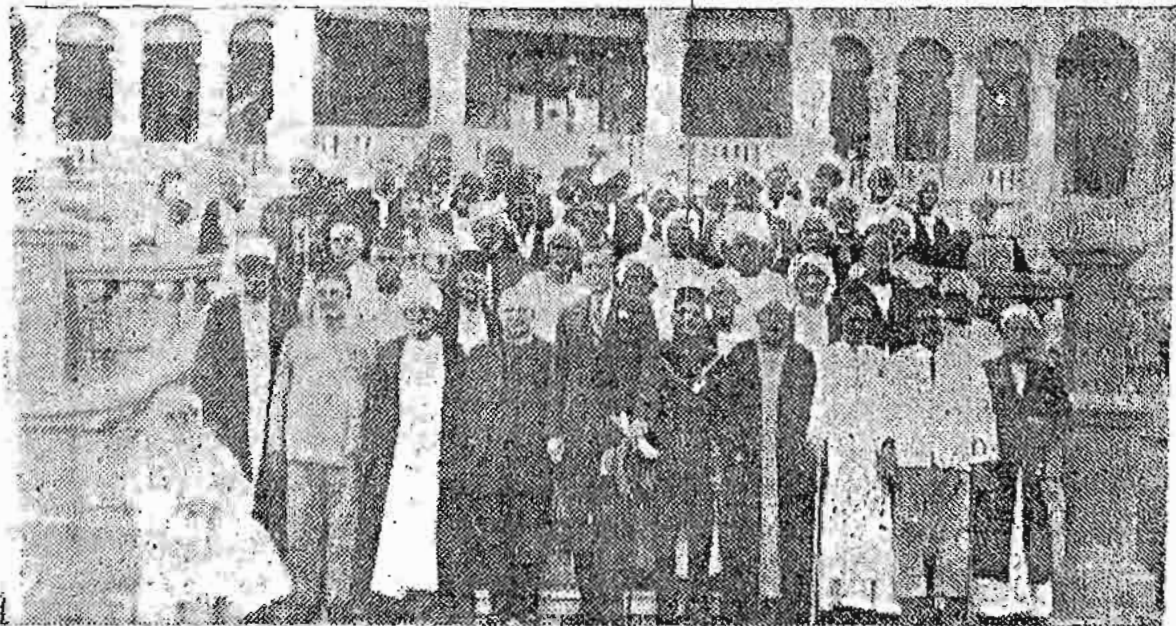
قد ترى بينهم السر مكى حاكم السودان العام والمطران جوين رئيس الكنيسه الأنكليزيه بالخرطوم

(١) حسن بك البهنساوى أتهم بالاهمال وشكلت له محكمة بمصر حكمت ببراءته مما نسب اليه .

الضرين لحزم ابنه على الذى كتبنا عنه فى المقال الأول وأنه أسرع إلى دار أبيه وأحاطه بسياج من رجاله المدججين بالسلاح وساقه إلى أن تجاوز به منطقة الخطر . ومما يؤيد صدق الرواية أن المهدى قابله أحسن مقابله مع أنه أفتى بتدجيله وتكذيب دعوته ولما توفى صلى المهدى عليه بتكبيرات زاد فيها على المعتاده ولما سئل عن ذلك. قال مابرحت أطلب من الله المغفرة حتى قبل شفاعتى فيه ولاشك انه لو نجا الجنرال لوجد منه ما يليق بكرامته حتى يطلق به السيد أحمد عرابي فيزيد به القوادام من جناحه: أما القتلى من الضباط والاعيان فهم القائمقام بخيت بطراكى بك وقد دافع دفاع الابطال واللواء فرج الزينى باشا وقد فر من الميدان بعد أن خلع بذلته العسكرية ولكن قبض عليه ولما فتش وجدت معه ساعة ذهب وخاتم نقش عليه اسمه فقتلوه وقتلوا السيد حسين مجمدى الذى كان من فطاحل علماء المصريين والمفتى شاكر والشيخ موسى المفتى المحلى والشيخ محمد خوجلى ودحتيك قاضى القضاة والاستاذ محمد السقا ومحمد حسن باشا مأمور المالية وابو بكر بك الجاركوك ومحمود بك محى الدين وقرياقص بك القمص رئيس قلم بالحكمدارية ومحمد بك مصطفى سكرتير الحكمدار والبكباشى فضل ابراهيم وادريس بك النور الخبير وخليل بك شنوده ومحمد بك بدوى رئيس المجلس المحلى وأحمد بك على جلاب وموسى باشا شوقى وابراهيم بك لبيب مأمور الضبطيه وابراهيم بك رشدى سكرتير الجنرال سابقا ومحمد بك ابراهيم وفضل المولى بك عصمت رئيس التلغراف والاميرالاى محمد بك العتبانى قومندان عموم الطوبجيه وكان أحمد بك ابو القاسم يقاوم الى ان سقطت الخرطوم حتى رسى الى الشاطىء وسلم مع جنوده. وقد هرب كثير من الضباط والجنود الى الصحراء ومن الغريب أن رجلا مصريا يدعى الاسطى عبد الله كان بالترسانه ولما اشتد هجوم الانصار اخذ يمسح وجهه بالزفت ليكون اسود فينجو من القتل وبينما هو مشغول بصبغته اذ بفارس هجم على عبد اسود كان بوابا فقطع رأسه فترك عبد الله حيلته وقذف بنفسه فى البحر فنجا الى جزيرة توتى وعاش الى عهد قريب وكان الخطب عظيما والرزء جسيما فلا يكاد المرء يمر بطريق فى حى من احياء المدينة الا ويرى اكداسا من جثث القتلى ٩٠ ٪. وطنيون اذن فكيف يكون الاخلاص الذى تريده اللادى جوانت بعد ضياع المال ومهج الرجال . فسبحانه تعالى خط قلبه بما الكل عليه الآن ومايكون وما كان.

كتبتم فى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣١ بمديرية دارفور

ماكادت المقطم تنشر هذين المقالين فى الرد على اللادى جوانت حتى وردت لى مكاتبات الشكر تترى من جهات شتى منهم من يطلب المزيد وآخرون يردن نشر ذلك فى كتاب منهم السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا الذى قال لى لقد نعلت شجاعتكم الأدبية فى هذا الرد فلا تضيع وقتك فى الرد على الجرائد بل اكتب لنا تاريخا عن المهدية فألفت على الأثر « بدائع الأثر فى تاريخ المهدى المنتظر. »

اعـــلام الاســـلام

وعن مهدى الله ، هذا مؤلف وضعه الاستاذ توفيق أحمد البكرى عن تاريخ المهديه جاء فى آخره كلام عن الحملة الانجليزية بقيادة اللورد ولسلى ووصولها الخرطوم بعد سقوطها — قال

-(اللـــورد ولســـلى)-

مضى يوم وأعقبه يوم. وسمع فى ضحى الاربعاء هزيم المدافع شمالى جزيرة توتى ولاحت باخرتان فوق احداهما سر تشارلس ولسن و بعض الضباط والجنود البريطانيين. وهما تحدان السير لاسعاف غردون ولكن بعد فوات الوقت كما تنبأ الصوفى فى مذكراته. وتطلع رجال الباخرتان يفتشان وسط الدخان المنعقد فوق الخرطوم عن العلم المصرى يرفرف فوق قصر الحكمدار فلم يبصروا له أثراً كان ذلك آخر عهده وحده بالتمايل والخفوق. فارتدت الباخرتان من حيث جاءتا الخ . هذا كلام أقرب إلى الخيال منه الى الحقيقة والصحيح ان حملة الانقاذ سارت سيرا بطيئا الى ان بلغت كورتى فاتخذت معسكرا فى شمالها وهناك قسمت الى حملتين . سارت احداهما على فلائك بالنيل بقيادة الجنرال إرل ورافقه الجنرال بركنبرى ضابط سياسى وسارت الثانية
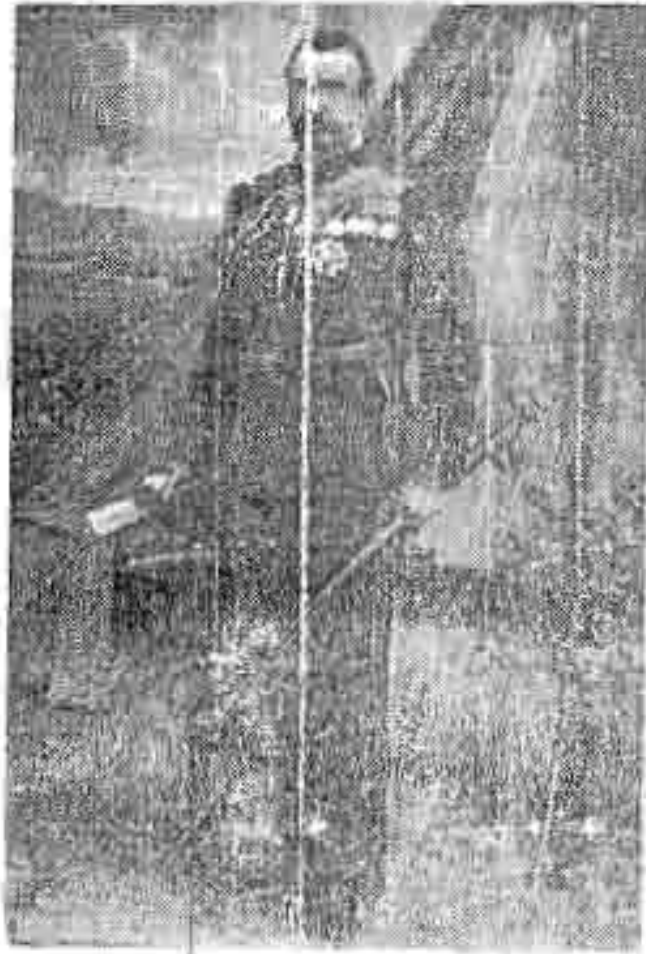
—(الجـنرال بولار)—

(الجنرال أرل)

(الجنرال بركبرى)

بصحراء بيوضة بقيادة الجنرال استيوارت ورافقه الجنرال تشارلس ولسن ضابط سياسي اما

الأولى فقابلت جيش المهدية فى جبل كربكان وقد نشبت بينهما حرب هائلة قتل فيها الجنرال إرل وتولى القيادة بدلا عنه الجنرال بركنبرى الذى تقدم الى ابى حمد وأحرق بلاد الرباطات والمناصير

﴿ الجنرال استيوارت ﴾

أما الحملة الصحراوية فانها بلغت جبال أبى طليح فوجدت الآبار حاطة بجيش المهدية بأمرة موسى ودحلو وكان الوقت حوالى الساعة الخامسة مساء الى ان وصلت الآبار بدون حرب وما كاد يبدو حاجب الشمس غدا حتى هجم عليها فرسان المهدية هجوما عنيفا اضطروا الانكليز الى الفرار من معسكرهم واشتغل الانصار بالغنائم فتمكن الانكليز من الكر عليهم واصلوهم نارا برحت بهم تبريحا فظيعا فقتل به موسى ودحلو ومحمد بلال ونحو ٩٠٠ بين قتيل وجريح وهزم الباقون وكانت خسارة الانكليز عظيمة ولكنهم سكروا بخمرة النصر فتأثروا المنهزمين فى طريق المتمة فساروا طول الليل بجدين حتى ان بعض العساكر يسقط من النعاس وتمر عليه بغال الحملة فلايشعر بها حتى يرفعه اخوانه وكان الغرض من ذلك ادراك المنهزمين قبل مايجتمعوا ويكروا عليهم مرة أخرى ولسوء حظ الانكليز . وصلت فى نفس يوم انتصارهم فى أبى طليح نجدة تتألف من ٦٠٠٠ مقاتل لديها بضع مدافع كروب وجبلى بقيادة النور عنقره الذى اراد الزحف الى جبال ابى طليح إلا ان الحاج على ود سعد حضر واقعة أبى طليح وجرح فى يده. قال له لا تزحف لابى طليح

فالانكليز رغما وصلوا اليك غدا فتأخر النور عنقره فى طرف المتمه بعد أن أقام شواخصا ألبسها جبب المهديه المرقعة ولف عليها العمائم أمام جنينة المتمه ونشر الرايات حول تلك الشواخص

(الجنرال تشارلس ولسن)

وما كاد يبدو حاجب الشمس حتى شاهد الجنرال استيوارت تلك العلامات فظن أنها معسكر الانصار فنظم جيشه بهيئة مربع متساوى الاضلاع جعل المدافع فى زواياه والضباط والخدم والجملة بداخله . وبينما كانت الجنود الانكليزية تسير إلى الجنينة إذ أطلق النور عنقرة النار عليها من جنوبها . فماج الجيش الانكليزى واختلطت صفوفه فى بعضها . وأصيب الجنرال استيوارت فى بطنه . فسقط ونزل سكرتيره مع طبيب الجيش لحمله ولكن أصيب السكرتير برصاصه فى رأسه فصرع جثة هامدة. وكان للجنرال خادم انكليزى رفع يده وهو يصيح قائلا يامولاى فأصيب برصاصة خرقت كفه. فتولى تشارلس ولسن القيادة ونادى فى جيشه بالتقدم الى ناحية النيل لكى لايموت ظمأ ان هم عادوا إلى أبى طليح فوصلوا أبى خروق فى طرف المتمة وقابلتهم به خمس بواخر بها اللواء محمد نصحى باشا المصرى وخشم الموس بك (باشا) وجنود لا يتجاوزوا ٣٠٠ بين مصرى، وشايقة أرسلهم الجنرال غردون باشا لاحضار الحملة . فسأل تشارلس ولسن

عن الأنصار فقال له خشم الموس إن قائدهم كان ضابطا برتبة الاميرالاى فسلم للمهدى وصار من أمرائه . فقال إذن يجب القضاء عليه قبل وصولنا الخرطوم لاننا لواستطعنا انجاد الجنرال غردون ربما يقف هذا عقبة فى سبيلنا . ثم أمر بتسليح البواخر ووضع جوالات رملية فى أطرافها وأدخل بها جنود انكليزيه وترك نصفهم بالبر لمهاجمة المتمة. أما النور فانه لم يهمل التدبيراذ أمر جيشه بالاحاطة بالمتمة. وقال كل جندى يحفر حفرة تقية من رصاص العدو ويأخذ ماء وذرة يبله بالمـــاء لغذائه وفى الصباح الباكر تقدم الانكليز وطوقوا المدينة من الخارج وسارت الخمس بواخر المسلحة بحرا ونشبت بينهما حرب بضع ساعات تراجع الانكليز بدون جدوى ثم عقدوا اجتماعا قرروا فيه ذهاب الجنرال تشارلس ولسن ببعض القوة بباخرتين وترك ثلاثة بواخر لحماية استيوارت المجروح ومعه أكثر الجنود . فسارت الباخرتان فى جنح الظلام دون أن يعلم الانصار شيئا من أمرهما .

اغراق إحـــدى الباخرتين

ومن سوء حظ الحملة وجدت نحو ٢٠٠ مقاتل بإمرة أحمد ودفايت الجعلى من بلدة موبس جنوب شندى كامنة فى جبل شلال (السبلوكه) ولم يدر بهم الانكليز حتى باغتوهم باطلاق النار عليهم . وكان المعتاد أن ريس الباخرة فى جوار الشلال ينظر مجرى الماء ليسير الباخرة به ولـكن عندما سمع دوى الرصاص عليه نام على (الـكوبرتة) فسارت الباخرة بغير هدى حتى ارتطمت بركابها فى الشلال وصار الماء ينهال إلى جوفها فأمسك الانكليز الباخرة الثانية وضموها على الغريقة وصاروا ينقلون مهماتهم وزادهم وذخيرتهم وركبوا بها وخلصوا عليها بعد مناوشة دامت من قنن الجبال نحو نصف ساعة ولوكان الجعليون يحسنون إطلاق الرصاص لا بادوا القوة عن بكرة أبيهاهذا وسارت الباخرة بالانكليز ولما بلغت الجيلى خرج رجال من الشايقيـة ونادوا خشم الموس بك قائلين له إرجع فالجنرال غردون قتـل ولا فائدة من ذهابكم اليـه فأبلغ خشم الموس الجنرال واسن ولـكنه لم يصدق الخبر . فسارت البـاخرة بدون أن يشعر بها أحد . ولا صحة لما قال وسمع فى ضحى الاربعـاء هزيم المدافع شمالى جزيرة توتى . ولاحت باخرتان . كلا فالباخرة واحدة ولم تطلق عيارا ناريا واحدا بل كانت تكتم على حركاتهاحتى كادت تصل المقرن شاهـــدت فرسان المهدية يرتدون جببهم المرقعه فحاولت الرجوع ولـكنها عرفت فى تلك اللحظة وأطلقت البنادق عليها الا أنها أسرعت فلم تصب بخسارة تذكر أما قوله وتطلع رجال الباخرتين يفتشان وسط الدخان المنعقد فوق الخرطوم

عن العلم المصرى يرفرف فوق قطر الحكمدار فباطل من ألفه إلى يائه فالحرب وضعت أوزارها وتراجعت الجيوش إلى أوكارها . فليس فى الخرطوم نار ولا دخان غير جثث القتلى والناس الذين كانوا يجمع الغنائم لبيت المال ولنرجع إلى إتمام الحديث عن باخرة الجنرال تشارلس ولسن . فانه ما كاد يصل شلال السبلوكه حتى أتاه الرصاص من مكامن الانصار فكذلك اشتغل الريس بسلامته عن تسيير الباخرة حتى ارتضمت فى الشلال وأخذت تهوى إلى القاع داء فنقل الانكليز أمتعتهم على فلائك صغيرة إلى الشاطىء الغربى وبعثو رسلا إلى المتمة جاءوهم باحدى البواخر الباقية هناك فوصلوا المتمة . وكتب الجنرال ولسن إلى اللورد ولسلى فى كورتى بفشل الحملة ومقتل الجنرال غردون وهذا أبرق للسير بارنج وأمر القوة الموجودة بأبى حمد بالانسحاب .

حدثنى النور عنقرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ قال لى كنت مقيما وجيشى بالمتمة ننتظر هجوم الانكليز كما هاجمونا فى اليوم التالى لوصولهم ولكنهم تأخروا وفى مساء كل يوم نرى الانوار مضيئة . ونسمع حركتهم حتى عودة الباخرة التى جاءت بهم من الطريق ففى يوم وصولها أخذوا ينقلون كل ثقيل إلى البحر وأوقدوا الأنوار كما كانت وخرجوا من معسكرهم ليلا ففى تلك الحركة توفى الجنرال استيوارت فدفنوه فى سفح جبل « جقدول » ونكروا قبره ولما مضى اليوم أخبرنى جماعة من الهوبجى قالوا انهم لم يروا انكليزيا فى المعسكر فأرسلت رجلا أكدلى صدق الخبر وهناك أمرت الفرسان بطاردتهم إلى قرب كورتى هذا وطويت بذلك صحيفة الحملة وقال أحد النواب الانكليز فى لندن يجب ان لا يكافأ اللورد ولسلى لانه لم يؤد واجبه فى انقاذ الجنرال غردون فانى مررت بمعسكر للورد ولسلى فى شمال كورتى فى ديسمبر سنة ١٩٤١ شيد الانكليز امامه نصبا تذكارية كتب عليها بحروف لاتنية مقدار الخسائر وكذا توجد نصب تذكارية بمروى

طابية مكركى

مكركى قرية فى يمين النيل وجنوب فركة تبعد عنها ببضعة كيلو مترات عندما مرت ضمن جيش المهدية واحتللنا فركة للمحافظه على الحدود فى ابريل سنة ١٨٩٦م دخلت

---

(١) لم تزل الباخرتان راسيتان فوق شلال السبلوكه الى وقت طبع هذا السفر من اراد أخذ صورة عنها للذهاب لمحطة الرويان فى أيام التجارة.

تلك الطابيه وجلت فيها وهى مربعة لنا مغنى يدعى عثمان ود منصور جعلى كبشابى من سكان المكد قال

بين فـــركة ومكركى مثل القطـــا زركى
ننصر الدين غير شكى ويبـــقى كلا منا بحكى

وصلت فلول الانجليز الى مكركى وشيدت بها طابيه محكمة الوضع وما لبثوا طويلا حتى ادركتهم جنود تقدر بنحو ١٢٠٠٠ مقاتل بأمرة المذكورين بعد اما القائد العام فعبد الماجد أبو اللكيلك

١ — عبد الله ود سعد
٢ — مير غنى سوار الذهب
٣ — حسن أبو قرجه
٤ — بدوى أبو صفيه
٥ — ابراهيم ود حمزه
٦ — الشيخ رحمه
٧ — محمد احمد حاج عطوه
٨ — على عجول

فعسكر هؤلاء جنوب الطابيه واتخذوا منزل القاضى فرج عبدالسلام استحكاما فتحوا به المزاغل وحصروا الانكليز حتى اضطروهم الى حفر سرب يأخذون به الماء من النيل نحو ٦٠ يوما استعان الانكليز ببعض الجنود السودانية وهاجموا أنصار المهدية فى صلاة الصبح فحاولوا الدفاع ولكنهم اضطروا الى الهزيمة بعد خسائر فادحة فكان من الشهداء بدوى أبو صفيحة وحسن أبو قرجه وجرح عبد الماجد أبو اللكيلك جرحا بليغا حمل على بنادق رجاله الذين ساروا به جنوبا أما السردار فانه طلب ترقية ثلاثة ضباط - سودانيه من رتبة الملازم ثانى الى بكباشيه وهم

١ — مرجان محمود افندى
٢ — فرج أبو زيد افندى
٣ — سعيد افندى درويش

ولسوء الحظ كانت الوزارة المصرية لاترضى ترقية السودانى لأعلى من يوزباشى فدخلت المسألة فى طور جدل بين السردار والوزارة التى رقتهم يوزباشيه وبعد زمن طول رفع هذا الحاجز . وترقى أثنان الى قائمقام مرجان بك محمود و فرج بك أبوزيد أما سعيد درويش فمات بالقضارف على بكباشى . وبعد اخليت طابيه مكركى وسار الانكليز الى مصر وصارت الحدود حلفا . هذه آخر اطوار الحملة الانكليزية فى السودان

اغرب ماروى فى تلك الواقعة اى أبو طليح وجد بعد رجوع انصار المهدية لدفن أحد شهداهم

وجدوه براقلما بسكينة وصار يقطه فى دمه ويكتب فى جبينه البيضا سجعا لم اتذكر منه سوى قوله

يوم الثــــلاثاء الصباح	جونـا السنـاح وقبـاح
دوى المـدفـع وصـاح	ووجبت جنـــة المصباح
مايجـرى تقيـل عـلى	بنـات آدم بفـاشن بى
وبنـاتى الحور بعاندالى	مايجرى تقيـل بالحيـل
ومايجرب بهيــــة الخير	يوم الانجلـيز جونـا
والأمراء جروا خاونـا	مايجـرى تقيـل عـلى

بفاشن فالمفاشاة المباهات أى يفتخرن بشجاعتى وبنات الحور ينظرن الى بمثابة انى ضيف قادم للتزوج بهن فلا شك والحالة هذه لا أولى منهز ما خوفا من موت يكون سبيلا الى جنة الفردوس وحورها

الشايقيـــة فى كتاب شبيـــكه

قد امتدح الدكتور مكى شبيكه قبيلة الشايقيه وبالغ فى ذلك حتى قال انهم قهروا الدناقله وفرضوا عليهم الاتاوه فهذا قول يكذبه الواقع ويبطله البرهان . وعليه نقول ان الذين اصطدموا مع الشايقيه من الدناقله هم « البديرية » الذين كانوا ينقسمون على خمس ممالك أربع الأولى فى الحتانه وكذا مملكة تنقسى والخندق وجزيرة أرقوا الخامة فيكردفان « مملكة كاب بلول » فانتهز الملك جاويش الأول غفلة الأولى فأخذ قصرها وحمل ماشاء ونهب من الماشية ما استطاع جمعه وعاد غرير العين منشرح الصدر . أما الدناقله فانهم أخذوا من ذلك انهم سوف يكونون هدفا لمطالع الشايقية مالم يستعدوا لقطم تلك المطامع بدفاع مجيد فاجتمع اعيان الأربع ممالك بالخندق وبعد المداوله قرروا جلب الاسلحة النارية من القاهرة فقام بعض تجارهم واشتروا كمية عظيمة من شركات الافرنج بالقاهرة واستأجروا جماعة لتعليم استعمال تلك الاسلحة التى ما كانت معروفة الاستعمال بالسودان . ثم قسمت الاسلحة أخذ كل ملك نيصبه منها واختار من رجاله من يصلح للمحاربه بها وأعدوا العدة . حدث ذلك كله ولم يعرف الشايقية . الذين كروا فى جموع هائلة فقام ملك الدفار برجاله الى الخندق ونحا نحوه ملك تنقسى وسار اليهم ملك ارقو فاصبحت الخندق تموج بالجيوش الآتية من الجهات وأسندت القيادة العامة للملك بشير الخندقاوى وكان جبارا لايبالى بالمكاره هذا ماكان من امر الدناقله اما الشايقيه فغرهم قيام الدفارية من بلادهم فضاعف ذلك نشاطهم وواصلوا الزحف الى ان دنوا من بلدة القولدو فقابلهم البديريه ونشبت الحرب بينهما وحرص الفريقان إلا أن الشايقية لم يقو على الثبات أمام نيران البنادق فهزموا هزيمة نكراء وطاردهم فرسان البديرية الى بلدة الغريبه أما الملك جاويش فانه نزل من فرسه وجلس اى « فرش » فاجهز عليه العدو كما تدل أغانى الشايقيه فى محاربتهم حملة اسماعيل باشا التى قالوا فيها

نركب نتقنق جرسنـــا غربود العـــود جلستنا

مالنا نحن ان فرشنـــا هيلنا من جاويش حرسنا

ولقد توسط بعض العلماء فى الصلح فتم بعد ان غرس حجر طويل فى شمال النيل وبين الغربية لم يزل قائما وهو الحد بين الشايقية والدناقله . اما فرض الاتاوة للشايقية فكذب من الالف الى الياء فالاتاوه تجبى انذاك من الشايقية والدناقله لملك سنار وعامله فرح والد سعيد محمد فرح الذى ظل كذلك الى سنة ١٢٣٦ هـ ، ١٨٢١ وأقره اسماعيل باشا على

ولايته التى بقيت فى سعيد محمد فرح الذى قتله خليفة المهدى وابنه يشغل منصبه الى الآن ولما هاجم احمد الهدى من دنقلا وفشل أسر الدناقلة جماعة من الشايقية وصاروا يؤنبونهم على ما كانوا يشيعونه قائلين بأنهم كانوا يربطون الدناقله بورق البصل وأخذ الدناقلة يفتخرون ويعرضون بالشايقية كقولهم

التركيه نحن القمنا حاربناهنا	مانا عساكرها المرتزقه كنا معاها[1]
شاهرين سيوفنا الماعشقا سواها	ضعضعنا المدافع والجلال خضناها

السوذان ملكناه شهور وسنين	بنو دنقل عظام وسط الرجال ظاهرين
شيدنا المكارم بدروع وحصين	بالجود والعطا وفعل الخصال الزين

ومن اغانى الدناقله فى الحماس ما قال محمد عثمان جقود

نحن الخيلنا غارن فى نواحى سواكن	ونحن صغيرنا يخطف فى العلوج الماكن[2]
نحن شايبنا عارف للحروب وعراكون	يدخل فى السواريخ قلبه ثابت وساكن[3]

---

(١) مانا أى نحن ماعساكرها المرتزقه كنا معاها فى هذا تعريض بالشايقيه الذين كانوا ضد المهدية ماعدا الشيخ أحمد المهدى وقليل من الاعيان كود المتعارض والسكاروري وود سمريت ومحمد ود أبوقمه

(٢) صغيرنا فيها توريه يحتمل الصغير من حيث هو ويحتمل عبد الرحمن صغير الجرمى الذى اقلق مضاجع الانكليز بسواكن وكان يخلع ملابسه ماعدا السراويل ويحارب عاريا كضرار بن الازور الصحابى رضى الله عنه

(٣) شايبنا فيها أواربه ايضا يصح القصد بها الشايب حيث ما كان أو شايب أحمد الدنقلاوى من سكان السكاملين الذى كان رحمه الله من ابرز فرسان المهدية الذين اشتركوا فى حروب عثمان دقنه فى سواكن

هدم عشرة أيام فى السودان

فتـــاه

هذه فتاة زين بها غلاف الكتاب يزعم انها تمثل فتيات السودان والذى ينظر اليها

بعدها كألف صنف كما يقول ارباب الحوانيت أى لو جردتها مما بها لكانت أشبه شيء بفتيات البدو ولو نظرنا الى حلى يديها وقدميها كانت من فتيات الدنكا . ولو نظرنا حلى أذنيها لوجدناها من فتيات حلفا والدر . ولو تركناها على مافى عنقها صارت من فتيات الحضر . ولو نظرنا الى طبق الفاكهة لوجدناها من الباريا سكان النيل مابين طومى شمالا والرجاف جنوبا وذلك مما يدل على أن الرسام لايصلح ذاتا من ذوات السودانيات . وانما كان يتخبط بغير هدى فشبهها بهذه وتلك كان من قبيل المصادفات كما قيل فى المثل قد يقع الحافر على الحافر .

ان أوهى البناء ماروعى فيه السرعة بدلا من الاتقان والجودة فالسودان يربو على مليون ميل مربع وليس من الحكمة أن يتعرض كاتب الى وصف ذلك الحيزمن الارض المترامى الاطراف فى عشرة أيام أوعشرة أشهر أو عشرة سنين اللهم اذا كان ملهما أوحى اليه بما كان وما سيكون وهذ ضرب من ضروب المستحيل لكاتب لم ير السودان فى حياته إلا مرة وصل بها لمكرار كالدكتور محمد حسين هيكل باشا الذى لم ير ١./. من الجبال والتلال والأوديه والغابات الكثيفة والآجام المخيفه لاسيما القبائل المختلفه والامشاج المتباينة حتى يؤلف كتابه الذى اسماه (عشرة أيام فى السودان) قال الدكتور هيكل باشا نقداً مراً لم يراع فيه شعور السودانيين ولعله يظن انهم لايشعرون واذا استغضبوا لايغضبون . . !!

كانت باسكلة المقرن ماكينة لتنظيف الذرة الوارد من الجهات ولهذه الماكينة عمال وعاملات لتذرية الذرة بعد مروره على الماكينة بأجر مخصوص وكانت تلك النساء العاملات من الفلاته سكان نيجديا فى طريقهن الى الحج شبه تلك المسلمات العاملات لاجر يساعدهن على مصاريف الحج بالكلاب ولسنا ندرى ماالذى حمله على الخشونة فى اللفظ أنضوب معين اللغة لديه أم انه حانق على السودان والسودانيين فيريد الانتقام والتشفى بمثل تلك الالفاظ التى كان الاخلق به ان يربأ بقلمه عنها وعن تلك السفسطه التى تعافها نفس السوقة ولا يقول بها عاقل .

سلطـــان سودانى

ان من أغرب المتناقضات ذكر الروابط بين القطرين والاستشهاد عليها بصورة زعم انها ترمز لسلطان من زعماء السودان فهيكل باشا لم ير عدا البلاد الواقعة حوالى خط سكة حديد السودان من حلفا الى مكوار وزعماء القبائل بتلك المنطقه عرب فى سماتهم والوانهم ولهجاتهم واخلاقهم ودينهم وشممهم واباثهم وليس اقل من سكان القاهرة حضارة فنرجوه ان يفهمنا عن السلطان ذى الذيل لاى قبيلة من القبائل التى شاهدها أجعليه أم شايقية أم دنقلاوية أم شكرية أم مسلميه أم حلاويه فالسودانيون اذا عجز عن بيان ذلك ربما اعتبروه ملاباً مسيئاً ولا تثريب عليهم فى شىء من ذلك ان قابلوه بالمثل كما قال أحدهم

أن كنت لا ترهب ذمى لما	تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى اذ أنا منصت	فيك لمسموع خنا القائل

فالسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

ثم قال الخرطوم بلد جديد دخله الجيش المصرى ومن معه من فرق انكليزية سنة ١٨٩٨ فالفاه خرابا يبابا . ومن ذلك التاريخ أقيمت المدينه كما بما فيها من معسكرات ومنازل وشوارع وطرق رسمت يوم رسمت على صورة الراية البريطانيه لتكون مثلا للنظام الانكليزى الهادىء المطمئن . ولم يجره الى القول بتكاليف ذلك البناء البالغة ٦٠٩ - ٢٣٣ - ٦٩٥ جنيه على نفقة مصر كما رواه لبيب الشاهد باشا ولا رسم المدينه كالعلم الانكليزى والحال ان أول من خطها محمد على باشا وضحى فى سبيلها بابنه وفلذة كبده الامير اسماعيل واستردها بعد سقوطها عباس حلمى باشا بعد حروب يشيب لهولها الطفل ولم يقترح عمل تمثال له فى المقرن . فهيكل باشا أقر ذلك الوضع الشاذ مع أن السودانيه المغلوب على أمرهم مازالوا يطالبون بتنكيس التمثالين عن الجنرال غردون واللورد كتشنر ولم يقترح عمل مؤسسات باسم مصر لتقوية الرابطه بين القطرين ولم ينبت ببنت شفة عن ورشة الوابورات التى بعثها اسماعيل باشا الخديوى وكان عمال اسماعيل باشا الذين جاءوا لخدمتها لم يزل بعضهم على قيد الحياة كعبد النعيم وعلى الباتع لم يذكرها فى كتابه الذى أعده لمدح السياسة الانكليزية وللتشهير بالسودانيين ولو أن الوابورات زيد فى تقويتها فى عهد عباس حلمى باشا وهى التى تقوم بالمواصلات بين الخرطوم والرجاف الى سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥١ م .

* * *

وقال فى الصحيفه ٣٢ وانت اذا أردت أن تعرف شيئا من معنى هذه الحياة فلا سبيل الك إلا أن تقصد الديم حيث « تكلات » السودانيين المبنية من الطين القائمة فى ديم الوطنيين ترى شبه الحياة السودانيه المحيطه بالخرطوم . فنقول له ليست تلك التكولات أقذر من الدراسة المحيطة بالقاهرة أمام كلية الشريعة ولا سكان القبور أمامها وحى الامام الشافعى والعزب فى ضاحيه مصر الجديدة . فاذا كانت التى القاهرة يرجع تاريخها الى ماوراء الميلاد لم يرتفع مستوى الفقير بها عن هذا الحد فكيف يطالب فقراء السودان مع انهم اسعد حالا وانعم بالا مما نرى بارياف مصر . والذى يجيل الطرف ويمعن الرويه فيما كتب هيكل باشا قد لا يرى أروع من الثناء والاطراء على سياسة الاستعمار

١ ـ فى الشمال الميرم [١] خاطره بنت السلطان ناصر اندل أعظم سلاطين بحر الغزال وزوجة المؤلف .

٢ ـ السيدة بربره بنت خالة الأولى وأولادها كلاهما من بحر الغزال قارن بينهما والسلطان السودانى واحكم لهيكل باشا أو عليه .

(١) الميرم فى اصطلاح السودان الاميرة أو البرنسيسة كما يقول غير السودانيين

المواصلات

لقد ألف الاستاذ الشاطر بصيلي عبد الجليل الذي كان موظفا بسكة حديد السودان التى ساعدته بنقله الى جهات شتى كتابا عن المواصلات أهدانى نسخة منه فقرأته مغتبطا إلا أنى رأيت بعض الملاحظات فيه. فليسمح لى بابدائها اتماما للفائدة قال عن الملاحة الدائمة كريمة دنقلا ١٧٥ ميلا . ودنقلا كرمه ٢٢٢ ولعله عكس الموضوع لأنه لا يعقل ان تكون المسافة الاولى اقل من الثانيه وهنا فاته ان يذكر ما كان يقوم فى مجرى النيل من الجنادل والشلالات التى كانت عائقا للملاحة لولا ان بعث سمو اسماعيل باشا الخديوى بلوكا من اللقمجية لمدير دنقلا وكلفه بتكسير تلك الشلالات فاشتغل البلوك بنشاط مدهش حتى استطاع ان يزيل الكثير من تلك العوائق كما تراه منشورا فى جريدة الوقائع المصرية. ولولا اقالة اسماعيل باشا لما بقى شلال فى مجرى النيل فابث جلالة الفاروق ملك الوادى لو يتمم أعمال جده حتى لا نرى عائقا فى مجرى النيل بين الخرطوم والشلال. كذا أهمل الكلام عن درب الاربعين ، سمى كذلك لان القوافل تسير فيه ٤٠ يوما من الفاشر عاصمة دارفور مخترقه صحراء ليبية الى أسيوط. ثم تنقل التجارة بحرا الى القاهرة فيبلغ طريق الاربعين ١٠٨٠ ميلا وكانت المناهل فيه متنائية فدلا تصل القافلة الى مناهل الماء فى أقل من بضعة ايام، وكان السفر فيه لا يكون إلا فى فصل الشتاء وليست له علامات يعرف بها إلا النجوم أى القطب الشمالى « ١ » فسبحان القائل « وعلامات وبالنجم هم يهتدون »

اما صادرات دارفور الآنيه من هذا الطريق فأهمها سن الفيل والرقيق والابل وريش النعام والخرتيت الخ . وكانت لكل قافلة خبير وليس هو دليل القافلة كلا ولكنه زعيم يحكم فيما شجر بين التجار ويمنعهم المضاربة فيما يعرض عليهم من انواع التجارة وهو كربان الباخرة فى المحيطات لا يقيد بقوانين الدول الاخرى واشهر خبراء دارفور الخبير امام والخبير يوسف والخبير ثابت والخبير على ويحمل الخبير تجارة السلطان التى تجبى اليه صنفا من الابل والرقيق وسن الفيل فيبيعها بمصر ويشترى للدوله ما يلزم من السيوف الهنديه والدروع والخوذات والحرير والجوخ والروائح العطرية والسجاد والخيام والبنادق والمدافع حتى كان لدى السلطان حسين بن السلطان محمد الفضل ١٦ مدفعا اربعة منها آتية ضمن هدية سعيد باشا لمناسبة ذكرناها فى كتابنا الدر المنثور عن تاريخ العرب

« ١ » هذه حكمة سنها الخالق جلت قدرته فمن الناس من يضل ناحية القبلة كما يحدث ذلك كثيراً للمسافرين براً وبحراً فلا يستطيعون معرفة القبله إلا بالقطب الشمالى كما قال احد العلماء

قطب الشمالى اجعله حذو أذن يسرى — بمصر وبالعراق حذو الاخرى
إماما باليمن وبالشام خلفا — [illegible]

عشرين الف نسمة بين طالب وعامل وجندى. فليس من الحكمة ولا من سلامة الذوق ان تكال لهم الاساءة صباحا ومساء بدون ان يلاحظ شعورهم مع انهم يتألمون الى اقصى حدود التألم وانهم سخطوا على كتاب عشرة ايام فى السودان، ونقدته صحف السودان عند ظهوره لاول مرة ومع ذلك أعيد باشع الصور وامضى الالفاظ فى الطعن والتعريض. ولسنا ندرى افهل عرف وزير شئون السودان ذلك وأقره على ما به من عوج. أم ينظر الى ما وراء ذلك من قيل وقال ، ولم يدر بتلك الحرب القائمة ضد كل سودانى وانه يتألم لمجرد قرأة تلك المطاعن، بالمادة التى يحتاج اليها الكاتب المصرى فى السودان أكثر من ثمر البلح فى شهر أغسطس كالبلاغة والشجاعة والمروءة والكرم والناس يضعون أحذيتهم خارج المساجد ويعودون اليها بعد انتهاء الصلاة فلا يجرأ لص الى تناول شيء وضع فى رحبة المسجد لا سيما وقد يضع السودانيون امتعتهم واموالهم فى قباب الاولياء فلا يجرأ لص الى مس تلك الامانات احتراما لمقام الولى. أفلم تصبوا نفس المصرى الى وصف تلك الصفات الرائعة والاخلاق الكريمة. ولا يهوى غير السفسطة والقدح مع انه كذب واختلاق

وشجاعة السودانيين التى تقلب سوادهم بياضا معنويا بل اشتغل بسمره مع المصريين والسوريين ولم يتقبل فى رحلته غير وصف سواد السودانيين وبياض ملابسهم وكان ذلك كتفسير الماء بالماء فمن فى مصر أو العالم اجمع يجهل سواد الوان السودانيين وبياض ملابسهم وبالرغم من هذا وذاك فلم يزل الشرقيون يرتشفون التاريخ من مؤلفات الافرنج كالمستر مكميكل وغيره كأنما أوحى اليهم من السماء فينشرون من تلك الزوايات المعتلة حاجبا كثيفا يستر الحقائق التى تكاد تلمس باليد مع ان المستر ديبون مدير دارفور قدم لى نسخه من رحلة السيد محمد عمر التونسى فى سنة ١٩٢٣ وطلب الى تلخيص كتاب منها يدرس فى مدارس مديرتى دارفور وكسلا فقلت له رويدك حتى أدرس الرحلة وأفهم مابها وبعد هنيهة من الزمن اعدتها اليه واعتذرت عن الأخذ من تلك الرحلة التى حوت كثيراً من الأغلاط التاريخيه فألح على محتجا بان كاتبها يقول انه مكث فى دارفور سبع سنين فأجبته باننا اذ ذاك بالفاشر عاصمة دارفور وانى مستعد لاقامة الدليل على خطأ التونسى وانى لا أدون أغلاط الدخلاء فاعرض نفسى لنقد من يأتى من الأجيال المقبلة

١٩ الروابط فى نظر هيكل باشا

ولقد ختم الدكتور هيكل باشا كتابه بالروابط بين القطرين بعباره طويلة قال ضمنها « من نافلة القول ذكرى الروابط الطبيعية بين مصر والسودان وماتوجبه هذه الرابطة من ضرورة توثيق الصلاة ثم رابطة النيل الخ . فنحن نقول لاغبار فى قوله وانما فانه يذكر ان عرب السودان من اصل مصرى ومثال ذلك ان الملك نمر صاحب الحادثة المشؤمة التى تتلخص فى حرق الامير أسماعيل باشا فى شندى هو السعداب الذين هم من بلدة الزينية بالاقصر . والسيد محمد احمد المهدى من قبيلة الخناقيه نسبة الى بلدة الخناق بين اسوان ودراو .. ودار حامد بكردفان والزياديه بدارفور وبنى جرار فى البساطة . فالاصل فيهم الحامديه الذين هم فزاره فى بنى سويف والمنيا وكذا بنو هلبه والاصل فى مسجد موسى بالمنيا والانصار فى السودان وبمديرية الجيزه ومراكش كما ذكرناها والتعليق عليها وهالم جراً . وبعد نهاية الكلام هدمه بصورة لو رأيتها لوليت منها فراراً ولملئت رعبا . فكيف لا الصورة بشعة جدا ولها ذيل طويل ومخالب نمر أفل هذا هو البرهان على الرابطه أو الوحدة التى بح صوت المصريين بالنداء بها هذا واقول قولا صريحا ولا اخشى فى ذلك لومة لائم ان جهل المصرى بالسودان ومايذيعه عنه من تلك الصور البذيئة لهوابلغ دعاية ضد الرابطة والوحدة فالسودانيون لا يستسيغون ذلك التشهير ومنهم بمصر مايربو على

مكة ترفعون منازلهم أرقى بناء الكعبة . اما وصفه لصناعة الرهط وغيرها فلسنا فى حاجة التعليق عليه الا انه يقول ان عجز الرجل عن قطع سبعة صيور من الرهط قد يكون سببا فى نسخ الزواج فهذا لم نسمع به فى غير كتاب هيكل باشا الذى املاه عليه صديقه السورى وهذا لا يعلم شيئا من عادات البلاد ولولا ترفعه عن الاختلاط بسكان المدينة لما اخطأ الحقيقة ؟

١٨ مكـــــوار

لقد انتهى بالدكتور المطاف الى خزان سنار ومكوار يوم الخميس ٢١ يناير سنة ١٩٢٦م وكان المجال ذو سعة لحديث طريف عن سنار تلك العاصمة التى كان لها أعظم الأثر فى تاريخ السودان وكان ملوكها يتلاعبون بصولجان الملك عدة قرون هزم فى غضونها الملك بادى أبو شلوخ النجاشى إياسو وجنده الذى كان يقدر بمئات الألوف فى واقعة الزكيات بين نهرى الدندر والرهد أما مكوار فنسبه الى أحمد بك مكوار من قبيلة الفتيحات بأم درمان الذى مثل دوراً من أدوار البطولة مدهشا فى واقعة الخميس عندما أغار عامر المكاشف أمير المهدية على حامية سنار فهزمها وولج جيشه المدينه وأصبحت المحاربة بين الشوارع والأزقة فصعد أحمد مكوار بك مع عبيده على سطوح المنازل كما فعل ضابط مصرى برتبة الملازم مع رهط من عساكره السودانية الذين تسلقوا جدران المديرية بعد أن كانوا فرقه قولا يحافظون على الخزينة والجبخانه وصار أحمد مكوار والضابط المصرى يطلقان الرصاص على المكاشف وانصاره حتى جرح المكاشف وسقط من فرسه لشدة النزيف فحمله رجاله وخرجوا به الى عمارة عبد الساوى وهو يتلو قوله تعالى «اذن للذين ظلموا ان يقاتلوا وان الله على نصرهم لقدير» وبعد انتهاء المعركة شاهد أحمد مكوار الميرلاى حسين بك شكرى المصرى مدير سنار والاستاذ محمد مكى الاصولى القاضى الشرعى ركبا ذهبية كانت راسية بالشاطىء وحاولا الفرار بها فاخرجهما أحمد مكوار من الذهبية وأوقف عليهما قرقولا فكوفىء بالترقية الى نائب مدير سنار وعزل المدير وهناك أخذ سكان المدينه من ضعف الحكومة انه لا بد من حماية عائلاتهم فتجمعوا وتألفت منهم قوة عظيمة خرجت الى خط النار وهى تترنم بقولها

يوم الخميس عدفنا العجاج جانا	قاتلنا وقتلنا والله ما أعطانا
الحربه أم ملوك فى الكبده روبانه	البشر د نسيبه ومرتبه طلقانه

لم يسأل الباشا السودانيين فيملوا عليه تلك القصص الطريفه عن أخبار الحروب

[illegible]
عن مرسى الباخرة على رمال صحراوية انت مضطر كى تتخطاها الى ان تغوص اقدامك فيها الى قوله صادفت عينك من المساكن والمبانى مايزور عنه بصرك لحقارته وقذارته الى آخر ماحاكه من الترهات . وقد فاته ان أم درمان مدينة لم تزل فى مهد التكوين خطها الامام المهدى فى بيع سنة ١٣٠٢ هـ . ١٨٨٥ م كما أنه لم يذكر تاريخها قديما . فهى كانت عبارة عن ميناء تنهى اليها القوافل الآتية من دارفور ودنقلا وتجوز النيل الى الخرطوم وفى مايو سنة ١٨٢١ بلغت اليها الحملة المصرية بقيادة الامير اسماعيل باشا وجازت النيل الى الخرطوم اما مساحة المدينة فتبلغ ١٢ كيلو مترا مربعا أو أربعة أميال ونصف مربعة خط المهدى بها جامعة البالغ ١٣ فدانا أو ٥٤٦٠٠ قــــدم مربع . لما دخل الانــكليز والمصريون بها فرا لسكان منها ولم يبق منهم عدا ٢٥ ٪ فصارت المنازل خاوية على عروشها . وهدمت الامطار منها قسما مهما . وبعد بضع سنين أخذ بعض السكان يعودون اليها ويعيدون البناء على قواعد هندسية عظيمة ولقد تأنق كثيرون فى تنسيق دورهم التى تنافس أعظم المدن وهذه هى طبيعة العمران . انى زرت القاهرة فى مايو سنة ١٩١١ فوجدت بعض الاحياء كبولاق ، ووكالة البلح ، وغيرها أوسخ ما تكون . ولما عندت الآن وجدتها كالمرآة والى الآن الحالة سائرة من حسن الى احسن وهكذا صارت أم درمان والخرطوم ثمرة ثلاث حبذا لو عاد هيكل باشا بها وجــــد مظهرا كالزمالك . فتقدم البناء والنظام فى وقت رحلة الباشا سابق لأوانه لأن المنافسة فى التأنق والابداع لم يزد وقتها عن ربع قرن وهاهى القاهرة أقدم وأبهى مدن الشرق جادة فى طور جديد وهى سنة من سنن النشوء والارتقاء لاتحد بزمان ومكان فبعد ما كان سريانها بين ٣ و ٤ أدوار بلغت ١٥ دورا ومشرئبة الى الافق والصعود اليها ، بالاسانسير ، وهى خارقة من الخوارق التى ما كانت تدور بخيال النائم

١٧ الامــــير عثمان دقنـــــه

وأعجب فى ذلك قوله عن الامير عثمان دقنه أنه يتظلم للحاكم العام بشأن نقص مرتبه من ١٤٠ بلحه الى ٩٠ فذلك لم يحصل وعثمان ما كان يعترف بالحاكم العام حتى يشكو اليه . وانه لم يزل كامل العقل دخل عليه اللورد كتشنر ذات يوم وقال له أما عرفتنى فأجابه قائلا لم اعرفك لان النصارى كثيرا مايحضروا عندى فقال له اللورد أنا كتشنر اللى هزمتك فى هندوب فقال له الامير وأنا هزمتك فى الجميزة فوجم كتشنر وخرج ولما سافر لاداء مناسك الحج وشاهد ارتفاع البناء بمكة جثا على ركبتيه وصار يبكى ويقول أهل

مع أن تلك البلاد بالرغم عن رداءة المناخ فأهلها عرضة للدغ الحيات ومصارعة الوحوش .
سافرت فى رحلة لبحث التاريخ فى سنة ١٩٤٦ الى راجا فوجدت حادثين غريبين فهنا
رأيت شابا يدعى فضل الله فى قوسنى ضربه جاموس بقرنيه بقر بطنه حتى سالت امعاؤه
التى اعيدت وخيطت ولقد تم شفاؤه بغير طبيب وآخر يدعى بركة من قبيلة فروق سكان
خورشمام شمال راجا خرجت اخته فى منتصف الليل لتقضى حاجتها فهجم عليها الأسد
فصرعها وجلس على صدرها بعد ان انشب أظافره فى جسمها فصاحت قائلة « يابركه
الدود أكلنى » فهب بركه من نومه اعزلا فوجد الاسد فوق اخته فوثب على ظهره وعضه
فى اذنه فقفز الاسد من فوق اخته فحملها اخوها الى داخل منزلها بعد أن أصابها
الأسد بجروح خطرة عولجت بغير طبيب هذا قليل من كثير(١) . كذا سرت فى يناير سنة
١٩٤٩ لبحث تاريخ وجغرافية جنوب دارفور بحثت عن شربة زيت خروع فى شفخانة
برام فى وشفخانة الضمين فلم اجدها ولما عدت وجدت السيد على بدرى وزير الصحه
بالنهود أبلغته حاجة البلاد الى الأدوية ولست ادرى ماذا فعل . فانا رجل وقفت قلمى
للبحث والتمحيص فليأتى الباشا على ماقاله ببرهانه وقال كذلك عنيت الحكومة بمحاربة
الزهرى وكان الكلام عن الزهرى اشبه شىء عن محاربة الملارية . هذا ولم أر فى ذلك
الكتاب ماتصبو اليه نفسى عدا النقد والتحقير بالسودانيين كما ترى فى وصفه لمدينة أم درمان فيما
يأتى الامر الذى صير الناس يتألمون له ويسخرون به لأنه لا ينظر الى غير النقائص التى قد
لا يخلو منها زمان ومكان هذا وهيكل باشا رحلته لمكوار أى انه لم ير ٠١./٠ من
مساحة مليـــون ميل مربع ولم يختلط بشعوبه المنتشرة فى بلاد متنائية أفهل الهم
بتاريخها أم جاءه على لسان جبريل حتى يؤلف عنه كتابا مع انى اقول زارتنى بأم درمان
سيدة أنكليزيه بعد أن طافت فى أعالى النيل وجبال النوبه ثلاثة أشهر فى اثناء المحادثة
قلت لها أفهل تقصدى من هذه الرحلة كتابة شىء من تاريخ السودان فقالت لا استطيع
ان أعمل تاريخا فى وقت ضيق كهذه الرحلة ولكنى سمعت عن شهرتك بالتاريخ وجئت
لأشوفك فانظر بربك الى تورع سيدة تخشى الوقوع فى الخطأ بعد ثلاثة أشهر وغيرها
يكتب فى عشرة ايام ولا يخشى فى ذلك لومة لائم .

١٦ الازدراء بأم درمان

فى الصحيفة ٥٥ قال عن مرسى باخرة المعدية عن المقرن . فهذه المدينة القديمة

(١) يسرنى ان اقترح على حكومة مصر أن تكثر من أولئك الأسود البشرية السود فى جيشها فلاشك
من يهزم الأسد بأسنانه يهزم الألف من أقرانه .

تكاد تقطر من زيت الطائرات والسيارات فهمس انكليزى الى أحد الامريكان فقال له كيف تحضرون لحفل عظيم بمثل هذه الملابس فهاج الامريكان وماجوا وضربوا الانكليز ضربا مبرحا حتى جاء قائدهم بسيارة من وادى سيدنا لحسم النزاع بعد أن حطمت الكراسى على الرؤس . فاذا كانت أكبر دول العالم واغناها لاترى لوما على الصانع فيما يعلوه من ادارن العمل اذن فكيف ينتقد السودانى الذى لم يزل فى ذيل القافلة من أهل الحضارة والتمدين . وهنا نحن نرى كثيراً من العراة والحفاة يجولون بالقاهرة ولو سرت فى السودان طويلا وعرضا لاترى فيها حافيا كلا ولا محترف الشحذة فى أبواب المساجد كمقام الحسين والسيدة زينب ولا أولئك الاطفال الذين ينامون فى جدران المساجد يتوسدون الغبراء ويلتحفون السماء الى وقت تأليف هذا الكتاب فكفت ياأيها الدكتور فانا أسعد حالا وانعم بالا من كثير غيرنا والحمد لله وحده الذى بذر نافى مليون ميل مربع من أراض خصبة التربة كثيرة الغابات ماكولة الثمر كالقنقليس أى ثمر التبلدى والعرديب والكوريب والنبق والهجليج والقضيم والكرسان والارز والتلبون والبطيخ الذى يلدق فى الصحارى والقيزان وزيت اللولى وأنقاشى وكردالى ودانبو ومخيت وثمر الدليب والدوم وأبو ليله وأم تقاقل وأوكو والجوقان أمديكو وثمر البشم والقنديل وغير ذلك من أنواع البقول التى لايعتنى بزرعها لاسيما الطيور والصيد بانواعه الامر الذى جعل الفقراء فى السودان لايموتون جوعا مهما اشتدت وطأة المجاعة وهذه البقول قد لاتعرف فى غير السودان أفهل توجد فى أرض مصر بقول وأشجار مأكولة الثمر تنبت فى العراء لامالك لها .

---

١٥ مقاومـــة الامـــراض

فى الصفحة ٤٦ قال فقد كانت حمى الملاريا مما يفتك بالسودانيين فتكا ذريعا وذلك مما يضعف فيهم أسباب النشاط . وماتزال هذه الحمى منتشرة فى بعض انحاء السودان . لكن للحكومة فى مناطق كثيرة مقاومة شديدة انتجت ابادتها الخ هذا مايكذبه الواقع ويبطله البرهان . خدمت انا محاسبا فى مديرية بحر الغزال سنتى ١٩١٢ و ١٩١٣ وبمديرية منجلا سنتى ١٩٢١ و ١٩٢٢ وفى راجا وكفاكنجى سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦ وبدارفور من مارس سنة ١٩٣٠ الى ابريل سنة ١٩٣٤ فأصبت فى كل مكان من هذه بالملاريا اصابات شتى كادت تقضى على حياتى . لان فى كل مركز مساعد حكيم أى تمرجى ماهر . مثال ذلك يوجد مساعد حكيم فى راجا مسؤول عن المنطقة بين واو وحفرة النحاس أى ٤٠٠ ميل .

وهمت بستر الشرط فى الحال عزة | فاعطيتها روحى جزاء ذلك الشرط

وقال الاستاذ نور الدين الحجازى فى شاب سودانى .

وذو شرط إذا لف العمامة | تعالى الله ما أبهى قوامه
رضيدة بشرطه فى طول عمرى | لان الشرط آخره السلامه

ليت شعرى كيف بدت سمات العرب وجمالهم الرائع لادباء مصر منذ عهد بعيد وغابت تلك الصفات لاهل جيلنا الذين لا يعرفون منها غير تلك الصفات المروعة التى تنشر بلا حياء بين طلبة العلم بمصر وجميعهم يتصف باروع صفات البشر ويتكلم اللغة العربية بأفصح ما ينطقها غيرهم وبالرغم عن ذلك فانهم لا يعرفون بغير بربرى أو حبشى أو عبد وليس اللوم على المصرى بل الحكومة هى التى لم توفق حتى الآن لتدريس جغرافيه وتاريخ السودان بحال يكفل التفاهم بين سكان الوادى فلا يحدث تنافر بسبب ذلك الجهل العتيق

---

١٤ بؤس السودانيين بالخرطوم

وفى الصحيفه ٢٥ عند وصفه الخرطوم قال فاما مابعد من الاحياء السودانيه البحتة فتتجلى فيها مظاهر الفاقه القاتلة ترى فجوات مفتوحة فى بناء منخفض هى حوانيت الصناع والباعة وترى فى هذه الفجوات جماعة السودانيين جلوسا وعليهم ملابسهم البيضاء أصبحت سمراء من الشمس والتراب . وترى أمامهم من صناعتهم العنجريبات والاحذية وغيرها الخ رفقا يا أيها الدكتور قدر عمر الخرطوم التى لم تتجاوز ٢٢ عاما من بدىء ظهورها فى طورها الحالى بعد أن كانت انقاضا تصول بينها الوحوش ومكمنا لقطاع الطرق واللصوص . فالذى يقارن بينها وبين أحياء العامة بالقاهرة التى هى أبهى وأقدم مدن الشرق يعتبر مابلغت اليه الخرطوم طفرة تمدح عليها . أما سمار ملابس الصناع فليس أقذر من أرجل النساء والرجال والاطفال الذين يسيرون حفاتا بين أحياء القاهرة حتى يرى الشخص بلون غير لون قدميه السودانيين لسيرهم ليلا ونهارا فى خضاض من جراء الكنس والرش اما ملابسهم فليست أخبث من ملابس الصناع فى دور الصناعة كالماكنيكية والطباعين وغيرهم حتى فى أمريكا التى دعوا ضباطها وجنودها بالنادى الانكليزى بالخرطوم لاحتفال عظيم أقامة الانكليز ولما حان وقت الدعوة جاء الامريكانيون بملابس

أتعرف ما بهذا الجواب قال به شنقي بالسجن . فقال له وكيف لاتهرب من الموت ، فقال كيف أهرب فتضحك النساء على فوصى المدير باستبدال حكمه بالسجن وفى ذلك العهد أفرج عن المسجونين ليذهبوا الى دورهم ويعودون فى أوقات العمل ولم يزل الحال كذلك الى سنة ١٩٥١ م أفهل توجد هذه الاخلاق فى غير السودانيين فاذا كان فليتكرم هيكل باشا ليقول فى أى ناحية من مناحى الكرة الأرضية أفما كان الاجدر به أن ينقل من غرائب العادات الغير معلومة لمصر بدلا وصف تكلات الفقراء وملابسهم القذره وكيف لايربأ بقلمه عن تلك السفطه الممجوجه

١٣ السمات

ان السودان لم يزل بين زوايها المجهول وذلك مما لا جدال فيه كما تدل المؤلفات المصرية . قرأت فى كتيب صغير قررته وزارة المعارف يقول مؤلفه أن السودانيين يأكلون النمل بعد وضعه فى عسل النحل ويعتقد آخرون أن فى السودان أناسا لهم أذناب كالحيوانات الوحشيه وإذا ما اضطروا الى نشر صورة تدل على شخصية السودان أتو بصورة مشوهة الخلقة كغلظ الأنف وبروز المشفرين مما يدعو الى الشك فى انصال نسبه بآدم فالشاب الذى يدرس من نعومه اظفاره ان السودانى هو عبارة عن « البعبع » الذى يروع به كيف يرضى باخائه مهما نادى العالم بوحدة الوادى أو القطرين الشقيقين ذلك إن لم نقل بتكذيب أولئك الكتاب الذين نادوا على أنفسهم بالجهل وانهم لا يعلمون شيئا عن صفات واخلاق السودان الامر الذى صير ٧٥ ٪ لايعلم عن السودانى غير اسمه حتى العلماء منهم كما تدل اشعارهم عن عادة التشليخ التى هى عربية كان الغرض منها الوقايه من العين لانها اسم من اسمائه تعالى « كافى » فإذا حسبت حروف كافى تجدها « ااا » وهى عادة عربية تمت الى الاسلام بالمعنى الصحيح . فاذا شاهد مصرى امرأة عربية سودانية رائعة الجمال ظنها حبشية كما قال ابو حيان النحوى .

ولى حبشية سلبت فؤادى فليس يروق لى شيء سواها
كأن لعوطها طرق ثلاث تسير بها القلوب الى هواها

وقال الاستاذ سراج الدين المدنى

غدت تستر الحسن البديع وقد بدت شروط محاسنها على اكمل الشرط

عنترة بن شداد العبسى المتوفى فى سنة ٦٠٠ ميلادية وسنة ٢٢ قبل الهجرة الذى يباهى بها فى قومه إذ قال

هلا سألت الخيل يابنة مالك   إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

يخبرك من شهد الوقيعة أننى   أغشى الوغى وأعف عند المغنم

١١ وقبل أن اذهب بالقارىء بعيداً أقول أن الامام محمد احمد المهدى حصرت جيوشه طابيه أم درمان ولما نفدت الميرة والذخيرة اذن لها الجنرال غردون فى التسليم فسلمت اليه فقابلها بغاية السعة والرحب ومنح قائدها فرج باشا أم درمان لقب أمير على حاميته ولم ينزع عنها السلاح بل ضمها الى جيشه آمنة مطمئنة ولما دارت الدائرة عليه ودخلت الجيوش الانكليزية المصرية أم درمان بدأت بهدم قبته ونبش قبره بعد أن قتل أربع من أولاده وجرح السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا فى كتفه الشمال جرحا خطراً وأخذت والدته السيدة مقبوله ضمن السبايا فى رشيد وزلزلت اقدام هذا البيت الكريم ونكست أعلام نعمته . ولما بلغ السيد عبد الرحمن المهدى بدهائه وحسن سياسته الى ارضاء الانكليز وكسب ودهم قال المصريون عنه « خلقه الانكليز » والصحيح اعكس تصب فانه هو الذى خلق من عداء الانكليز وداً واخلاصا لانه رجل نافع شعبه والحكومة بلاده قال لى فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ انه يدفع ضريبه ورخص عن دائرته ١٢٠ الفا من الجنيهات . وعليه فانى أقول ولا أخشى فى ذلك لومة لائم انه خير رجل تظله سماء السودان . فلم لا يبحث هيكل باشا هذه النواحى اللامعة المتلألئة فى تاريخ السودان بدلا من أخبار البؤساء والفقراء وما يعلو ملابسهم من أدران العمل الشريف الذى أكثر ماتراه بالقاهرة الى هذه اللحظة ولكن :

عين الرضى عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدى المساويا

---

١٢   شمم السودانيين

فى حال حدوث المجاعات يوصد الرجل بيته عليه حتى يموت جوعا لكى لا يوصم بالتسول . واذا حارب عدوه ورأى بوادر الغلبة عليه يترجل عن جواده ويضع السيف من يده لكى يقتل صبراً بدلا عن عار الفرار . هذا وقتل رجل رجلا من جبال الميدوب فى الشمال الشرقى من دارفور واقد حكم عليه بالاعدام واعطى اليه جواب لمدير دارفور المستر منرو بالفاشر لتنفيذ الاعدام عليه فسار منفردا وقدم الجواب للمدير الذى سأله بقوله

والأصرار على الانتقام عميقا . انظر كيف عف الملك بادى أبو شلوخ عن ملك جبال تقلى بعد حربها وانتصار بادى على عدوه وكيف حارب الملك جاويش الملك نمر فى جبال النصوب بالبطانه ولما هزم السعداب وفرش الملك نمر ينتظر الموت من أعدائه كيف الملك جاويش عنه واقسم بان لايرفع سيفه على منهزم . ولما استحكم العداء بين قبيلتى الكبابيش وحمر بفتح الحاء وسكون الراء كلاهما من بدو كردفان ودارفور قررا فيما بينهما ان يعقل كل منهما إبله ويوقف نساءه وراء الابل ويتحاربا فى الوسط فالغالب تكون له الإبل والنساء وكانت هذه الشروط الأولى من نوعها عند بدو الســـودان

فى سنة ١٢٨٠ هـ اجتمع الفريقان فى غدير « أم الروس » كنى بأم الروس لما نثر حوله من رؤس المتحاربين فى تلك الحرب التى اشتهرت « بحرب المقال » وقــد عقل كلاهما إبله وأوقف نساءه وأولاده ورقيقه من ورائها كان الميدان واسعا وتحاربا حربا هائله خمسة أيام من طلوع الشمس إلى غروبها وهناك ينادى بينهما مناد للكف عن القتال لكى تشتغل كل طائفة بدفن القتلى وتضميض كلوم الجرحى . وفى اليوم الخامس هزم الكبابيش وهنا عف الشيخ مكى أبو المليح بعد المقدرة فانه حلف طلاقا بان يعدم كل رجل من عشيرته يشطو على عفة امرأة كباشية من تلك المسبيات . ثم اعطى لكل امرأة جملا لركوبتها وناقة لشرب لبنها وعبدا وجارية لخدمتها وارسل السبايا بحراسة كوكبة من فرسانه ليلحقوا بهن بعولتهن وسمح لرجاله بما بقى من الغنائم . وكانت احدى الكباشيات تنعى قتلاها وتتوجع لفقدهم بقولها

وين أبودرق ووين عمى جاد الله	ووين شطيطه الما شرد ولى (١)
وين ولد كيتاوى أبو إيدا ماشلى	ووين نلقى الفضا الفيه نتدلى (٢)
وين نلقى التريك الفيه نا كل الفله	ولى بت أم بحر البادية منفله (٣)

يؤخـذ من هـذه الحـادثة ان الحرب فى السودان لازالت فيهم شمائل اسلافهم فى الجاهلية والاسلام كيف وانك لترى من تسامح الشيخ مكى أبى المليح مايشبه خلال

---

(١) وين بمعنى اين أما أبودرق وجاد الله وشطيطه أبوا عجور زعيم حالف فضل الله ود سالم وقتل فى حرب المقال تمدحه بان ماشرد ولى الأدبار

(٢) ثم عطفت تقول وين (اين) ولد كيتاوى أبو ايدا ماشلى فى تلك الحرب بل كان يضرب يمينا وشمالا الى ان قتل مقبلا لامدبرا . وتقول اين نجد الفضاء الذى نتدلى فنستريح من الهزيمة

(٣) التريك أباء لحافظ الفلال . أما بت أم بحر فتنهل بصحراء الماتول وتليل البادية إبادتها ومطاردة العدو لها

حتى يخضعهم الرغبته ففتك ذات يوم بقافلة كان منها سيمة عساكر ازاك فبثت الحكومة الجواسيس الذين توفقوا للقبض عليه وسجن فى بربر ولكنه فر من السجن واستجار بخليفة ود الحاج العبادى الذى اجاره وطالب من سليمان أغا البزارلى التركى مدير بربر بأن يخبره بدية المقتولين وخسارة القافله وانه يفرضها على بطانته العبابدة فرفض المدير وارسل قواسيه لأخذ رحمه بالقوة فحدثت بين مندوبى المدير والعبابدة حرب اضطرت المدير الى رفع المدفع فوق سطح المديريه وأطلقه على ديوان خليفة فقتل خليفة ومن معه بشأن حماية المستجير مع أنه كان عظيما أهداه سعيد باشا مدفعا كتب اسمه عليه

٦ حكمت محكمة كردفان على قاتل بالاعدام شنقا ولما قدم للتنفيذ ووضع الحبل على عنقه أحضر المسجونون للعظة فقيل للمحكوم عليه بماذا توصى قال ياأبو مروءه وكان بين المسجونين أم بده أبو كندى زعيم دار حامد الذى وثب من بين المسجونين وخطف الحبل من عنق المحكوم عليه وحلف طلاقا إذا لم تقبل منه الدية لايقتل هذا الرجل وهو على قيد الحياة ولما قبل أهل المقتول بالدية دفع ١٠٠ ناقه وافرج عن القاتل

٧ وبينما كان الحاج قسيريه الجعفرى من دنقلا العرضى سائرآ بالخرطوم اذ شاهد جمعا حول المشنقة وحوله امرأة تحث التراب على رأسها فسأل عن الحادث فقيل له ابن هذه المرأة قتل وحكم عليه بالدية أو الاعدام فصاح الدير لايفاف الاعدام ثم ذهب لدكانه وعاد بالديه وافرج عن القاتل

٨ عندما آن وقت الاجل لحمد باشا الخبير امام استدعى المحكمة الشرعية ووصى لاخيه حمزه باشا بربع مليون جنيه

٩ ابراهيم قرض سلطان دارفور استدعى الخبير على ابراهيم وخرجا للفسحة معا لرؤية ابل السلطان التى جاء بها الرعاة الى وادى تندلتى وكانت ٥٠٠٠ ناقه عدا الفحول والنتاج وبينما هما سائران بين الابل اذ شم حاشى ذيل حمار الخبير ففقز الحمار براكبه الذى سقط فالتفت السلطان اليه وقال ماالذى رماك فقال حاشى شم الحمار فقال له السلطان كل هذه الابل دفعتها اليك اى ترضية نظير وقوعك من الحمار

١٠

العفو عند المقدرة

أن من أنبل عادات عرب السودان العفو عند المقدرة مهما كان الحقد ...

من البلاد. هذه الخلاوى يأوى اليها الضيوف وطلبة العلم الغرباء وصاحب الخلوة يواسيهم فى السراء والضراء وهى ١ خلوة ابو بكر افندى زروق ٢ خلوة الشيخ عبد الله الدعيته ٣ خلوة محمد افندى عبد الرحمن سوركتى ٤ خلوة الشيخ أحمد الطاهر قاضى قضاة السودان ٥ خلاوى السر السيد عبد الرحمن المهدى باشا المدينة ٦ خلوة الشيخ محمد الصلح ٧ خلوة موسى شروني ٨ خلوة الشيخ الفاتح قريب الله ٩ خلوة الشيخ مجذوب مدثر ١٠ خلوة الشيخ خليل عبد الماجد ١١ خلوة الشريف عبد الرحمن البيتى ١٢ خلوة الحاج احمد بندر أما إيواء الواحد والثلاثة فلا يعتبر خلوة نرجو الله ان يديم هذه المكارم فى شعبنا ويجزى المحسنين خير الجزاء

ومما يدعو الى الأسف قام بعض الانتهازيين الى البدء بعمل لوكاندات فى الخرطوم وأم درمان منذ ثلاثة سنين أى بعد ربع قرن من رحلة الباشا وقد لا يأوى اليها عدا الأجانب ولكن لا مثيل لها فى عادات الأمة.

٢ دفن الجنائز . ليس فى السودان حنوتى أو تربى فاذا توفى شخص عظيما كان أو حقيرا يترك العمل ويقوم الرجال لدار المتوفى ويشتغلون بجهازه وغسله وتشييع جنازته محمولة على الأكتاف الى الصلاة عليها ومجاملة أهل الميت الى ٥ أو سبعة أيام يأتى كل فرد بكمية من البن أو الشاى أو السكر ويأتى الطعام من الجيران على سفر عظيمة وبعد يقوم ولى أمر المتوفى يشكر الجميع ويأذن لهم فى الانصراف لاعمالهم كما يقولون فى مثلهم « الجنازة ضيفة الحلة » أى يجب اكرامها على سكان الحلة بكسر الحاء اى القرية

٣ ذبح الثيران يباح فى دارفور للعريس يخرج فى رهط من أصدقائه الى المراعى ويعقر ثورا أو ثورين بقدر مايكفى لاطعام جموع العرس رجالا ونساء ولا حق لصاحب الثيران ان يعترض أو يطالب بحق

٤ (الاكل) ان الذى يتجول فى السودان طولا وعرضا لايرى عربيا ولا زنجيا يأكل واقفا أو فى طريقه أو فى الترام كما هى الحالة بمصر لانهم يعتقدون ذلك مخلا بالعدالة

٥ استجارة المستجير. فالسودانى مهما كان قويا أو ضعيفا يجب عليه حماية المستجير واغاثة الملهوف ولو أدى ذلك الى ذهاب حياته وخراب داره والذى يتسكع فى الادراك يكون مضغة فى الافواه وهذه العادة سواء فيها العرب والزنج قام رجل يدعى رحمة شنكيت من بادية البشارية بقطع طريق القوافل بين بربر وسواكن وكسلا أيضا وكانت له عصابة فالقافلة التى لا تدفع له مبلغا تفتدى به يقتل منها ماشاء

الدعاية للاستعمار

التى لا تعمل لغير خدمة الامبراطورية الانكليزية كانه لم يكن إلا مروجا لخططها الجافة التى تمخضت بالاضرابات والمظاهرات من أجل سد الرمق من جهود شاقة كعمال سكة حديد السودان الذين يشتغلون كشياطين نبى الله سليمان عليه السلام وينعمون هشام بالنوم . وبوليس السودان الذى تجرد من صفات المروءة والانسانيه يضرب ويقتل مواطنيه بلا شفقة ولا رحمة أملا فى الحظوة لدى الانكليز وحاقد دارت الدائرة عليه فأصبح كالراقص فى السلالم لم يره أهل الأودة الفوق ولا التحت . أى أنه لم يرض الانكليز ولا مواطنيه . وماذالك الانتيجة الاقتصاد الذى نظمه اللورد شستر وامتدحه هيكل باشا بانه ابقى فى السودان لمصلحة السودان ولمصلحة الامبراطورية الى ان قال إنه ينفق أكثر من مرتبه الضخم الذى يتقاضاه . عجبا لجراءة الدكتور الذى يكيل الكلام بدون ان يقيم للحقيقة وزنا . أفهل كان اللورد يأكل رغيفا من الذهب حتى لاتكفيه مئات الجنيهات فى بلاد أقة اللحمة يتراوح ثمنها بها مابين ٤ و٥ قروش وهكذا كان سعر الدجاجة ورطل اللبن من ١٥ الى ٢٠ مليم أفهل يعقل أن الانكليز يأتون برجل مسرف لايحسن تدبير حياته ليضع لهم اقتصادا يسيرون عليه مع أننا لانظن أن أكبر انكليزى يصرف ٢٠ ٪ من مرتبه الشهرى وربما كان دون ذلك لعظم مرتباتهم . ولهذه المناسبة نقول كان سمو البرنس اسماعيل داود خدم فى السودان برتبة ملازم أول نائب مأمور كورتى له مرتب ١٠٠ جنيه يأتى اليه حواله من القاهرة فكان يعطى ذلك المبلغ مع مرتبه الذى هو دون العشرين جنيها لاحد موظفى المركز لكى يصرف منـــه فى معيشته ولائمه للافنديه المستخدمين معه ومرتب الخدم وبالرغم من ذلك فانه يتوفر بيد المتولى الصرف مابين ٣٠ و٤٠ جنيها يتركها له كمساعدة وفى الشهر الآتى يتولى الصرف غير الأول ليأخذ نصيبه فى ذلك الوفر فانظر بربك كيف لم يستطع اميران بصرف ذلك المبلغ مع البذخ والاسراف لرغد السودان ولا تمكنى اللورد شستر بضع مئات من الجنيهات . ولو تنازل هيكل باشا عن عظمته وكبريائه واختلط بالسودانيين لاملوا عليه كثيرا مما تصبو اليه نفس المصريين من شمائل لم تزل مجهولة . كانت أجدى من تلك المثالب التى خلقها وهنا يجب أن نكمل ماجهله أو تجاهله

١ السودانيون لا يعرفون اسم اللوكاندة بل كل بيت لوكاندة لايواء الضيوف وطلبة العلم وفى كل مدينة أو قرية دار اسمها خلوة فلنذكر خلاوى ام درمان وحدها وقس عليها ما بقى

والفور . وكان لكل قافلة حامية تتألف من ٢٠٠ جندى مسلحين بالرماح والدرق . ولهم بوقات تضرب امامهم فاذا ما اعترض القافله معترض ترجل الخبير وتولى قيادة الحامية ويتقدم للدفاع عنها اما التجار فيحيطون القافلة . واذا ما عادوا لدارفور تنزل القافلة فى بئر تسمى ليمنى وهناك يفرش الخبير سجادة ويدع التجار لتقديم هداياهم للسلطان فمنهم من يقدم سيوفا وآخر يدفع سجادا أو حريرا وهلم جرا فيكتب بذلك كشف وليس بعد ذلك نوع من الجمرك يطالبون به وتغادر القافلة بئر ليمنى بعد أن يكتب الخبير كتابا للسلطان يخبره بالوقت الذى يصل فيه إلى الفاشر . وعندما يحين الوقت لوصول القافلة يضرب النحاس وتنفخ بوقات الحرب ويخرج السلطان تحيط به كوكبة من الفرسان فيقابل القافلة خارج الفاشر وقد يأتى التجار بملابس فاخرة وعلى رؤوسهم طرابيش عظيمة كطربوش ابراهيم باشا فيترجلون عن ركائبهم ويتقدمون لمصافحة السلطان ويسيرون معه الى داره ليتناولون معه طعام الغذاء ويدفعون إليه رسائل الخديوى وكبار المصريين اما القافله فتسير الى الوكالات فى السوق وبعد خروجهم من السلطان يدفع الخبير كشفين لكبير الامناء احدهما عن هدايا التجار والثانى عن مال الدوله وفى الغد تقدم الاشياء التى بالكشفين . ويوم عودة القافله يعتبر من اهم اعياد الفور فلا يكاد ينقطع سماع الزغاريت وضرب الآلات وجلبة الصراخ والرقص ليلا الى وقت الفجر

حبذا لو فتح طريق الأربعين بالسيارات الكبيرة فتخفف كثيراً من عناء السفر لبعد الشقة وعواصف المشقة وما ذلك بالأمر المستحيل فقد شهدت بضع سيارات انكليزية سلكته من أسيوط الى الفاشر فى سنة ١٩٢٣ م وما أظن أولئك الانكليز تجشموا تلك المصاعب إلا لغرض اقتصادى مهم فنحن أولى به . ان التفتت العقلاء الى إحياء هذا الطريق الذى يرجع تاريخه الى ماوراء الميلاد كما تدل الآثار الاثرية به . أفهل من بطل يرفع قائمة الاشتراكات لتأسيس شركة سودانيه للنقل مابين فورت لامى بالسودان الفرنسى الى أسيوط حتى لا يكون خيرنا لغيرنا وانى لفى تمام الثقة بانها تغدق على مساهميها خيراً كثيراً

لم يصلح السودانيون للجندية

لقد جاءت هذه الجملة فى كتاب عن الجغرافيه والتاريخ والتربية الوطنية لمؤلفه الاستاذ محمد أحمد الالفى ولست أدرى من أين له ذلك وليس هو من رجال الفن وبديهى ان المدرس أو ناظر المدرسة خاوى الوفاض عن الخبرة العسكرية حتى يعتمد رأيه فى تلك الجملة عن صلاحية السودانى للجنديه أم لا وبالرغم من ذلك فلأنى بنبذة صغيرة عن آراء العسكريين فى مواهب السودانى هى ابرز صفاته التى اعترف لهم بها العدو قبل الصديق فى سنة ١٨٦٣ طلب نابليون الثالث من سعيد باشا ان يمده بالاى من الجنود السودانيه لمساعدة الفرنسيين فى حرب المكسيك فأجاب سعيد باشا ملتمسه إلا أنه بعث اليه باورطة واحدة كانت تتألف من ٤٥٣ جنديا بما فى ذلك الضباط والصف ضباط بقيادة البكباشى جبر الله محمد افندى ووكيله اليوزباشى الماس محمد افندى غادرت الأورطة ميناء الاسكندرية فى ٨ يناير سنة ١٨٦٣ على النقالة الفرنسيه لاسين وبعد ٤٧ يوما بلغت « فيرا كروز » أكبر قاعد بتلك البلاد وذلك بعد ان مات ٨ جنود من أفرادها وقد كتب عنها الجنرال الفرنسى القائد العام يقول انها كانت ذات ملابس حسنه وسلاح جيد وهيئه أنيقة واستعداد عسكرى يثير إعجاب كل من يراها ولقد قامت هذه الاورطه باعظم الخدم وأجلها وهى التى صدت غارات العصابات المكسيكية التى اقلقت مضاجع الفرنسيين . وفى مايو سنه ١٨٦٣ توفى قائدها البكباشى جبر الله محمد بالحمى الصفراء وخلفه الماس محمد أفندى . ولقد حدثت حرب فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ فكتب القائد الفرنسي فقال عنها « لقد كال هذا القتال رؤوس السودانيين المصريين الذين قاموا بأعبائه باسمى أكاليل الفخر فانهم لم يبالوا بالنار المنصبة عليهم من الأعداء وردوهم وهم يزيدون فى العدد عليهم تسع مرات على أعقابهم مدحورين » وفى هذه السنة اشتركت الاورطه فى ثمانية حروب. وقال قائد فيرا كروز فى تقريره الى القائد العام « لقد سلك السودانيون المصريون مسلكا برهن على بطولتهم فقاتلوا عددا يربو على عددهم اضعافا مضاعفة ولبثوا محتفظين بما بلغوه من قبل من الدرجة الساميه فى الشجاعة . وفى ١٢ يوليو سنة ١٨٦٣ كتب القائد العام للوزارة الفرنسيه يقول « إن هؤلاء السودانيين المصريين الذين لاتسمح نفوسهم بان يبقى الاسير حيا . قد اسرفوا فى القتل. وانى لم أر فى حياتى مطلقا قتالا نشب بين سكون عميق وفى حماسة تضارع حماستهم . فقد كانت أعينهم وحدها هى التى تتكلم وكانت جرأتهم تذهل العقول وتحير الالباب حتى لكأنهم ما كانوا جنوداً بل أسوداً » فانظر بربك ياأيها الجغرافى رأيك وقارنه بما قال أكبر قواد أوربا

ولا تبخس السودانى مواهبه لانك ليس من رجال العسكرية ولم تشترك فى حرب الى جانب السودانى حتى تحكم له أو عليه فرحمه الله القائل

ان كنت مزكوما فليس بجائز مقالك هذا المسك ليس بفائح

راجع كتاب بطولة الاورطة السودانية فى حرب المكسيك لمؤلفه سمو الامير عمر طوسون باشا . وقبل ان اذهب بالقارىء بعيداً أقول حاربت فى استرجاع السودان فى أربع مواقع رأيت أمامى ثلاثه جيوش انكليز ومصريين وسودانيين ان قلت فانما قولى عن خبرة . كانت فى الجيش المصرى ست أورط سودانيه تسير فى المقدمة عند كل مجرم فما رأيت أشدمنها بأسا ولا أثبت منها جنانا . وكيف بنا شاهدنا الآلاى السودانى فى واقعه التل الكبير الذى أبيد عن بكرة أبيه ولم يرض الفرار وراجع الكلام عنه فى كتاب مذكراتى فى نصف قرن لأحمد شفيق باشا ومن المعلوم ان فاقد الشىء لايعطيه فكيف أعطى الاستاذ محمد أحمد الانى حكما جائرا على مواهب السودانى التى ميرته فى المكان الأول من رجال الجنديه راجع ذلك فى الجزء الرابع من كتاب صبح الاعشى تجد لامراء مصر تقديرا له فى المعاملة والذى يريد شجاعة السودانى ومواهبه فليراجع تاريخ المهديه وعلى كل حال الجندى السودانى هو يد المصرى اليمنى التى يجب ان يباهى بها لا أن يخلق لها المثالب خلقا فى كتاب يدرس للناشئة فالمهمون عكس الحقيقه . ولهذه المناسبة تذكر قصه طريفه شاهد على بطوله السودانى تدل على أنه أصلح العالم للجنديه . كان السلطان على دينار يرسل إعانه سنويه ناحرمين الشريفين فتصادف ان جاءت تلك الاعانه بيد الشيخ سيماوى أمين السلطان ومعه حرس بلوك

حاج الشيخ سيماوى
بطل أزمة الحج

من الجهاديه مسلحين ببنادق مرتين هنرى فوجد فى الطريق بين مكة والمدينة عشرات الوف من الحجاج بما فيهم المحمل المصرى وحرسه تقف أمامهم عصابة يربو عددها عن الالف مسلحين بأسلحة نارية تريد القضاء عليهم ونهب مالديهم أو يقدمون لها فداء لكى تتنحى لهم عن الطريق. فصاح الشيخ سيماوى فى الحجاج ليفتحوا له الطريق وتقدم على رأس بلوكه واطلق النار على رجال العصابه فاكتسحهم عن طريق الحجاج فتناولت الجرائد المصرية الخبر ووصفت حاج الشيخ سيماوى بأبلغ صفات الكمال ونعتته باسمى نعوت الاجلال وكان اذ ذاك مهبط اجلال سكان وادى النيل . فها هو اليوم حى يرزق بأم درمان فالسودانية فى ذلك سواسيه كاسنان المشط فكلهم حاج الشيخ سيماوى فقط ينظرون المناسبات أو حدوث الكوارث والأزمات فهناك ترى من بطولاتهم المدهشات ومن ثباتهم خوارق العادات

رحـــلة النحـــاس

قام السيد النحاس بك فى رحـلة بلغ فيها مشروع الزاندى الذى هو أقصى جنوب بحر الغزال وعاد الى القاهرة فاستدعى الناس لسماع ماشاهـده فى تلك الرحلة الطويلة فسرت أنا لا لاعلم جديداً من أخبار الجنوب كلا ولـكن لاعلم ماذا يقول أديب مصرى عنها. فوجدته لم يذكر فى رحلته من حلفا الى الخرطوم الا معسكرا لموظفى الرى فى ناحية من نواحى البلاد والنيل وما يحيط به من قرى الأهالى وكيف كانت حياتهم ثم ذكر سقوطه من سيارة وخرج من الرحلة لغير مناسبة للتكلم فى السياسه ثم أخذ فى وصف زعيمين مدح أحدهما حتى قال أنه رأى رهطا من العراة يهتفون بحياته تحت تاج الفاروق مع أن أولئك الاعجام لم يعرفوا خالقهم فضلا عن تاج الفاروق . وقال عن الثانى أنه مخلوق الانـكليز وقد فاته ان ذلك الزعيم الذى عرضـه فى المشرحة للقـدح جليواًبوه بغرائب الشجاعة فى محاربة الانـكليز حتى قال عنه أحد فلاسفة الهنود « لو كان محمد أحمد دجالا لاوجبت علينا الضرورة اعتقاده مهديا وأن لا نفرط فى شيء من مساعدته ، ولما أراد ربك زوال دولته التى بنيت على شفار السيوف . أستشهد أربعة أشخاص من اخوة السيد عبد الرحمن المهدى بالرصاص وجرح هو جرحا بليغا فى كتفه الشمال وأخذت والدته السيدة مقبوله ضمن سبايا المهدية الى رشيد فبقيت ردحا من الزمن تحت حراسة الجيش المصرى بأمر الانـكليز . . .

فالسيد عبد الرحمن المهدى ليس هو مخلوق الانـكليز كما زعم النحاس . بل هو الذى خلق الانـكليز بحكمته وحسن سياسته فاستطاع ان يـكسب ودهم ولو اندفـع بطيش المصريين فى سنة ١٩٢٤ لـكان اعيد الى الاعتقال ولم يعيره المصريون نظره لانه ليس أعظم من سعد زغلول باشا الذى بطش به الانـكليز ولم نسمع بطلقه رصاص فى الدفاع عنه الى ان اعيد . ففات النحاس بك قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » فكان الاخلق به ان يزور المهدى باشا فى داره وان يحادثه بما يشاء فلا أكون مبالغا اذا قلت قديرى منه مثالا ناطقا للـكمال الانسانى وربما قرب شقة الخـلاف بينه وبين مصر ولـكن ابى الله الا أن يدعوه المصريون الى حوصلة الاستعمار . أفهل لهذا المحاضر ومن نحا نحوه من حملة الاقلام المصريين من وقف موقف السيد عبد الرحمن المهدى باشا أمام فوهات المدافع الانـكليزية حتى تمزق جلده لاعـلاء كلمة لا آله إلا الله بعـد

سيد أحمد عرابى باشا (عدا فليسقط وفليعش) فالسيد عبد الرحمن يعرف القرآن وأحكامه القائلة « إلا أن تتقوا منهم تقاتا » وقوله « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » فالكيس من سار وراء عقله فاحذروا أن تخسروا ٧٠ ٪ سودانى بمثل تلك الالفاظ البذيئة فليس السيد عبد الرحمن بالرجل الهين الذى يستعاض عنه بغيره .

أيؤخذ تاريخ المهدية من أعدائها ؟ !

هذان شخصان ظلا فى غياهب سجون المهدية الى أن افرج عنهما اللورد كتشنر فى سبتمبر سنة ١٨٩٨ م وما كان سجنهما ظلما بل كان لضرورة سياسية ولو كانا فى حكومة متمدنه لضاعفت عليهما العذاب فالأول منهما اللواء ابراهيم فوزى باشا الذى نجا من القتل لخلع بذلته العسكرية وتنكر بين الاسرى ولما عرف أخيراً عفى عنه ولكنه أبى أن يبقى هادئا

ابراهيم فوزى باشا

بل عمل له قهوة يجتمع اليه الاسرى من ضباط وجنود ويسخرون بخليفة المهدى الذى كان الموت بين شفتيه فانهم لقبوه بالزر فاذا ذهبوا للصلاة وعادوا الى القهوة يسأل بعضهم بعضا يقولون « الزر آل إيه » ثم يقصون وعظ خليفه المهدى وترغيبه فى الجهاد لاعلان كلمة لااله إلا الله فيضحكون ضحكا عاليا كما يفعل الحشاشون عادة فنقلت أحاديثهم الى خليفه المهدى وسخريتهم به فأبطل المقاهى وقبض على ابراهيم فوزى باشاوزجه بالسجن أما المستر نيوبلد الجرمانى فتاجر جاء يحمل ٢٠٠ بندقيه من اسوان مع كميات عظيمة

المستر نيوبلد الجرماني التاجر

من الذخيرة لبيعها لقبيلة الكبابيش فى سنة ١٣٠٤ ﻫ وكانت الكبابيش فى حالة حرب مع المهدية وبعثت بعض رجالها الى قومندان الحدود فى حلفا ليمجدها بالسلاح والذخيرة وهو الذى عقد لها الاتفاق مع هذا التاجر ومن سوء حظهم قام الأمير عثمان أزرق فى نحو ٣٠٠ هجان مسلح من دنقلا ثم سار بصحراء سليمه غرب حلفا فوجد أثر القافلة التى تحمل السلاح سائرة سمت الجنوب فبعث ١٠٠ هجان بامرة محمد حموه الانقرياني وكلفه بتأثرها فأدركها وحاولت محاربته اذ صمد رجالها مع التاجر الالمانى فى ذروة جبل وبدأوا بالمحاربة وأحاطهم الانصار فى سفح الجبل وبعد بضع ساعات اشتد عليهم العطش فاضطروا الى الاستسلام فجىء بهم الى ديم المهديه بالعرضى يحيطهم الحراس بعد أن نزع عنهم السلاح حضرت انا تلك الحادثة وكان الأمير اذ ذاك مساعد نيدوم الهبانى بالنيابة عن عبد الرحمن النجومى الذى طلب لأم درمان فوضع الاسرى بالسجن وكتب مساعد الى خليفه

المهدى بأم درمان فورد له الرد باعدام الكبابيش وارسال التاجر وزوجته الحبشيه فارسل الالمانى وهناك اعتنق الاسلام وحفظ راتب المهدى وأخذ فى تلاوته صباحاً ومساء بعد ان قيد بمكيه يبلغ وزنها نحو نصف قنطار حديد أما المحكوم عليهم بالاعدام فكانوا عرب وموالى فالموالى ٣٠ رجلا حفرت لهم حفرة بالسكر و تجاه بلدة كابتوت شمال دنقلا العرضى ثم ضرب النحاس وخرج مساعد قيدوم تحيط به كوكبة من الفرسان الساعة ٤ مساء وجاء محمد بشاره الشايق امير السجن بالأسرى يحيط بهم ملوك من السجانه فأمر مساعد بتقديم الموالى فجثوا على ركبهم يتقدمهم ودجادين دنكاوي طويل القامة نحيف الجسم يناهز عمره ٤٠ عاما ثم استدعى الجلاد عبد الرحمن أبو سيفين وأمره بقطع رؤس الموالى فأراد بعض السجانه كتف يدى ودجادين إلا أنه قال لهم ياوجوه الحاجة أنى خروف تربطونى للموت فخلوا عنه وفى تلك الساعه شاهد رجلا وثب قائما فانتهزه بقوله اقعد مكانك ياابن الكلب انت دايرلك حياة بعد الشيخ التوم فجلس المولى مكانه وكان المنظر رهيبا والبلاء متجهما والناس كأنما على رؤسهم الطير وهم بين شامت ومتأثر لموت اولئك الشبان الذين ذهبت حياتهم ضحية بلادة صالح جاطه الذى تعرض لحرب عجز عنها المصريون و نصراؤهم الانكليز ولم يسمع قول شاعره الذى قال له — :

أبق حريصـــا بمشوم « الثعلب » وأجرى جريا زين حتى تشوف الدوم
الناس الرقـط ناسا مما بعرفوا اللوم قبـالك قاتلــين الشيخ التوم

اما ودجادين فجثى على ركبه كجلوس الصلاة مستقبلا القبلة ثم نطق بالشهادة ومد رأسه فضربه السياف اطار رأسه عن بدنه وهكذا صار يضربهم واحدا بعد واحد حتى قضى عليهم فكنت أنا أقف على بعد بضع خطوات منهم مارأيت فى غضون حياتى أشجع ولا أثبت جنانا من أولئك الموالى . ثم أعيد العرب للسجن ونصبت لهم ثلاث مشانق الى جانب الحفرة .

اعـــدام العـــرب

فى اليوم التالى ضرب النحاس وخرج الانصار مشاة و فرسانا يتقدمهم مساعد قيدوم الهبانى وجىء بالعرب وهم ضعاف لانهم رفضوا الاكل فى الساعه ٤ مساء شنق ستة أى فى كل مشنقة رجلين واعيد الباقون الى السجن فكانوا يتدافعون الى الموت بشكل لم نسمع به وهكذا فى كل يوم يعدم سته حتى انتهوا وكانوا نحو ٧٠ رجلا ومن اغرب ما شهدت

كان بينهم شيخ ضخم الجسم يبلغ ٥٠ عاما شنق وقطع الحبل وسقط من المشنقة ثم اعيد اليها ورفع فقطع الحبل فالتفت الى المتولين الاعدام وقال لهم اتم حتى حبال ماعندكم فأمر الامير بتركه فقالوا له عفى عنك فاذهب قال الى اين أذهب انتم قتلتم الشبان وتعفوا عن الشايب فرفض التحرك من تحت المشنقه إلا انهم جروه بعيداً وهناك اخذ يبكى وينوح قائلا يارجالى يافيللى ياخراب دارى الخ

فقضى ابراهيم باشا ردحا من الزمن فى السجن وكذا المستر نيوبلد وعندما خلصا من العذاب اخذ عنهما المؤرخون ومحرروا الصحف والحال انهما اعداء ولا يعقل ان ينصفا رجال المهديه وغيرهم كما تراه فى ردى على كتاب ابراهيم فوزى باشا اما نيوبلد فاخذ عنه الافرنج ولم تترجم مؤلفاتهم فلسنا ندرى ما بها

أما الأمير عثمان ازرق فانه أغار على واحات مصر وقبض على مأمورها وبعض الأعيان وأرسلوا الى أم درمان فبقوا بها الى سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٩ م

أفهل السودان ملك مصر ؟!

أصدر الاهرام عدداً خاصا عنوانه ٧٥ سنة من تاريخ مصر على صفحات الاهرام ١٨٧٦ - ١٩٥٠ اغراني هذا العنوان ودفعني الى مراجعة هذا العدد لعلي اجد ما تصبو نفسي اليه من تاريخ الوادي ولكني لم أجده يحتوي على شيء غير اخبار الشركات والسينمات ومقتطفات في الدفاع عن أسماعيل باشا الخديوي بما لم يقل به وارث العرش محمد توفيق باشا قال . كانت الاهرام وفيه لاسماعيل قبل مغادرة العرش . وظلت وفيه له بعد مغادرة البلاد لان هذا الخديوي يمثل الاستقلال والتقدم والرقي

واذا عجزت عن الدفاع عنه سنه ١٨٧٩ بسبب الرقابة الشديدة التي فرضت على الصحف وقتئذ . فانها لم تتردد . بعد اذاعة نبأ وفاته في ان تستعرض عصره وتبرز اعماله الجيدة النافعة للبلاد واختتمت مقالها بحلة قوية ضد الذين اوعزوا بابعاده عن الحكم . واتهموه بالاسراف فقالت

نعم أنفق أسماعيل الأموال الطائلة , ولكنه ترك لنا جيشا منظما . وترك اعمالا جسيمة للري . ترك مدارس زاهرة غاصة بالطلبة صحيحة المبادىء مرتبة اللوائح ترك السودان ملكا لمصر والانكليز ساخوه عنها الخ هذا دفاع أوهي من حبال العنكبوت وهو مما تزجيه الصحف على سبيل الملق والثناء والاطراء لغير مبرر وعليه فأقول لتلك الصحيفة رويدك ماالسودان مملوكا لأحد ما وليس له مالك يورث عنه ويمدح عليه فهو شقيق لمصر فتح الباب على مصراعيه لاسماعيل باشا وحملته في سنة ١٢٣٦ هـ : ١٨٢١ م كما ذكرناه في مكانه من هذا السفر وكان ذلك رغبة لا رهبة أي رغبة في الوحدة التي لازلنا ننادي بها لتكون كتلة أمام العالم الذي أصبح السعي الى القوة ديدنه . رغبة لان العناصر في السودان تمت بقرابة الأصل لما في مصر واليك المثال الآتي

١ بنو هلبة بادية بمدالغنم بفيالا جنوب دارفور . والأصل بالمنصوره شرقيه وبمسجد موسى بالمنيا وقنا وقوص واسيوط وجزء منهم عرب بني علي بدمنهور وبمركز الصف وبقرية النويره د عائلة كاسب بني سويف .

٢ هواره بادية وحضر بالسودان والأصل بمديريات قنا وجرجا وسوهاج واسيوط والبحيره .

٣ عبابده في أم درمان وبربر وشندي بالسودان والأصل بدراو ومنيحه وبنبان ومديريات الشرقية والغربية والمنوفية .

ولولا ضيق المقام لذكرت لك ١١٤ قبيلة عربية بالسودان وأصولها بمصر وفى سنة ١٢٩٩ هـ عين محمد رؤف باشا الحكمدار ناظراً لاقاليم السودان ومركزه الخرطوم ووكيله على باشا الروبى بالقاهرة وهو الذى يحضر جلسات وزراء مصر ويرفـــع قراراتها لمحمد رؤف باشا بالخرطوم فلون المعاملة واحد لاسيد ولا مسود . فأعيدوا النظر فيما تقولون حتى لانتهمكم بسوء النية والعبث بالوحدة أما سلخ السودان عن مصر فأمر جاء بغير ارادة السودانيين وانهم وان كانوا ضعافاً فانهم عالجوا الوحدة والانضمام لمصر ولم يوفقوا ولو كانوا يعلمون انهم مالك مصر لرضوا الاستعمار الانكليزى لان المملوك والمستعمر بمعنى واحد هذا وليس أضر على الروابط من عبث الاقلام التى لاتتحرى الحقيقة فيما تقول فامثال هذه الجملة التى تزجيها الاهرام لنيل الحظوة لدى الجالس على العرش المصرى تدفع بعشرة ملبون نسمة الى الوراء . فلتمثل الاهرام غير هذا الدور فى هذا الوقت الذى تضافرت فيه شعوب الوادى على الوحدة والتى أوصدت صماخ الآذان عن حديث مالك ومملوك . هذا الادعاء الكاذب من رواسب افكار بعض الاغبياء من حثالة المصريين الذين خدموا فى السودان وكانوا يتشدقون بلهجة السيادة فيوغرون صدور السودانيين وتقوم المشاجرات على الأثر مع انهم جهلاء إلا ان المرء لايعذر بجهله أما الصحف فقد كان الأخلق بها ان لاتعكر صفاء السلام . وليس ببعيد عبارة اسماعيل صدقى باشا التى قالها عند عودته من مفاوضات بيفن اذ قال « أنا جئت لكم بالسيادة على السودان » أثارت سخط السودانيين وضربت على العرق الحساس من شعورهم وما زالت جرائدهم تلهج بذلك ووجد الانفصاليون المجال ذا سعة فقالوا وصالوا وجالوا وبنوا القصور العلالى على تلك الجملة التى سبقت عقل الوزير هذا وليعلم القارىء ان سكان وادى النيل من منابعه الى مصبه أمة واحدة وشعب واحد لاتأثير لاختلاف الألوان ومظاهر الاكوان فانهم يقفون تحت لواء واحد ويدينون بالولاء لمليك مصر فاروق الأول أدام الله بقاءه.

ضحايا مصر في السودان

أهداني سمو الامير عمر طوسون باشا فى اكتوبر سنة ١٩٣٤ خمسة عشر نسخة من كتاب وضعه حامد افندى القرصناوى عن ضحايا مصر فى السودان به احصائيات لاتتفق مع الواقع من ضمن ماقاله عن غارة المنه اسماعيل زعيم الجوامعه على بلدة الطيارة سنة ١٢٩٩ هـ انه قتل ٣٠ الفا من المصريين والحال لم يكن بالطيارة ثلاثة مصريين وانما يوجد بها اولاد افندى وعائلتهم الذين هم من سلالة تركيه لم تزل موجوده واشهر الذين ذهبت حياتهم بتلك الكارثة هم عبدالله المحسن من اثرياء كردفان المعروفين بالكرم والحاج ابراهيم ودابو راكبه طبيب الطيارة أما الفظائع وبقر بطون النساء الحاملات فقد حدث للوطنيين ولما ابلغ ذلك للمهدى ارسل جيشا جرارا لالقاء القبض على المنه واولاده واخيه فى بلدة « يس » ونقلهم الى الطيارة واعدامهم بها ليشاهد الناظرون كيف كان الانتقام واقامة الحدود بطريقه عادلة قال لى الحاج محمد يس كنت ضمن الذين انتدبوا لاجراء ذلك الحكم على المنه اسماعيل فدخلنا بلدة يس بعد صلاة الصبح وكان جيشنا على تمام الأهبة للحرب لان الجوامعه ما كانوا أقل من عشرين الفا وكلهم يجلون المنه الذى وجدناه جالسا على سيجادة وبيده مسبحه فطرقنا الدار ودخلنا عليه ثم كبلناه بالاغلال وهكذا فعلنا باخيه وولديه وكنت انا قابضا على جنزير مربوط برقبة المنه وسرنا بهم الى الطيارة كامر الامام المهدى واستدعينا السكان الذين تقرحت اجفانهم من البكاء من اثر الكارثة وقف الجيش دائرة فى ميدان فسيح يتقدمه من الأمراء الحاج محمد عثمان ابو قرجه والسيد محمد أحمد شيخ ادريس وغيرهما وكان الموقف رهيبا وهناك امر ابو قرجة بضرب اعناقهم فذهبت حياتهم نظير تلك المجزرة التى احدثوها بدون امر المهدى وعلى حسابه فهذا النوع من القصاص ثلج صدور الاحياء من سكان الطيارة الذين ما كان فيهم مصريا ولا فى قتلاهم وقس على ذلك بقية ما جاء فى كتاب ضحايا مصر فى السودان فرحمة الله القائل وما آفة الاخبار الا رواتها

كنت في السودان

هذا كتاب نشرته دار الثقافة العامة باسم محمد صبيح وهو دعاية لدعاة التبشير في جنوب السودان به مقدمة عن المواصلات وحكاية عن الرحلة الى السودان والتعرف بأهله مع أن أهله يجيئون الى القاهرة ولا يجدون سبيلا الى مقابلة العظماء فهذا كلام بدون عمل . وفى الصحيفة ١٨ قال أثارت زوجة الحاكم العام الليدى هدلستون حملة على عادة الخفاض وقررت حكومة السودان تشريعا قاسيا الخ نعم لقى هذا التشريع القاسى بعد مصارعة قام بها سكان رفاعة جزاهم الله خير الجزاء هذا التشريع لا يصح أجراؤه لمجرد رأى أمرأة اجنبيه ولو لم يلغى لاتسع الخرق على الراقع وليست هذه ألا لى من نوع ابن عبد اللطيف باشا حكمدار السودان صال وجال لالغاء الخفاض ولكنه اخفق فى سعيه وبعد نقله من السودان استراح الناس من تلك الضجه . نعم هذه العادة غير مستحسنة ولكن يجب علاجها بيد الوطنين اما تدخل الانكليز فيعتبر ماسا بكرامة السودانيين مع انى قبل هذا الحادث كتبت استفتاء الاستاذ أحمد أبو دقن رئيس معهد أم درمان وانه افتانى بتحريم الخفاض بالوجه المعمول به فى السودان وبينما أنا أفكر فى أقرب الوسائل للمقاومة اذ قام هدلستون وألقى خطابا طويلا قائلا هذه وحشية وفاته انما الوحشية موت ٢٠ مليون بين قتيل وجريح ومفقود فى الحرب العظمى وما يدعو الى الأسف قال فى الصحيفة ٥٦ لا وردا على سؤال من الحاكم العام أعرب المجتمعون عن موافقتهم على اعتبار اللغه الانكليزية لغه الجنوب وأنها لغة أحسن وأكثر فائده من اللغة العربية . أنا أعجب كما يعجب غيرى لتفضيل الانكليزية على لغه القرآن وهنا يجب أن نتساءل أفهل الذين اجمعوا بقولهم للحاكم العام هم انكليز أم دعاة التبشير الايطاليين أو من خريجى مدارس الارسالية وباى باب دخلت الانكليزيه فهى لغة أجنبية لا تتفق ومصالح سكان الجنوب الذين أصبحت لهم روابط جنسية ومعنوية بالعرب ففى كل بين عربى فى شمال السودان تجد عائلة زنجية وكذلك بمصر يوجد منهم ما يربو عن المليون لهم أملاك من عهد محمد على باشا الذى كان فى جيشه ٣٠٠٠٠ جندى سودانى لهم نساء وأولاد . أما فى شمال السودان فأكثر من ٣٠ ٪ من الجنوب وكلهم يجيدون التفاهم مع أقاربهم فى الجنوب لأن العربيه هى لغة التفاهم هذا أما انتم يا أيها السادة الانكليز حكمتم تلك المناطق الاستوائيه نصف قرن أفهل تزوج انكليزى بزنجيه أظن الجواب لا

فاذا نظرنا الى الجوار نجد سكان الجنوب عاطين باونا س ليس فيهم انكليزا بل

قبائل زنجيه تتكلم بلغات عجمى وكل منها به مستعمر يرغب فى نشر لغته كما يفعل الانكليز فى مناطق نفوذهم أى البلجيك والفرنسيين فى الجنوب وبالرغم من ذلك فالعربيـــه سائرة سيراً حثيثاً وهى لغة التفاهم ولا يمكن الاستغنى عنها. فإذن لم تسعون للتفرقة بيننا فانا لى أصهارهم أولاد اللمبو فى البصيابه ٢٠ ميلا غرب واو وفى قوسنى شمالى خور شمام برجا وكنت وزجتى فى زيارتهم سنه ١٩٤٦ ومئات الألوف مثلى

وفى الصحيفة ١٤٥ قال ان السير السيد عبد الرحمن باشا يدفع للحكومة ٢٥ الف جنيه والصحيح سمعته قال انى أدفع ١٢٠ الف ضريبة ورخص كما ذكرته فى غير هذا المقـال وقال بأن أهل الجنوب انما يصلحون المسيحية لا للاسلام. سبحان القائل « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا التى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا أمنا بالذى أنزل الينـا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » فالاسلام دين الفطرة دين الرحمة دين العدل دين العلم دين العقل. طالما فتح المسلمون الاقطار وسادوا الامم فاذا الزموا الناس بدينهم لما بقى اليوم غيرهم. ولكن وضع الله ديناً كافلا لحريات المستضعفين من الداخلين فى حكم البلاد الاسلاميه ويعبرون عنهم بالمعاهدين والمستأمنين وأهل الذمة أى حفظت حقوقهم بذمة الاسلام وليس هم كغيرهم من الغالبين الذين تأمرهم تعاليم دينهم بالاباده فما حكموا بلاداً اسلاميه إلا قضوا على حقوقها الطبيعية كما حدث لمسلمى أسبانيا وغيرهم ليس كما نرى كنائس المسيحية الى جانب المساجد بمصر وغيرها. أما سكان الجنوب فمسلمون إلا ٢٥٪ لا زالوا على ما عليه كالدنكا والنوير والباريا وغيرهم وقد يخالفهم القسم العربى كفروق وبنقا ونقلفى واندرى والمنقابات الخ شهدت كثيراً من خريجى مدارس الارساليات يفرون الى كردفان لكى يتعلمون الدين الاسلامى مع انهم درسوا وتعلموا الانكليزية وحذقوا فيها ولكنهم غير قانعين بهمزات القسس وطعنهم على الاسلام زرت كنائس واو وراجا فى يناير سنة ١٩٤٦ فرأيت الطلبه حفات عرات وانهم يجيدون الصناعة وتعطى لهم أجور تافهة لا تكفى لسد الرمق أما القسس فى نعيم لم يدر فى خيال النائم منهم فى رومـا كيف لا ولهم قصور بين حدائق ذات قطوف باسقة وثمار يانعه وحكومة السودان تصرف لهم اعانة ٢١٦ الف جنيه ذلك مما لم يصرف لمعهد أم درمان الذى يعلم أبناء دافعى الضرائب !! ولا شك قد سمع القارىء الضجيه التى أثارها بعض أعضاء الجمعية التشريعية وتخلوا عن عضويتها بسبب ذلك الرقم الهائل المنصرف لدعاية المسيحية فى الجنوب ويحرم منه أبناء دافعى الضرائب فى الشمال. والخلاصة إن سكان الجنوب يجب ان يتعلموا اللغة العربية لرابطة الجوار وتبادل التجارة وان يكون دينهم

الاسلام كما كانوا أولا وان تلغى المصارعات الدينية التى قام بها القس والتى أقيل وأبعد لسببها السلطان عيسى أحمد فرتاك ولنا ملء الثقة ان تكون حرية الاديان كما هى فى البلاد المتمدنة وان يتمتع كل فرد بما تهوى نفسه من الاعتقاد ليكون مسلما أو نصرانيا أو يهوديا فاتركوا الخلق للخالق .

اعـــلام الجيش والبحريه فى مصر

هذا اسم كتاب وضعه حضرة القائممقام عبدالرحمن بك زكى مدير المتحف الحربى بالقلعة زرته غير مرة ورأيت منه أنبل صفات الكرم وسمو الاخلاق

جاءت به بعض مزاعم ابراهيم فوزى باشا وخلطه فى تاريخ السودان الذى كلما هدمنا ركنا من تلك الاوضاع رأينا شبحا جديدا من مختلفاته قال لما وصل غردون الخرطوم لأول مرة كان معينامديرا مستقلا للمقاطعات الاستوائية طلب من اسماعيل ايوب انتخاب بعض الضباط ليعاونوه فى مهمته فامتنع الكثيرون عن قبولهم الخدمة معه لبعد الشقة بيد ان الاسيران ابراهيم فوزى أظهر رغبته فى مصاحبته لخدمة البلاد فشكر له غردون هذه الرغبة وفوض له امر فرز الجنود وتدريبهم. وعقب ان تم اعداد البواخر لسير الحملة ولاه قيادتها فابحرت البواخر عابرة النيل الأبيض فبحر الزراف فبحر الجبل الى ان وصلت الى البحيرات الكبرى . وهو فى خلال هذه الرحلة الشاقة يقاوم الزنوج وتجار الرقيق الى ان بسط النفوذ المصرى على جل الجهات الاستوائية الخ . أما قوله مديرا مستقلا فلا اصل له فالكولونيل غردون كان ماموراً لخط الاستواء بدلا عن السير صمويل بيكر الذى كان مركزه كندكرو الواقعة فى يمين النيل بين جوبا شمالا وجبل الرجاف جنوبا ولم يكل الى ابراهيم فوزى فرز الجنود ولا تدريبها لأن خط الاستواء بها حاميه ثلاثة بلوكات سودانية من النوبه وهم الذين اقترحوا على صمويل بيكر اطلاق اسم جبلهم على العاصمه لانهم من سكان جبالى كندكرو وكندكيره المشهورة فى كردفان اما قوله فابحرت البواخر عابرتين الى قوله الى ان وصلت البحيرات الكبرى فقول يكذبه الواقع فقد نسى ان النيل كان غير صالح للملاحة حتى سنة ١٩٠١ م لان شلالا عظيما يقوم فى مجراه جنوب جبل الرجاف يسمى شلال أفلا كما ترى صورته والدخان يتصاعد من شدة
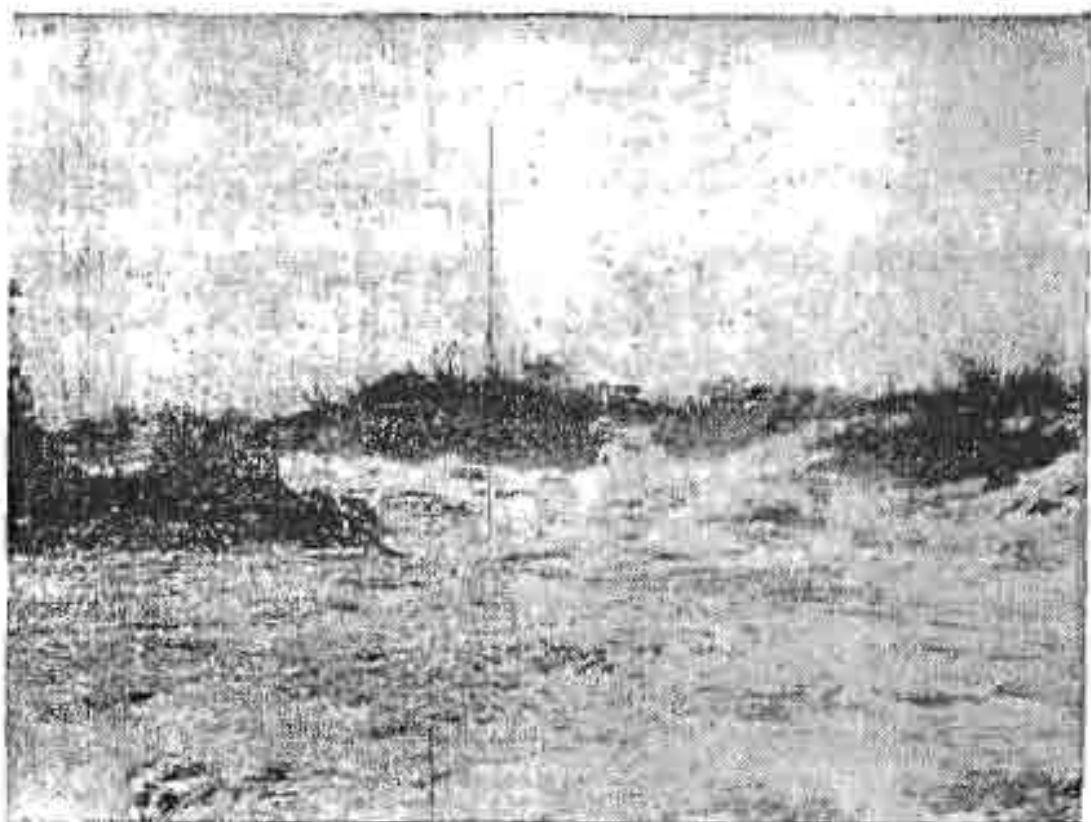
—{ شــلال أفــلا }—

انحدار الماء : فالماء ينحدر من علو شاهق اذا انحدر به تمساح تندك عنقه فيموت لوقته ولاضرورة تدع غردون الى تجاوز مركز سلفه فى « كندكرو » التى لم يستطع البقاء بها لشكاسة اخلاق البارية فتراجع شمالا الى « جبل » عاصمة جبل « اللادو » فى شمال النيل .

وغريب ومدهش قوله فى خلال الرحلة الشاقة يقاوم الزنوج وتجار الرقيق مع انه لم يحدثنا التاريخ بأن ابراهيم فوزى اطلق عيارا ناريا فى حرب قامت فى خط الاستواء لامع الزنوج ولا مع تجار الرقيق . اما بسط النفوذ المصرى فكان بطريق المساومة كما ذكرناه عن حسن مواددته مع ادريس بك ابتر فقد سبق الكلام عنهما فلا نرى لزوما لتكرارها : ثم قال وصحب غردون الى الخرطوم وتولى قيادة حاميتها وانتصر على الدراويش فى وقائع كثيرة منها واقعة الحلفاية كلا ثم كلا فابراهيم فوزى لم يحفظ عنه انه برز فى حرب انتصر فيها عدا حادثة الحلفاية واليك تفصيلها كما سمعتها من الدكتور حسن افندى زكى الذى تولى علاجه بعد واقعة الحلفاية قال لى احاط الثائرون من سكان ضاحية الخرطوم بالعاصمة وشددوا النكير على السكان فلم يستطع أحد الاحتطاب ولا اجتلاب القش لماشيته من الخارج وكنت برتبة الصاغ حكيمباشى استبالية الخرطوم فتضرر الناس وشكوا تلك الأزمة للجنرال غردون فكان الثوار يعسكرون بحلفايه الملوك وطمها بالخنادق واستحكامات . فأمر الجنرال بانتداب قوة لمقاومتهم وطردهم بعيدا عن العاصمة فسار بلوك نظام

واوردى من الباشبزق الشايقية بأمره السنجق النمر بداخل باخرة فما كاد العدو يرى دخان الباخرة حتى تأهب لحربها . وعندما ألقت مراسيها على الشاطىء ووضعت السقالة تقدم الاميرالاى ابراهيم فوزى بك يحاول الخروج الى الشاطىء ولكنه أصيب فكسرت رجله بالسقالة . فأعيد وخرج النمر الشايقى واخرج جنوده وحلف بالطلاق على أنه يضع بيرقه فى خط نار العدو ثم وضع رجله على الركاب وقبل ان يستوى على السرج أصيب برصاصة فى رأسه فصرع تحت أرجل الحصان فحمل جثمانه الى داخل الباخرة وعادت اليها الجنود ورفعت المراسى . فكانت الغزوة كما قيل فى المثل « ذهب الحمار يطلب قرنا فجاء بلا اذنين » فجيء الى بابراهيم فوزى بك مجروحا فبدأته بالاسعافات اللازمة حتى منحه غردون رتبة اللواء . وكانت هذه سببا فى انتداب الاربع اورط وهزيمتها فى واقعة حليفقو التى قتل بسببها اللواآن حسن ابراهيم باشا والسعيد حسين الجيعانى باشا والتى أطلنا الكلام عنها بعنوان « ضوء جديد على مصير الجنرال غردون باشا » ويختم كلامه بقوله وقد ترك ابراهيم فوزى تاريخا حافلا لحوادث السودان الخ وقد ترى نقدنا فى تاريخه فى فصل مخصوص فهو حافل بالمختلقات والأكاذيب التى كانت بسوء نية .

اللـــواء خشـــم المـــوس باشا

نعم هو ابن محمد بن الملك صبير لا الشيخ وقال ولد فى مدينة دنقلا والصحيح ولد فى حنك عاصمة الحنكاب الذين هم فرع من الشايقيـة . عين سنجقا مع احـــدى فرق الباشبزق وقام من بربر لالحاق الحملة المصرية بقيادة محمد راتب باشا لغزو الحبشة ولكن ماكاد يبلغ سواكن حتى قابلته الحمله منهزمة فامر بالعودة الى الخرطوم سنـــة ١٢٩٢ هـ وكانت دارفور فتحت ولم يحضرها خشم الموس فى سنـــة ١٢٩١ ولـــكن ثار الفور سنة ١٢٩٤ هـ ونادوا بالامير هارون الرشيد سلطانا عليهم وحصروا حسن حلمى باشا بالفاشر ومعه سلاتيين باشا فانتدب الجنرال غردون حملتين أحدهما بقيادة الميرالاى النور عنقره بك لحرب هارون فى دار قمر والثانيه بقيادة التهامى بك جلال الدين الحلانقى لحرب سعد عرجون مقدوم شمال دارفور وكان خشم الموس ضمن هذه الحمله التى جاءت بعد فتح دارفور بأربع سنين وقد فازت هذه بقتل سعد عرجون فى سانية حمى فى شمال دارفور . ويقال انه قاوم المهدى فى أبى حراس وصحته « أبو حراز » فقتل وزيره محمد طه ولم يكن للمهدى وزير فى ناحيه ما ولكنه الشريف أحمد ود طه الـــذى أرسل لحربه يوسف بن الملك ود محمود فقتله الشريف وهنا رأى الشايقية ضرورة الاخذ بثأره . وكان جكلر باشا نائب الحكمدار استلم من محمد رؤف باشا « لما وصـــل

عبد القادر حتى باشا فسار جكر باشا بعدان استدعى قوات حامية الجيردو وساعدهم عوض الكريم ابوسن وقبيلته الشكريه وافتى الفقيه عوض الله بوجوب حرب الشريف وبعد القضاء على حياته مثل به الشايقية وجردوه من ملابسه وحمل عاريا على جمل الى ابى حراز إلا أن الفقيه محمد النيل رجا الحكمدار فى دفنه فأذن له ولم يحضر خشم الموس تلك الحادثة ولم تكن له أى مكاتبات مع المهدى. فقال الاستاذ الحسين زهراء يهجو الشيخ عوض الكريم والفقيه عوض لمساعدتهما الحكومة على قتل الشريف أحمد ودطه قصيدة طويله سوف ننشرها فى تاريخنا عن المهديه .

اما مرافقته لمحمد نصحى باشا وعودته مع الجنرال تشارلس الى الخرطوم وفرارها فقد تجد الكلام عنها فى غير هذا المكان

اللواء الزبير رحمه باشا

جاءت فى الصحيفه ٩٢ ترجمة طويلة عن الزبير باشا كانت كثيرة الاغلاط لعل السبب فيها ان الزبير شيعة من بطانة تعمل الحبة قبة فاذا ماسأل سائل عن تاريخ حياته كالوا له الكلام جزافا دون ان يقيموا الحقيقة وزنا فإذا كان الكلام عن القواد صيروه فى المكان الاول واذا ما كان الكلام عن المتصوفة قارنوه بالجنيد . ولذا كتبت تاريخه فى كتاب خاص اسمه الدر المنثور عن تاريخ العرب والغور سينشر انشاءالله قريبا اما الرد على كلام غيرى فقد كتبت سلسلة مقالات فى جريدة المؤتمر بأم درمان وكذا كتبت سلسلة أخرى فى مجلة أم درمان لمحررها الاستاذ محمد أمين حسين المحامى بالقاهرة وليس لدى من الوقت الآن لان اثير هذا الموضوع للمرة الثالثه غير انى اقول لم يؤسس الزبير قرية تحمل اسمه غير ديم زبير لمؤسسها الزبير ودالفحل الجعلى النفيعابى الذى كانت له كبانية باعها الى الحكومة ورحل عن ديم زبير فمقيه عليها صاحب الترجمة فاوهم الناس بأنه المؤسس لها : والحاج محمد البلالى صحته آدم البلالى جاء مديرا من قبل اسماعيل باشا الخديوى الذى منحه رتبة البكوية وكان الحكمدار جعفر مظهر باشا ولم تكن بين الزبير والزريقات معاهدة الخ

اللواء محمد نصحى باشا

جاء فى الصحيفة ١٧٩ عن بعثه محمد نصحى باشا بثلاثة بواخر لنقل الحمله الانكليزية والصحيح انه صار وخشم الموس باشا بخمس بواخر فغرقت باخرتان فى شلال السبلوكة [illegible] ثلاث كانت فى خدمة الحملة الى [illegible] ارها [illegible] ام بوضة كما ذكر ناوم ارا فى مناسبات

اسمـــاعيل باشـا والســـودان

قرأت مؤلفا لاستاذ مصرى لا أتذكر اسمه عن تاريخ اسماعيل باشا ذكر أطوار حياته منذ كان شابا دون سن الرشد واستطرد فى كلامه الى ان قال . قاد حملة عسكرية لاخضاع احدى قبائل السودان . ذلك ما لم يحدثنا التاريخ به ولعله يقصد الحملة التى سارت من الخرطوم بقيادة اسماعيل أيوب باشا لمراقبة الزبير باشا حال زحفه على دارفور سنة ١٢٩١ﻫ : ١٨٧٦ م لان اسماعيل باشا الخديوى كان يشك فى اخلاص الزبير وهو يخشى ان اخضع دارفور ربما ينادى بنفسه سلطانا عليها . فتصبح حكومة مصر مضطرة لاخضاعه وكذا سارت حملة اسماعيل أيوب باشا بدون ان تشترك مع الزبير فى حرب ما اللهم إلا انها مدت التلغراف من الابيض الى بلدة فوجه قريبا من دارفور وعينت ابراهيم افندى نديم المصرى تلغرافجيا وصار اسماعيل أيوب باشا يراقب حركات الزبير باشا ويرسل عنها برقيات الى الخديوى . أهـــدانى سمو عمر طوسون باشا فى اكتوبر سنة ١٩٣٤ ثلاثة عشر تلغرافا تبودلت بين اسماعيل باشا الخديوى بالقاهرة واسماعيل أيوب باشا بدارفور التى دخلها بعد احتلال الزبير باشا لها بأسبوع واحد ومن الغريب خدم ابراهيم افندى نديم معى معاونا فى سنة ١٩١٦ بصنطيه أم درمان وحدثنى بهذه التلغرافات ولكنه لم يحفظ منها شيئا حتى وصلتنى من غيره هذا وليس أضر من نسبه العمل لغير العامل والقول لغير القائل كما نراه فى تاريخ السودان الذى أصبح ملكا شايعا لمن يدرى ومن لا يدرى اللهم رحماك من تلك الفوضى التى كادت ترخى على الحقائق حجاب الخفاء . ومن الغريب ان كثيرا من السودانيين المثقفين واشباه المثقفين يزعمون بأنهم عالمون بالحقير والجليل من تاريخ بلادهم وتمر عليهم تلك المؤلفات وبها مابها من الطعن والسخرية بالسودانيين فلم نسمع لكاتب حديثا يرجع الحق الى نصابه كأنهم جردوا من الصفات البشرية فلا يشعرون ولا يتألمون لوخز تلك الاقلام الذى كان دونه وخز الرماح .

المؤلف يناظر عن رحلة التونسي

من الناس من يعشق القديم لقدمه بدون عرض القديم على ميزان العقل لتمييز الغث من السمين أما التونسي فالسيد محمد عمر التونسي كان طالبا بالأزهر وجاء والده حاجا ومعه جماعة أمانات لاحضارها ولسوء حظه غرقت به السفينة وفقدت تلك الأمانات أما هو فنجى بعد عناء شديد الى جزيرة قبرص وواصل سيره الى ان أدى مناسك الحج ولكن صده الخجل عن الإياب لتونس نظراً لفقد الأمانات سالفة الذكر فلقيه جماعة من سنار وقالوا له انك عالم ونحن فى حاجة الى العلماء أفهل لك أن تذهب معنا السنار ونحن نضمن لك بأن تجد من ملك سنار جزيل هباته فسار معهم لسنار وعاش بينهم عيشة راضية فلما سمع ابنه به ترك دراسته بالأزهر وسار اليه بسنار وأخذه اول احضاره معه فرضى بحجة ان امه تطلقت منه وتزوجت بغيره فصار الابن ساخطا ولولا ان أباه متحه مايكفيه لعاد الى الأزهر أما أبوه فسار الى عبد الرحمن الرشيد سلطان دارفور فبالغ فى إكرامه واتخذه نديما ومشيراً ولما سمع ابنه سار اليه بطريق الاربعين مع أحد تجار دارفور وهناك أعاد الرجاء الى أبيه فى العودة الى تونس وطلب الاذن من السلطان محمد الفضل الذى وافق على شرط ان يبق الولد مكان ابيه فعاد الاب وبقى الولد سبع سنين ناعم البال وبعد صرح له السلطان فى العودة فجاء الى القاهرة وعين مدرسا اللغة العربية بمدرسة الطب البطرى بأبى زعبل وكان يجلس بين المدرسين ويقص عليهم مشاهداته بدارفور وغريب عاداتها وخرافاتها وكان معهم خوجه نمساوى مدرسا الكيمياء فقال له أن هذه القصص طريفة والاخلاق بك ان تدونها فى كتاب حتى لا تفقد برتك فاستساق نصيحة النمسوى وألف رحلته هذه بعد ان تلاشى بعض الحوادث من ذهنه فخلط فيها خلطا أضاع الكثير من فائدتها وأخذها تونس ولما أحتل الفرنسيون تونس أخذها فرنسى وطبعها بمقدمه بالفرنسيه فكانت أول كتاب بالعربيه عن تاريخ دارفور ولما كنت بكتم قال لى المستر ديبوى مدير دارفور عندى كتاب باللغه الفرنسيه نقل مؤلفه من رحلة التونسي الذى أقام بدارفور سبع سنين وكتب عنها بتحقيق أنا أرسله للمستر ساندس المفتش ليترجم لك منه الى اللغة الانكليزية ومحمد افندى حاج الامين المأمور يترجم لك الى العربيه فشكرته فارسله إلا إنى لم استفد منه بشىء يذكر وبعد يسير من الزمن قام المستر ديبوى للاجازة ووجد نسخه مطبوعة بالعربى [illegible] منها كتابا ندرس فى مدارس

دارفور وكسلا فقلت له رويدك حتى اراجع الرحلة وبعد مدة اعدتها اليه واعتذرت عن الاخذ منها لما وجدته بها من الاغلاط الفاحشه ولما أخبرته قال لى كيف تكذب التونسى وانه يقول أقام بدارفور سبع سنين فقلت له أنا وأنت فى عاصمة الفور الآن هات ناس ممن لهم خبرة بدارفور وأنا أقيم لك البرهان على كذب التونسى وفى اليوم التالى أرسل لى المستر ساندس نائب مدير المال بالخرطوم الآن وكان لبقا يجيد اللغه العربيه كاهلها وزوده بثلاثه مؤلفات أحدها المستر مكميكل والثانى المستر براون الذى جاء جاسوسا الى دارفور فى عهد السلطان محمد تيرات وأقام فى كوبى بزعم انه تاجر مغربى وكان يرسم الخرط ويأخذ بمذكراته ما شاء ولكن ادرك السلطان ان غايته سياسيه أكثر منها تجاريه فصادر ماله وطرده إلا انهم لم يعرفوا مابمذكراته من بحث لانهم لا يعرفون اللغة الانكليزيه نماد الانكليزى وألف كتابه هذا والثالث رحلة التونسى. فجاء الى فى مكتب حسابات المديريه بالفاشر وقال لى اليوم جئتك اما غلبتك وأما اقنعتنى ثم وضعت لنا ترابيزة وبدأنا المناظرة بطريقة هادئة ولقد أرهف الموظفون السمع لمعرفة مايدور حول الرحلة وكان الجدل محصوراً فى النقاط الآتية

١ زعم التونسى ان الفور لايغيرون على نسائهم والفتاة عند بلوغها سن الرشيد يبنى لها كوخ أمام دار أبيها ويحق لها أن تتخذ من الاخوان ماشاءت. والحال أن الفور اكثر الناس غيره وأشدهم تهورا فجزاء الزانى عندهم القتل فلهذه المناسبه استأذنت من المدير وعملت احصائيه عن الذين قتلوا وحكم عليهم بالاعدام وبالسجن فى ٢٤ شهرا فوجدتهم ٥٤ رجلا منهم من نفذ حكم عليه الاعدام ومنهم من نقل الى سجون أخرى والموجود بالسجن ٢٣ رجلا أخذت صورتهم وواحد أعدم تانى يوم أخذ صورته والجوه بالنفس اقصى غاية الجود

٢ ثم قال ان الفور يجتمعون الذكر وتنشد لهم النساء حتى أخذت احداهن تترنم فتقول

أنا هزبه بيق طرفان   يارجال مافيكم زانى

مع ان الطريقة هناك التجانيه وهذه ليس فيها انشاد ولا ضرب دفوف وقال اشهر مشايخ الطرق بدارفور الشيخ يعقوب ودبانقا والشيخ رفع الله العركى وكان الاول فى ضاحيه ود الحداد بجزيرة سنار والثانى بابى حراز شرق النيل تجاه مدنى

٣ ثم قال ان اللحمة غير موجوده فانهم يصطادون البغبغا يأكلونها والحال ان البغبغا من طيور الكنغو .

٤ يقول التونسى ان أم بوسه والدة السلطان محمد الفضل تنضرر بأن الناس يقولون عنها الخادم بالحاء المهمله والصحيح ان سكان دارفور ينطقون الخاء كما ينطقها العرب غير انهم يستبدلون الغين خاء فيقولون للغنايه خنايه رغلى خلبانى

٥ وقال دخل الاسلام فى دارفور منذ نحو ٢٠٠ عام وقال المستر مكميكل دخل الاسلام فى السودان حوالى سنة ١٦٦٠ م وقال المستر براون ان السلطان سلنق سليمان هو الذى نشر الاسلام بدارفور مع ان سلنق سليمان امه خيرى بنت شاو دور شيت ووالده أحمد المعقور العباسى فكيف جاز لوالده ان يتزوج بوثنيه وهذا مما لا يصح شرعا والصحيح كان جده شاو مسلما وله جامع لم يزل قائما على ذروة جبل عين فرح غرب كتم وهذا من ضمن دس الانكليز على الاسلام بأنه جديد تمهيداً لدعاة المسيحيه ليسيرون على نهج تلك الاضاليل مع ان الاسلام دخل مع عبد الله بن أبى سرح عند غزوة النوبه والبجاة وكتب شروطا مع كنون ولكنه لم ينتشر إلا فى القرن الثالث الهجرى اذ قال المقريظى فى خططه كانت تنقل المؤنه للعرب على ٦٠ الف جمل فاذا نظرنا تعود العرب على شظف العيش نقدرهم بستين الف عائلة والعائلة تتألف من رجل وزوجته وأولاده فانتشروا فى شمال السودان بين الشلال شمالا وجزيرة سنار جنوبا وقد تغلبوا على النوبه لذين يدينون بالمسيحيه الى جانبهم وفى أول ربيع سنة ٧١٧ و ٩ يونيو سنة ١٣١٥م شيد

جامع بأعلى كنيسة

سيف الدين بن عبد الله الناصر جامعا بأعلى كنيسة دنقلا العجوز ونقش تاريخ فتح الجامع على قطعة من الرخام وأثبتها فى شمال الجامع من الداخل . قال أحد المؤرخين انه من سلالة نجم الدين جد الكنوز ولكنا لانرى أثراً يدل على وجود الكنوز هناك

اما العنصر السائد فهم البديريه فرع والزياداب، ربما كان سيف الدين منهم والله أعلم. وبينما نحن في ذلك الجدل الى ان خرج المدير الساعة واحدة والدقيقة ٣٠ ودخل الينا فقال للمستر ساندس غلبك أم غلبته فقال له ماقدرت أغلبه فقال اذن بنا فقام مستر ساندس وفي اليوم التالي دعاني المدير الى مكتبه وقال لي نحن اقتنعنا بصحة ما عزيته للتونسي فاكتب التاريخ للمدارس من معلوماتك فألفت كتاب الدر المنثور في تاريخ العرب والغور. **وهو ضمن مؤلفاتي الماثلة للطبع**

المتحـــف الحـــربى

هذا اسم مؤلف وضعه حضرة القائمقام عبد الرحمن بك زكى مدير المتحف الحربى زرته فاهدى الى نسخة منه فى الصحيفة ٤٣ قال اما الحملات التى جردها اسماعيل فى السودان لاتمام فتحه . فكانت خير حروب اشتركت فيها . فقد انحدرت القوات المصرية الى قلب افريقيه محتلة فشوده والصحيح ان فشوده فتحها «الخيرى» الذى هو محمد خير الأرقاوى نسبة الى جزيرة أرقو بدنقلا . فكان محمد خير تاجراً جاء ببلح فى أوائل العهد المصرى أو حوالى سنه ١٢٤٠هـ الى الخرطوم فوجد كساداً حمله الى السير جنوبا الى بلدة الكوه التى كان يسكنها اذ ذاك الشلكاويون الذين ما كانوا يعرفون البلح فاعطى محمد خير لكل منهم بلحات وعلمهم كيف يأكلونها . ثم قال لهم اصطادوا الفيل واحضروا لى العاج وانى اعطيكم هذا البلح . فخرجوا من عنده وبعد يسير من الزمن هجموا عليه وتخطفوا البلح فلم يبقوا منه شيئا فكظم التاجر غيظه وقفل راجعا الى الخرطوم وقدم شكوى لحاكمها التركى الذى قال له انك خرجت من حدود الحكومة وهى غير مسؤلة عما حدث لك . فقال له الخيرى واذا انتقمت لنفسى أفهل لديكم مانع ؟ فقال له افعل ماشئت مادمت خارج الحدود فقام محمد خير بطواف استنهض فيه بطانته الدناقلة فاستطاع ان يجمع كتيبة تتألف من نحو ٥٠٠ مقاتل وساعده جماعة من أقاربه ببضع سفن شراعية . سار بها جنوبا الى بلدة القراصة . ثم خرج وسار برجاله فى يمين النيل وأمر بأن تسير المراكب قريبا من الشاطىء الغربى حتى اذا بلغت الكوه وسمعت منه نداء تحضر اليه واذا لم ترغير الشلكاويين فترجع الى الخرطوم لأن ذلك دليل على انهم قتلوا ثم واصلوا زحفهم وكلهم مشاة والسلاح السيوف والرماح والدرق الى أن دنوا من الكوه التى تقع بين خورين هما خور «ودهبو» جنوب القرية وخور «دوره» شمالها فقسم جيش الخيرى على ثلاثة أقسام . هجم قسم من خور ودهبو وقسم من خور دوره وقسم من الشرق وكان الوقت ليلا فهب الشلكاويون من نومهم وقابلوا الدناقلة بحرب جريئة وبعد ملحمة دامت الى مابعد شروق الشمس هزم الشلكاويون بعد خسائر فادحة ووقعت النساء والاطفال فى سبى الخيرى مع بعض الرجال الذين شحنوا بالمراكب الى الخرطوم فكان الخيرى أول من باع الشلكاويين واشترى بثمنهم اسلحة نارية وجبخانة وواصل هجومه جنوبا فأصبح الشلكاويون يفزعون من دوى البنادق وهو يحتل قراهم حتى سلم اليه الملك فى فشوده فقسم الاقليم الى مناطق وعين لكل منطقة حاكما وكان من حكامه نصر هارون الخناق الذى سميت عليه بلدة الناصر . وبعد زمن قام الدنكا ابرهم شرق النيل بغارات

قتلوا فيها الفقه الصابو نابى وروعوا سكان الجزيرة فاضطرت الحكومة ان تطلب من الخيرى التنازل عن فشوده لتنشىء بها مديريه لتضع بها حاميه لحفظ الامن ويرحل لغيرها فوافقها فعينت لها مديرا . وسار الخيرى الى جبال النوبه فاخضع بعضها وتزوج بثمره بنت بادى ملك جبال قدير . وفرض عليهم الاتاوة فكانت تعطى اليه فى أبنائهم فيرسل بهم الى اسواق الرقيق . فغضب النوبه وتآمروا على قتله فتقدم لذلك تيفرى شيخ جبل فنقر وسار معه أربعه آخرون فكان تيفرى يحمل دلدمايه التى هى قطعة من الحجر بشكل كروى تتركب على عصا قصيرة ويحمل كل واحد من الاربعه

كابيته ، أى سلاح من حديد كثير الرؤس . سار أولئك الى الخيرى وكان يقيم على خيام أمام جبل فنقر ودخلوا عليه فقابلهم أحسن مقابلة وبينما كانوا على تلك الحالة اذ وثب تيفرى وضرب الخيرى بالدلدماية هشم راسة ورفعوا وهط الخيمة من الخلف وخرجوا هاربين مع ثمره وتسلقوا جبل فنقر . ولما دخل رجال الخيرى عليه وجدوه جثه هامدة . وكان وكيله أدريس ابتر الدنقلاوى من بلدة الخفير قام بحرب انتقاميه بعد فيها كثيرا من النوبه وطاردهم بين تلك الجبال وبعد عقد رجال الخيرى مجلسا لانتخاب الرئيس فاختلفوا ولم يرضوا بادريس ولا غيره ثم سار كل منهم الى الخرطوم فاشترى سلاحا وذخيرة وعادوا واوغلوا فى الجنوب ففى بضع سنين بلغت الكبانيات ثلاث عشر كبانيه ككبانيه أبى عمورى وكبانيه أدريس ابتر وكبانيه قناوى وكبانيه الزبير ود الفحل وكبانيه العقاد وكبانيه غطاس وكبانيه حسن يوسف الشلالى وكبانيه الزبير رحمه وهلم جراً فأولمت تلك الكبانيات الى ماوراء خط الاستواء وأصبح لكل كبانيه منطقة نفوذ لاتسمح لغيرها بالدخول فيها ولها جيش يسمى البازنقر يتراوح عدده مابين ١٠٠ و ٥٠٠ جندى مسلحه ببنادق تحشى من فوهاتها لها أسماء حسب اصطلاحهم بريسنات وشنكل وأبو لفته وخشخان فالأخير بندقيه ضخمه لايستطيع اطلاقها إلا رجل قوى هؤلاء هم الذين فتحوا بلاد الجنوب من بلدة الكوة الى البحيرات الاستوائيه قبل ان يصل اليها استانلى والسر صمويل بيكر ولم يطلق الجيش المصرى فيها قذيفة واحدة فنسبة فتحها للجيش المصرى تغيير للحقيقة فانا اجتمعت برجال تلك الكبانيات وأخذت عنهم مباشرة .

تفكير اسماعيل باشا

ان انتشارات الكبانيات وفتوحاتها التى تحصل فى تلك المناطق الاستوائيه جعل الخديوى

يخشى بأسها فأخذ بيكر فى ضمها الى حكومة مصر فأرسل السر صمويل بيكر بثلاثة بلوكات من النوبه فساروا على مراكب شراعية واتخذت كندكرو مركز الرياستها ولقد حاول بيكر ضم تلك الكبانيات ولكن تعذر عليه ذلك لان قوته ثلاثة بلوكات وللكبانيات جيش يناهز ١٠٠٠٠ جندى فاستقال وخلفه الكولونيل غردون الذى اقترح على الخديوى مشترى الكبانيات فوافق اسماعيل باشا فدخلت المسألة فى طور مساومة فكان صاحب الكبانيه يعطى بضعه آلاف جنية ويمنح رتبه البكوية ويصير حاكما على منطقة كبانيته كادريس بك ابتر وقناوى بك أبوعمورى بيك ومحمد العقاد بك ويوسف حسن الشلالى بك وغيرهم ماعدا الزبير رحمه الذى رفض التنازل عن كبانيته ولما عين آدم الشلالى مديرا لتلك البلاد حاول اخضاع الزبير بالقوة فنشبت بينهماحرب قتل فيها المدير وبدد جيشه ولما أراد اسماعيل باشا ارسال حمله عسكريه لاخضاع الزبير خرج من بحر الغزال وسكن بدار المرزيقات وكتب لاسماعيل أيوب باشا يطلب العفو عنه والتزم له بفتح دارفور باسم حكومة مصر شرطا ان تمده بجيش فعفى عنه وأرسلت له ٢٧٠٠ جندى بقيادة على اغا أبو باله التركى ومصطفى بك بن عبد الله وطه أبو سدر اغا الشايقى الخ وكان ماكان من فتح دارفور الذى اسهبنا الكلام عنه فى كتابنا « الدر المنثور فى تاريخ العرب والغور » وفى الصحيفه ٣٥ قال وفى سنة ١٨٩٦ م اشترك الجيشان الانكليزى والمصرى فى حرب استرجاع السودان فأضاف الجيش المصرى الى صفحاته معارك جديدة خرج منها فائزاً وكنى ان نذكر منها توشكى وجنيس وفركه والحفير والمطيره وسواكن والجيزه والخرطوم .

فنقول توشكى هى واقعه النجومى فى سنة ١٣٠٦ هـ وقنس قبلها وفركه فى سنة ١٣١٣ هـ والحفير فى السنة نفسها فنى توشكى وفركه والحفير لم يشترك فيها الانكليز وفقط اشترك آلاى انكليزى فى واقتى اتبره وكررى أما الخرطوم فليست بها حرب هذا مارأيته لانى شهدت منها اربع وقائع التى هى عكاشه وفركه والحفير وكررى وجرحت غير مرة فان قلت انما أقول قول مشاهد لم أخذ عن راوى ولا نقلا من تلك المؤلفات المعتله فنى استرجاع السودان كانت الوقائع الآتيه للجيش المصرى لم يشترك الانكليز فى واحدة منها

١ واقعة عكاشه
٢ فركه
٣ الحفير
٤ أبو حمد

٥ جديد

٦ القضارف فى هذه اشتركت ثلاث أورطه ايطاليه أما الانكليز فكانوا قوادا لبعض الاورطه السودانية والمصرية فلا يصح الاعتدال لهم بالنصر فى الست مواقع سالفة الذكر لأن ذلك هضم لحقوق الجيش المصرى .

ضبـــاط الادارة بالســـودان

منذ عهد قريب قرأت مقالا وأنا بأم درمان لسعادة اللواء فتوح باشا وصف فيه الضباط المصريين بأبلغ صفات الكمال واسمى نعوت الاجلال زاعما أنهم أحسنوا الادارة والسياسة فى السودان قبل طردهم منه. فلا تثريب عليه لأنه منهم ومدح الانسان نفسه أو عشيرته من ودائع الفطرة البشرية كما قال أبو الطيب

انا الذى نظر الأعمى الى ادبى واسمعـــت آياتى من به صمم

فنحن وان كنا لا ننـــكر أن فى المصريين من هم يستحقون الثناء والاطراء أمثال

الأميرالاى محمد فؤاد السيوفى بك

عبد الرحمن السبكي بك بالمعارف ومحمد فؤاد السيوفي بك ومحمد اسماعيل بك آخر مأمور بأم درمان وغيرهم ولكن من يرد نظر الى أمثالهم يحتاج الى لنظارة معظمة بين تلك المجموعة التي ما كانت حجة لمصر بل حجة عليها ولولا حرصي على الوحدة ولا يمكن ان أعطي سلاحا للفئة الاتصاليه لنشرت بيانا أطول من ليلة الملسوع عن كثير كانوا ليس هم من الكرام البررة ولاهم من الرجال الفجره وانماهم سعات وخدمة وجواسيس للانكليز فقد أساءوا في معاملة السودانيين ورسموا في مخيلهم شبحا عنيفا فلا يذكر اسم المأمور أو الوكيل الا مصحوبا باللعنة الى هذه اللحظه فكانوا مجدين جاهدين لحشو جيوبهم سواء ان كان ذلك من حلال أو حرام غير آبهين بالسودانيين الذين كانوا كسقط المتاع في نظرهم ونحن ندون تلك الأعمال وهم لا يعلمون فاذا ما آن الوقت لنشرها لوليت منها فرارا ولملئت منها رعبا . ولهذه المناسبة اذكر قصة طريفه وهي في أوائل اكتوبر سنة ١٩٢٤ أمرني سمو الامير عمر طوسون باشا بزيارة الجمعيات التي كان رئيسها الشرف كالشبان المسلمين والمواساه ومنع المسكرات والمحافظة على القرآن بالاسكندرية ورافقني في هذه الزيارات حضرة أحمد فهمي العباسي بك فكانت أول زيارة جمعية الشبان المسلمين في الساعة الثامنه مساء وما كدت أدخل الدار حتى رأيت صفا من الاعضاء يتقدمهم سعادة أحمد فهمي الدامنوري باشا الذي صافحني وقدمني لاعضائه وأمرني بان اسير أمامهم للطواف على أقسام الدار فاعتذرت اليه قائلا ان قوتي لا تساعدني بالتقدم على تلك الوجوه المضيئة فقبض الباشا على كتفي ووجهني الى الأمام فاضطرني الى النزول لرغبته فكنت أجد في كل غرفة شابا مسؤلا يشرح لي ما بها شرحا بليغا الى ان دخلنا قاعة المحاضرات وانتهى بنا المطاف الى أودة الجلوس وكانت مفروشه بأجمل الأبسطه ووضعت عليها الكراسي بشكل يدعو الى الغبطه والسرور ومما يسترعي النظر صورة خشبية تمثل جلالة الملك فؤاد كانه هو ثم جلسنا والكل صاغ وكان الذي يحادثني الدكتور منصور القاضي سكرتير الجمعيه وكانت المحادثه في التاريخ وفي الختام قال لي الدكتور أفهل تسمح لنا بأن نسألك . فقلت لا بأس قال . أفهل السودانيون يحبون المصريين أم يكرهونهم . فأجبته قائلا ما كل مصري محبوب ولا كل مصري مبغوض فالذين خدموا بالسودان كانوا بين فاضل ومفضول فالفاضل لا يذكر اسمه الا مقرونا بالدعاء والاطراء والمفضول لا يذكر اسمه الا مصحوبا باللعنه واليكم المثال الآتي

في سنة ١٩٠٢ حدث ان أحمد أبو قرص الجعفري توفي الى رحمة مولاه بكردفان وكان عليه دين أربعين جنيها الى الهاشمي ابن عوف عمه من بلدة الحاجة شمال الدبه

بدنقلا فقدم الدائن وصلا الى المحكمة الشرعية لاثبات دينه ولكن وجد خصمه الذى ضبط بالتركه لايوافق بصحه الختم التى بالوصل فأحال الشيخ محمد شاكر قاضى القضاه المسأله الى مأمور دنقلا المرضى (١) للتحقيق وما كاد السند يصل الى المأمور إلا أنه استدعى ابن عوف عبيد وقال له يا الحرامية بتاعتكم اللخربتم بها . المهديه جا تعملوها الآن . يا باشجاويش خذ الراجل داحطة بالسجن ذلك قبل أن يحقق معه . ثم أمر بتشغيله فى الأعمال الشاقه مع أن ذلك مخالف للقانون . فأحضر له جردلان لينقل بها الماء ويرش الضابطيه وقيل جاء اليه أحد السماسرة ليأخذ منه رشوه لكى يساعده المأمور وينجيه من هذه الورطه . فأبى أبو عوف قائلا . انى لاأثبت على جريمة بمحاولة أعطاء الرشوة عنها . واستمر فى نقل الماء . وكان الرجل ضخم الجسم مترف لم يتعود مثل تلك الأعمال الشاقه وبينما هو كذلك اذ خرج المأمور حوالى الساعة الرابعة مساء فرآه ينوء بجردلين مملوئين بالماء صاعدبها من قيف يبلغ ارتفاعه زهاء الستين قدما فأخذ يضحك على ابن عوف . ويقول له برضه كدا أى كنت تسعى لخلاصك من هذه الورطة . ولم يعرف اخلاق السودانى الذى يرضى كل اذى ماعدا المساس بالعرض والسخرية فالتفت ابن عوف عليه بعدان وضع الجردلين من يديه . وقال له أنا كنت أظن هذه أحكام قانونيه . ولكنى عرفتها الآن ألا عيب حاب أى دقجر . ثم حلف له طلاقا انه لايحمل جردلا ولو أمره عباس حلمى باشا . فأمر المأمور بضربه فضربه رجال البوليس حتى نزف الدم من أسنانه وانفه وأذنيه ولم يكف البوليس عن ضربه حتى أصبح الرجل بين اليأس والرجاء فحمل على أيدى العساكر الذين كانوا يضربونه والدم ينزف من منافذ انفيه وأذنيه وفمه فسخط الناس على تلك المعاملة لافرق بين مصرى وسودانى وفى الغد جاء اليوزباشى محمد فؤاد السيوفى أفندى قومندان البلوك الأول من ١٢ جى سودانيه وتطوع للدفاع عن ابن عوف مجانا ثم اطلع على محضر التحقيق ولقد اعلن ميعاد الجلسه وقد كان الدخول عليها مباحا فاحتشد الناس افواجا وكنت ممن حضروا الجلسه وكان المأمور مدعيا ومحمد فؤاد السيوفى محاميا أو وكيلا عن المدعى عليه والمحكمة غاصة بالنـــاس حتى كان بعضهم ينظر بالشبابيك وآخرون يقفون بالشوارع أمام القاضى الانكليزى البكباشى ديكنسون الذى صار أخيراً ديكنسون باشا مدير النيـل الازرق

---

(١) كان المأمور حسن بك لماى قائمقام بالمعاش الآن وكان اذ ذاك برتبه صاغ لم أصرح باسمه أثناء الحادثه عندما سألنى الدكتور منصور فقلت له رويدك سوف يظهر لك فى مؤلفاتى القاصمـــة بعنـــل تلك [illegible]

الذى حكم بصحة الايصال واثبات حق ابن عوف فى التركة لأنه شوهد للمتوفى ختمان أحدهما نحاس وآخر فضه ولما سئل قال كان ختم النحاس هو الأول ولما فقد عملت ختم الفضه وبعد زمن يسير وجدت المفقود ولم اتلفه لانه كان بخيتا والجديد أجمل خطا فلم أرض اتلافه أيضا وما كاد يسمع الناس بالحكم حتى خطفوا احمد فؤاد السيوفى من امام القاضى وساروا به فى الشارع محمولا على أكتافهم وهو ينادى قائلا أشكركم أفهل يعقل أننا نبغض المصريين عموما وبينهم أمثال فؤاد السيوفى أو نحبهم جميعا وفيهم أمثال حسن لطفى بك . فسر أعضاء الجمعية ونشرتها هذه الحادثه فى جريدة المقطم فى العشرة أيام الاوائل من اكتوبر سنة ١٩٣٤ وفى اليوم التالى دعانى سمو الأمير عمر طوسون باشا حوالى الساعة العاشرة صباحا ولما دخلت عليه انتظرنى بداخل الباب وبعد ان تكرم وصافحنى أمرنى بالجلوس ومن ثم جلس فى مكتبه وقال لى أنا مسرور جداً لحديثك مع أعضاء جمعيه الشبان المسلمين البارحه أفهل تملى على باسماء الضباط الطبيين بالسودان ، فقلت أنهم بعضهم وأجهل البعض . ثم قال هات اسماء من تتذكر اسماءهم فأمليت عليه وهو يكتب فى بلك نوت . ولما انتهيت أراد يسألنى عن ضابط ولم يعرف اسمه فضرب الجرس فجاءه على أفندى أبو النظر فقال له الصاغ الذى جاءنا يشكو تأخيره حتى بلغ اقرانه رتبه الميرالاى وهو لم يزل صاغا ما اسمه . فقال اسمه على افندى موسى فقال له امش ولما خرج قال لى أتعرف على افندى موسى قلت نعم ولكنى لم أخدم معه فى مكان واحد بل ركب معى فى قرة واحدة من محطه أم روابه الى الابيض . ولما بلغت الابيض وجدت له سمعه أطيب من ريح المسك لاختلاطه مع كثير من اخواننا هناك فدون اسمه ضمن الضباط الطبيين وبعد قليل رقى بكباشى وهكذا الى ان بلغ أمير الاى ولما رجعت الى القاهرة دعانى الى وليمه عظيمة وطلب الى اسكن معه ولكنى اعتذرت وشكرته

غرائب الجهل

من يختلط بعامة المصريين ويحادثهم يرى ظاهرة مؤسفة من الاسئلة التى تدل بوضوح تام على جهلهم بالسودان مع ان المئات أو الألوف اشتغلوا به كأمير وقضاة ومدرسين وكتاب وعساكر وصناع وغير ذلك من التجار . مثال ذلك . سألنى رجل عاقل بقوله هل عندكم سمك زينا ؟ وفى مساء ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥١ سألتنى سيدة قائلة أصحيح عندكم ناس عندهم ذيول اسمهم النمم ولما اردت اقناعها باستحالة ذلك بدأت تغالطنى وتقول انها رأتهم بعينها فتركتها وماتعتقد. وقال طالب مصرى فى الثانوى لطالب سودانى أفهل تمر فى سفرك للسودان على الكنغو البلجيكى ؟ وقال لى احد الطلبة الجاويين قال لى مصرى أفهل عندكم شمس وقمر زينا . وقيل لضابط سودانى أصحيح عندكم جبلاية اسمها كررى إذاماحمت بالشمس تطرشق ويطلعوا منهاناس. فاجتمعت ذات يوم مع رجل اسمه على ماأظن محمد هلال افندى مثقف . قال لى انا جئت من بلدكم البارحة فقلت الى أى ناحية وصلت فى بلادنا قال لى الشلال !!! فاذا كان فهم تاريخ وجغرافية السودان من الضروريات لوزارة المعارف يجب ان تلغى بعثات الطلبة للتجول بين العواصم أياما يقضونها فى ولائم وأنس واذا ماعادوا لمصر يلقون محاضرات فى وصف فى مظاهر الحياة الاجتماعية من تخطيط المدن وسير الترام بالكهرباء وغرس الحدائق الخ بل أرى من الاوفق قيام بعثة من العلماء لديهم الآلات اللازمة لرسم الخرط وأخذ مقاس الجبال طولا وعرضا وان يكون ضمن اعضائها علماء جلوجيين لمعرفة بعض المعادن والاماكن الصالحه لحفر الآبار لأن بالسودان واحات مجهولة كالبان جديد التى اكتشفت حديثا . وأن يرافقها جنود يجيدون الرماية لحمايتها من الوحوش وتستعين بأهل البلاد أى تأخذ من ذوى الخبرة من الفور لدارفور ومن كسلا لكسلا وهلم جرآ وأن لاتكون الرحلة مروراً خاطفا . بل تكون لديها خيام بحيث لاتتحرك البعثة من معسكر الى آخر فى أقل من اسبوع وأن يخصص قسم لدراسة التاريخ وآخر للجغرافيه وثالث للسمات واللهجات ورابع للمناخ وان يكون لها طبيب واجزاخانه . وقد تجمع تلك الابحاث فى مؤلف واحد يأخذ منه المدرسون حسب مايتقرر فى البرنامج . أما اذا ترك الحال كما هو فالسودان لايفهم ولن يفهم . أما مؤلفات الافرنج التى صارت مرجعا يأخذ منه من تلقوا دراستهم بأوربا فهى غير معترف بها لدى السودانيين لانها تحوى كثيرا من الأغلاط الفاحشة وغيرت اسماء الاعلام لعجمة

المؤلفين كقولهم . —

سوكوت . والصحيح سكوت

جبل داجر مع انه غير معلوم جبل بهذا الاسم بالسودان

الماريسه والصحيح المريسه مشهور بلدان « بوزد »

الملك سايل وصحته الملك صبير الحنكاوى احد ملوك الشايقيه

بمسعد ملك المتمه أى المساعد ملك المتمه

بوجين والصحيح الباقير اسم بلدة

مكارف والصحيح الخيرف بلدة بضاحية بربر

جزيرة مغرات والصحيح جزيرة مقرات سكانها رباطاب وعبابسه

الجامويه والصحيح الجوعيه قبيلة مشهورة جنوب أم درمان

كوبوش والصحيح كبشاب

أبكو الجوى غير معروف اسم بلدة كهذا الاسم

الضالمين والصحيح الجعليون

جلابات قلابات بلدة واقعة فى الحدود بين السودان والحبشة

ايلاقون غير معلوم

اميجول والصحيح أم بكول قريه فى شمالى كورتى

الغبانيه والصحيح الضبانيه قبيلة عربيه محرف من بنى ذبيان

العلاطيون والصحيح العقليون قبيلة

وكثير من الاسماء التى كانت سببا فى الحيلولة بين القارىء والوصول الى فهم القصة فهما يعتد به ولو قال قائل عن مصاريف المعيشة قلنا فانها مرة واحدة فى الحياة فهى اخف من المعيشات التى يتلو بعضها بعضا بلا جدوى .

نكتة

كان الاستاذ دسوقى المغربى من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بينما كان يلقى

درسا على طلبته اذ سأله أحدهم فقال له من أبو القاسم الذى هو اسم امام مرت سيرته فى الدرس. فقال الاستاذ أنه رجل بربرى من سنار فقال له الشيخ العباسى ليس فى سنار برابرة فغضب دسوقى المغربى وأمر باخراجه من الدرس فاستاء العباسى وأغلظ فى رده على دسوقى المغربى الذى كتب مذكرة شكاه بها الى البوليس الذى دعاهما واجلسهما أمامه ثم سأل المدعى عما قال فشرح له القصة كما حدثت وبعد سئل العباسى الذى قال نعم عارضته لانى سنارى وأعرف الناس بسكان بلدى فما كان من الأستاذ دسوقى المغربى إلا أنه قال مادام هو سنارى فبديهى أنه أعلم منى بأهلها وقام ليطلب منه السماح ولكن العباسى كان اسرع منه فى القيام وباس راس دسوق وقال له انت استاذى وابى فلا تسبقنى فى طلب السماح فسر الناس لتلك المحاورة ورجوع الأستاذ الى الحق ولا غرابة.

مدعى المهدية باسنا

كان فى اسنا رجل يدعى أحمد الادريسى الاسناوى ادعى المهدية فى صعيد مصر والتف حوله اربعون الفا من الأهالى وكان محمد بك الدفتردار حاكما للصعيد وقاعدة جيشه باسوان فاضطرب الأمن إلا ان تلك الدعوة لم يكتب لها البقاء طويلا بل وقع المدعى فى مخالب الاسر. قال لى الشيخ أحمد الدرديرى مدرس الخط بكلية غردون نفى داعية المهدية الى دنقلا فبقى بها طويلا الى ان توفى الى رحمة مولاه فى بلدة ابى قس شمال الدبه.

المؤلف يحاضر بالقاهرة

أسعدني الحظ بزيارة معهد دراسات السودان بجامعة فؤاد بالقاهرة فقابلني مديره الدكتور محمد بك عوض بغاية الحفاوة والاجلال وطلب مني الحضور الى المعهد في يوم الخميس ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٠ لتناول الشاى مع مدرسيه والتعرف بهم والقاء محاضرة عن القسم الغربي من بحر الغزال فأجبته الى ما أراد وذهبت اليه في الوقت المحدد وبعد تناول الشاى دعيت الى قاعة المحاضرات فدخلتها بين عاصفة من تزقيف الطلبه الذين كانوا خليطا من الفتيات والشبان من حملة (الليسانس) ثم وقف حضرة محمد بك عوض المدير وقدمني اليهم بعبارة لاعيب فيها غير انها بليغه الى اقصى حدود البلاغة . ثم تنحى عن المنصة لاعقبه عليها فاستأذنت في الجلوس ومن ثم تكلمت عن تكوين الاقليم الطبيعي وماله من الجبال والأودية والاشجار ثم استرسلت في ذكر ست عشر قبيلة مع ذكر الدين والعقائد والعادات والخرافات وكانت الطالبات والطلبة رغبة شديدة لفهم بعض اللهجات فأخذوا يسألوني عن شرحها ببيان واسع ويدونون ذلك في النخبة وكانت الطالبات يكتبن ما أقول برشاقة وخفة تدعوا الى الغبطة والسرور . حبذا لو تكرم

المؤلف يحاضر بالقاهرة

المدرسون والمؤرخون السودانيون والمصريون بالسودان اذا حدت بهم الظروف بزيارة القاهرة ليقول كل كلمته فيما وصل علمه اليه من جغرافيه وتاريخ السودان لطلبة ذلك المعهد العظيم حتى يرفع الحجاب الكثيف القائم بين القطرين مادامت الرغبة ملحة وللطالبات والطلبة على علم يزينه ذكاء ونشاط فى طلب المزيد هذا وكان مندوب الاهرام يقف بآلة التصوير فأخذ هذه الصورة واذاعها بجريدته . بتعليق كان كله ثناء على المحاضرة وانها أماطت اللثام عن الكثير مما كان مجهولا . وبعد دعانى رئيس واعضاء نادى أبناء دنقلا فالقيت بينهم محاضرة عن كتابات بحر الغزال وأثرها فى ضم دارفور . وفى موسم مولد النبى صلى الله عليه وسلم القيت حديثا طويلا عن نظم الاحتفالات به فى السودان منذ اوائل القرن الثالث عشر الهجرى فى محطة الاذاعة بالقاهرة إلا انى كنت مصابا بكحة جعلت الالقاء دون الغاية التى تصبو نفسى اليها واشتغلت بعد بحمى واشتدت وطأة الكحة معى الى اربعة اشهر . وبعد ذلك اشتغلت بطبع كتابى « الصراع المسلح على الوحدة فى السودان » وبعد بطبع « كتاب الندماء فى دفع الأفتراء » وعمرى كان اذ ذاك ٧٤ عاما ولله الحمد على التوفيق

ضم السودان لمصر

كانت لمحمد علي باشا مضمرات سياسية ومادية اضطرته الى ضم السودان لمصر لأسباب وهي افلتت من مجزرة القلعة طائفة من المماليك ذهبت الى السودان وشيدت به بعض القلاع والحصون ولديها بعض الاسلحه وصارت تتاهب للدفاع عند الضرورة

ثانيا كانت جنوده من اخلاط الالبان والارنؤد والاكراد وغيرهم وكانوا على جانب عظيم من شكاسة الاخلاق وما كانوا يحترمونه كأمير ولا غرابه كما قيل فى المثل من عرفك صغيرا لايحترمك كبيرا فأراد أن يبعث بهم الى السودان فاذا وفقوا فى بسط نفوذه الى ذلك القطر فقد أصاب بحجر عصفورين لانه كان ينوى أبقاءهم هناك والاستعاضة عنهم بغيرهم .

ثالثا كانت حكومة مصر فى مهد التكوين وتحتاج الى المادة وبلغته معاون الذهب فى بنى شنقول فظن بها ثروة تكفيه نفقات تلك المملكه الفتية

رابعا وحدة وادى النيل والاستعاضة عن الأرنؤد والألبان بجنود سودانيه اهدأ اخلاقا وأثبت فى مواطن البأس جنانا كما اسلفنا وبينما كان محمد على باشا يفكر فى تكوين الحملة اذ قدم اليه نصر الدين ملك الميرفاب سكان بربر حال عودته من الحج هون له دخول السودان وانه لايجد معارضا لان الناس فى فوضى ستمورها وانهم فى حاجة الى أمير مسلم يمنع الظالم عن المظلوم ويقيم الحدود بينهم .

اذن سلطان تركيا

كانت مصر خاضعة لسلطان تركيا ولا حق لها فى عمل من الأعمال ذوات البال الا بعد موافقته فكتب محمد على باشا الى السلطان محمود الثانى يستاذنه فى ضم السودان لمصر فوافقه واشترط عليه ان يكون الضم باسم خليفة المسلمين لافتح كما قال القائمقام عبد الرحمن بك زكى فى المتحف الحربى الذى اهدانى منه نسخة فوجدت به ملاحظات منها قوله (فتح السودان) فالسودان مصر ومصر السودان مادام الاصل واحد والدين واحد واللغة واحدة لاسيما العادات والاخلاق واحدة والجوار واصق الدار بالدار والفتح انما يكون كفتح عمرو بن العاص لمصر وطارق بن زياد للاندلس اللذان دخلا على شعوب لاتدين بدينها وكان دخلهما جائزا شرعا

بنص الكتاب والسنة أما الضم باسم خليفة المسلمين فضم ديني رضاه السودانيون لقوله صلى الله عليه وسلم من مات ولم تكن في عنقه بيعه فقد مات ميتة جاهليه

الحمـــلة المصـــريه

كانت تتألف من ٤٠٠٠ منها ١٢٠٠ فارس تركى ٤٠٠ فارس من العرب والمغاربة و٦٠٠ من المشاه و٣٠٠ من الطوبجيه و٨٠٠ من المشاه العرب و٧٠٠ من العبابده هجانة ولقد أمدها محمد على باشا بنحو ١٤٠٠ جندى فبلغ عددها ٥٤٠٠ جندى مجهزة بنحو ٢٤ مدفعا وعقدلواء القيادة لابنه اسماعيل باشا ورافقه من الضباط حسن باشا ومحمد لاظ أغلى هذا وأعدت ٣٠٠٠ مركب شراعيه واتخذت مصر القديمة نقطة تجمع نقلت اليها المهمات المؤن والجبخانة والآلات وغيرها . وأحضرت ٣٠٠٠ جمل فى أسنا

الدعايـــة

كانت الدعاية السبب الأول فى دخول الحملة المصريه الى السودان فى سنة ١٢٣٦هـ ١٨٣١م فاختار محمد على باشا لمرافقتها ثلاثة علماء وهم محمد الاسيوطى الحنفى والسيد احمد البقلى الشافعى والشيخ أحمد السلاوى المالكى فأخذ هؤلاء فى اذاعه نشرات تتلخص فى الدعوة الى الاطمئنان وملازمة السكينه فان الحملة لاتقصد سوءاً بالبلاد وانما هى سائره بأمر محمد على باشا النائب عن خليفة المسلمين الواجبة طاعته على كل مسلم وغرضه منع القوى من الضعيف وتسهيل طريق الحج لمن أراده فوقعت تلك النشرات وقعا عظيما من نفس السودانيين لان السودان كان يعانى كثيرا من الفوضى والقبائل يفتك بعضها ببعض كالرطاب ضد الميرفاب والشايقيه ضد الدناقله والسعداب الملك نمر ضد عمه الملك المساعد والفونج ضد السعداب والكبابيش ضد بنى جرار الخ

اكـــتشاف

أول مابدأ به محمد على باشا قام فى رحلة الى ماوراء شلال اسوان ورافقه حسن باشا قائد جنود الارنؤد ومحمد لاظ أوغلى وكتخدا بك ، فى سبتمبر سنة ١٨١٩ م وبعد ان أجال طرفه بين تلك الجبال عاد الى الجيزة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ وبعد أخذ فى أعداد

العدد وأدوات الحملة واختيار الاطباء والاجزاجيه والعال الذين يرافقون الحملة كالبنائين والنجارين والحدادين وغيرهم من أهل الحرف

قيام الحمله

فى يوم ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ غادرت الحمله المصريه القاهرة بعد أن ودع الامير اسماعيل باشا توديعا حارا وكان المرجفون عملوا الحبه قبة عن كثرة المماليك فى السودان وانهم شيدوا القلاع والحصون ولما كان السودان مجهولا والحملة سائرة سيرا لا يخلو من الشكوك والأوهام أعلن محمد على باشا ان الخدمه فى السودان ثلاث سنين وبعدها ينقل الجندى الى مصر فهونت هذه مهمة الحملة والسير فى شعاب الجبال التى جابهتهم من الدر وصاعد ومن أسنا خرجت الجنود للسير برآ وفى طليعتها ٧٠ هجانه عبابده أدلاء وكان الطريق صعب المسالك لما به من الاوحال والرمال والحجارة الى ان بلغت حلفافأ قامت للاستراحة ستة أيام.

ومن ثم سارت فى السكوت وهى على أشد الحذر لان هناك سيقابلها أول معاقل المماليك فى جزيرة ساى وكان الاهالى ناقمون على تلك الفئه التى أقامت بينهم وفرضت طاعتها عليهم فرضا فتقدم الشيخ عبد السلام من قبة سليم لمقابلة سمو الامير اسماعيل باشا فرحب الامير به وارسله الى وردى أغا زعيم المماليك الذى كان جبارا فقابل رسول الامير بغاية الاشمئزاز ورفض الذهاب اليه

مقتـــــل وردى أغا

ماكاد يسمع اسماعيل باشا بلاغ الشيخ عبد السلام أحمد النقاش حتى أرسل قوه عسكريه وأمر عبد السلام بدلالتها فسارت وبعد هنيهه سمع الناس دوى السلاح وما مضت ساعة حتى هلك المماليك وجيء بالسبي والغنائم فاسماعيل باشا عين عبد السلام قاضيا للسكوت والمحس وكانت بدنقلا العرضى فصيله منهم بقيادة ابرهيم بك له استحكام عظيم فى كابتوت شمال العرضى ما كاد يسمع بحادثة ساى الاهرب وجنوده الى حيث لا يعلم لهم مكان

زحف الحمـــلة

ثم استانفت الحملة الزحف جنوبا فقابلها الاهالى بالدفوف والزغاريت وأصناف
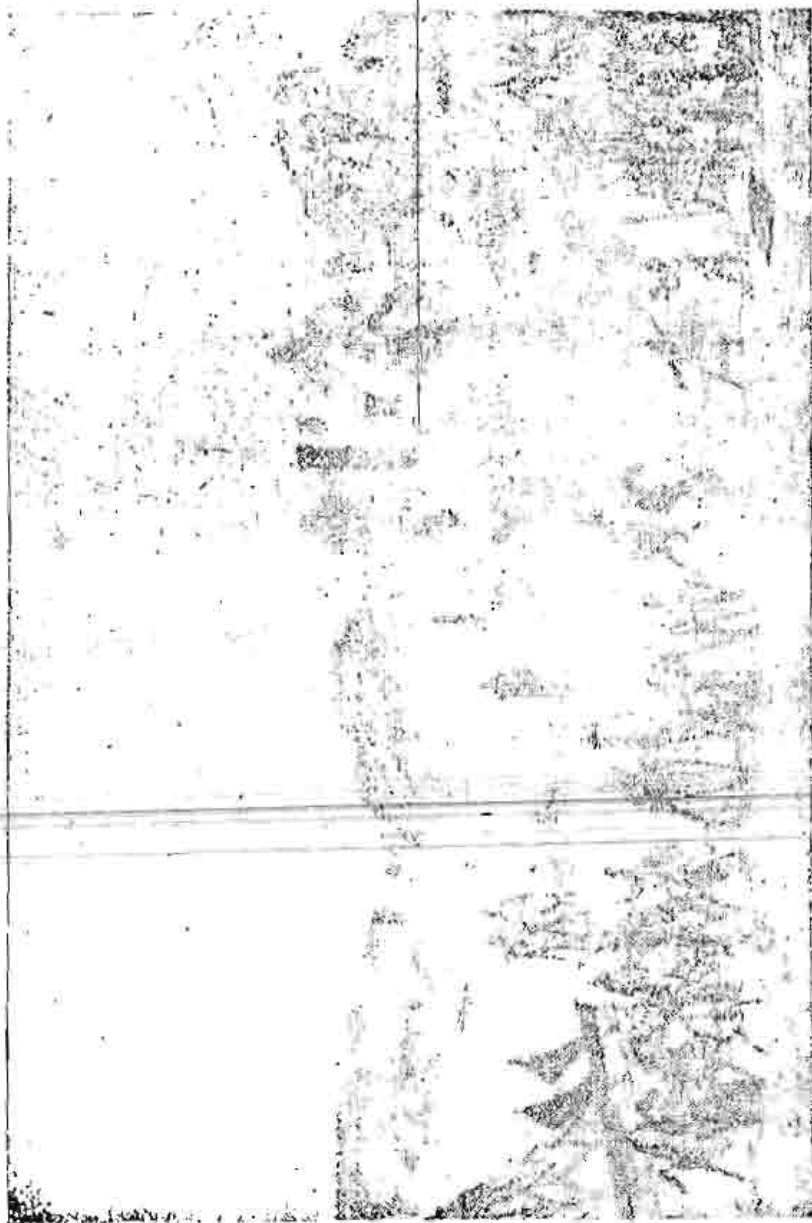
مصرى يحتضن سودانيا وهى برهان على صدق الولاء والاخلاص منذ القدم

الضيافات وكانوا يقولون عنهم عساكر الحمران لانهم لايميزون التركى من المغربى من الالبانى ففرح الناس بهم فرحا شديدا وحطت رحالها بالخندق وطلب اسماعيل باشا الخيل الذكور لتغيير ركائب الفرسان التى أضر بها السير فى أرض الحجر وكذا طلب احضار جمال الحملة فقدم الاهالى ذلك بلا تردد ثم سارت الحملة الى بلدة الحتانه ونزلت فى ضيافة ملك الدفار وقابلها هناك الملكان جاويش وصبير الشايقيان فقدما ولاءهما وقد طلب احضار الخيل الذكور منهما فعاندا ولم يذعنا لهذا الأمر وهناك كتب اسماعيل نشرة اذيعت فى دار الشايقيه معناها ان من يضبط عنده حصان ذكر ولم يقدمه للحملة فى كذا من الزمن يقتل شنقا فكانت النشرة من دواعى الجفاء ولو وعد الباشا بدفع ثمن الخيل وكف عن تهديد اصحابها

الذين سافروا وفى النفس مافيها من تلك السخرية التى عدوها احتقارا لرجولتهم والسودانى لا يرضى الاحتقار وقد يهون عليه كل شىء فى سبيل الذود عن كرامته ولقد أرسلت الحملة كوكبة من الفرسان للبحث عن الخيل واذا ما وجدت حصانا تقبض عليه وصاحبه . سارت تلك الكوكبة الى جهات الأراك ونامت فى احدى القرى وبينما هى نائمة اذ باغتها افراد قليلون وأخذوا يضربونهم بالسيوف حتى قتلوا أكثرهم وهب الباقون من نومهم مذعورين فنجوا وأبلغوا الخبر لقائد الحملة الذى اعتبر ذلك عصيانا مع انه لو طلب الخيل بالثمن ولم يهدد الاهالى بالشنق لخنقت الفتنة فى مهدها ولحقنت تلك الدماء البريئة التى أريقت بلا جدوى هذا ولقد تقرر حرب الشايقيه الذين تجمعوا فى الضيقة فى شمال النيل ولسوء حظهم كان فى يمين النيل تجاههم جبل عبد الرحمن ابن عرف المطل على الضيقه .

فعمل الاتراك كبريا من المراكب صفوها من الغرب الى الشرق وربطوها ببعضها ربطا محكما ثم جازت الحملة الى الشرق ولم يبق بالحتانة عدا الفرسان والهجانه ودواب الحملة وتقدمت الحملة فى جنح الظلام الى ان صعدت بجبل أبو نعوف واتخذت ذروته استحكاما رتبت به المدافع وكان الشايقيه ينتظرون هجوم الحملة من شمال النيل بينما هم كذلك اذ دوت عليهم المدافع من فوق الجبل وبنادق المشاه وطوقتهم الفرسان والهجانه من الخلف ولقد خسر الشايقيه خسارة فادحة واضطروا الى الهزيمة من ذلك الطريق وانهم صمموا على الهجرة وترك وطنهم وبالرغم عن ذلك مازالوا فى حماس شديد كما يؤخذ فى قول شاعرهم .

الباشا علمنا الهوان ... وأحمانا لدات العنان (١)

نتلاقى بسيوفنا السنان ... ويتفرجن معز القنان (٢)

ثم قال

الباشا بالشانوق يهدد ... احمدنا لدات العقد (٣)

نتلاقى بالسيوف نتقاصد ... عند البشم فيها العقد (٤)

---

(١) أحمانا منعنا لدات العنان القبض على أعنة الخيل

(٢) معز القنان استعار معز القنان لنسائهم لجمالهن والقنان جمع قنه ذروة الجبل

(٣) بالشانوق يهدد أى يهددنا بالشنق أحمانا لدات العقد الذى هو سرع لجام الحصان

(٤) نتلاقى نتصارع عند البشم فيها العقد فالعقد الثانى منظوم من الجلاد والمسك تلبسه المرأة حتى اذا دخلت البيت تعبر ريحته عما يغنى عن كل أنواع الطيب

ثم قال

تركب نتفسق جرسنا	غرب ود العود جلسنا
مالنا نحن إن فرشنا	هينا من جاويش حرسنا (٥)

فسار الشايقيه تماما ورجالا الى مروى فاخذ الملك جاويش عائلته كما أخذ الملك صبير عائلته من حنك وساروا جميعا فى طريق بيوضه قاصدين شندى .
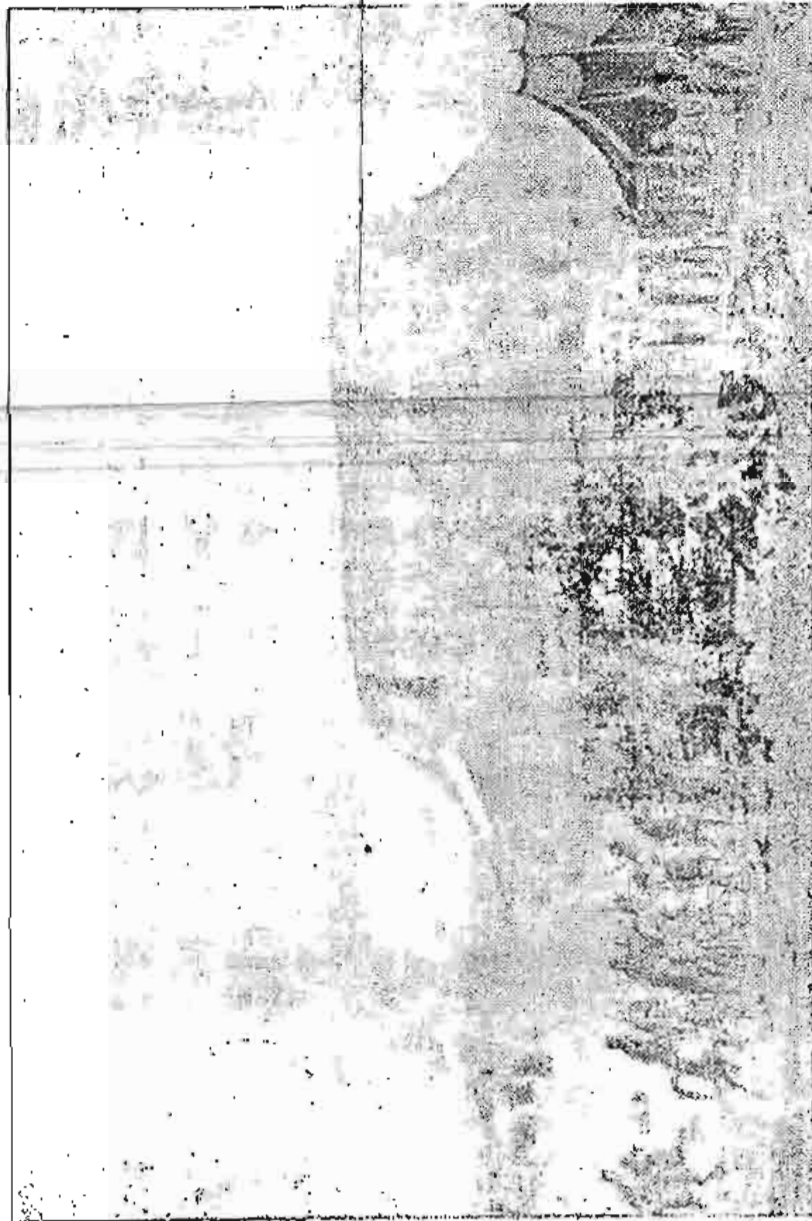
جبل البركل ونسفجة عاصمة الملك جاويش

(٥) فرشنا اى اضبع السلاح من يدنا عند العجز ونجلس للموت صبرا كما سبقنا به اسلافنا اى الملك جاويش الأول الذى قتله الدناقلة فى القولد كما نراه فى مكانه

أما الحملة المصرية فقد بلغت جبل البركل المطل على عاصمة العدلاناب إلا أن الأمير امر بالكف عن الحرب حتى لا تسفك دماء النساء والأطفال فى اثناء خروجها لاجتياز النيل لمروى ومنها الى الصحراء وأوعز الى بعض العلماء للصلح وهذه من أنبل أعمال الأمير فانه حقن بذلك دماء كانت عرضة لان تهدر ظلما وتخرب البلاد بغير جدوى ومالبثت جنود الحملة بان جازت النيل وسارت متأثرة للشايقيه .

واقعة بارا

واقعة بارا فى أغسطس سنة ١٨٢١ خرج المقدوم مسلم فى جيش جرار يعلوه أكاليل من القتام لايرى منه الا وميض الاسنة كانما عناه بشار بقوله

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

تقدم الى حلة شريم شرق المدينة قريبا منها[1]. وفى اليوم التالى تقدمت نحوه الحملة المصرية وكان الجو صافيا والهواء عليلا. فبدأ الطوبجية باطلاق المدافع وهجم فرسان الغور عليها حطموا احدى المدافع وزلزلوا اقدام مشاة الترك وتراجعوا الى موقفهم. وكان الدفتردار مصابا بحمى وبالرغم من ذلك فانه امتطى فرسه وصار يحرض جيشه على الثبات قائلا هذا اليوم له مابعده من الثناء فوقف جنده. ثم ابتدأت الحمله اطلاق نيرانها على العدو فبرحت به تبريحا فظيعا قال ابراهيم ود دير أحد فرسان الغور انى هاجم على ذاك المدفع لأضربه بسيفى ان عشت كان من قسمى وان مت كان وسمى ثم ركض جواده وهجم كالنسر حتى أطل على المدفع وضربه بسيفه ضربة أثرت فى الماسوره[2] وجال بين فرسان الترك الذين امطروه ناراً حاميه من قربيناتهم وهو يضرب بسيفه يمينا وشمالا الى ان صرع بينهم وقد جاد فرسان الغور بأرواحهم فتعرضوا لنيران الترك التى حصدتهم حصداً فظيعا ولم يزل الكر والفر متبادلا الى ان توفق أحد الرماة الذى هو شيخ الجميعاب الى إصابة المقدوم مسلم بطلقة من بندقيته فارداه بها قتيلا فذعر الغور وتطرق اليأس الى نفوسهم واخذوا فى الفرار بخسائر تقدر بنحو ٣٠٠٠ بين قتيل وجريح أما الحمله فلم تخسر سوى ٢٠٠ قتيل و ٥٠ جريح ودخل الدفتردار ظافراً منصوراً الى مدينة بارا واشتغل الجنود بجمع الغنائم من ذهب وفضة وأثاث ورياش ورقيق وخيل وابل وبقر فتأخر الدفتردار عن وصول الابيض

نهب الابيض

كان يقيم بالابيض كثير من الدناقله والغديات والبديرية والهواوره فلما سمعوا مقتل المقدوم مسلم وتبديد جيشه نهبوا كل مايملكه الغور. ولما دخل الدفتردار المدينة فى ١٩ سبتمبر

---

(١) شريم تسمى بارا شق النوم لعذب ماءها وجوده هواءها

(٢) احتفظ الترك بمدفع ابراهيم ود دير ومازالت فى متحف مديرية كردفان الى تسليم المديرية للمهدى فى سنة ١٨٨٤م وبعد نقلت الى بيت الأمانه بأم درمان فبقيت الى سنة ١٨٩٩م ولما عرف الانكليز تلك القصة نقلوها الى حيث لانعلم مكانها وكانت رمزاً ناطقا عن شجاعة الغور التى كانت كما قال المتنبى

وشجاعة اغناه عنها ذكرها ... ونهى الجبان حديثها أن يجبنى

سنة ١٨٢١ م حكم على سكان المدينة بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه نظير ما بددوه من ثروة الغور . ووجد كتاب عبد الهادى أبو فى محفوظات المقدوم مسلم فأمر بالقبض عليه وسجنه ولم يفرج عنه إلا بعد زمن طويل لانه وعد المقدوم بالاشتراك معه فى حرب الترك .

ولاء القبائل

حضر الى الابيض زعماء القبائل وقدموا ولاءهم لمحمد بك الدفتردار الذى أقر كل زعيم على ما كان عليه وعين ادريس شيخ محمد الدنقلاوى حاكما على كردفان[1] وفضل غطاس الدنقلاوى شيخا لسوق الابيض (سرتجار). وأقر القاضى عربى الهوارى على قضاء كردفان وكانت قبائل كنجارى والتنجر وبرقى بغير زعيم فعين لها تيما سلطانا بعد ما كان زعيما دينيا وهو جد بكر بك مصطفى تيما أحد كرام السودان كما صار ابنه عبدالله بك الآن فى القضارف.

نبأ سقوط كردفان

بينما كان السلطان محمد الفضل متألما لموت المقدوم مسلم وسقوط كردفان فى يد الترك اذ ورد اليه كتاب من الدفتردار يدعوه الى الطاعة ويهدده بالغزو ان أبى . فكتب له الرد الآتى :—

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى يحكم بالعدل قطعا ويجازى كل نفس بما تسعى اليه المآل والرجعى وهو حسبنا فى كل حال وكفى .

من حضرة من أمن الله به البلدان وجعل ملكه فوق كل أحد ، وجعله فى قلوب الاعداء جمرة تتوقد . فضرب الله به على يد من طغى وتمرد وعلى من بغى وتمرد . مع أنه صغير السن ولو صار كهلا لخضعت له الانس والجن .

من تزينت به المجالس كرما وجوداً . وافتخرت به العساكر نصار "! وانهلت بين عارضيه أنجم السعود وإن قامت الهيجاء بنفسه يجود بقواطع الهند ويتنصر عليهم بعون الملك الناصر المعبود . "

---

(١) كان ادريس تاجر رقيق سار الى القاهرة بجمع من الجوارى فأهدى محمد بك الدفتردار بضع جوارى لخدمة سرايتها ولما أراد دفع الثمن أبى فرفض فى الأزهر فكان مدرسا ونديما من الأمراء والملوك فاعطى هدايا فاخرة وكانت ذلك سببا

السلطان محمد الفضل الصنديد بن السلطان عبد الرحمن الرشيد عمر الله دولته الفاخرة ونور ضريح والديه فى الآخرة آمين ......

الى حضرة الكوكب العالى ذى المفاخر المتعالى اخينا وحبيبنا صاحب العزة والافتخار الباشا محمد على والثانى الدفتردار . سلمكم الله من الآفات ووفقكم الى فعل الطاعات وجنبكم فعل المحذورات واستعملكم الله بالباقيات الصالحات .

السلام عليكم ورحمة الله والبركة لديكم . وبعد فقد وصل الينا خطابكم أوصلكم الله الى رضوانه وجعلنا واياكم فى ظل ستره وأمانه وفهمنا ما حواه وما اقتضاه ، وكل كلمة من المرقوم تستحق جوابا من المفهوم ولكن يكفى بأن هذا كلام الحى القيوم حيث قال « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه . وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » وقوله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ونهاية مطلوبنا وغاية اعتقادنا اننا نحكم بكتاب الله العزيز وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن خالفنا وتعدى علينا نقصم ظهره انشاء الله تعالى . ونستعين عليه بالله لا اننا نرضاه قربانا ولا نظلم انسانا ونحن الحمد لله متبعين لا مبتدعين ومسلمين لا مشركين نحكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ونقيم الفرائض ونزيل المحرمات ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر والذى لم يصل نأمره بالصلاة والذى لم يزك نأخذ منه الزكاة ونضع ذلك كله فى بيت المال [illegible] للفقراء والمساكين وترفع يد الظالم من الرعية ونعطى كل ذى حق حقه فلما استعملنا ذلك نصرنا الله تعالى على من عادانا وظفرنا عليه حتى لا تنالنا القبائل العظام واستقامت لنا اجناد لا يعلمها الا رب الارباب ولا يحصاها الا رب العباد وهم ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وفى طاعة الله الوارد فى كتابه العزيز « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم [1] الحق بان لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله يقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة كان يحيم مسلم وتبديد جيد[2] كل مسلم ديوانه دينه . وبعد فقد بلغنا انكم طالبون طاعتنا ايا كم [أ]فهل أتاكم خبر من الله تجدون فيه عليكم أم تغترون بقولكم حيف . فلعمرى ان دارفور هذه محروسة محمية بالله وبسيوفه سائرون الى الهيجاء بكرة وعشية منقلبون فمن أتى دولتنا خاطئا يهزم ويرجع

(١) تعريب تسمى باراشى

(٢) احتفظ الترك بدفور اواء سنة ١٨٨٤ م وبعد فقدتهم عليها كهول وشبان تلك القصة [illegible] وشجاعة [illegible]

كرها وينقض عزمه ويضمحل ويتلاشى ويصير هباءاً منثوراً كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وان اتانا طاغ فقد تعرض لزوال نعمته وحصول نقمته . وان بغى علينا باغ لدك في الساعة والحين لقوله صلى الله عليه وسلم لو بغى جبل على جبل لدك الباغي أفهل بلغكم اننا كفار وجب عليكم قتالنا أو أباح الله لكم ضرب الجزية علينا أو علمتم خبرا بعين اليقين فينا . أما علمتم أن عندنا العباد والزهاد والصالحين والاقطاب ممن ظهرت لهم الكرامات في كل وقت وحين وفي كل أوان وسنين يطفؤن ناركم ثم يرجع كل منكم الى أصله ويعود الى فصله . أفهل غركم قتالكم مع ملوك البحر كاهل السافل سنار والشايقيه فنحن السلاطين وهم الرعيه ولا يغرنكم قتل عبدنا مسلم انما هو كحية سقطت من رحل كبير . اما علمتم ان ملكنا هذا طلبه كثير من ملوك السودان الذين هم نحو الخمسمائة ألف أو يزيدون فصاروا كلهم منهزمين اسراء قتلاء ورجعوا هاربين بعون القادر الصمد ولكن لا يكفي هذا كله الا بعد النظر والعيان والتجربة والبيان فاعتبروا يا أولي الأبصار من قبل ان يخذل الله البغاة فيردها على الأدبار . وما النصر الا من عند الله الواحد القهار . والسلام على من اتبع الهدى وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم(١) .

ثم أخذ السلطان محمد الفضل يحشد جيوشه على الحدود وتاهب للحرب إلا أنه لحسن حظه قامت في سبيل الترك اضطرابات وفتن يتلو بعضها بعضا تمخضت بها سياسة الولاة الخرقاء بعد ان بلغ الجيش فازغلي بدون حرب وعتاد عاد الى اعداد الحملات لارجاع الفارين كما سنذكره بعد

(١) كان هذا الجواب من انشاء الشيخ حسين ود عماري من خريجي الأزهر فكان مدرسا ونديما ومشيرا للسلطان محمد الفضل الملقب بقمر السلاطين .

الصلح مع الشايقية

ان من أغرب الأحلام التى تدور فى خيال النائمة ما رآه الملك نمر ذات ليلة قال انه رأى فى منامه خرج من شندى راكبا على بغلة تسير به فى أرض مملوءة بنمل أحمر. فكتب بذلك الى الفقيه حسيب المسلاتى المقيم فى مدينة سواكن يسأله تعبير تلك الرؤية فرد اليه الفقيه قائلا ان النمل الاحمر يدل على ان الترك يملكون بلادك . أما خروجك منها على بغل فالبغل عقيم فلا يعقبك ملك على شندى. فالملك نمر أصبحت تساوره الأوهام والشكوك فظن اذا وصل الشايقية اليه ربما كانوا سببا فى تمليك الترك لشندى فعقد مجلسا تشاور فيه مع عمه الملك المساعد والاعيان فقرروا منع الشايقيه من دخول بلادهم لكى لا تمر بها الحملة المصرية. فعندما قرب الشايقيه ركب نمر وعمه المساعد مع جمع من رجالها لمنع ملوك الشايقيه دخول المتمه ولكنهما ما استطاعوا رد الشايقيه من دخول المتمه وكانت مفاوضة الصلح فى طورها الأخير واستأنف الشايقيـــه سيرهم الى جبل جارى وهناك تم الصلح على ان كل رجل يمتلك حصانا يؤخذ جنديا فى حملة اسماعيل باشا وتصرف له جامكيه كفرسان الترك ومنح الملك جاويش رتبة سر سوارى على جنود الشايقيه أما الملك صبير فكان هرما فاخذ أولاده سناجق وبذلك حسم النزاع ومن ذلك صارت العسكريه عادة مألوفة لهم الى سنه ١٣٧٠ هـ . ١٩٥١ م أما الملكان نمر والمساعد فانهما قدما ولاءهما لاسماعيل باشا ورافقاه فى زحفه الى سنار . وهنا يجب ان نذكر مكافأة الباشا للملك نصر الدين فانه أقره فى مملكة الميرفاب وأخذ تعهدات من الرحاب والنميياب بعدم المطالبة بالرياسة وأخذ رجلا يدعى على ودتمساح ولما بلغ سنار أعدم بالخازوق بزعم انه ارتكب جريمة الخيانة والصحيح انه كان منافسا لنصر الدين ولولا أعدامه لما استقر نصر الدين فى مركزه

انجـاد الحمـــــــلة

وصلت من القاهرة نجده تتألف من ٨٠٠ جندى بقيادة محو بك الذى كان من صفوة ضباط محمد على باشا فعين حاكما الى بربر فاستلم من عابدين بك الذى سار ومعه ٤٠٠ جندى حاكما لدنقلا الأردى ووصل بربر اسماعيل كاشف ومعه ٤٠٠ جنـــدى وبعض المدفعيه والذخيرة والمؤن ضم الى حاميه بربر

حرق كورتى

جاء فى الصحيفة ٧٠ تحت عنوان « حرق عاصمة الشايقية كورتى » فكورتى ليست عاصمة للشايقية ولا هى داخلة فى حدودهم التى هى فى يمين الغربية فالكوارته بديرية وانهم تابعون لملك الدفار ولذا لم يشهر الكوارتابون سلاحا أمام الحملة المصرية أما عواصم الشايقية فعاصمتان احداهما فى سفح جبل البركل وهى عاصمة ملك العدلاناب ولم تزل أطلال الملوك قائمة بها الى الآن والثانية حنك عاصمة الحنكاب وكلاهما فى يمين النيل أما كورتى فى شماله كما مررت بالثلاث فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ولى خبرة تامة بها منذ سنة ١٨٨٨ م .

استئناف الحملة زحفها

سارت الحملة المصرية الى أم درمان وكانت تتألف من ٥٥٠٠ جندى و٣٠٠٠ جمل وحصان وفى ٢٨ مايو سنة ١٨٢١ بدأت فى اجتياز النيل الأبيض على طيفان العنبج ولقد تعبت تعبا شديدا فما استطاعت اجتياز النيل الا بعد ثلاثة أيام خسرت فى غضونها بضعة أشخاص غرقوا فى البحر اثناء اجتيازه. فاخذ الأهالى يفدون لتقديم ولاءهم للأمير اسماعيل باشا وبعد بضعة ايام استأنفت الحملة زحفها جنوبا. قال لى الشيخ عبد الله (عبدالله بكسر الدال) أبو سن عندما اجتمعت به بمدنى سنة ١٩٢٢ بينما كان الامير اسماعيل باشا يسير فى دهيبه فاذا به شاهد والدى أحمد أبا سن يرعى ابله شرق النيل تجاه الكاملين فقال احضروا ذلك الرجل فحضر له أبى فسأله عن العشاير التى تقيم على ضفاف النيل وهل سنار لم تزل بعيدة عنه أم قريبة منه وبعد انتهاء الحادثة ذهب والدى وحلب لبنا وجاء به الى اسماعيل باشا وقال له « هاك ابيض » فترجمت له عبارته التى تتخلص فى « خذ اشرب من هذا اللبن تفاءلا ببياضه » فتناول الباشا اناء اللبن وشرب منه وسر جداً لتلك العبارة الدالة على سلامة نية أحمد أبى سن الذى كان ما كان من أمره كما سنذكره بعد. (١)

تقوض كيان الفونج

ومن حسن حظ اسماعيل باشا أن دولة الفونج التى كان يخشى بأسها تطرق عليها سوس الهرم وأخذ رجالها ينهش بعضهم بعضا كالذئاب فأصبح الوزراء ضد الملوك الذين تلاشى سلطانهم وتقوض اركان مجدهم فكان الملك بادى السادس بن طبل خلع ثم أعيد عوداً صوريا فانتقل النفوذ للهمج اذ ذاك لمحمود بن عدلان « الهمجاوى » وكان فى خلاف مع حسن ودرجب ابن عمه الذى حشد جنداً من بطانته الهمج ومن والاه من العرب والعنج واتخذه معقلا يريد صد الحملة المصرية. وكان معه من الاعيان الفقيه

---

(١) أنظر وتعجب لهذا الراعى الامى كيف تدرجت به حكومة مصر الى أن صيرته مديراً لمديريتى الخرطوم وسنار وهانحن الآن نطالب بالحكم الذاتى أو الحرية بأى لون كان ويقالو انالم تبلغوا درجة الكفاءة أو سن الرشد فى عرف الإستعمار الإنجليزى مع أن الكثير منا يحمل شهادات من أكبر الجامعات فى انكلترا أو غيرها ولم تزل تلك الجامعات خاصة بغيرهم من أبناء السودان أفهل تريد انكلترا أن نتعلم أحياء الموتى أو اسماع الصم الدعاء فما الذى كانت تصنعه فى ٥٢ عاما ؟! اذن فلتنصرف عنا لمصر فهى أقرب منا وأسلم نية فى علاج شؤننا لأننا أمة واحدة يرضى بعضنا ببعض قبل أن تراق الدماء مرة أخرى ،

أحمد الريح والشيخ ادريس ورأوا ضرورة قتل الملك عدلان ولما قتلوه ثار اتباعه عليهم فلهذا الخلاف تتطرق عليهم الوهن ففر حسن ودرجب مع ٦٠٠٠ مقاتل وسار فى اعالى نهر الرهد الى حدود الحبشه وهنا جمع بادى السادس بعض الاعيان وسار للقاء الامير اسماعيل باشا بدنى وقدموا ولاءهم اليه وحلفوا له يمين الطاعة على انهم خاضعون لخليفه المسلمين فسر اسماعيل باشا لتلك النتيجة العظيمه وفى يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٢١ أعلن ضم

سنار على المسجد وأم يظهر قصر الملك وما يليه من دور الأمراء

السودان الى مصر وعين بادى شيخا عاما لبلاد الفونج وعاد الى سنار ويوم ١٤ يونيو سنة ١٨٢١م دخل اسماعيل باشا سنار وأطلقت له ٢١ مدفعا وصدر فرمان بتعيينه حكمدارا للسودان ،

هـــــديه بادى

قد رأى الشيخ بادى السادس أن يرتق ولاءه بشىء من الهدية فأحضر ٧٧٦٤ عبدا و٦٠٠٠ راس من الماشية أمام العبيد فكان العبيد النواة الاولى فى الجيش المصرى فى طوره الجديد وهى من أعظم النتائج وصارت الأهالى تأتى أفواجا لتقديم ولاءها وتعود هادئة مطمئنة.

فازقـــلى

هذه من الممالك الواقعة باطراف السودان فى أعالى النيل الازرق وهى خاضعة للفونج. سارت لاحتلالها ارادى الباشبزق الشايقيه بعد مرورها بسنجه وغيرها من قرى العرب

والهمج وكان قائدهـا الملك جاويش وهو الذى احتل فازغـلى بدون أن يلق عدواً فى طريقه بل قابله الأهالى بالطاعة فرفع العلم المصرى عليها وعاد الى سنار مع أعيان تلك البلاد الواقعه فى حدود السودان بما يلى أصوصه فى الحبشه فسر اسماعيل باشا لمد رواق النفوذ المصرى الى أقصى السودان وبذلك انتهى آخر أطوار الحمـله المصرية التى سارت كسير السائح لا كسير الفاتح ومما يدعو الى الغبطة كان الرافع للعلم المصرى فى فازغلى جنود سودانيون دون أن يشاركهم الالبان والارنؤد الذين بطروا وكفـروا بما انعمالله به عليهم من خير عميم ونعيم مقيم كما تراه بعد فاستنفروا الأهالى للفرار .

احمد ابو سن

كان الشيخ أحمد ابو سن رجلا كريم الاخلاق ولكنه غير مثقف. وفى سنة ١٢٣٦هـ الموافق سنة ١٨٢١م فرت بادية الشكرية الى حدود الحبشة فكلفه سمو الامير اسماعيل باشا باعادتها الى وطنها وقد افلح فى مهمته ونال حظوة لدى الأمير الذى جعله زعيما وما كانت الزعامة فى بيته . وبعد قليل من الزمن اهداه ساعة بكتينة ذهبية. كانت تعلق فى عنق الرجل وتوضع الساعة فى جيب قميصه من الأمام .

وما كان الشيخ يرى شيئا من ذلك . وهناك قال لمن حوله المصيبة التى كشكش شنه فقالوا له لانعرفها . ثم قال. وشن بسويها قالوا تعلقها فى رقبتك . فأجاب مستنكرا د نان أسيلى قلادة بعد الشيب ، فقال الحاضرون اذا رفضت ربما قتلك هذا التركى . فقام فى رهط من بطانته فار آ من لبس القلادة الذهبية التى لوأعطيت لأهل هذا الزمن وأمروا بالسجود لغير الله لما ترددوا والعياذ بالله . هذا وكانت ترافق الشيخ أحمد أبوسن جارية واحدة من سراريه فقال المغنى فى ذلك .

رحل الشيخ العصيب [١] — شق النالة والحريب
على بركة خرق له دريب — خايف أدبا بعد الشيب

ثم قال :—

الليلة الشيخ ماخد دى — لى بلداً عيش ما فى
يامعنى [٢] الدوم كديه — بلد أحمد لا تمشى [٣]

ثم قال :—

رحل الشيخ أبو عرقوب — على بركة خرق له دروب
كثير خوفى على كرتوب [٤] — من أبى سروالا مكروب [٥]

---

(١) العصيب الرجل الرشيق أما النالة والحريب فنوعان من الاعشاب (٢) معنى سرية الشيخ أحمد (٣) بلد أحمد يقصد بها رفاعة (٤) كرتوب لقب والد محمد أبو سن لأنه بقى فى رفاعة (٥) أبو سروالا مكروب يقصد به سمو الأمير اسماعيل باشا لإنه كان يلبس الملابس التركية الأولى كملابس والده محمد على باشا وابراهيم باشا أخيه .

لقد عنت حكومة الاتراك بأحمد أبى سن ومنحته رتبة البكويه وعينته مديرا لمديريتي الخرطوم وسنار ومع ذلك كان يهوى رفاعة ويميل بفطرته الى الباديه وبينما كانَ ذات يوم فى ديوان المديرية بالخرطوم اذ رأى عارضا ممطراً فى جهة رفاعه فقال :ـــ

الليله السحاب صب قبلي فوق عــولى وفوق ابلى
قم يامرجـــان أحلب ابلي لبن النـــوق طـايب لى

ثم قال :ـــ

الليله السحاب صب كارس مثــل الفقـــير الدارس
انا فى الخــرطوم شن حارس

ثم ترك المديريه وسار الى رفاعه وكان نائب المدير معنى بك رجلا حازما وله مع المدير نكات ومضحكات شتى فقال له أحمد بك تصرف فى اعمال المديريه كيف شئت ماعدا قضايا اهلى الشكريه لاتفصل فيها حتى أجيء انا من رفاعه ولكن معنى لم يلتفت الى تعليمات المدير بل صار يقضى فى كل أعمال المديرية بلا فرق ولا تمييز . ولما عاد أحمد بك أبو سن وعلم ذلك غضب غضبا شديداً وقال لنائبه « انشاء الله يامعنى انا وانت يجينا رفنا بين الليله وباكر . أنا بنكع عولى وانت تسوق قرودك »

(١) بنكع أى اتبع وعولى عشيرتى أما سوق القرود أى يقصد به أنك تجرى لاعشيرة لك لأن نائبه سورى من لبنان ولكنه اختار السودان وطناً دائماً لم يزل أولاده به .

العاصمة

بعد نهاية مأمورية الحملة المصرية انتدب محمد علي باشا لجنة من الاطباء الاجانب لاختيار مكان تكون به عاصمة السودان فجابت اللجنة البلاد واختارت مدني وشندي إلا أن محمد علي باشا فضل الأولى لتوسطها من العمران ولقربها من حدود الحبشه فشيد لاسماعيل باشا قصر بمدني في مكان المدرسه الوسطى الآن وجملت ثكنات الجنود ودور الضباط والمستشفى بمكان حي المدنيين الحالي.

الوباء

في سنة ١٢٣٧ حدث وباء شديد بمدني مات به خلق كثير خصوصا جنود الآلاى المصري الذي يرابط بمدني ومن ضحايا ذلك الوباء الميرالاى عثمان بك الكريتلي والاستاذ عبد الله أبو المعالي واعظ الآلاى ولقد دفن الاخيران بمقبرة تور الفجه وتوفيت محظيه لاسماعيل باشا وكثير من الضباط ذوي الرتب الصغيرة وذلك من بواعث نقل العاصمه الى الخرطوم قام اسماعيل باشا لتغير الهواء في شندي ولم يكن معه عدا بلوك واحد من السواري مع الحشم والخدم.

مقتل الأمير اسماعيل

تضاربت أقوال المؤرخين في أسباب القتل وكيف كان تنفيذه والصحيح لما بلغ اسماعيل باشا شندي قوبل فيها بحفاوة وتكريم وانزل في قصر الملك نمر الذي كان يتألف من طابقين نزل الأمير في الأعلى وحاشيته في الدور الارضي أما بلوك الفرسان فقسم الى قسمين أحدهما أقام حول القصر بشندي والقسم الثاني جاز النيل وأقام في ضيافة الملك المساعد في المتمه.

وما كان الاغتيال مضمرا من ذي قبل وانما كان وليد وقته. حدثني جماعة من المسنين بشندي كالفقيه يوسف أحمد محمد إمام جامع شندي القديم وغيره قالوا استدعى اسماعيل باشا الملك نمر ولما حضر له كانت الساعه الرابعة بعد الزوال فوجده في ظل القصر يجلس على كرسي يلعب الشطرنج مع شرف الدين بن المكيتاب في شمال شندي كان طالبا بالازهر جاء مرافقا لاسماعيل باشا لأنه كان لبقا يحسن الأدب

ومنادمة الملوك وكانت الارض مرشوشة بالماء وهي عبارة عن خضخاض فخلع الملك احذيته بعيدا كما تقتضيه آداب الملوك[1] وكان يظن ان الأمير يأذن له بالجلوس على أحد الكراسى الخالية ولكن لم يأذن فوقف نحو نصف ساعه والأمير يحدثه فى فترات متقطعة ويشتغل بالشطرنج . ولما سئم من الوقوف قال لاسماعيل باشا اذا مريض أرجو ان تأذن لى فى الجلوس فقال له أقعد أى فى مكانك فقعد على خضخاض التصق فى ثيابه وبعد الفراغ من حديثه اذن له فى الانصراف فقام من وثيابه ملوثه بالطين ولما خرج من عند الأمير قال هذه حياة خير منها الموت ثم استدعى اقاربه وعقد مجلسا سريا بسط لهم ماحدث له فقر رأيهم على اغتيال الأمير وجنوده كيف ما تكن العاقبه ثم اتفقوا على ان يرفعوا مشاعلا من نار فى منتصف الليل فى شندى والمتمه بسطوح المنازل واذا ماشهدوا تلك المشاعل يهجم كل منهما على ضيوفه وهى عادة عربية منذ الجاهلية وهناك جمع السعداب كمية من القش الناشف بزعم انه احضر لعلف خيل الجنود ولما آن الوقت هجم كلاهما على ضيوفه اما قصر الأمير فقذفوا عليه مشاعلا من النار بالمنافذ وكان نائما بالدور الاعلى وحاشيته بالاسفل لما شعر بتأجج النار ومحاولة حاشيته فى أطفائها نزل فقبض عليه رجاله ليحجبوه بأيديهم فمات خنقا لم تمسه النار . ولم ينج إلا ضابط وثلاثة عشر جنديا من المتمة وفروا الى بربر لابلاغ ماحى بك فطاردهم فرسان السعداب اتباع الملك المساعد ولكنهم لجؤا الى ابكر موسى الدنقلاوى التاجر فى احدى القرى فى طريقهم فأخفاهم الى رجوع فرسان المساعد وهناك خرجوا وواصلوا سيرهم فأخبروا ماحى بك حاكم بربر

(١) سمع الانكليز ان خلع الاحذية من عادات ملوك السودان وللدهم رؤساء الدين فصار الانكليزى مهما بالغت فى احترامه لايرضى عنك حتى تخلع نعليك . حدث ان ضابطا انكليزيا برتبة البكباشى فى اورطة خط الاستواء عنجلا كلف ترزيا بعمل بنطلونات له ففصلها الترزى وذهب اليه بها فقال له لم لم تخلع نعليك فقال له الترزى أفعل انا فى مسجد فقال الانجليز اذا دخلت الى الشيخ فلان أفعل تدخل عليه بحذائك فقال لاثم وثب الانكليزى وأخذ يضرب الترزى ضربا بالبكس واخرى بالجزمه الى انه كاد يقضى على حياته فترك الترزى مطالبته بالاجرة وعاد لدكانه وبعد يسير من الزمن امره القائمقام بروك نائب المدير بالعودة الى البكباشى الذى أعد له عصاة غليظه وما كاد يصل اليه حتى قام بعصاته وصار يضرب الترزى بلا شفقه ولا رحمه الى كاد يقضى على حياته فعاد الرجل يعدو لدكانه ثم ربط متاعه وغادر المدينة قبل ان يقتل المسكين نافه من يد جبار لايمكن مطالبته بدمه .

الاحتفال بدفن اسماعيل

تقدم خمسه من أعيان الدناقله الى الملك نمر ورجوه بأن يسمح لهم بدفن الامير اسماعيل باشا وهم :ـ

١ ـ موسى ود تركاب

٢ ـ موسى ود تنـــير

٣ ـ موسى ود حمـــزه

٤ ـ الشيخ محمد الحاج فضل الله صهر الملك نمر

٥ ـ موسى ود هـــلال

فقالوا للملك نمر ان مافعلته امر قدر فى الازل واسنا فى حاجة الى الكلام عنه وانما ترك الجثة أمام العالم أو دفنها ضمن جثث الجنود لايليق بكرامتها لاسيما وانها وصمة عار علينا فنرجوك ان تأذن لنا فى حملها وجهازها والصلاة عليها فأذن لهم فأخذوها الى دورهم وغسلوه وجمعوا له بضعة اكفان من الحرير وساروا به فى جمع عظيم حيث صلوا عليه ودفنوه عند قبة حاج فراج امام ثكنات السواريه بشندى . ولما قدم محمد على باشا الى السودان استدعى الذين احتفلوا بدفن ابنه وكافأهم مكافأة عظيمة إذ عين اكبر موسى الذى خبأ الجنود حاكما لجباية الضرائب بدنقلا ومحمدالحاج فضل الله لمثل هذه الوظيفة بمديرية الخرطوم وموسى ودحمزه لجباية الضرائب فى النيل الابيض من كررى الى الدويم . وكان هذا جد عبد الله بك حمزه وعين الاثنين فى مناصب ليست اقل من هؤلاء الثلاثة.

شعـــور التبادل

أنه لمايدع الى الاستغراب ان الشعور بين المصرى والسودانى جرى مجرى الوجدانيات كالجوع والظمأ فتجد المصرى أو السودانى عندما يرى أخاه فى محنة يعطف عليه عطف الشقيق لشقيقه بلاريا ، وسمعة سبق لنا ان ذكرنا عطف خمسة رجال من تجار شندى على سمو الأمير اسماعيل باشا والاحتفال بدفنه فى شندى سنة ١٢٣٨ هـ هكذا فعل المصريون بجثمان الأمير محمود أحمد الذى توفى فى الاسر قال لى شقيقه الامير اسماعيل أحمد ابن عم الخليفه عبد الله التعايشى لما كنا فى الأسر فى دمياط توفى أخى الامير محمود أحمد يوم ٢١ صفر سنة ١٣٢٢ هـ الموافق سنة ١٩٠٥ م

مانشعر حتى تقدم خمسة من أعيان دمياط وهم :ـ

١ ـ عبد المنعم بك

٢ ـ اللــوزى بك

٣ ـ عبد الرازق بك

٤ ـ الشيخ عبد السلام العلايلى

٥ ـ مصطفى بك الدرسى

وطلبوا من الحكومة ان تأذن لهم فى الاحتفال بدفنه باعتباره أمير مسلم يمت اليهم فى الأصل والدين ولا يليق بأن يدفن كأحد المعتقلين ولما اذن لهم وكانت الاوامر الصادرة أن لا نختلط بالمصريين فالرغم عن ذلك اخذ أولئك الابرار جثمان الأمير وما كنا نملك شيئا فتولوا جهازه وتكفينه ومن ثم سار به موكب عظيم يتألف من العلماء والفضلاء الجنازة فى الأول وابنه أحمد محمود ثم الموسيقى تعزف بلحن مؤثر ومن ورائها الاسرى وبعدهم الأهالى وبعد الصلاة عليه ودفنه عادوا فنصبوا صيوانا فخما وفرشوا الابسطه وصفت الكراسى والنمارق واحضروا بضعة قراء يتناوبون تلاوة القرآن الشريف فكل ذلك على نفقت البكوات الخمسة ومن الغريب ما كان هؤلاء يعلمون شيئا عما حدث للامير اسماعيل باشا . ارجو الله أن يزكى تلك الروح ويقوى الرابطه بين شعوب الوادى حتى تكون كالحلقة المفرغه لا يدرى من اين طرفاها .

تحقيق الخبر

لما اشيع خبر اغتيال اسماعيل باشا سارت كوكبة من الفرسان من مدنى للتأكيد من الخبر ولما بلغت الخرطوم تحققت حدوث الكارثة وما تلاها من واقعة المجاذيب ومحو بك وهناك غادر الدفتر دار كردفان لما وصله الخبر من كتخدا محمد سعيد حاكم مدنى بعد ان استنهض الأهالى لمساعدته فسارت معه قبائل الجوامعة والبديرية والشويحات وبادية الكبابيش وغيرها وما كاد يسمع نمر بقدوم تلك القوات الهائلة حتى قام وأكثر السعداب قاصدا الدخول فى حدود الحبشة إلا ان ادركه الملك جاويش بارادى الباشبزق الشايقية فى جبال النصوب فى البطانة ونشبت بينهما حرب استبسل السعداب فيها ولكنهم لم يستطيعوا رد أولئك العدو فانهزموا وتفرقت

النساء والأطفال بالغابات أما الملك نقد ترجل عن فرسه لكي يقتل صبراً فقال مغنية اى شاعرة

الليلة الخيل لبسن العده ونحاسون دق ... والطير فى عجاجهن يسوى الرق(١)

والفرسان تخوض فى الدم يتى طاعرق ... واشلى اشوف جمل المحارق رق

هذه صفة السكى لدى العرب وجيه كان

قيل ان الملك جاويش عطف على نمر وبعث جنديا قال له الملك جاويش قال لك قم واجمع عائلتك وسر حيث شئت فانه حلف طلاقا لا يرفع سيفه على مهزوم فاعطى نمر سيفه للعسكرى وقال قل له هذه هدية منى اليك رأيت هذا السيف عند عكود اغا فى دنقلا سنة ١٣١٢ هـ وقيل أهداه للسيد أحمد الميرغنى . هذا ما كان من امر نمر الذى سار على مهله غير ان السعداب كانوا مكسورى الخاطر قال احدهم متاوها

ماصحينا فى معلومنا ... ال القراع معلق تومنا(٢)

شال الحسكنيت فى هدومنا ... الخادم أم قصايه تلومنا

رب العالمين عاباتنا ... حق المسلمين راباتنا(٣)

شندى قفلت بيانها ... ياحليل جامتها ودوانها

(١) العدة الابس الذى هو عبارة عن غلاف من القطن يتخذ على قطعة من الابل الملون يكسى به الحصان وكبقية وله فه من النحاس السميك تكسو رأسه. والطير يقصد به النسور التى تسير عادة فوق قساطل الغزاة لاكل لحومهم بعد حدوث والوقعة.

(٢) التوم حلى من الذهب او الفضة يحلى به السيف (٣) عاباتنا اى غضب علينا فساط علينا

قال احد المؤرخين احضر نمر المريسه لضيوفه ولما رآهم سكارى هجم ورجاله عليهم وجاء في كتاب فتح السودان في عهد محمد على الكبير مانصه في اوائل نوفمبر قام الامير اسماعيل برحلة تفتيشيه في النيل . طاف في خلالها بالمديريات ثم ترك حرسه وصحب معه عشرة من مماليكه الى شندى حيث استقبله ملك نمر الى ان قال ولكن لاح للجعليين ان الامير لم يعاملهم على قدم المساواة كأهالى سنار وود مدنى حيث خفض لهم الضرائب الى ان قال أضف الى ذلك فقد فرضه الامير على الجعليين غرامات كبيرة من المال والماشية والخيول والجمال والحبوب وما اليها مما يقدر قيمته ٢٠٠٠٠ جنيه الى قوله ثم دعا نمر الامير الى وليمه تتخللها الدلوكه وبينما كان يسود السرور جميع الحاضرين شبت النار حول سرادق الوليمة وبدأ الهرج والمرج وبعد لحظات سمعت طلقات الرصاص واحاط رجال نمر بالسرادق وعملت النار فعلها تحصى كل ما تقابله واحترق المدعوون ومن بينهم الامير الشاب الذى مات مختنقا بالنار الخ ماهكذا حدث قال ثم ترك حرسه وصحب معه عشرة من مماليكه ثم قال احترق المدعوون ومن بينهم الامير . أفهل كان المدعوون العشرة مماليكه ام غيرهم هذا غيرما سمعناه ممن حضروا أو سمعوا من شهدا الحادثه .

مع ان الملك نمر كان ذاكرا ورعا لايشرب الخمر ولا يميل الى اللهو والطرب وكان يتعبد بصلاة الجزوليه واذا مافرغ منها دعا ود مرتضى يتلو له القرآن الشريف وبعد الفراغ يدخل داره ولايخرج إلا لضرورة أو لاداء الصلاة المفروضة بالجامع حتى كان شاعره يحرضه على الخروج والحرب كعادة زعماء القبائل اذ ذاك في قوله

ماشفت أبوك يركب على المنويرى	يتر هنا وحسه في توز بيرى[1]
أما اركب كاس وقل للخيل إندرى	واما أقعد فكي وود مرتضاك يقرى[2]

أى اترك الزعامة لغيرك ممن يحتمل المشاق في تقدم الفرسان للذود عن حياض العشير

---

(١) المنورى الحصان الطويل الذى يرى من بعد ويتر يزأر وتوزارى بضم الباء كثيب من الرمل بعيد من شندى

(٢) كاس في اصلاح السودانيين الحصان القيم وقل للخيل لفرسانها وأندرى أعجمى واذا لم تطق الخروج لميادين القتال فقعد فقية وسبحتك وود مرتضى بقرأ أي يدرس أو يتلو لك القرآن

واقعــة اتــبره

بعد حادثة شندى جاء ماحى بك مع جنوده على مراكب شراعية للانتقام من نمر بشندى وعمه المساعد بالمتمه وبينما هو سائر بالنيل جنوبا اذ رأى كتيبة من المجاذيب بقيادة الخليفه محمد أبى صره زعيم المجاذيب الدينى سكان الدامر تسير شمالا لحربه فى بربر لاتفاقهم مع نمر ولكنهم ابطأوا فى سيرهم فعرف ماحى بك من بيرقهم وحملهم للسلاح انهم محاربون يقصدونه فامر بالوقوف بالشاطىء الشرقى فى شمال مصب نهر اتبره وخرج وجنوده بالشاطىء وماكاد المجاذيب يرونهم حتى اتجهوا نحوهم وشرعوا الرماح واصلتوا السيوف ولم يكن مع ماحى بك غير مدفع واحد فاطلق قنبلة واحدة كذا اطلق الجنود بنادقهم وماكادوا يحشونها المرة الثانيه حتى اختلط بهم فرسان العدو فهزموا الى المراكب وقطعوا المراسى تاركين المدفع غنمها المجاذيب مع قليل من الاسلحة والذخيرة وعادوا بها الا انهم خسروا رجلا عظيما الذى هو الفقيه قمر الدين والد الشيخ محمد المجذوب الولى المشهود له بالكرامات وخوارق العادات فقدم اليهم الملك نمر ليرى المدفع ويعزى فى قمر الدين ويهنئهم بالنصر على الترك الذين استعدوا وانضم اليهم بشيرود عقيد واهله المسلماب وكروا على المجاذيب الا انهم نجوا منهم بفرارهم وانتشارهم بنهر اتبره وبعد يسير توفى الفقيه محمد ابو صره فجاءوا به ليلا ودفنوه بالدامر ونكروا قبره اما بشيرود عقيد فقدر له الترك تلك المساعدة وتركوه عاش فى البلاد ظالما حتى هزموا الجعليون وقال شاعرهم

بشيرود عقيد نسى القديم الجرسه   دفارة ابوه وسوقة كالابه ومرسه [١]

راحوا ناس اشعب جرو اللبوه البكر فى مرسه

موجعنى العوج ركبة منور وجرسه [٢]

---

(١) دفارة ابوه فالدفارة عصا طويلة ذات قرنين يحملها الرعاة يرموا بها العقل للغنم والمدالجرس حبل دقيق الصنع يساق به الكلاب

(٢) اشعب لقب لاحد امراء المسلماب اما منور فاخ لبشيرود كان فقيرا فى غاية البؤس ولما صار اخوه حاكما اصبح يركب حصانا عظيما ويجرى خلفه عبيده يضربون له الناكوله التى هى اجراس كبيره كالتى يستعملها ابواب الكنائس.

احتفال المجاذيب

لقد سر المجاذيب سروراً عظيما بقدوم الملك نمر وتهنئة لهم وكانت مظاهرة تجلى فيها تقديرهم لذلك النصر فقال النعيسان شاعر الملك.

الليلة النمر أصبح حديثه ملوح	وقارحه من لقاء العدو ما شوح
سيطه الى مصر شاله المسافر روح	به اطمئانت المعزى الجلاد هن فوح (١)

ثم قال .

سموك النمو فوق النمور مشيت	حرقتك سمايمك لا من أضحيت (٢)
فى العجم والعرب نظيرك قط ما رأيت	دبك الخيل يغز من حسك ان قحيت (٣)

بينما الجعليون فى غبطة وسرور اذ بالخبر أبلغ لمحمد بك الدفتردار بالابيض فاستنهض قبائل العرب فتطوع معه الالوف من فرسانهم كالبديرية والشوقات والغديات وغيرهم وسار قاصداً المتمة بطريق الصحراء وما كاد يصل اليها حتى أمر باطلاق النار عليها وبعد يسير امر الجنود والمتطوعين بالكف عن الضرب ولسوء الحظ كان بالمتمة رجل يدعى « سعد الاقبش» جعلى نفيماتى جاء يتختل وبيده سلطية « قذف بها محمد بك الدفتردار وهى نوع من الرماح إلا إنه لما أريد قتله فر إلى مروى وهنا أمر الدفتردار باعادة ضرب المتمة وحرقها فقتل إذ ذاك الشيخ الريح السنهورى وأكثر من ١٠٠ طالب أمامه يدرسون عليه فقه المالكية أما الملكان نمر والمساعد فانهما هربا الاول مع بطانية وعبيدة وعائلته قاصدا الحبشة بطريق البطانة والثانى سار كذلك بين نهرى الدندر والرهد .

---

(١) سيطه أى خبر الشؤم بمقتل اسماعيل باشا وبلوكه من الترك الذين ما كانوا يتورعون من الاجرام

(٢) سمائم جمع سم أى أنه كالثعبان يقضى ليله إلى ضحى باكر وهو يتألم من السم .

(٣) دبك الخيل دوى ولع سنابكها فى وقت هجوم له رمى ذلك فانها إذا ما سمعت صوت الملك يقح تجري أى تهرب لشدة صوطه .

التحـــــريض

لما نجا الملك نمر وبطانته السعداب ودخلوا حدود الحبشة أقاموا فى بلدة « ميقبة » فاتى إليه الرأس دجاج حاكم مقاطعة مشرقة بحيرة تسانا وأعطاه ٦٠٠٠٠ ريال قشلى أعانة وأمر ببناء المسجد وقال لا أبرح مكانى هـــذا حتى يتم بناء المسجد وأسمع الأذان به كى لا يقول الناس التجأ المسلمون به فمنعهم تأدية الشعائر الدينية وأمر بان يعطى قدراً مخصوصا من الضرائب التى تجبى من القرى المجاورة له فاوجس الترك خيفة من أن يقوى نمر ويكر لمحاربتهم فحرضوا قبيلة الضبانية على حربه وكذا حرضوا التكارنة والفور سكان القلابات قال شاعر السعداب يحرض نمر.

يا الأرباب بحكى لك حكاية الطاعوا   يانت عليهم العوجه ولجناهم ضاعوا
الحى ما استتار والمات رقد بأوجاعه   يأكلوا فيهم الترك متى ما جاعوا

وقال آخر :

صبى الميرغاب الماسك الدرب بتكاس   هانوه الترك تبع الرمن والماس
مصاغ البنات بعيى شفته بتماص   والبطىء فى الطلب ليجيى ليك ماالخلاص

هذا وود الفراش من سكان بربر خدم عسكريا فى إحدى البلوكات التركية لكى ينجو من السخرة والاضطهاد فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار فعذب بالسجن والجلد فقال :

البلك   سواهـا   تيـة   دقا   ما   قليل   بالخسابة
شالوا قيد الحديد حشروه فيه   أنيك أم البلك والعسكرية

كان الترك يعاقبون بالجلد ٥٠٠ كرباج لأقل جريمة وهى عقوبة قد تؤدى إلى الموت فى كثير من الاحيان ولا يخشون لومة لائم قال شاعر يحرض الملك نمر :

ود الباشا بذرقه البذهب سليكه   وتعدلان شردضرب جبال عاديكه (١)
بعد كل حى بينهم لى فرخه يشد لى كيكو   والله يا ارباب البطيع التركانى بنيكو (٢)

---

(١) سليكه أى زخرفها الذهب .
(٢) السكيك الحلي معناه أما التركانى فى لغه الدراويين او

فأخذ الضبانية والتكارنه يسطون على السمداب الذين يقابلونهم مقابلة العدو لعدوه وقد حدثت بينهما حروب شتى كواقعة قاسوله وغيرها.

واقعة قاسوله

سارت عصابة من الضبانية وأخرى من التكارنة لغزو الملك نمر بعد أن وعدتهما الحكومة بالمكافأة العظيمة أن انتصروا عليه فى ميقبة داخل حدود الحبشة هذا وكانت فصائل عظيمة من الجمليين منتشرة بضاحية القضارف فتألفت منها عصابة سارت لنجدة الملك نمر فقال شاعرها :

رجال الصوفى جات حادية الزمل طالباك لايوم الغسل قالت بنحضرة معاك (١)
ياسيد الفراسة ألمن قديم حارساك مأمون إن ألفت أنت بتلادى براك (٢)

فانجدت عصابه الجمليين نمراً فقوى عزمهما وخرج إلى هضبة قاسوله قريباً منه وكمن فى طريق العدو الذى هاجمه بمنقبه ونشبت بينهما حرب هائلة خسر فيها أعوان الترك وقتل حاج أحمد سرمبوك زعيم التكارنة وأسر بعض أتباعه وفر الباقون اما الضبانية فكانت خسارتهم أقل إذ ركبوا الهجن ونجوا عليها فسر السمداب سروراً عظيما وقال شاعرهم .

قلابات إمام قدبى وسريف وكلمبور(٣)
يات من كان يبكى ما يعزى الجنيه
حاج أحمد سرمبوك بنقتله وما بنخاف من ذنبه
لانه مسك لسانه والحريم سمعن به

ولما عاد جمليون الصوفى هرع الناس إليهم يسألونهم تفصيل الواقعة فأجاب أحدهم قائلا :

«١» الصوفى قرية فى شاطىء نهر أتبره سكانها جمليين والغسل المكروه .
«٢» سيد الفراسة رب الشجاعة . مأمون أى مضمون أن بلغت الالف عصابة أنت تلادي أعني أسكانى لوحدك . (٣) هذه اسماء القرى التي سار منها العدو

أشمدون العرب قالوا القتل كيفنه   قانا لهم صحيح خبرا أكيد فنايفنه (١)

راس قاسولة بعند الهويش مالنه   غير الشونة غير الفي الحديد حابسنه (٢)

بعد وفاة عمر وافقت الحكومة بعودة ابنه خالد ومن معه فعاد الى بلدة الصوفى ود البشير فبقى الى ظهور المهديه وكان من أمرائها.

واقعـــة أبو شـــوكه

بلغ محمد سعيد افندى خبر تجمع العصاة في ابى شوكه كالارباب دفع الله وغيره حتى

الجنود المصريون في مطاردة العصاه
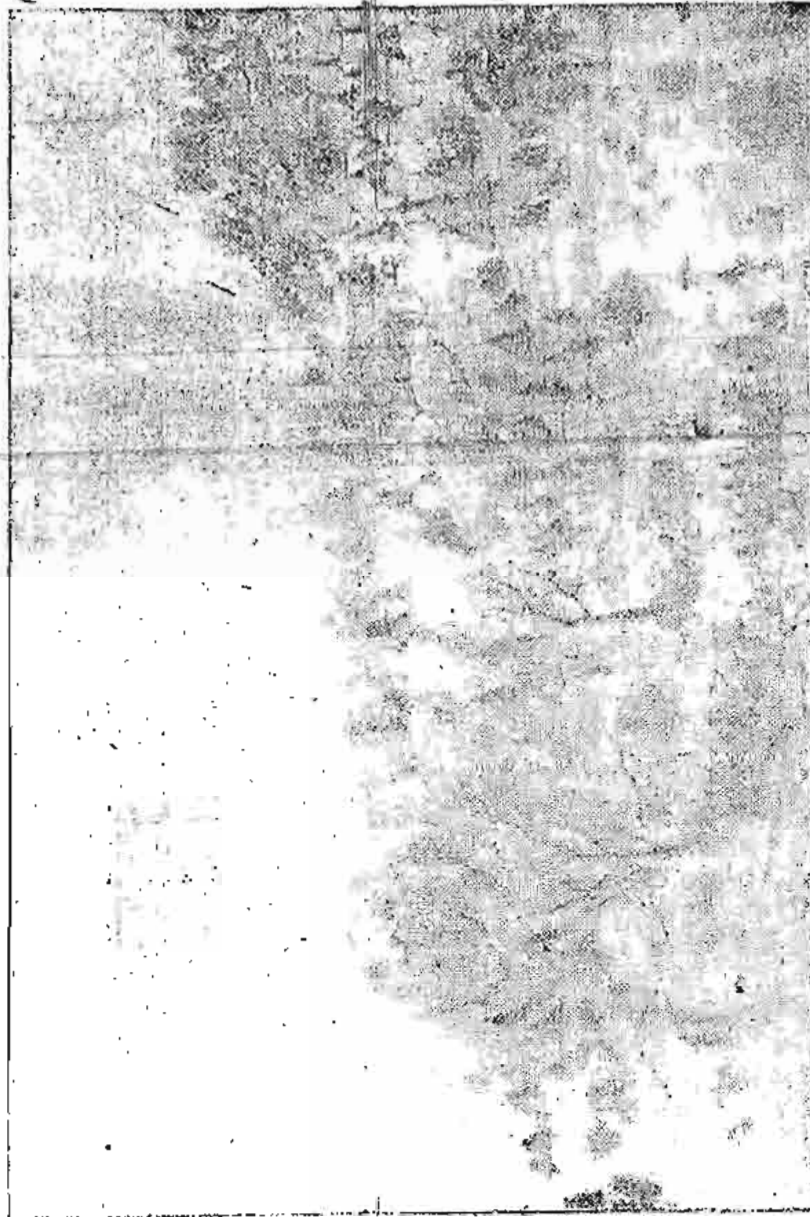
(١) تشدون أى سالون كيفنه بمعنى كيف كان

(٢) راس قاسولة التى هى الهضبة مكان الحرب والهويش ملآن بالقتلى والشونة السجن. أما الهويش فالقش الناشف إذا اصطدم على الارض.

بعث قوة تتألف من ٨٠٠ جندي بقيادة مصطفى كاشف اغا الذى اجتهد فى سيره ولما بلغ ابى شوكه قابله العصاة بحرب جريئة ولكنه انتصر عليهم بعد ان فتكوا بكثير من رجاله وكذا خسروا هم خسارة فادحة كان منها قتل حسن ود رجب وعمه الشيخ حسين وابنه محمد وهزم الباقون فعاد مصطفى اغا المدنى يحمل كثيرا من الغنائم واخذ الناس يهربون من سيف الانتقام لا لذنب فعلوه وانما صار الترك يقتلون الابرياء ويفضحون العروض فى بلاد لم تر ولم نسمع بتلك الفظائع قبل حرق اسماعيل باشا ولكن هكذا قضت حكمة الاشرار ومناهج الفجار الذين ابعدهم محمد على باشا للتخلص من شرهم فنالوا اقبح الجرائم فى السودان.

الصادق ود القصير

ولد فى بلدة الحصايه فى ضاحية بربر حوالى سنة ١٢١٠هـ: ١٧٩٦م وكان والداه جعليان من فرع «الشاعديناب»، ولقد اشترك الصادق مع الفقيه محمد أبى صره رئس المجاذيب الدينى فى حربه للترك الذين يقودهم ماحى بك فى مصب نهر اتبره وفروا الى الصوفى ود الازرق بالقضارف وانتشر آخرون بنهر أتبره ولم يتبعهم الصادق حبا فى وطنه فقبض عليه الاتراك وقطعوا يديه ورجليه وتركوه مقعدا كالعضو الأشل لا يستطيع الحركة ولا يتناول بيده طعاما ولا شرابا فلا غرو ان هذه العقوبة لم يروها التاريخ منذ عصوره الاولى. ولو كان لأولئك الطغاة بقية من الانسانية أو ذرة من العقل لأدركوا به ماينشأ من أعمالهم البربرية فى سنة ١٢٩٨هـ: ١٨٨٢م من ثورة أذهبت الملايين من البشر وقطعت العلاقات بين القطرين ردحا من الزمن ولكن طمس الله عقولهم فانهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعون ماذا يفعلون. سبحان القائل «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا». فالله أكرم من أن يترك عبداً تمص أطرافه أولئك الفجار الذين أيقظوا الفتنه ولما أتى وقت الانتقام وأطلت سيوف النقمة على أعناقهم وصفوهم بالدراويش ووصموهم بالأشقياء فالله يعلم من الشقى والسعيد.

أما الصادق فان زوجته صارت تحمله على أتان وتذهب الى الغيط ثم تنزله عن الاتان وتربط له «الملود» على معصم يده اليمنى فيظل يحش القش من الزرع وتعود به

فى المساء ومازال يمانى وزوجته البارة تالك المصاعب الى ان رزقه الله بضعة أولاد وقد تزوج كل من ابنائهما ورزق بأولاد وبنات عطف جميعهم على والديهما فبدل الله عسرهما يسراً وشقاءهما سعادة.

الزبالعة

من المدهش جاء فى الصحيفة ١٠٩ من كتابه فتح السودان فى عهد محمد على تحت عنوان «واشهر قبائل العرب على النيلين الابيض الازرق والجزيرة، الجموعية والحسنات ودغيم وكنانه والرفاعيون والمسلميه والقواسيه ولعله يقصد القواسمـه والعلاطيون والزبالعة والفونج الذين أسسوا مملكة سنار القديمة مع العبدلاب .... الخ

فالقبائل على ضفاف النيلين وبالجزيرة أكثر من ذلك غير ان الكلام عنها لالزوم له فلنكتفى بقبيلتين فنقول لاتوجد قبيلة اسمها «العلاطيون» بالسودان لافى العرب ولا غيرهم . أما الزبالعة فليست بقبيلة وانما هى ضلالة ابتدعها «آدم أبوجريد» فيجب الاسهـاب عنها حتى لايتناولها المؤرخون هذا عن ذاك وهى اسم على غير مسمى فنقـول

آدم أبو جـريد

ولد فى بلدة طباخه غرب الحاج عبد الله وجنوب الخرطوم تبعد عن الاخيرة ٢٢٥ كيلو مترا . يرجع فى أصله الى كنانه كان أميا لايعلم شيئا ولكنه ذو دهاء وذكاء تظاهر بعيله الدينى وحبه للمتصوفة فأخذ الطريقة القادرية على الشيخ أبى يعقوب . ثم انفصل عن شيخه واشتغل بالعبادة والنسك .

ولما كان السودان مثوا للنزعات ومستودعا لغريب الخزعبلات واسرع قبولا لدعاوى المضلين وأرضه أخصب أرضا لنبات الانبياء والمرسلين . فقد التف أناس من أرباب الجهالة على آدم أبى جريد وصدروه زعيما كيفيا .

حاشا بساط القدس والكمال ** أن تطأه حوافر الجهال

فصار هذا يعقد الذكر فى جنح الظلام بعد انارة المكان فى ليال معلومة من كل أسبوع ويحضره كل الاتباع سواء فى ذلك الرجال والنساء. وكانوا يلحنون الأناشيد الآتيه ويتواجدون على تلك النغمات وبينما هم كذلك اذ يطفىء الرئيس المصباح وهناك يأخذ كل رجل التى تليه من النساء حيث يباح له وطؤها وبعد الفراغ يكون ذلك خاتمة الاحتفال. أما الأناشيد فتدل بوضوح تام على أن تلك الضلالة مقتبسه من مذاهب أهل الشيعة وهى

البوب للبنى والبوب جبته بالنم   واوجدى وقت أطرى الرشيد آدم[1]

الجرجر نخيله وسيسبانه برم   النجم الحقيقة وما اشتغل بقلم[2]

البوب للبنى والبوب جبته بفيها   واوجدى وقت أطرى على الله[3]

الجرجر نخيله وسيسبانه برا   النجم الحقيقة وما اشتغل يقرى[4]

ولهم أناشيد فى مدح الامام على تدل على شيعتهم كما أسلفنا. فما أشبه هذه الضلالة المعروف اتباعها فى السودان باسم (الزبالعة) باختها (البابكيه) المنسوبة الى بابك الحرمى الذى كان من الباطنية. وكان بابك ابن سفاح ظهر فى بعض الجبال فى أذربيجان فى سنة ٢٠١ هـ: ٨١٧ م فتبعه خلق كثير أباح لهم المحرمات. وكان إذا بلغه وجود إمرأة جميلة طلبها من ولى أمرها فإذا أحضرها له نال حظوة لديه وإذا تردد أهدر دمه. وتؤخذ المرأة من طريق الاكراه. فظل هذا الباغى ٢٠ عاما قتل فى غضونها ٨٠ ألفا وفى رواية ٥٥ ألفا. وفى رواية ٢٥٥٥٠٠ نسمة ولما استفحل أمره بعث له أمير المؤمنين المعتصم جيشا جرارا حاربه وجىء به أسيرا وكان معه أخوه فى سنة ٢٢٣هـ - ٨٣٨م. فقال له أخوه ويا بابك قد عملت مالم يعمله أحد. فاصبر الآن صبرا لم يصبره أحد، فقال سترى

(١) البوب للبنى واوجدى. والنم هو اللحين. ووقت أطرى أى عندما اتذكر الرشيد آدم.

(٢) الجرجر نخيله أى أخصب غرسه. وسيسبانه برم. فالسيسبان شجر معلوم وبرم أى اثمر ومدت فطوله. والنجم أى حفظ وتحقق من أمر دينه دون أن يضيع الوقت فى الاشتغال بالتعليم.

(٣) البوب للبنى لاندرى اى بنى يقصد. وجبته أى اتيت به وبفيها يقصد بها بابى. أى ياهذا الرأس انك ماجئت بهذا النهج عبثا ولكنك انبىء اليك به !! أما قوله على الله فيؤخذ منه انهم يؤلهون عليا.

(٤) [illegible]

صبرى. فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه. فلما قطعت مسح بيديه وجهه. فقال له المعتصم انت فى الشجاعة كيت وكيت فما بالك وقد مسحت وجهك بالدم أجزعا من الموت أم ماذا . فأجابه قائلا. لا ولـكنى لما قطعت أطرافى ونزف الدم فخفت أن يقال عنى إنه إصفر وجهه جزعا من الموت. قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى. ثم بعد ذلك التمثيل قطعت رأسه وأحرقت جثته بالنار. وهكذا فعل بأخيه. فما فيهما من صاح أو تأوه وقد اظهرا منتهى الشجاعة والثبات لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة. يقال أنهم لهم ليلة فى السنة يجتمعون فيها رجالا ونساء. ثم يطفئون السرج وينهض الرجال على النساء[1] . والذى يقبض على امرأة فى تلك الليلة يستحلها بالاصطياد. لأن الصيد مباح !!. هذا ولنرجع إلى مانحن بصدده فنقول.

لقد راجت تلك البدعة وكثر اتباعها وتفاقم خطبها وأوجس الناس خيفة من سوء العاقبة. فأخذوا يفكرون فى طرق المقاومة ورد تيارها. وبينما هم كذلك اذ توفى آدم أبو جريد قضاء وقدراً فدفن فى حلة (زمركه) فى شاطىء النيل الازرق الشرقى جنوب كركوج قريبا منها له مقام يزار هناك وكذا جعلوا له بيانا فى بلدة طباخه. فتولى ولده القيام بعمله وزاد الأخير بعض الاوضاع حيث سن لهم تحية مخصوصة وان يحمل الرجل سبحة ملونة أى حبة بيضاء وأخرى سوداء لتكون شعاراً يعرف بعضهم بعضا بها. واخذوا يعملون تلك الاعمال فى الخفاء ولا يمكنون شخصا من الاختلاط بهم فى حالة القيام بأدائها .

ويقال انهم كانوا كالماسونيه فى كتمان أمرهم. وانهم يتضمخون بالطيب الى درجة قد لا توجد فى النساء. وإذا تقابل رجلان من الزباله يصافح أحدهما أخاه ويستنشق ظهر كفه بدلا من تقبيلها أخذت هذه من عادة السادة العلويين فى جاوه أى ان العلويين يقبلون اليد ويستنشقونها وهى بدعه قاومها الاستاذ أحمد سوركتى[2] صاحب مدارس الارشاد فى بتانيا . وهنالك تألف مجلس من العلماء كالشيخ سالم ولد رابح الدويحى والفقيه المصرى ولد قنديل البديرى والفقيه عمر جاء الله وخلافهم . وقرروا نشر دعاية واسعة النطاق لمحاربة تلك الضلالة قبل اتساع الخرق على الراقع فسار كل من هؤلاء الى ناحية

---

(١) توجد هذه العادة فى قبيلة من قبائل آسمره.

(٢) أحمد سوركتى الدنقلاوى ولد فى جزيرة أرقو .

من البلاد يلقون الخطب المثيرة ويفتون بكفر الزبالعة ويقولون بوجوب جهادهم فضربوا بذلك على الوتر الحساس وهزوا مشاعر الأمة فأول من تقدم لجهاد الزبالعة الملك أحمد سليمان الملقب بقرن العلج ملك الجوعية وكان رحمه الله من الابطال المبرزين فحشد ٣٠٠٠ فارس مدرع وتولى القيادة بنفسه. ثم سار الى أولئك الضالين الذين قابلوه فى جمع عظيم وحدثت بينهما حرب ثبت فيها الفريقان ثباتا مدهشا حتى قتل أحمد سليمان قرن العلج وبلى الجوعية بلاء حسنا فاضطروا الى حمل ملكهم وفروا وبعد دفنه نادوا بالملك المحينة ملكا على الجوعيه. وكانت تلك الحرب فى وادى الكوب قريبا من محطة اليانير جنوب سوبا. وقد عسكر فرسان الزبالعة فى محطة الجديد وكانوا فرحين مستبشرين بفوزهم فى وادى الكرب إلا أن الجوعية قام فيهم داع جديد وهو الأخذ بالثأر. وكانت لهم أغان حماسية فى رثاء الملك(١) أحمد سليمان قرن العلج والحض على الاخذ بثأره. فصار المحينة يستنجد بالقبائل فسار لانجاده الجيماب بقيادة الشيخ نائل ابى ضفيره. والسروراب والفتيحاب والعبدلاب بقيادة الشيخ عبد الله ولد عجيب راس تيره. وأمدهم ملك سنار بجيش عظيم بقيادة مولاه ابى ريده خميس والشيخ رحمه ود رحاله حتى بلغ عدد جيوش الملك المحينه زهاء ٢٠٫٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجل. ولقد زحف ذلك الجيش العرمرم وباغت الزبالعة فى الجديد ودارت رحى الحرب بينهما واشتد الطعن والضرب يوما كاملا خسر الفريقان فيه خسائر فادحة الا ان الزبالعه وهنت قواهم وتلاشت آمالهم فى النصر ففروا متفرقين فى البلاد وتأثرهم الجواعيه ونصراؤهم يقتلون ويأسرون حتى بلغ المنهزمون نهرى ستيت وباسلام فى جنوب كسلا ولم يجرأ احد منهم الى العودة لوطنه الى سنة ١٢٢٦ هـ ١٨٢١م حيث تقلص ظل نفوذ مملكة الفونج وهيمنت حكومة مصر على السودان وحدث حرق سمو اسماعيل باشا وشغل الناس بضغط محمد بك الدفتردار. ومن ثم وجد الزبالعه الفرصة سانحة لعودتهم فجاءوا يتعثرون فى أذيال الخيبة ولما عرفوا اشتغال الحكومة بالفتك والسلب أعادو تمثيل الرواية ولكنها من وراء ستار. وانهم لا يرضون تسميتهم بالزبالعه ولكنهم معروفون لدى الأهالى. وأشهر حلالهم الآن عمارة نقده غرب الحاج عبد الله وحلة الرواشده شرق النيل تجاه مدنى. هؤلاء خلاف المنتشرين فى عرب البادية وفى سنة

---

(١) الملك فى اصطلاح بعض السودان المالك واذا خوطب بها له الأسباب أو المانجل وهى كألقاب الجلالة والسمادة عند غيرهم.

١٢٦١ هـ - ١٨٤٥ م ظهرت عقيده الزبالعة عند قبيلة كنانه سكان جبل كرن من جبال تقلى إلا أن الفقيه بدوى أبو صفيه سار لحربهم فى جيش عظيم ولكنهم قابلوه تائبين مستغفرين فكف عن حربهم وتوعدهم إن هم عادوا لتلك الضلاله وقد تلاشت هناك الى الآن.

ومن الغريب المدهش إن الزبالعة أموراً خارقة للعادة لا زالوا يعملونها عيانا فلنذكر مثالا منها وهى

(١) عقيدة الزبالعة . إذا رأت إمرأة من بعلها نفورا لجأت الى أحد الزبالعة وبسطت له وقائع المسألة ونفحته بشىء من النقود . وهناك يعمل لها عملا يصير ذلك الرجل كآلة صماء فى يدها تحركه كيف شاءت ولا يعصى لها أمراً .

(٢) إذا خاف الزبالعة بطش التماسيح فى النيل صنعوا تمثالا من الطين كهيئة التمساح ثم رقوا رقية على خيط وربطوا به فكى التمثال ووضعوه بحافة النيل ونزلوا على النهر هم وماشيتهم حالة كون التماسيح تظهر وتختفى حولهم فلا تستطيع الدنو منهم ولا من ماشيتهم مالم يكسر التمثال الموضوع بحافة النيل كما أسلفنا.

(٣) إذا عادت الابقار من المراعى وهمت العجول الى لقائها يرسمون خطا على الارض بين الابقار والعجول فلا تستطيع بقرة بان تجوز من فوق ذلك الخط الى فصيلها حتى تحلب ويطمس ذلك الخط من الارض .

(٤) حدثنى المرحوم محمد أفندى على أرنؤط المحاسب بمديرية النيل الازرق . قال لما أرادت الحكومة فرض ضريبة القطعان فى سنه ١٣١٥ هـ : ١٨٩٨ م انتدب إبراهيم أفندى جراب الفول الموظف بمركز مدنى ومعه أحد رجال البوليس المدعو ابراهيم قادوس لاحصاء حيوانات سكان حلة الرواشده . فاستاءت إمرأة من نساء الزبالعه وقالت لها ان أرجلكم هذه التى تجرون بها خلف أبقارنا لاتمشون بها على الأرض ، فسقط الرجلان على الأرض وعجزا عن القيام . فجىء بهما محمولين الى مدنى وما كاد يرى والد ابراهيم قادوس ما حل بولده حتى حمل بندقيه وسار الى حله الرواشده وحلف

طلاقا اذا لم يشف ولده بما ألم به ليطلق الرصاص على سكان حلة الرواشده بلا فرق ولاتمييز فطيبوا خاطره وهدؤا روعه ودفعوا اليه خيطا دقيقا يربطه على فخذ إبنه الايمن قريبا من اليتيه ولما فعل ذلك ذهب ماالم بولده وصار كما كان هذه قصه مشهورة بين سكان مدني

٥ قال لي الشيخ عبد القادر عبد الباسط قاضي محكمة القضارف الشرعيه كنت مسافرا للقضارف ولما بلغت حلة الرواشدة في أغسطس قلت لأحد سكان الحله أنا أخشى هطول الأمطار علينا فتناول قصبة من الارض ودفعها لي وقال مادامت هذه القصبة معك لاترى مطراً فاحتفظت بها في أثناء السفر لم أر مطرا ولما بلغت الصوفي الازرق ونظرت القضارف رميت القصبة لأني على بضعة أميال من منزلي فهطل مطر أخرنا ثلاثة أيام.

حوادث

فى سنة ١٢٥٢ هـ : ١٨٣٧ م

فى صفر من هذه السنة هبت ريح شديدة لمدة ٤٨ ساعة قلعت الاشجار وهدمت كثيرا من منازل الأهالى كانت اليوم الأول حمراء ذات ظلمة هائلة وانقلبت فى اليوم الثانى سوداء وعقب تلك العاصفة حدث قحط وغلاء ووباء يعرف بالمرض الاصفر فتبرع خورشيد باشا بمائة أردب ذرة وزعت لفقراء الخرطوم وأمر ببيع كميات أخرى من الذرة الميريه وأمر الناس بصلاة الاستسقى(١) ولقد هلك أناس كثيرون بهذا الوباء واضطر خورشيد باشا الى السفر لشندى فبقى بها الى أن تلاشى الوباء وأمر بقتل رجب بن بشير بالخاذوق لاشتراكه مع الحبشة فى قتل أبى عروض . وقد ضاق جامع الخرطوم بالمصلين فأمر بهدمه وبنائه برسم أوسع من الأول . وأمر أحمد كاشف غنيم مأمور القضارف بغزو حدود الحبشة فسار فى قوة من الجنود وحارب الأحباش وعاد بكثير من الأسرى

وفى تلك السنة ظهر نجم عظيم نهاراً يتطاير الشرر منه . وحدثت حمى تدعى د أم سبعة ، لأن الذى يتجاوز السبعة أيام يعافى منها . وفى محرم سنة ١٢٥٣ هـ قدم من مصر الميرالاى مصطفى بك مديراً لعموم جزيرة سنار وفى ١٩ محرم سنة ١٢٥٣ أغار حاكم بحيرة تسانا على القلابات وكانت توجد بها حامية من الباشبزق الشايقيه بقيادة عبود أغا بحلة كمبو خلاف قوة نظاميه كانت هناك فاصطدمت مع الأحباش فى معركة هائلة قتل فيها السنجق عبود أغا والشيخ ميرى شيخ القلابات وكثير من رجالها وهزم الباقون ووقع فى أسر الأحباش البكباشى على أغا الصبى والملك سعد إلا أنه أفرج عنهما فى اليوم التالى وكان لهذه الحرب شأن عظيم فى الدوائر السياسية انتهى برسم الحدود بواسطة موسى باشا حمدى

---

(١) حدث فى سنة ١٣٦٦ هـ ، ١٩٤٧ م أن تجمع الناس فى كسلا بجبال دارنور لاداء صلاة الاستسقى فأمر المفتش الانكليزى بعدم الصلاة وصرف الناس منها مع أن هذه شعيرة دينية وقطعها برهان على عدم جواز ولاية الكافر على المسلمين ولسنا ندرى الى متى نحن نبقى فى هذا النير البغيض ؟!

عـــلى بك أبو خمسمائة

كان موظفا تركيا فظاً اشتهر بقسوته وجبروته فانه يضرب أى أحد من الأهالى ٥٠٠ كرباج لأقل ذنب حتى مزق أجسامهم فكنوه بأبى خمسمائة وكان لا تأخذه فى ذلك لومة لائم وما درى أنه قد يأتى يوم يحاسب فيه على تلك الوحشية حسابا عسيرا ولما ثار السودانيون وزحفت جيوشهم على حاميات الترك كان ذلك الطاغيه فى محيط الخرطوم يعانى مضض الايام للمجاعة وشدة الحصر يعلل النفس بوصول الحملة الانكليزية التى يقودها اللورد ولسلى وبينما هو كذلك اذ أظلته سيوف المهدية فى صبيحة ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ فمزق بين شفارها وكان الجزاء من جنس العمل ولم يترك غير ابن صبى حديث السن يدعى أحمد رزقه من سرية له قد كفله السيد اسماعيل الازهرى وزوجه بابنته

راشـــــــــد اغا

وفى رواية شاكر أغا وهو من ضبـــاط الباشبزق كان أظلم حاكم عين لشمال كردفان حوالى سنة ١٢٤٢ هـ : ١٨٢٧ م سار من الابيض الى مقر عمله فى ٢٥ فارسا من الارنؤد وكان يرى ضرورة استعمال الشدة والارهاب حتى لا يجرأ أحد على الخروج عن طاعته من الفوج الأول من مشايخ البلاد . وكانت باكورة أعماله قتل جماعة كانوا يقيمون فى حلال بين الابيض والخيران وكذا قتل الطيب جابر والدجابر ود الطيب الدنقلاوى من أمراء المهدية فى اسحف وكذا قتل أحمد شيبو الدنقلاوى فى الطويل وقتل عمارة شيخ خور البشرى وكان من فرع الحبابين ولما بلغ الى قرية د الرضاء قابله الشيخ أم بده محمد زعيم دار حامد فأضافه بداره ووزع العساكر على أهالى القرية ثم أوحى لكل مضيف بأن يكون على اتم استعداد فى منتصف الليل فاذا ماسمع ضربة واحـــدة على النحاس يجهز على ضيفه فأكل الارنؤد وشربوا وناموا وبيناهم كذلك اذ ضرب النحاس وطعن كل رجل ضيفه وكان راشد أغا فى طليعة المقتولين وبعدها قام أم بده برجاله وعائلاته وماله الى دارفور فقابلهم السلطان محمـــــد الفضل بغاية الاكرام .

الجنود المصرية

الاستعـــــــــــداد

ماكان المدير بالابيض يسمع بالحادث حتى بعث الجنود لتسخير الاهالى لقطع الاشجار وتمهيد الطريق لجر المدافع عليه لابادة عرب دار حامد إلا انهم اخلوا القرى ولم تجد الحكومة منهم شخصاً واحداً فاطلق الاهالى على ذلك الطريق اسم «درب المدفع» وبعد خمس سنين أرسلت الحكومة الأمان الى أم بده واستدعته الى العودة الى وطنه ولكنه رفض بل اقام هناك الى ان توفى الى رحمة مولاه ودفن فى سلسلة جبال بروش شرق أم كدادة فكانت هذه ومثيلاتها من أهم دواعى قيام ثورة المهديه

مقتل ادريس شيخ محمد

كان ادريس جبارا حاد الطباع تصرف فى ولايته تصرفا سئمه الناس إلا انه لم يبق فى الرئاسة طويلا بل قام لاخضاع بعض جبال النوبه وارغامها على الطاعة ولكن صنع له النوبة مكيدة الترجية فانهم حفروا الارض ووضعوا بها أعواداً محددة الرؤس وستروها بشىء خفيف من القش تعلوه طبقة خفيفة من التراب فى طريق الغزاة الذين جاءوا بدون روية حتى انهالت بهم السقوف المعمولة من القش فمات أكثرهم وهجم النوبة على الباقين فمات ادريس ولم ينج إلا النادر فموت ادريس كان سببا لقلب النظام اذ أفرج الترك عن عبد الهادى أبو ابن الفكى صغيرون وعين ناظرا للجبال فى شمال كردفان

١ يس الخليفة محمد الدولابى ناظرا فارسى

٢ محمد أغايس ناظراً

٣ أحمد أغايس ناظراً

٤ عبدالهادى صبر كان ظالماسيىء المعاملة حتى كان الجوامعه يقولون عنه السوادى ولا عبدالهادى

٥ صبر عبد الهادى « « « « « « القبر ولا صبر

٦ محمود أبو أربعه ناظراً

٧ صغيرون أحمد ناظراً

هؤلاء جميعهم من الدناقله الذين سادوا على غيرهم من سكان كردفان الى ظهور المهدى فانهم ظاهروا الترك حتى قتل بعضهم كعبد الهادى صبر قتل فى واقعة الشلالى ومحمد أغايس فى ادار الزريقات وقتل بها

الملك آدم ام دبالو

ولد الملك آدم المكنى بأم دبالو فى جبل طاسين حوالى سنة ١٢٤٦ هـ : ١٨٢١ م وكان أبوه الملك عمر ملك جبال تقلى وجبلى رباطابى، الذى عندما أدركته الوفاة ١٢٤٦ هـ آل الملك الى أخيه الملك ناصر أبى بيض الذى كان جباراً ظالماً. نكل بالفضلاء وفتك بالأبرياء. ومن أخبث اعماله الوحشيه. كانت فى جبل طاسين الذى هو مقر الملوك ناحية ملساء تنزل بميل مناسب وبأسفلها حوض من

حجر منحوت نحتاً طبيعياً . فاذا غضب الملك ناصر ابو بيض على شخص امر باضرام النار على ذلك الحوض حتى يكون كالفرن . و يقذف بذلك الشخص المغضوب عليه من ذروة الجبل فيظل هاوياً الى أسفل الجبل فيتحطم وينزل على الحوض المحمى وهو عبارة عن قطعة من « الكفته » فيشوى وتتصاعد منه رائحة كرائحة « الكستليته » ثم يكون كتله من الفحم . ويقال ابلغه بعض الوشاة . ان أعرابياً من بادية أولاد حميد شتمة . فاستدعاه ؛ ولما مثل بين يديه حمى له ذلك الحوض وأمر بقذفه فيه من أعلى الجبل . فقبض العربى برجل آخر من حاشية الملك وكذلك امسك الآخر بأخيه وهلم جراً حتى سقط ١٤ رجلا من ذروة الجبل على الحوض فاحترقوا جميعاً فى دقيقة واحدة . ولم يقصر اذى الملك ناصر على العامة . بل صار يفتك بأهله وذوى قرابته كالأرباب الطرقاوى والأرباب رميدون ابنى اخيه الملك عمر فغضب سكان الجبال وصاروا يدبرون له المكائد (١) وكان الملك آدم اخ المقتولين يشاهد تلك الافعال بعين ملؤها الاسى ويكظم غيظه حتى لاينبح الرأس بالذنب . وكانت له عقيدة راسخة فى الشيخ عبد الدين ولد خيرات الهوارى الذى اشتهر بورعه وصلاحه . فبث له سوء معاملة ناصر وانه فى خطر دائم إذ ربما أمر بقتله فى يوم ما فيذهب كما ذهب أخوه . فقال له الشيخ عبد الدين

---

(١) كان ذلك فى عهد خالد باشا حكمدار السودان الذى هاله أمر ناصر أبو بيض فسار له بنفسه وحاول اخضاعه وادخاله فى الطاعة والا رفض دفع الضرائب فاستمال بعض ملوك الجبال وحرضهم عليه وذلك بعد ان بعث له قوة عظيمة من أرارى الباشبزق وأورطة نظامية بقيادة الميرالاى عثمان بك الازيرق الشايقى وكان جبارا . سار ذلك الجيش الى جبل طاسين وهدد ناصر ان لم يسلم وصار يستعرض جنده على مرأ من سكان الجبال فقالت نساء الجبال عندما سمعن نداء الضباط فى التعليم

يبا كاسيب الأرادى | لاتنبح فى الوادى
ناصر فى طاسين | مايدفع البواقى

وقد حدثت بينهما حرب انتصر فيها ناصر وطارد فلول الجيش بعد ان قتل القائد عثمان بك الازيرق وضباطه فقالت نساء الجبال

ناصر أخ البنوت | سوى سمه مابفوت
أهلك الجردة | وأخلى سروج الارنؤد

وكان الشيخ عبد الرحمن شريف جد مؤلف هذا السفر متزوجا بالسيدة عائشة بنت الملك النجر الموجودة فى جبل طاسين وله رابطة مصاهرة الملك ناصر قبض الترك عليه وصادروا أملاكه وأسر أولاده وروع والدى « ج » بين السبابة والابهام أى أصبح ملكا للجهاديه إلا ان والدته افتدته بثلاثين عبداً أمرداً ن لايؤخذ جنديا فى الجيش

هـذا رجل ظالم ومادمت أنت وارث المملكة فيحق لك أن تسعى لخلعه وتتولى مكانه ليهدأ روع البلاد ونحن نساعدك بصالح الدعاء .

الإرتيـــه

الأرتيه بالتأنيث لقب لامرأة تدعى صباح عريقة فى حسبها ونسبها . وهى من صفوة سلائل ملوك تقلى ومقامها لديهم أعظم من الملكات فى أوربا ومن إيا باسى كبيرة المبارم فى عرف سلاطين دارفور . ومكانتها روحية اكثر منها ملكية بدليل أن آرتى فى لغة النوبة اسم « الله » استعير لهذه المرأة لجلال قدرها وسمو منزلتها . ولقد تقضى تقاليد سكان تقلى . ان تعزل الأرتيه من ملوك تقلى وتولى ماشاءت لان بيدها مفاتيح مستودع آلات الملوك من تاج ونحاس وسيوف أثرية مزركشة وغير ذلك من ضروريات الملك. ولكنها لا تفعل شيئا إلا بعد اجماع ملوك الجبال الذين كانت لهم تقاليد سخيفة وعادات ساذجه وهى من رواسب عقائد الوثنية التى ظلوا يحافظون عليها كانها جزء متمم لشروط الولاية . ألا وهى أن لهم حية قديمة العهد يطلقون عليها اسم (حميدة أم كا أبيض) توجد داخل مغارة عميقة فى احد جبال تقلى كانوا يسمعون لها دويا عظيما فيهرعون الى تلك المغارة ويسألون (حميدة أم كا ابيض) عن حوادث المستقبل. وهناك يسمعون صوتا يخاطبهم بوضوح تام عن الحوادث الآتيه . وعن افعال الملك ومايطرأ فى عهده من رخاء وغلاء وبلاء وحرب أو سلام وكيف ينتهى ملكه بموت عادى أو خلع وغير ذلك مما سيحدث بلا زيادة أو نقص . هـذا وما كاد آدم أم دبالو يسمع حديث شيخة عبد الدين بن خيرات حتى ذهب الى جدته الأرتيه صباح وأوحى اليها بغرضه . وهذه قالت له انتظر قليلا ريثما أعرض على الارابيب [1] والملوك الذين ذهبوا الى سؤال حميده أم كا أبيض لاخذ رأيها فى الولاية والعزل . ومن ثم عادوا الى جبل توملى الذى يتوج به الملوك وهو ككنيسة اكسوم لدى أمبراطورة الحبشة. وكانت دار الأرتيه بهذا الجبل وهنالك أجلس آدم أم دبالو على كرسى الملك [illegible] كما فعل [illegible] ملوك أهل التمدين. وشرع ملوك الجبال يحلقون شعر رأسه كل رجل منهم يجر الموس مرة

---

(١) الأرابيب جمع أرباب أى امير يطلق هذا اللقب على اخوة الملك وأولاده.

واحدة حتى اشتركوا جميعهم فى حلق رأس الملك الجديد . وذلك بمثابة الاعتراف بالملك وكالبيعة ، ووضع على رأسه تاج من الذهب . ومن ثم ضرب النحاس ونادى سكان الجبال بخلع الملك ناصر وولاية الملك آدم أم دبالو وتقدم نحو ٤٠٠٠ فارس يرتدون الدروع والخوذ لحماية الملك الجديد وطرد الملك المخلوع ومحاربته ان تردد فى الاذعان للاوامر الصادرة له

ومن المدهش لقد احكمت تلك المؤآمرة فى طي الخفاء ولم يدر بها الملك ناصر حتى نودى بخلعه وأعصوصبت القبائل حول الملك آدم عمر المكنى بأم دبالو . ولما أصبح ناصر أمام الأمر الواقع وايس فى وسعه كبح جماح تلك الجائحة العظيمة . خرج من داره فى ٦٠ فارسا من أولاده وحفدته الذين كان أشهرهم

١ الارباب المؤمن
٢ « المقص
٣ « عشر
٤ « ادريس المحينه [١]
٥ « أبكر
٦ « جيلى
٧ « شطة
٨ « الخيرى [٢]
٩ « حبيب
١٠ « خريف

وكان هؤلاء يحيطون بوالدهم إحاطة الهالة بالقمر . مصاطين سيوفهم يردون هجمات فرسان نقلى الذين كانوا بالأمس يظهرون لهم الولاء والاخلاص . فرحم الله الصولى حيث قال

وكنت أخى باخاء الزمان ... فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اذم اليك الزمان ... فأصبحت منك أذم الزمانا

(١) سمى باسم المحينه ملك الجومية تيامنا بشجاعته.
(٢) سمى هذا تفاءلا باسم الخيرى الدنقلاوى الذى كان تاجراً بسيطاً وبعد يسير من الزمن تطور تطوراً مدهشاً حيث أصبح قائداً عظيماً اخضع قبائل الفلك وتنازل عن مديرية أعالى النيل لحكومة مصر ودوخ كثيراً من جبال النوبة كما تراه فى مكانه من هذا المؤلف

وكنت أعـــدك للنـــائبـــات   فهـا أنا أطلب منـك الأمانا

ولما اشتدت وطأة غارات فرسان تقلي وزعجت نساء الملك ناصر وبناته خشى الملك ناصر بانه ربما فررن بالغابات . وإذا حاول مطاردتهن وجمعهن . كان ذلك سبيلا الى وصمته بعار الفرار . فأمر بوضع النساء في الاغلال فقرنت كل إمرأتين في قيد واحد وسار بهن سيراً بطيئا محفوفا بالمخاطر حتى وصل كاكا التجارية في شمال النيل الأبيض جنوب الخرطوم تبعد عنها ٦٥٩ كيلو مترا . وهناك ارتد العدو عنه وواصل سيره الى الخرطوم ولما أبرق عنه لسمو اسماعيل باشا خديوي مصر دعاه الى القاهرة وبالغ في الحفاوة به . ثم اذن له بالعودة الى الخرطوم وأمر حكمدار السودان بأن يقطعه أرضا ذات مساحة واسعة ليقيم ويزرع بها . فاعطى الارض الواقعة في جنوب بلدة معتوق شيدبها قرية اسماها «القميرضو» حيث اقام بها الى ان توفى الى رحمة مولاه وقبره ظاهر هناك ولم تزل ذريته موجودة بذلك المكان الذى أصبح وطنها الدائم

غـــزو المـــؤمن

كان المؤمن أكبر أولاد الملك ناصر جريئا لايبالى بالحياة . وانه رأى ضرورة غزو تقلى وثل عرش الملك آدم واعادة الملك الى أبيه وهيهات . فان مظالم والده كانت حجر عثرة فى سبيل تلك المحاولات الجبارة

قام المؤمن بجيش لايتجاوز ١٠٠٠ فارس من أخلاط العرب والسقارنجه صنائع الملك ناصر الذين لحقوا به بعد استقراره فى الجزيرة . وقد سارت تلك القوة وهى فى غاية الحماس الى جبال تقلى إلا أنها وجدت من تضافر ملوك الجبال على تأييد الملك آدم ماثنا عزمها وعادت بخفى حنين . وهناك تمهدت البلاد وأصبح الملك آدم هو الآمر الناهى دون منافس له فى الملك

اعمـال آدم ام دبالو

لقد نهج الملك آدم نهجا قويما مع حكومة مصر . فانه احترم الأهالى وعاملهم بالحسنى وقبل ضريبة الويركو وتولى جبايتها لمديرية كردفان . وساد السلام فى بلاده ولكنه غزا جبل الداير حوالى سنة ١٢٩٧ هـ : ١٨٨٠ م فنزل النوبه لحربه وكانوا يتألفون من

نحو ٢٥٠٠ مقاتل بقيادة الملك الضو الذى كان جبارا . ولقد حدثت بينهما حرب هائلة عند بلدة سدره فى سفح الجبل من جهة الجنوبى الشرقى . هزم فيها الملك آدم وطارده النوبة الى جبل الدادورى حيث تقيم قبيلة التمام . وغنم الملك الضو مقدارا وافرا من الاسلحة والذخيرة . وكانت هذه أول وآخر حروب آدم أم دبالو

هجـــرته للمهدى ووفاته

فى سنة ١٣٠١ هـ : ١٨٨٤م دعا المهدى الملك آدم أم دبالو فأجاب وسار اليه فى رهط من أبنائه وقاضيه الشرعى حتى قابله بمدينة الرهد فى أثناء زحفه على الخرطوم وبايعه على الجهاد . الا انه أصيب بمرض لم يمهله أكثر من بضعة أيام . وقد توفى على أثره

وكان رحمة الله كريما عادلا يحب العلماء ويكرمهم ويرفع الضرائب والمكوس من رجال الدين . وأصبح الملك فى سلالته الى الملك جيلى ولما توفى كان الملك آدم جيلى الذى عرف بشممه وعزة نفسه مع الانكليز فظل محفوظ الكرامة الى الآن ولقد سنحت لى الفرصة بالاجتماع معه عند إيابى من رشاد فرأيت فيه صفات الملوك بالمعنى الصحيح فسألته عن عادات سكان الجبال فقلت عرضا كيف يكون رقصهم فقال أما الرقص فخير ان تراه بعينك وتكتب ماشئت ثم أرسل شابا الى جبل الودالكه فى ساعة جاء جمع من النساء يحيط بهن جمع من الشبان يحملون البنادق يطلقونها فى الافق وأخذوا فى الرقص من الساعة ٧ مساء الى الساعة الثانية صباحا وهم يطلقون النار أما النساء فكن فى رشاقة وحركات مغرية .

—(مهدى السودان)—

ألف الدكتور أحمد أمين بك كتابا اسماه المهدية والمهدوية. به بحث طريف عن الذين ادعوا المهدية فى العالم إلا أنه لا يهمنا الكلام هنا عن غير مهدى السودان. نعم انه شريف حسنى أما أمه فعباسية وليس ذلك من قبيل الدعوة فالناس مصدقون فى انسابهم فلم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فلانا من أبنائى وانما كل منهم يقول أنا فلان ابن فلان. هذا وكان تعليمه تعليما دينيا وتطرق بالسمانيه واشتهر بزهده ونسكه وقد دلت التجارب على أنه خطيب وكاتب قوى الحجة.

قال فى الصحيفة ٨٠ حتى اعتقد أنه المهدى المنتظر الذى سيملأ الأرض عدلا وصلاحا وقوى هذه العقيدة فى نفسه صديقه عبد الله وهو المعروف بالتعايشى الذى أصبح خليفة من بعده. وأصله من دنقلا. كلا فان الخليفه أصله من الجنوب الغربى لدارفور. ولم ير دنقلا فى حياته أما قوله اعتقد انه المهدى الى قوله وقوى هذه العقيدة فى نفسه صديقه عبد الله .. الخ فباطل والصحيح انه قال اخبرنى سيد الوجود أى النبى صلى الله عليه وسلم ورؤيته فى المنام واليقظة جائزة. ثم قال عن سبب دعوة المهدية فرض الضرائب الظالمة والمعاملة القاسية وماكان من اعلان الحكومة المصرية عزمها على الغاء الرقيق ..الخ فما كان إلغاء الرقيق من عوامل الثوره ولم يأتى ذكر الرق فى منشورات المهدى لأن غرضه توحيد الصفوف والزهد فى هذه الحياة الفانيه. وفات الدكتور أحمد أمين أن من أهم الأسباب أنه طالب الحكومة بترك الضرائب والاستغناء عنها بالزكاة والغاء القوانين الوضعية والعمل بالكتاب والسنة ولما أبى محمد رؤوف باشا أفتى المهدى بكفره محتجا بقوله تعالى «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون» ثم قال فى انذاره ليوسف باشا الشلالى «قد قال القطب الدرديرى على ان امراء مصر يحاربون لأخذ أموال المسلمين منهم قهرا فيجوز قتلهم كما قال تعالى «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض... الخ». أما رؤوف باشا فارسل عليه ٨٠٠ جندى يقود كل ٢٠٠ ضابط برتبة الصاغ وكانت القيادة العامة لابراهيم افندى صهر رؤف باشا سارت تلك الحملة على باخرة دون ان يعلمها شخص حتى ألقت مراسيها فى شجرة موجودة حتى الآن فنزل الجنود بالشاطئ فشعر بهم المهدى وانصاره الذين كانوا نحو ٣٠٠ مقاتل فارسل المهدى فارسا يفهمهم بغرضه الذى يتلخص فى الاكتفاء بالزكاة عن

تلك الضرائب الجائرة والعمل بالكتاب والسنة. فما كان من الصائغ ابراهيم افندى إلا انه أمر جنديا من الرماة باطلاق النار على فارس المهدية فصرعه على مرأى من المهدى الذى اصلت سيفه وكبر ثلاثا وقال اقتلوهم فهجم الانصار على الحملة المصرية فى أقل من ساعة قتل الصائغ واكثر الجنود وجرح الوكيل افندى مأمور الكوة أما بقية الجنود فعادوا الى الخرطوم وهم فى ذعر شديد. أما المهدى فأمر باخلاء جزيرة أبا قبل أن تدركه حملة أخرى[1] وفعلا قام بعد خسارة ١٢ قتيلا تسعة منهم دفنو فى أبا[2] وثلاثة دفنوا بالشاطىء الغربى ماتوا متأثرين من الجروح وجرح المهدى فى كتفه. وفى اليوم التالى جاءت باخرة بها اورطة بقيادة القائمقام على بك لطفى الذى وجد الجزيرة خاوية على عروشها إلا أن شيخ بلدة المرابيع قابله يطلب الأمان فقبض عليه وتركه مصلوبا على شجرة وعادت الباخرة. أما قوله فأمر رؤوف باشا جنوده باطلاق النار على المهديين وكان ذلك نهارا الى قوله فأمر المهدى أصحابه بالسكوت وان يكمنوا فى الادغال حتى يجىء الليل . . . الخ وقوله فهجموا على الجنود المصريين وافنوهم واستولوا على ذخائرهم وقتلوهم بسلاحهم. كل ذلك غير الواقع. كان رؤوف باشا بالخرطوم والمهدى بأبا فلم يأمر رؤوف ولا كمن جيش المهدى بالادغال. بل وصلت الباخرة حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. فرغ المهدى من محاربتها حتى صلى الصبح. وقوله حاربهم المهدى بسلاحهم باطل. فالمهدى هزم هذه الحملة وهزم حملة القائمقام راشد بك ايمن مدير فشوده وفتك بحملة يوسف حسن الشلالى باشا ولم يأخذ بندقية واحدة من خط النار حتى واقعة الجمعة بالأبيض فصعد العساكر بالسطوح وصاروا يطلقون الرصاص على الانصار الذين عجزوا عن مقاومة من بالسطوح فارسل المهدى جماعة لجمع الاسلحة والجبخانة بجبل قدير واحضارها له وأمر بتعليم انصاره استعمال الاسلحة النارية وعين حمدان أبا عنجه اميرا لحملة الاسلحة النارية التى حورب بها الجنرال هكس فى واقعة شيكان. وقال عن حملة يوسف باشا: وكان من العادات المتبعة فى السودان أن يحاط الجند ليلا بأسياج شائكة فلم يفعلوا ذلك هذه المرة فأتاهم ليلا بجنوده وأبادهم. كلا ثم كلا فانهم تحصنوا بزريبة من الشوك وقد

---

(١) بينما كان أحد الانصار مع ابنه يحاوران ابقاره اذ قبض عليه تمساح وله شقيقان فى مركب فنزل كلاهما ومعه وقفزا بالنيل لتخليص اخيهما من بين فكى التمساح وأخذ الرجلان فى طعن التمساح حتى استطاعا تخليص اخيهما من التمساح وقد اعجب المهدى ورجاله بتلك الشجاعة الدالة على انه سواء فى نظرهم الانسان والحيوان

(٢) شيد السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا عليهم مسجدا فلما دعانى لالقى محاضرة الاحتفال عن تاريخ المهدية بذلك بنفسه فاجابة لأمره ذهبت وحاضرت فى جمع يقدر بـ ٣٠ الفا من انصار المهدية.

الامام السيد محمد احمد المهدى الذى بهر العالم بظفرته التى غيرت ألوان خريطة أفريقيا ، ولولا وفاته لجرى شوطا بعيداً ولغاب عن مسارح النظار رغما عن أعدائه الذين كأنما عناهم الشاعر بقوله

هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها
أوتدفعون مقالة عن ربكم ... جبريل بلغها النبى فقالها

ماجمهم المهدى بعد صلاة الصبح وانهم دافعوا دفاعا باسلا حتى ردوا هجوم المهديه وقتل أبو هدايه عم المهدى وكذا قتل السيد حامد شقيق المهدى وكان احمد ود سليمان أمين بيت المال قابضا على سرع لجام حصان المهدى فقال له يامولاى الانصار هلكوا بالرصاص والعطش وكان من القتلى عمك أبو هدايه وأخوك السيد حامد فارجع بنا لكى نشرب الماء ونكر على الاعداء فى وقت آخر فصفعه الخليفه محمد شريف واطلق يده من سرع حصان المهدى وقال له لاتسمع لكلام هذا المرجف فاهجم بنا أما ننتصر أو نموت فنحظى بفضل الشهاده فقال له المهدى بارك الله فيك . ثم أصلت سيفه وكبر ثلاثا وأمر بالهجوم فخاض الانصار الشوك واختلطوا بالعساكر فى أقل من ساعة قتل يوسف حسن الشلالى باشا والقائمقام محمد بك سليمان وطه أغا ابو سدر وعبد الله ود رفع الله ومصطفى تيها والسلطان جبر الدار وما كاد يذاع خبر انتصار المهدى حتى مدحه الشعراء وهاجر الناس الية فبلغ جيشه ٢٠٠٠٠ مقاتل.

أما منع المهدى للحج فلكى لايختلط الحجاج بجواسيس مصر وانكلترا . قال فى سنة ١٨٩٦ قضى اللورد كتشنر وكان سردارا لمصر على امبراطورية المهدى فمنذا التاريخ تحركت فيه جنود مصر من حلفا ولم يكن القضاء عليها الا فى نوفمبر سنة ١٨٩٩م أما قوله انقلب مترفا فالمهدى ازهد من ابن أدهم وذلك مما لاينكره الا من يرى لافرق بين الضدين والواحد أكثر من الاثنين فالكلام هنا مقتضب ويتعارض مع الواقع ويفتقر الى تمحيص وبيان ولما كان غير ميسور أن نأتى به ضمن حوادث شتى وأمور متعددة فلنكتفى بجملة واحدة قال عنها وارسلت الحكومة له أى للمهدى عشرة آلاف جندى بقيادة الجنرال هكس والصحيح كان القائد سليمان نيازى باشا وهكس رئيس أركان حرب له .

اللواء سليمان نيازى باشا

اختار سمو محمد توفيق باشا لقيادة الحملة العسكرية اللواء سليمان نيازى باشا الذى كان من صفوة ضباط الجيش المصرى وانتخب له عشرة ضباط أفرنج برياسة الجنرال هكس باشا الذى كان ضابطا حاذقا . إستدعاه سمو توفيق باشا خديوى مصر ليكون رئيسا لأركان حرب الحملة العسكرية التى أعدها لحرب المهدى بكردفان . وقد دعى جماعة من الضباط الاجانب للخدمة فى تلك الحملة واليك بيان أسمائهم : —

(١) الجنرال هكس **Hicks** انكليزى من الهند منح رتبة اللواء

(٢) الكولونيل دكتلوكن **Ductlokine** نمسوى من فينا منح رتبة الميرالاى

(٣) « جون كولبورن **John Clborn** انكليزى « «

(٤) الميجر مارتن **Martin** انكليزى منح رتبة القائمقام

(٥) الميجر فارقوار **Farquar** انكليزى منح رتبة القائمقام
خدم هذا ثمانى سنين فى جنوب أفريقيا قبل استدعائه لهذه الحملة

(٦) الكبتن ماسى **Massey** انكليزى طوبجى جاء الى دنقلا ومنها للخرطوم بحرا منح رتبة البكباشى

(٧) الكبتن وارنر **Warner** انكليزى منح رتبه البكباشى

(٨) الكبتن ولكر **Walker** انكليزى « « «

(٩) الكبتن إيفنس **Evans** انكليزى مترجم لانه كان مستشرقا

(١٠) الدكتور روسو بيرج[1] **Roesberg** جرمانى طبيب الحملة منح رتبة البكباشى

(١١) السرجنت بريدى **Brady** انكليزى خادم الجنرال هكس باشا

وكان قائد هذه الحملة اللواء سليمان نيازى باشا كما اسلفنا

وفى يوم ٦ فبراير سنة ١٨٨٣م الموافق سنة ١٣٠٠ه تشرف هؤلاء الضباط بمقابلة سمو محمد توفيق باشا خديوى مصر. وانه اظهر لهم مزيد إبتهاجه لقبولهم شرف الانتساب الى جيشه العظيم مع اطيب التمنيات. وبعد هنية تبودلت فيها عبارات المجاملة أذن لهم فى الانصراف للتأهب الى السفر. فخرجوا شاكرين. وكان يومئذ أول يوم ارتدوا فيه الملابس العسكرية المصرية مع الطرابيش القصيرة ذات اللون الأحمر القانى وساروا اذ ذاك للانضمام الى القوة المصرية التى كانت تتألف من الفرق الآتية وجميعها

—﴿ الجنرال هكس وضباط أركان حرب ﴾—

(١) بيرج معنى جبل، وروسو معنى وردة أى (جبل الوردة)

من جيش السيد أحمد عرابي باشا.

٢٤٠٠	جندى الآلاى الأول بقيادة الميرالاى سليم بك عونى
٢٥٠٠	« « « الثانى بقيادة الميرالاى السيد بك عبد القادر
٢٦٠٠	« « « الثالث بقيادة اللواء ابراهيم باشا حيدر
٣٠٠٠	« « « الرابع بقيادة الميرالاى رجب بك صديق
٢٤٠٠	« الفرسان والطوبجية بقيادة الميرالاى عباس بك وهبى
١٢٩٠٠	اليكون

تحركت هذه الحملة من القاهرة فى يوم ٧ فبراير سنة ١٨٨٣ ميممة السودان عن طريق السويس. وقد رافقها القائمقام حمدى بك الذى كان ياورا لسمو الخديوى. وكان الازدحام بالمحطة بالغا أقصى درجاته من كبار الوزراء والذوات المودعين لذلك الجيش العرمرم الذى دفعته يد السياسة المصرية بسخاء الى احضان الخطر. عملا بوحى الاجانب الذين كان نفوذهم غضا جديدا فى مصر. وكان ضمن المودعين اذ ذاك لفيفا من الاجانب الذين منهم الجنرال بيكر وشقيقة صمويل بيكر. ولما وصلت الحملة الى سواكن وجدت المحافظ أعد لها الجمال اللازمة لسفرها برا الى بربر. وما كان الانكليز يعرفون الجمال فأذاع الكولونيل كولبورن سلسلة رسائل فى الصحف الانكليزية كانت منها رسالة بعنوان « سفينة الصحراء » وصف بها الجمل وصفا بليغا. هذا ولما بلغت الحملة الى مدينة بربر استلم الجنرال هكس باشا كتابا من الكولونيل استيوارت وكيل حكمدارية السودان يستعجل قدوم الحملة وقال بسقوط مدينة الابيض بعد ان فتك المهدى بنحو ٧٠٠٠ جندى من حاميتها وغنم ١٠٠٠٠ بندقية رامنجتون. وختم كتابه بقوله ونحن مسرورون لان المهدى رفض المحاربة بالبنادق بحجة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحارب بها. وعول على السيف، وقد وقعت تلك العبارة وقعا حسنا من نفوس الضباط والعساكر لأنه لا يعقل ان يقف حملة السيوف والرماح أمام تلك الجنود المسلحة ببنادق الرامنجتون والمدافع الضخمة من معامل كروب وأخرى حديثة من طراز «نوردن فلت **Nordenfeld**». وقد فاتهم ان وراء الاكمة ماوراءها. ومن ثم سارت الحملة بحرا من بربر الى الخرطوم التى بلغتها فى ٧ مارس سنة ١٨٨٣، فعسكرت جنودها بأم درمان. وكلف الميرالاى

رجب أبك صديق ببناء طابيه لبقاء الجنود المصرية بها . وقد شيدها على قونلوكن النمسوى كان لها أثرها فى حماية العاصمة أخيراً

اليه كما ذكرنا

واعيد

المنــــاورات

الجنرال هـــكس بعد ان تولى القيادة العامة بأم درمان

دعا الجنرال هكس سكان الخرطوم الى شهود مناورات واسعة النطاق أجريت بأم درمان وقد أبدى الجيش المصرى فيهما رشاقة وحنـــكة جديرتان بالاعجاب ماعدا

الطوبجية فانهم عجزوا عن استعمال المدافع الحديثه طرز نوردنفلت Nordenfeld ، لانها أحضرت من استراليا. وكلف البكباشي ولكر بتمرين الجنود المصريه عليها فى بضعه أيام بالقاهرة . وقبل الانتهاء من التمرين اصدر الأمر بسفر الطوبجيه الى الخرطوم ثم بعد وصولهم مباشرة اشتركوا فى تلك المناورات التى عملوا فيها . ورغما عن ذلك فالجنرال هكس امتعض وقال للبكباشي ولكر « لم أر فى حياتى نظاما ركيكا كما شهدته فى المدفعية إدارتكم » ثم أصدر أمرا للبكباشي وطوبجيته بالتمرين لمدة ثلاثة أيام متوالية بدون راحة إلا فى وقت الأكل والشراب فمن ذلك الاجهاد. قد أصيب البكباشي ولكر بضربة شمس لازم من أجلها فراش الاسبتاليه بالخرطوم . حتى كان ذلك سببا من تأخيره عن الحملة ونجاته. ولكن كان ذلك لأجل محدود لأنه بعد ان نجا من هذه الحق بحامية سواكن وقتل بواقعة التيب التى حدثت بين جيوش الحكومتين المصرية والانكليزية من ناحية وعثمان دقنه من ناحية أخرى . وفى ابريل سنة ١٨٨٣ سار قسم من جنود هذه الحملة لمحاربة بعض دعاة الثورة فى المربيع وقد فاز بالنصر عليهم فى ٢٩ منه كما ذكرنا ذلك فى ترجمة سليمان نيازى باشا وبعد عودته طلب هكس باشا ان يناط به القيادة العامة أو قبول استقالته . ولقد وافقت وزارة الجهاديه على طلبه وعين سليمان نيازى باشا حكمدارا لشرق السودان . وهناك ضمت بعض الأورط المصرية وأرادى الباشبزق الى هكس وقام علاء الدين باشا حكمدار السودان قومندانا ثانيا لها وتضخم جيش الحملة وضمن الناس له الفوز حتى تطوع به كثير من الموظفين والأعيان . فأصبح نظامه كالآتى .

١ الجنرال هكس باشا قائداً عاما

٢ علاء الدين باشا نائبا للقائد

٣ سليم عونى بك قومندانا الآلاى الأول

٤ السيد عبد القادر بك « « الثانى

٥ حسين فهمى بك « « الثالث

٦ رجب صديق بك « « الرابع

٧ عبد العزيز بك ويحيى بك كامل وخير الدين بك هؤلاء ضباط السوارى الباشبزق

هيئة الاركان الحرب بعد ان تأخر عنها أثنان هما الكولونيل دكتلوكن المسمى أميرالاى لينوب عن علاء الدين باشا بالحكمدارية والبكباشى واسكر بالاسبتاليه كاذكرنا

١ الميرالاى الشريف جون كوابورن. إلا أن هذا أصيب بالحمى الملاريا وأعيد من جهات تندلتى لمعالجته باسبتاليه الخرطوم . وكان ذلك سببا فى نجاته فأعيد الى الهند ورقى هناك الى رتبة جنرال . وله مؤلف باللغه الانكليزية . أحضره لى حفيده المستر مكريل مفتش كتم فى ١٩٣٢ وترجم لى بعض نصوله التى كانت خاصة بأخبار هذه الحملة

٢ القائمقام مارتن بك

٣ فارقوار بك

٤ البكباشى ماسى

٥ « وارنر

٦ « إيفس مترجم

٧ « دوسو بيرج طبيب المانى

٨ الصرجنت بريدى

أما الموظفون والأعيان الذين تطوعوا فى تلك الحملة وذهبوا بذهابها فهم

١ حمدى بك الذى كان ياورا لسمو الخديوى محمد توفيق باشا

٢ قناوى بك أبو عمورى الذى كان صاحب كبانيه مشهورة فى بحر الغزال

٣ بساطى بك المحسن مدير سنار سابقا ومأمور المالية حاليا

٤ محمود أحمدانى بك « مدير الخرطوم »

٥ حمد التاب بك رئيس مجلس الاستئناف

٦ عبد الرحمن بانقا بك من كبار التجار

٧ الدكتور جورجى بك الحكيم طبيب الاسبتاليه بالخرطوم

٨ مخائيل أفندى ناصيف مترجم الحملة

٩ الشيخ على كرم الله ناظر قسم الخرطوم

١٠ محمد أفندى عمر حمدتو معاون بالحكمداريه

١١ اليوزباشى حسين أفندى رمضان

١٢ مكاتب حربى جريدة التمس

١٣ « « « « الدايلى نيوز

١٤ « « « « الفرافيك

اختيـــار الطـــرق

ان الطرق المؤدية الى الابيض طريقان كان أحدهما طريق بارا وطوله ١٧٦ ميلا إلا انه يمر فى صحراء قاحلة لا ماء ولا كلاء. والثانى طريق الماق وطوله ٢٦١ ميلا ولكنه كثير الماء والكلاء. فقال هكس الاوفق ان تسير الحملة فى الأول وذهب علاء الدين باشا الى غير هذا الرأى وأجمع الضباط على رأى علاء الدين باشا. وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ غادرت الحملة مدينة الدويم بعد ان تركت بها ٢٠٠ جندى لحماية شط الرجمة. وكان من رأى هكس أن تترك مثل تلك القوة الصغيرة فى كل محطة إلا ان عارضة الضبـــاط المصريون بحجة ان الثورة أصبحت متأصله فى نفوس الاهالى ووجود تلك الحاميات الصغيرة المبعثرة بينهم يجعلها غير قادرة على حماية نفسها فضلا عن حماية غيرها فرجع هكس باشا عن تنفيذ فكرته وسار الجيش كتله واحدة

هذا ما كان من أمر ضباط الحملة . أما المهدى فانه كان يقظا مراقبا لحركات الاعداء فى كل لحظة . وما كاد يعلم قيام الجنود المصريه من الدويم حتى انتدب ٣٠٠٠ فارس بامرة محمد عثمان أبى قرجه وشيخ فضلو أحمد وعبد الحليم مساعد وعمر الياس باشا أم برير وأمرهم بلقاء الحملة فى أثناء سيرها والتضييق عليها بالمناوشات وعدم الدخول معها فى حرب فاصلة حتى تصل اليه . وذلك بعد ان نشر أمامها ١٥٠٠ نسخة من المنشور الآتى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعـــد فان

عبد ربه محمد المهدى بن عبد الله . الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل . فانه لايخفى على ذى عقل ان الأمر بيد الله . لايشاركه فى ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ . ولا عصمة لأحد إلا من عصمه الله تعالى . فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد . لاتفتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التى تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله . فان لاقوة لشىء دون الله[1] وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة. فاعلموا ان الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قوة الله . فاذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم . فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عز وجل . وقالوا يا الهنا ومولانا . ان المهدى قتلنا من غير انذار فأقول أنذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . وقال لهم الامام المهدى انذركم فلم تسمعوا له . وسمعتم قول علمائكم فدنبكم عليكم . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى إذ جاءكم بل كنتم مجرمين . فان كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة . وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا الينا مسلمين . ومن سلم يسلم . وان أبيتم إلا الجحود والاغترار بالمدافع والبارود . فأنتم مقتولون كما أخبر سيد الوجود . وأسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام ؟ وما كاد هكس يعلم بهذا المنشور حتى صادره وأحرق نسخه لكى لايحدث بين اتباعه أمراً .

وقد وصل الثلاثة آلاف فارس بقيادة أق قرجه وأخذوا يناوشون الحملة ليلا ونهارا حتى أصبح الجنود لاينامون طول مسافة الطريق. وقد بلغ الجهد منهم مبلغا عظيما وأنكى من ذلك ما حدث لدواب الحملة من الجوع والظمأ إذ أنها إذا تركت وشأنها فى الغابات لأجل المرعى يتخطفها فرسان المهدية فصارت الجمال تسقط بأحمالها على الارض فتضطر الحملة الى الوقوف حتى يرفع الجمل ويؤخذ حمله ثم يفرق على الجمال الأخرى وتدرج الجمال التى اضناها الجهد فتسير سيرا بطيئا ولايجرأ الجنود الى الاسراع وتركها وراءهم لكى لاتقع فى قبضة العدو الذى كان يتربص بهم ويقلقهم بغاراته المتواترة. وأصبح من المتعذر استبدال تلك الجمال بغيرها لأن البدو فى كردفان كانوا وقتئذ من أقوى دعائم الثورة .

---

(١) قال الجنرال هكس عند مناورته فى أم درمان لو نزلت السماء انا ارفعها بالسنيج وان قامت الارض انبتها بالجزم فغضب المهدى لهذه الدعوة التى لم يراع فيها القدرة الالهية.
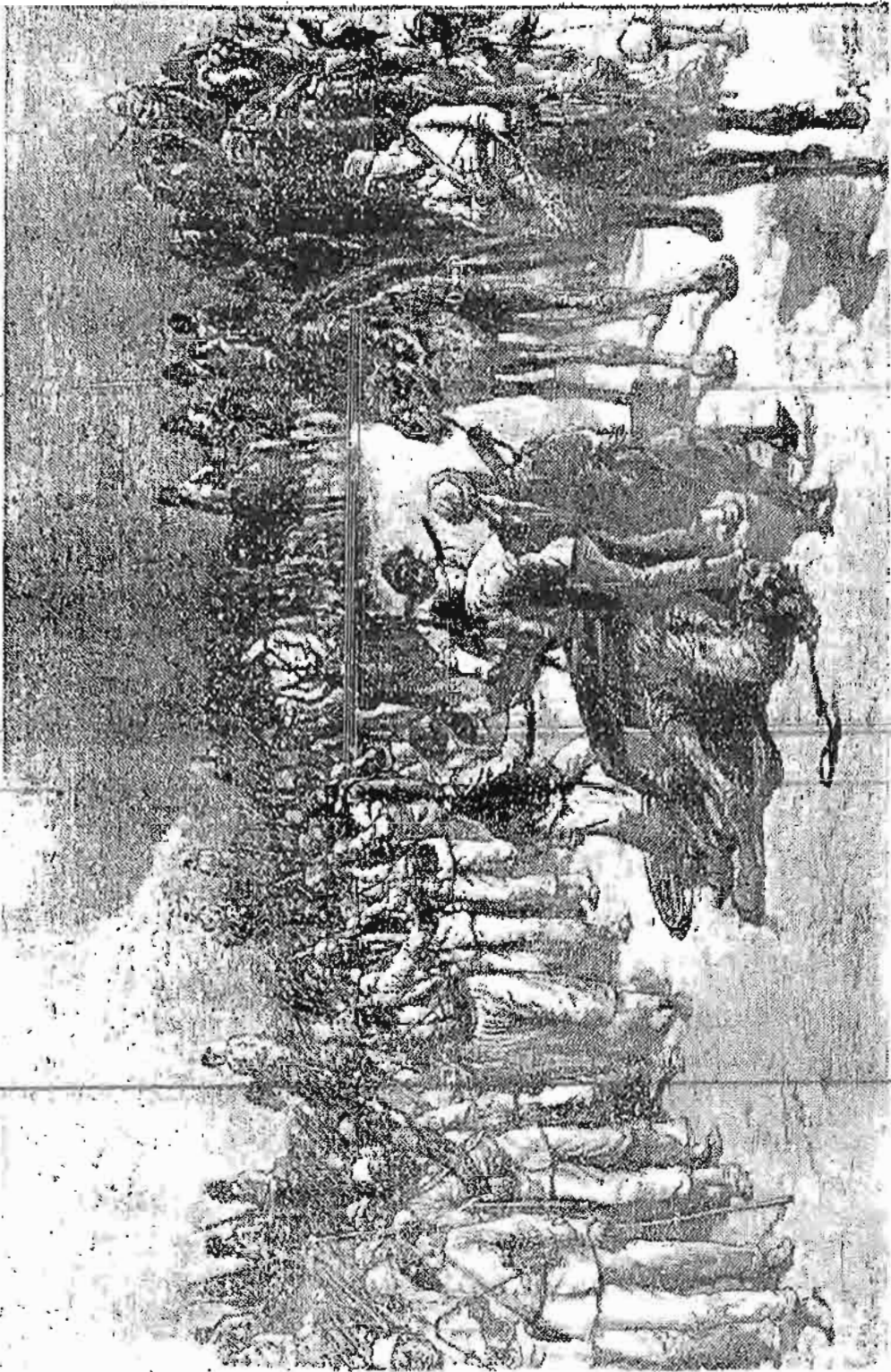
صورة تبطل جمل سقط على الارض فجىء بجمل آخر ليحمل عليه رحل الاول والجنود تقف حوله حتى لا يأخذ العدو ما فى الرحل

واقعة شيكان

لما علم المهدى بقرب الحملة المصرية فى يوم الخميس أول نوفمبر سنة ١٨٨٣ خطب فى جنوده خطابا حماسيا ثم أمر بالتأهب للقائها بعيدا عن العائلات والاطفال . وذلك بعد

ان استخلف على الابيض السيد عبد الصمد حاج شرفى والسيد داود وخرج فى نحو ٥٠ الف مقاتلا . كان منهم الفرسان نحو ٢٥ ./. أو ٣٠ ./. من حملة البنادق طراز رامنجتون وما بقىَ مسلحين بالرماح والسيوف . وقد سارت تلك الجيوش الى منهل فرتنقول وكان هذا قليل الماء الى درجة لايكاد يكفى لشرب قافلة تتألف من ٢٠ رجلا . فغاض الماء به فى ذلك اليوم حتى اروى ذلك الجيش العرمرم فاعتبرها الناس كرامة للمهدى ولا غرابة فلله در القائل :ـــ

وانبت الأوليا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

وقد بلغ المهدى هناك أن الجنرال هكس يسرع بحملته بقصد الوصول لمنهل البركه
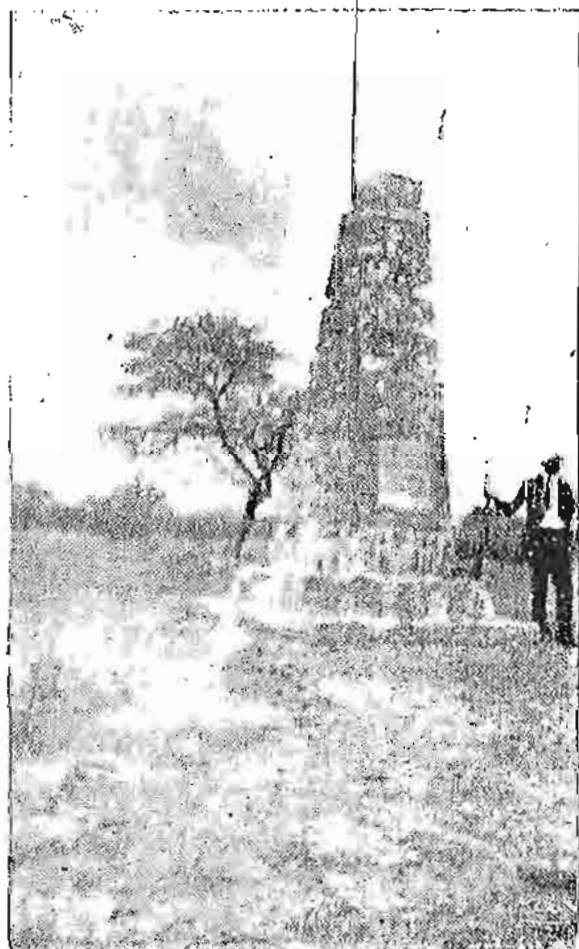
صورة المؤلف بملابس الرحلة عند عودته من دارفور ووصوله الى شيكان محل الواقعة وبها فطر يوما من رمضان فى جوار النصب التذكارى الذى أقامه الانجليز وترى به لوحة من حديد مكتوب عليها بالانجليزية (هنا قتل الجنرال غردون باشا)

قبل وصوله اليه. فانتدب السيد محمود عبد القادر وضياء الدين عبد الله رئس النواب [١] لان يسيرا مع بعض المقاتلة من اتباعهما لاحتلال منهل البركة. فاذعن هؤلاء وجدوا في سيرهم الى أن بلغوا المنهل قبل وصول العدو اليه في يوم الجمعة ٢ نوفمبر. وقام المهدى في يوم السبت ٣ نوفمبر مع كافة جيوشه من منهل فرتنقول الى البركه. ولما بلغ الجنرال هكس باشا احتلال المهدى لمنهل البركه بعث بعض الطلائع للاستكشاف فعادوا واخبروه بحقيقة الأمر. فدعا الضباط واقترح عليهم السير بطريق الملبس التى تمر بشيكان [٢] وفى يوم السبت ٣ نوفمبر غادرت الحملة قرية علوبه وبعد أن قطعت ١٠ أميال حطت رحالها. ثم زربت زريبة من الشوك متينة حول المعسكر وبات الجنود تلك الليلة تتجاذبهم عوامل اليأس والرجاء.

أما المهدى فانه فهم من الشيخ ابراهيم ود الحاج المشهور « بابراهيم الترجاوى » [٣] ومعه جماعة. قالوا له « ياسيدى يقول الناس. إن الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستأصلوا من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر وذاع فى الجيش وأرجف المرجفون به فلنرجع الى الأبيض قبل وصولهم اليها ». فالتفت المهدى وقال لمن حوله. أيها الناس أنصتوا. ثم بصق فى كفه اليسرى. وقال أى شىء هذا. قالوا. بصاق ياسيدى. ثم طرحه على الأرض فشربته فى الحال. فقال. هل ترون لهذا البصاق أثراً. فقالوا له لا. فقال. نحن كالأرض والترك كالبصاق. ثم قال إذا طار طائر فأين ينزل فقالوا له على الأرض. فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالأرض. أيها الناس أثبتوا واطمأنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لاقدرة لهم مع قدرة الله. ثم أردف ذلك بقوله. غدا يوم الأحد نتوجه اليهم. وفى صبيحة الاثنين بعد أن نأمركم بمحاربتهم إذا تأخر أحدكم لاصلاح نعله لم يدركهم احياء. ثم دعا المهدى جميع الفرسان وحملة الاسلحة النارية وامرهم بانجاد الفرسان المحاصرين للحملة فى أثناء سيرها. وكان

---

(١) النواب فريق من العلماء كانوا ينوبون عن المهدى فى بالمشكلات المتعلقة بحقوق بيت المال.

(٢) شيكان تقع فى الجنوب الشرقى من مدينة الابيض وتبعد عنها ٣٠ ميلا. ولقد أقام الانكليز نصبا تذكاريا بها. وهو عبارة عن مسلة مستطيلة سطرت عليها تاريخ تلك المعركة باللغة الانكليزية صونا لزمان ومكان الحادثة.

(٣) الترجاوى نسبة قبيلة ترجم من عرب دارفور. كان هذا عالما تقلب فى كثير من مناصب القضاء الشرعى فى عهد المهدية. وتوفى الى رحمة مولاه حوالى سنة ١٩٣١.

شجرة من الاشجار التى استراح المهدى بها بعد الحرب

من اليمين الى الشمال حضرات حسن أفندى دسوقى بالاشمال ومحمد افندى زكى مفتش شركة سنجر الذى تطوع لأخذ صور الرحلة بمدينة الابيض وضاحيتها والمؤلف وأحمد أفندى مكى الموظف بشركة جلاتلى هنكى وهو الذى تبرع بمصاريف الرحلة من جيبه الخاص خدمة لتاريخ الأمة جزاهم الله عنى وعن الأمة خير الجزاء .

ذلك فى مساء السبت . فوصل أولئك الفرسان (والبندافه) فى صبيحة الأحد ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالحملة إحاطة السوار بالمعصم فانضموا اليهم وساعدوهم فى مهمتهم الشاقة ولسان حالهم يقول «الموت لايكون إلا مرة . والموت خير من حياة مرة»

أما المهدى فانه قوض خيامه وزحف بكل جيوشه من منهل البركة فى ٤ نوفمبر ونزل فى منهل أم مصارين التى هى كنية لشيكان . فقال أحد الأنصار للمهدى . ياسيدى هذا المحل يدعى بمنهل أم مصارين . فأجابه المهدى بقوله . ان مصارين الترك تصب فيه .

هذا ما كان فى أمر المهدى وانصاره أما الجنرال هكس فانه خرج من زريبته التى

كان مستحكما بها وسار قاصداً شيكان وما كان يعلم شيئا من احتلال جيوش المهدى لها
وكانت آلايات الحملة المصرية تسير بهيئة مربع كانت فى وسطه دواب الحملة والخدم
وتسير المدافع فى الزوايا . وما كادت تتقدم ساعة واحدة حتى تحداها الأمير حمدان
أبو عنجه والجهاديه من الامام فاضطرت الحملة الى الوقوف وهناك باغتها فرسان
المهدية بهجوم عنيف أحدثوا به فرجة فى المؤخرة ولجو المربع منها ثم أخذوا بعض
الجمال بأحمالها وكذا اطلق أبو عنجه نيران البنادق من الامام . أما الجنود المصريون
فانهم دافعوا دفاع الابطال حتى ردوا ذلك الهجوم والحقوا بفرسان المهدية خسائر فادحة
كان ضمن الشهداء من الأمراء محمد الحاج خالد وهاشم ود أبو ريالات وفوزى احد كتاب
المهدى [١] ومن الجرحى عبد الحليم مساعد وعبدالله ود النور . أما خسائر الحملة فكانت
عظيمة ومن القتلى الميرألاى رجب بك صديق قائد الآلاى الرابع . ومن غرائب
الشجاعة ان ادريس الخندقاوى كان ضمن الفرسان الهاجمين أخذ مدفعا من بين الطوبجية
وجره الى صفوف المهدية فكنى به فصار لا يعرف إلا اذا قيل عنه أبو مدفع وقد
استشهد فى واقعة عكاشه يوم الجمعة أول مايو سنة ١٨٩٦ .
وقد شيدت الحملة زريبة من الشوك نامت بها تلك الليلة .

الواقعــة الفاصــلة

فى ٥ نوفمــبر سنــة ١٨٨٢

وفى الساعة ٧ من صباح يوم الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٢ خرج الجنرال هكس باشا
من الزريبة بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوى الاضلاع . فى كل زاوية مربع مدفع
وكانت المسافة بين المربعات ٣٠٠ ياردة . وفى وسط كل مربع جمال الحملة التى تحمل
المهمات والجبخانه والمؤن لجنود ذلك المربع . ثم سار الجنرال هكس واركان حربه
وعلاء الدين باشا ومكاتبوا الصحف الافرنكيه ومن ورائهم أربعة مدافع بطوبجيتها فى
مقدمة الحملة . وتلا ذلك المربع الأول وسار من ورائه المربعات الثانى والثالث فكان
أحدهما جناح أيمن والآخر جناح أيسر . وكان الفرسان يحمون المؤخرة والجوانب
المكشوفة من المربعات . وقد سار الجيش على هذا النظام نحو نصف ساعة حتى دخل

(١) كان فوزى موظفا امام الجنرال غردون ولما خرج من داره أقسم اذا رأى الجنرال هكس لا يسبقه عليه أحد مالم يقتل دونه وقد وفى رحمه الله.

واديا مفتوحا وعلى جانبيه غابات كثيفة نصمد انصار المهدية على يمين وشمال الوادى ووسطه وكان أبو قرجه لازال يتبع الحملة بفرسانه من الخلف وبذلك أصبح الجيش مكتنف بالاعداء من الجهات الاربع

الجنرال هكس وانصار المهدية يناشبونه القتال الى أن صرع تحت أقدام الحصان

أما المهدى فانه ما كاد يرى جنود الحملة المصريه حتى ترجل وصلى ركعتين ، ومن ثم أصلت سيفه وهزه فوق رأسه ، وقال الله أكبر ثلاثاً . ونادى بأعلى صوته قائلا احملوا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان أرواحهم مزملة ونيرانهم لا فعل لها وانكم لظافرون عليهم باذن الله ، فصاح الانصار صيحة عظيمة وهجم الفرسان مفوقين رماحهم ودوت الاسلحة النارية من الجانبين ولكنها مادامت أكثر من ٤٠ دقيقة حتى كانت العساكر المصرية كداساً من الجثث الهامدة . ولم ينج من تلك القوة إلا ضابطان برتبة الملازم ثانى هما محمد أفندى ضلى من المنصورة وقد فر بعد ذلك من الخرطوم الى مصر وأحمد افندى عزمى الذى توفى قضاءً وقدراً فى كردفان ووقع نحو ٣٠٠ جندى فى مخالب الاسر : وهؤلاء كانوا مختبئين بين القتلى وبين دواب الحملة والغابات . وهناك قطعت رأس الجنرال هكس وقدمت الى المهدى وهذا أمر بها للترسل الى الابيض . وكان من شهداء أنصار المهدية يومئذ نحو ٢٠٠ فقط عدا الجرحى وكان من الامراء

١ الاستاذ ضياء الدين عبد الله رئيس النواب أى « القضاة »

٢ « الفقيه دفع الله بن عبد الحميد الزعيم الدينى لقبيلة الشويحات

٣ أبو اميه من بطانة المهدى

٤ الطاهر « « «

٥ محمد النصرى البديرى

٦ عبد الرحمن النصرى «

٧ عثمان الخناق

٧ عبد الرحيم شاعر المهدى

ولقد عاد المهدى الى الابيض يتعثر فى اذيال الهيبة والوقار . وأكبر الناس فيه تلك الهمة والعبقرية النادرة اذ صارع تلك الحملة التى كان يقودها أمهر الضباط الافرنج والمصريون وصرعها ولم تستطع البقاء أمامه ساعة . ولقد أذاع الى أمرائه بالجهات المنتشرة الآتية التى بعث بها الى عثمان دقنه فى ١٠ ربيع سنة ١٣٠١ الموافق ٩ يناير سنة ١٨٨٤ بعد البسملة والديباجة .

« ومن خصوص الجردة المصرية التى بلغكم أنها حضرت الينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شر قتلة بما فيها من الرؤس الكبار

أحدهم علاء الدين الحكمدار [1] والثانى هكس النصرانى والثالث حسن . وغيرهم من الضباط . والآن جميع مدافعهم وأسلحتهم بيدنا . وهى شيء كثير جداً . وكان هلاك المذكورين فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ بجهة علوبه « شيكان » وعددهم كما قيل ستة وثلاثون الفاً فانقرضوا فى أقل من ساعة واشتعلت النار فى أجسامهم بأمر الله السماوى . هذا وافيدونا بأحوالكم والسلام »
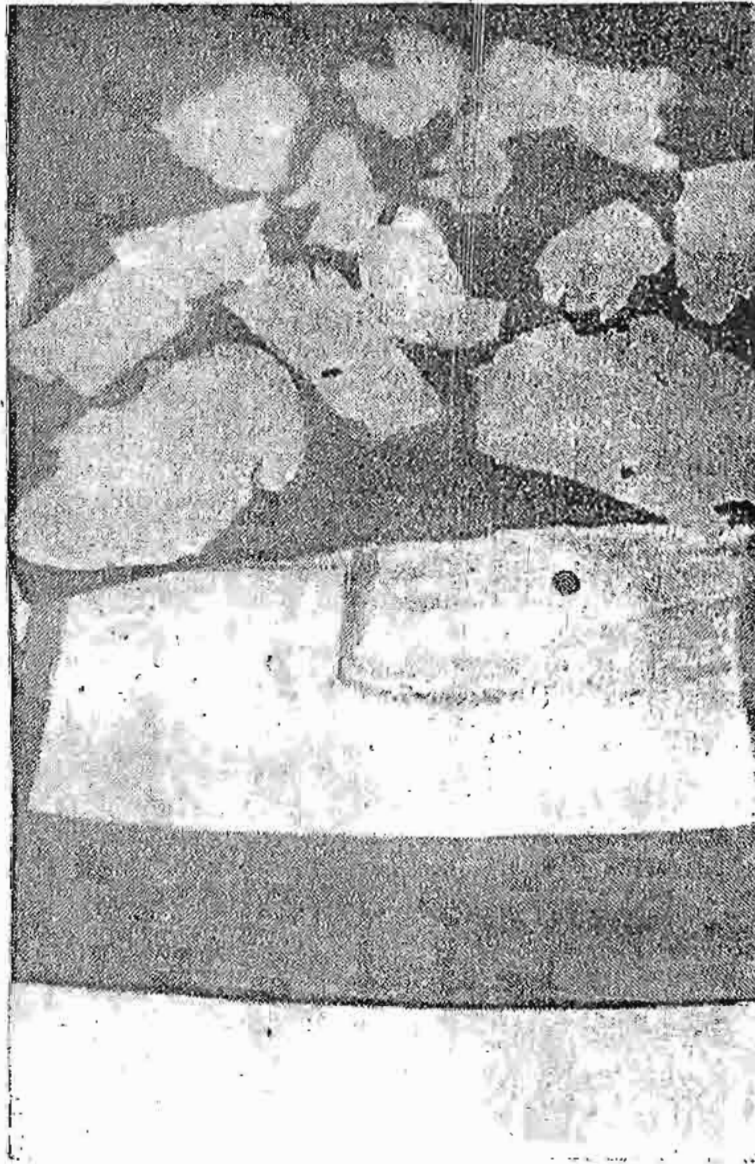
شظايا بالمدفعية المصرية المنتشرة على وجه الارض الى الآن ٧٠ عاما

(١) كان علاء الدين ضابطاً برتبة البكباشى فى الحملة المصرية التى سارت لحرب الحبشة فى سنة ١٢٩٢ هـ وقد ساورته الأوهام وظن انه لاينجو من القتل . ولما بلغت الحملة الحسوا كن علم وجود رجل من الاولياء بها : فذهب له وبث اليه حاله وطلب منه الدعاء فقال الولى له . لاتخف فانك لم تقتل فى هذه الحرب بل يقتلك المهدى بعد ظهوره وقد كان

أما ما ذهب اليه بعض المؤرخين والكتاب من أن هذا الجيش العرمرم مات ظمأ أو أنه لم يحارب السودانيين ليخضعهم لسلطة الانكليز فباطل ولا يقول به عاقل . وحاصل القول ان الجيش أدى رسالته بقدر الاستطاعة . ولكن أراد الله له ذلك الفشل العظيم فزلت به قدم الحكمة وهوى الى حضيض العدم هذا ولما وصلت مكان الواقعة وجدت على سطح الارض طبقة من رفات القتلى ودواب الحملة تعلوها شظايا المدفعية المصريه فملأت منها جيوب جكيتتى وهى برهان على بطلان مزاعم المؤرخين القائلين ماتت الحملة ظمأ بدون جدوى .

رابح أو نابليون السـودان

ولد رابح فى حى سلامه الباشا بالخرطوم حوالى سنة ١٢٥٠ هـ : ١٨٣٥ م وكان أبوه من الهمج ثم درس القرآن الشريف على الفقيه الهاشمى فى حلفايه الملوك . وتعلم القراءة والكتابه والحساب على غير واحد من موظفى حكومة مصر بالخرطوم . ثم سار الى بحر الغزال وانتظم فى سلك الكبانيات حتى صار وكيل كبانية ، ولما ضمت الكبانيات الى حكومة مصر وأعطى أربابها تعويضاً مالياً . جنح رابح فضل الله للخدمة فى كبانية الزبير باشا بشروط معلومة ، وهذه هى رابطته بالزبير باشا لا أكثر ولا أقل . فقال عنه نعوم بك فى تاريخه ، مولى الزبير خطأ ولما لم يتعرض أحد الى نقده صار قوله مرجعاً ضل به كثيراً من المؤرخين العرب والافرنج حتى لا تكاد تقرأ فى مؤلفاتهم اسم رابح الا وتجده منسوبا الى الزبير مع انها نسبة كنسبه الواو الى عمرو . فطالما رديت على الجرائد التى تمسكت بتلك النسبه فى جريدة المؤتمر بأم درمان وجريدة أم درمان بالقاهرة ارابح اذن رجل حر لاشائبة للرق فيه . وقبله الهمج الذين هم وزراء مملكة الفونج فى سنار . كاد نفوذهم يقضى على سلطة ملوك الفونج كما هو مشهور ومتفق عليه بالاجماع . هذا ولما كان عليه من الحزم والعزم وإصالة الرأى ومضاء العزم أصبح قائداً من قواد الزبير باشا الذين اندفقوا معه بنار حروب دار فور . ولما اعتقل الزبير باشا بالقاهرة وترك جيشه تحت امرة ابنه سليمان بك الذى فعل افعالا دلت على الحمق وعدم الروية كفارته على مديرية بحر الغزال وقتله عثمان ابتر نائب المدير وأسره شاهين ابن ادريس بك ابتر مدير بحر الغزال وفتكه بالتجار ونهب أموالهم الأمر الذى اضطر الحكومة الى ارسال حملة جسى باشا

ى هزمته من ديم زبير وتأثرته الى بلدة غرم فى دار قمر وبها ستم سليمان بك وجنح للسلام
صح اليه رابح بان لايسلم يده للعدو فلم يلتفت لنصحه . وهناك لوى رابح عنان فرسه وفارق
ليمان الذى سلم لجمى باشا وكانت القاضية كما ذكرناه فى ترجمة جمى .

أما رابح فضل الله فانه سار بألف مقاتل الى بحر مأمون فأغار على قبيلة قلا التى كانت
شر على ضفافه فأخضعها وأقام بينها ٣٠ يوماً ، ثم استأنف سيره الى بلدة كفا وكان يقيم بها
م من رنقا لهم سلطان يدعى هاشم أبو حقيقه الذى خرج فى جمع عظيم من رجاله لصد رابح
، الدخول الى بلاده وقد حدثت بينهما حرب هزم السلطان هاشم أبو حقيقة وجيشه بعد
خسائر فادحة فغنم رابح شيئاً كثيراً من الموز والماشية

تسليم السلطان السنوسى ابكر

كان السلطان السنوسى أبكر يقيم فى بلدة كنى وتخضع له قبائل شتى فلما بلغه قدوم رابح
، له بلا حرب وقدم له كثيراً من الهدايا والطرف وتزوج رابح باحدى كريماته وكذا
ج فضل الله رابح باختها واقام فى كنى نحو ٢٤ شهراً اقتنى فى غضونها شيئاً كثيراً من الاسلحة
نارية وجند جنداً جديداً مرنه على استعمال السلاح النارى وغادر كنى

وفى يوم ١٠ محرم سنة ١٣٣٢ هـ جاءت اليه شركة فرنسيه تزعم انها تتاجر بالاسلحة
الذخائر وكانت هذه من انفق السلع هناك لان البلاد كثيرة الصيد والغارات بعض القبائل على بعض
نت هناك جاليه من عرب السودان تجار شاهدوا السكابتن الفرنسى مدير الشركة اهدى الى
لطان السنوسى أبكر نحو ٢٠٠ بندقيه و ١٠٠ مسدس ومدفع فادرك البخيت الشاعر الجعلى ان
نسيين انما يستدرجون السلطان لاستعمار بلاده فحذره بقوله

لاتأمن ناساً خاتمين قباح أولادك لابسين نشيك شايلين سلاح
آدم أبو أم كلثوم ولدت نجاح مهذرين يغدى الطير عند الصباح (١)

- با من سخلي

---

(١) آدم أبو أم كلثوم أكبر أبناء السلطان وقائد جيشه

ثم قال

لا تأمن ناساً خائنين كفر ... من ربنا الوهاب جاك النصر

آدم أبو أم كلثوم ولدت قدر ... مضمون يفدى الطير عنهم الفجر

الا ان السلطان قال لا يعقل ان من يضمر لى سوءاً يهدينى سلاحا وفى ذات يوم قدم اليه الكابتن الفرنسى ومعه ٦٠ جنديا يحملون صناديقاً من الذخيره ثم وقف الكابتن على باب السلطان السنوسى وأخذ فى محادثته ريثما جاء ابنه آدم وهناك أخرج الساعه من جيبه وقال الوقت أزف فالأولى أودعكما وأعاد الساعة لجيبه وأخرج منه مسدسا أطلقه على جبهة السلطان وكذا على ابنه وكان الستون جنديا يحملون بنادقهم ترموا الصناديق وصعدوا على هضبة وسط القريه ونادوا السكان بان كل من يخرج من منزله يضرب بالرصاص

حربه للسلطان كروندس Krondos

هذا من سلاطين قبائل البنده يقيم فى بلدة أنقبو بالكنغو الفرنسيه سار اليه رابح وأغار على بلاده فهزم البنداويين وسبى وغنم . وأقام بها مدة فصل الخريف وغادرها

حربه للسلطان دنبقو Dunbugwa

هذا سلطان قبيلة منجا بالكنغو الفرنسيه تقيم فى جبل كقشو فأغار رابح على هذه واخضعها ثم فرض عليها الأتاوة وأقام بها حتى ختن أولاده وظل سنتى ١٣٠١ و ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م وجند كثيراً من الشبان المرد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٠ سنة

قتله السلطان جلمبو Gulbabo

هذا سلطان قبيلة سارا التى تقيم فى بلدة أنقاما بالكنغو الفرنسيه. فسار عليه رابح فى جيش جرار فقابله السلطان برجاله المسلحين بالرماح والنشاب وقد حدثت بينهما حرب هائله
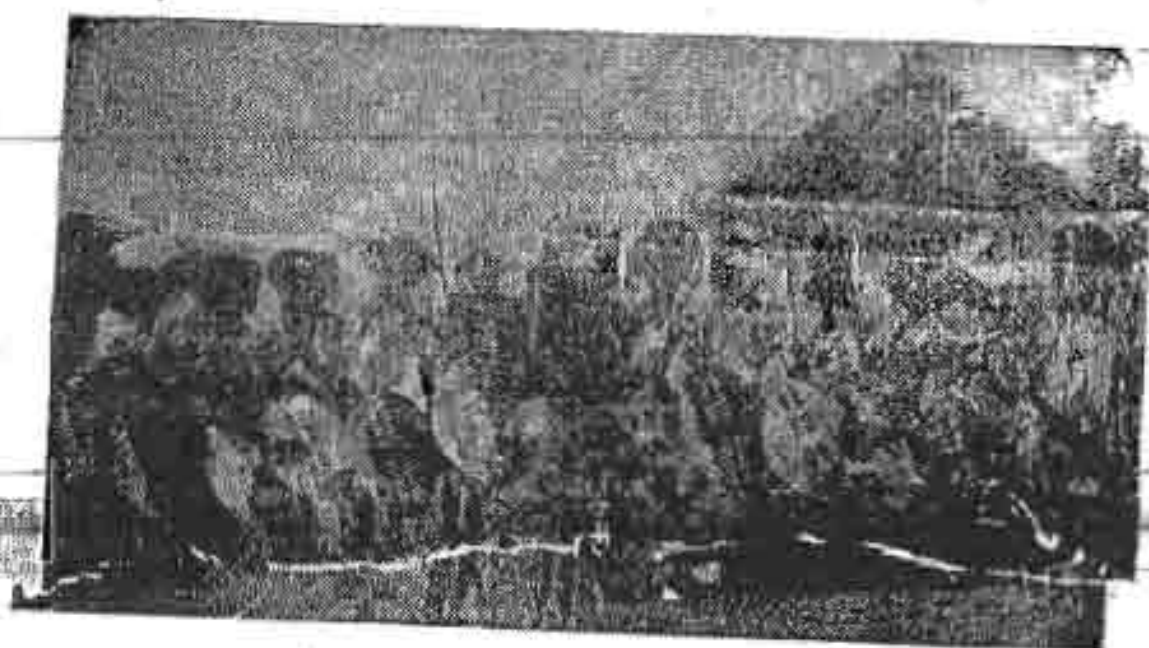
رابح فضل الله يقود طائفة من البارنفى فى بحر الغزال

ں الان
رده وهناك
ابا من خل

بها السلطان وهزم جيشه فأقام رابح فى بلاد أنقاما كل سنة ١٣٠٣ هـ : ١٨٨٦ م

احتلاله بلدة دنذى Denzi

كان فى دنذى سلطان يدعى اندمانى سار اليه رابح فتقدم السلطان لاقانه ورده عن دخوله فى بلاده وبعد مناوشة بسيطة شعر اندمانى بضعفه عن المقاومة فسلم لرابح فدخل رابح بجيشه فى دنذى وأقام بها قليلا فصادف ذلك وفاة السلطان اندمانى قضاء وقدرا فعين رابح ابنه السلطان تخبه بدلا عن والده وضم السلطان الجديد الى جيشه وكان يتبعه نحو ١٠٠٠ مقاتل من أهله

حربه للسلطان كادى Kadi

كان السلطان كادى رجلا جباراً فى حدود سلطنة باقرما فاغار رابح على كادى الذى حاربه قليلا ثم هزم واعتصم بالجبال فظل رابح يحصره ستة أشهر بدون جدوى وقد بلغ جيش رابح نحو ١٠٠٠٠ مقاتل فى ذلك الوقت

احتلاله ضفاف بحر ارده Arda

كانت تقيم فى بحر أرده قبيلة سارا وكان سلطانها يدعى جقو الذى فر من بلاده فاحتلها رابح بدون حرب وعناء . ولكنه تعذر عليه ان يعبر بجيشه ذلك البحر فاخذ رجاله يقطعون الاخشاب ويصنعون مركباً حتى اتموها وجازوا بها على الضفة الثانيه

قتله السلطان ام بنداى Banday ووصوله رسل المهدية

كان هذا سلطان على قسم من سارا فغزاه رابح وبعد حرب بسيطة هزم الساريون الاان رابحاً طاردهم ستة أيام وبعد ذلك لحق بهم ثم قتل السلطان وعاد فأقام فى بحر أرده وهناك أدركه رسولان من خليفة المهدى وهما أحمد الجابرى وادريس محمد يحملان كتاباً من خليفة

المهدى وراتب ورايه. وكان الكتاب يدعوه فيه الى الانضمام اليه بام درمان ومبايعته على جهاد الكفار وأخبره بزوال دولة مصر التركية واستقلال السودان من النير التركى... الخ.

ولما كان خروج رابح هو فراراً من عداء الحكومة جنح لطاعة المهدية وعاد بجيشه مع الرسولين الى بلدة ربو بالكنغو الفرنسيه وبها قابله رجلان أيضا وهما الفكى نوح الحمى والشريف أم دقون البرناوى فسألهما عن الحالة فى أم درمان . فقالا له عن الفوضى الضاربة أطنابها واستئثار التعايشة بالسلطة دون غيرهم . وقالا له انك إذا وصلت أم درمان بجيشك هذا فأول شىء تقابل به تجريدك من مالك وابعادك عن رئاسة هذا الجيش وان عارضت فى ذلك اعتبرت معارضتك خروجاً من الدين ومخالفة لجماعة المسلمين. وهناك الويل الثبور من عاقبة الامور!!

فقال إذن وجب على أن لا أسلم يدى لرجل واحكمه على حياتى بعد هذه الحرية المطلقة فحبز رسل المهدية ورفض الرد على كتاب الخليفة وقفل راجعاً.

رابح والسلطان بنداس

السلطان بنداس هو والد السلطان سعيد بنداس [1] سلطان قبيلة كريش . وكان بنداس يقيم اذ ذاك فى بلدة كابا بالكنغو الفرنسيه . وله جيش عظيم مسلح بعضه بالاسلحة النارية . فسار اليه رابح وحاربه حرباً دامت من الساعة السادسة صباحاً الى مابعد الزوال . وأخيراً اضطر السلطان بنداس الى الاذعان وضم جيشه المسلح بالاسلحة النارية الى جيش رابح . ثم عاد رابح بجموعه الى كتى وأقام مع صهره السلطان السنوسى أبكر بدار رنقا الى نهاية خريف سنة ١٣٠٧هـ.

حربه للسلطان وقى Wugai

فى سنة ١٣٠٨ هـ : ١٨٩١ م

وقى سلطان قبيلة بو التى هى قبيلة عظيمة خاضعة لسلطنه باقرما فقد سار لغزوها رابح فى

(١) السلطان سعيد بنداس جمعتنى به مجاسن المصادفة فى راويا سنة ١٣٤٣ هـ : ١٩٢٥م فرأيت منه رجلا طويل القامة كبير الهامة مشلخ الخدين فصيح اللسان وقوراً يدين بالاسلام صحيح الاعتقاد بل كان مملوكا لأحد الدناقلة فى عهد كيانات بحر الغزال . وكان سعيد هذا متوقد الذهن أخذت عنه تاريخ قبيلة كريش وقد ... عليه حال سفرى لسكنا كنجى فى أغسطس سنة ١٩٢٥ فقابلنى فى ضيافته بنهر بورو وقد احضر لى الموسيق ... التى كان يستخدم بها نحو ٤٠ شاباً جلب لهم المعلمين على نفقته فكانت تعزف فى فترات بلحن بديع ... ضيافته تغمده الله برحمته

آواخر سنة ١٣٠٨ هـ . ولقد خرج لقتاله السلطان وقى فى نحو ١٠٠٠٠ مقاتل كان منهم ١٠٠٠ فارس من الكماة المرتدين الدروع والخوذ وقد حدثت بينهما حرب هائلة خسر فيها الفريقان خسائر فادحة ولكن لم يقو السلطان وقى على الثبات أمام عدوه بل هزم بجيشه وانضم الى سلطان باقرما الذى غضب لدخول رابح فى حدود بلاده وحشد جيشا جراراً وتأهب لحربه

أول حروب رابح للباقرما

لما بلغ السلطان عبد الرحمن قورنه سلطان باقرما قدوم العدو انتدب سرية عظيمة تقدر بنحو ١٠٠٠٠ مقاتل كان ٦٠ ٪ من حملة الاسلحة النارية وما بقى من الفرسان المدججين . سارت هذه السرية حتى قابلت رابح فى أثناء زحفه على باقرما وكانت القيادة العامة للسلطان وقى فتقابلا بين غابات كثيفة عوقت هجوم الفرسان وكان الحرب يومئذ لحملة الاسلحة النارية الذين ثبتوا ثباتا مدهشا نحو خمس ساعات تدهورت بعدها همم الباقرماويين وهزموا هزيمة شنيعة ووقع قائدهم السلطان وقى فى الاسر ولكنه افتدى من رابح بان قدم له ١٠٠٠ حصان ذكر و ١٠٠٠ ثور من البقر لمؤن جيشه فأطلقه رابح بعد ان أخذ عليه عهداً بان لا يعود لحربه ولا يساعد عليه عدواً . ومن ثم سار رابح الى بلدة أندام من أملاك باقرما وأقام بها كل سنة ١٣١٠ هـ . بعد ان مد رواق نفوذه على عشرة سلاطين وفرض عليهم الجزية فكانوا يؤدونها عن طيب خاطر

مرض رابح

ان الجهات التى كان يوغل رابح فيها كانت كثيرة المستنقعات رديئة المناخ وقد يصادف هطول الأمطار عليه فى أثناء سيره فأصيب بالحمى الملاريا لازم الفراش بها ٩٠ يوما . ولما بلغ درجة اليأس استدعى أمراء جيشه وأخبر وكيله المدعو حسن الدنقلاوى على مسمع منهم على انه يجب ان ينوب عنه فى رئاسة جيشه نضل الله نجله الاكبر ويبقى نظام الجيش كما كان اولا فأجابوه بالسمع والطاعة ودعوا له بالشفاء والعافيه . وقد من الله عليه بالشفاء . واستأنف اعماله الحربيه

غزوه السلطان سمراى Sumary

كان هذا من أهم سلاطين سارا . زحف رابح بجيشه عليه فقابله سمراى فى حدود بلاده ولما كانت البلاد ذات حصون طبيعيه تمكن أهلها من الدفاع ثلاثين يوما وبعدها هزموا ودخل رابح بلادهم ظافراً منصوراً

حربه للسلطان عبد الرحمن قورنه Gawrana

توجه رابح بجيشه نحو السلطان قورنة سلطان باقرما الذى رأى من الاوفق لقاءه بعيداً عن عاصمته لكى لايزعج العائلات والأطفال بدوى السلاح فخرج فى جيش كثيف وسار فى الطريق الآتى منها العدو حتى قابله بعد مسيره ثلاثة أيام من العاصمة وقد حدثت بينهما حرب فى بلدة بقلما يوما كاملا من شروق الشمس الى مغيبها وبعدان أرخى الليل سدوله فر السلطان عبد الرحمن قورنه بعد خسائر جسيمة وما كانت خسائر رابح بأقل منها فأقام رابح لدفن القتلى وتضميد كلوم الجرحى

حصر مدينة مسجا Musja

هذه مدينة عظيمة تقع فى يمين بحر شارى تحاط بسور سميك له سبعة أبواب مسماة باسماء أيام الاسبوع أى باب الأحد وباب الاثنين وباب الثلاثاء وهلم جرا ولكل باب من تلك الابواب حجاب وخفراء والعادة انها تقفل الأبواب المذكورة فى مساء كل يوم وتفتح فى الصباح سواء فى ذلك أيام السلم والحرب . وكانت العاصمة قديما منجفا ثم نقلت الى مسجا ثم نقلت أخيراً الى جنكنا وتقع الأخيرة فى شاطىء البحر الرقيق الذى هو فرع من بحر شارى .

وسكان هذه العاصمة يرجعون فى أصلهم الى كنانه ولكنهم سادوا على كثير من قبائل الزنج فأكثروا من السرارى وتسلوا منهن أولاداً تلاشت فيهم الملامح العربيه وكونوا من اللغات العجمى لغة خاصة يتكلمون بها ويعرفون العربية بطريقة لاتخلو من شائبة اللحن . يدين الباقرماويون بالاسلام وانهم يابسون فى الاعتقاد به وكثير منهم حفاظ القرآن الشريف .

ولهم سلطنة قديمة كان أول من تولاها السلطان عبد الله ولما توفى خلفه ابنه وانجا وبعده صار السلطان لاونى. وفى عهده حاربه البرناويون وأخضعوه وفرضوا عليه الجزية ثم السلطان بوغمانده . Bugamanda ثم السلطان الحاج محمد الامين وكان هذا عادلا حسن السياسة ثم خلفه ابنه عبد الرحمن وفى عهده أغار عليه السلطان عبد الكريم صابون سلطان وداى وانتزع بلاده من سلطنة برنو وفرض عليها الضرائب وذلك بعد ان قتل السلطان عبد الرحمن ويقال كان السبب فى غارة سلطان وداى سوء سيرة عبد الرحمن الذى تزوج باخته وانغمس فى الموبقات بالرغم من نصح العلماء له وهناك كتب الشيخ محمد الكانمى الى السلطان عبد الكريم حرضه عليه . ثم ولى ابن السلطان المقتول ولكن بعد سفر سلطان وداى قبض عليـــه أخوه الأكبر المدعو عثمان فسمل عينيه ونادى بنفسه سلطانا على باقرما . ولما سمع سلطان وداى عاد مرة أخرى وحارب عثمان وقبض على أخيه الاعمى وأغرقه فى بحر شارى وجلس مكانه وكان عثمان شديد الوطنية جاف الطبع فخلعه الباقرماويون وولوا أخاه الحاج فرجع عثمان الى سلطان وداى الذى عفا عنه وأعاده للملك بعد ان زاد عليه الضرائب . ولما رأى سلطان برنو ضم باقرما الى وداى غضب واستعان بيوسف باشا والى طرابلس الذى انجده بجيش يقوده مصطفى الاحمر من عرب الفيزان فاختلط هذا الجيش مع جيش برنو وهاجما الباقرماويين فى سنة ١٢٦٠ هـ : ١٨٤٥ م فخلفه ابنه عبد القادر الملكى بأبى سكين ثم السلطان عبد الرحمن قورنه الذى حارب رابحا . وبعـــده ابنه محمد شروما . هـذا ولنرجـــع الى ما نحن بصدده فنقول .

لما وصلت قوات رابح الى هذه العاصمة وجدت السلطان عبد الرحمن قورنه تحصن فى سور المدينة وأوصد الابواب واخذ يدافع بحذر وحرص منذ جمادى الأول سنة ١٣١١ هـ

إستنجاد باقرما بالسلطان يوسف

لما اشتد حصر رابح لعاصمة باقرما طلب السلطان عبد الرحمن قورنه معونة السلطان يوسف سلطان وداى الذى انجده بجيش بقيادة كاول السحر ومعه بعض أعيان البرقو فسارت تلك النجده إلا أن رابحا ردها بعد حرب خسر فيها البرقاويون خسارة فادحة وهزم كاول السحر ومن معه فغضب السلطان يوسف وارسل جندا آخرا بقيادة جرما

عثمان الذي وجد رابحا اجتاح المدينة وطرد سلطانها وسار الى بلاد برنو فاضطر جرما عثمان ان يسير بجنده الى جبل أبي تلفان الذي كان عاصيا فأخضعه وعاد لا يشي أما طريقة دخول رابح العاصمة فكانت كما يأتي

احتلال رابح لمدينة مسيعا وطرده سلطانها
في ٣٠ شعبان سنة ١٣١١ هـ

ارسل رابح بضعة أشخاص من رجاله المسلحين في الثلث الأخير من الليل وكان أحدهم يفهم لغة باقرما . فساروا يتختلون في جنح الظلام حتى وقفوا قريبا من أحد أبواب المدينة وهنالك تقدم الرجل الذي يفهم لغة باقرما وخاطب خفير الباب بلغته من الخارج يرجوه بأن يفتح له الباب . فسأله الخفير بقوله من أنت فأجاب بقوله انى فلان خرجت لابحث لاولادي شيئا من المؤنة حتى وجدت قليلا من الذرة وها أنا جئت متأخراً فاغتر الخفير وفتح له الباب فما كاد يفعل حتى انقض عليه الرجل بمدية فقضى عليه ودخل رفقاؤه فأجهزوا على الخفراء وصاحوا صيحة مزعجة ومن ثم هجم فرسان رابح حتى دخل نحو ٣٠٠٠ فارس مفوقين رماحهم وتلاهم حملة الاسلحة النارية وهب سكان المدينة من سبات عميق واشتبك الفريقان في حرب بين الأزقة والشوارع . ولما شعر الباقرما بتحرج الحالة هربوا مع نسائهم وأولادهم الى الغابات بعدان تركوا أكداسا من القتلى والجرحى . وقد خسر رابح خسارة عظيمة اذ كان ضمن القتلى من جيشه حسن محمد الدنقلاوي القائد العام لجيشه . كان حسن محمد مربوع القامة نحيف الجسم خفيف اللحية طويل الشاربين وسيم الطلعة يقال كان ماضي العزيمة لا يبالي بالمكاره . وأحمد الجمل التعيشي أحد قواده وأقني الكريشاوي من رؤس المئات . وقتلت يومئذ أم كلثوم بنت البوجا التعيشية الحكامة التي كانت تحرض الجيش على الهجوم وتهجو الجبان بأغان مؤثرة وقتل ٣٩٠ جنديا من عامية الجيش ويقدر الجرحى بنحو ٤٥٠ رجلا . فأسف رابح وجيشه لوفاة حسن الوكيل واحتفلوا بدفنه احتفالا عسكريا منظما حيث نكست الاسلحة وأطلق على قبره ١٠٠ خرطوشة . أما خسائر الباقرما فقدرت بنحو ٦٠٠٠ بين قتيل وجريح . فاشتغل جيش رابح بدفن القتلى وفي اليوم التالي جاز بحر شاري قاصداً بلاد برنو . هذا وعين أبو بكر الماد العبد لاي وكيلا لجيش رابح بدلا عن حسن محمد الدنقلاوي

تسليم السلطان صالح

بعد اجتياح باقرما سار رابح قاصداً مملكة برنو ولكنه رأى ان يخضع السلطان صالح فى مدينة لوقن **Lugin** وكان لهذه المدينة سور عال له باب واحد لا يمكن الهجوم عليها فارسل رابح بعض رجاله الذين يأتون اليها جماعات وفرادى بصفة تجار حتى تكامل فى لوقن نحو ٥٠٠ رجل يدخلون أسلحتهم بداخل جربان . وكان لأولئك الاشخاص سلع مختلفة فأخذوا يرفعون حالة البلاد لرابح ولما أراد الهجوم على الوقن أمر السلطان صالح بقفل باب السور فأسرع جماعة من أهل المدينة لاجراء ذلك إلا أن الخمساية شخص وقفوا دون الباب بأسلحتهم وحالوا بينه وبين الذين أرادوا قفله وعندما دخلت مقدمة جيش رابح اضطر السلطان صالح الى الاذعان وأخرج الاغذيه للجيش وبالغ فى أكرامه ودفع لرابح ٣٠٠ بندقيه معها الجبخانه اللازمة و ٣٥٠ حصانا فأمن رابح ذلك السلطان وقبيلته المسماه « كتكو **Kattako** »

رابح وهاشم سلطان برنو

فى سنة ١٣١١ هـ — ١٨٩٤ م

برنو قبيلة عظيمة ترجع فى أصلها الى حمير ولكنها هاجرت الى نجيريا فى أوائل التاريخ الهجرى ، ثم اختلطت بقبائل الزنج واقتبست من لغاتها لغة خاصة . وانها تدين بالاسلام وتعمل بتعاليمه ويكثر فيها العلماء والصلحاء . ولكن لها تاريخ ملوم بعمل الباقيات الصالحات .

كان سلطانها هاشم يهيمن على قبيلة كتكو فغضب لاحتلال رابح لها فأرسل جيشا جراراً بقيادة نائبه الفقيه محمد طاهر الذى زوده بتعليمات تقضى عليه بالزحف على كتكو واسترجاعها من العدو بعد القضاء عليه أو على الأقل طرده عن حدود مملكة برنو !!

ولما بلغ رابح قدوم الفقيه محمد طاهر نائب سلطان برنو سمع غازى وكان رحلجد... سار بنصفه للقاء البرنو فى أثناء طريقهم الى كتكو . وترك النصف الآخر يق وماشية وذهب ود شكو لاجل المحافظة على لوقن . وكانت قوة رابح تتألف من الجيوش بطريقه عادله من جنود البازنقر المسلحين بالبنادق . فسار رابح حتى تقابل ...

« بلقى Balgai » حيث يسكن عرب بنى حسين . وذلك بعد ان أرسل رابح بشارة خراج التعيشى ومعه ٤٠٠ جندى ليجمع ذرة فى بلدة سنقاى إلا أن بشاره هذا شاهد زحف البرنو على بلدة بلقى فعاد مسرعا وأبلغ رابحا بقدوم العدو . ولضيق الوقت لم يستطع رابح عمل أى استحكام للوقايه من المقذوفات بل أمر جيشه بالاستحكام فى الخور الذى هو واد اعترض طريقه وما كاد يكمن به حتى شاهد منظرا هائلا يعقد الغبار أكاليلا على رأسه ترى به الرايات والاعلام وكان للأسنة وميض كوميض الكواكب . وكان زعماء البرنو يومئذ أبكر زبيدا وعبد المسلامى وعثمان بتومى ومحمد كانى وخلافهم . فما كاد يدنو البرنو من مكمن العدو حتى هجموا هجوما عنيفا تحت وابل من نيران العدو التى برحت بهم تبريحا فظيعا حتى تغيرلون الماء من دمائهم وصارت الجثث أكداسا على حافة ذلك الخور وهناك اضطر البرنو الى الهزيمه وقامت فصيلة من فرسان رابح بقيادة اساغه رشدان الجهادى الذى أخذ يطارد البرنو حتى أدرك الفقيه محمد طاهر الذى هجم عليه احمد شطه الفوراوى فركب فى ظهر حصانه وقبض عليه من خلفه وسقطا معا على الأرض وهكذا ترجل بعض فرسان رابح وساعدوا أحمد شطه فى تجريد نائب السلطان عن سلاحه وجىء به الى رابح وكان معه شقيقه ابراهيم . وقد قدرت خسائر البرنو بنحو ٥٠٠٠ قتيل و٧٠٠٠ جريح وغنم رابح ٣٥٠٠ حصان و٢٠٩٠ بندقيه أما الفقيه محمد طاهر فسيق الى حلة أم حبيو وهناك أمر رابح باعدامه فاعدم

السلطان هاشم والتعبئة العامة

نشر السلطان هاشم الدعاية العامة الى الجهاد واخراج العدو من البلاد وما كادت تمضى ١٥ يوما حتى حشد حوله نحو ١٠٠ الف مقاتل منها ٥٠٠٠ يحملون الاسلحة النارية و٢٠ الف من الفرسان المدججين و٣ مدافع . سار السلطان هاشم بجيوشه الجرارة الى بلدة أم بولو وأقام هناك حتى زحف عليه رابح فى ٨٠٠٠ جندى بازنقر ونحو ٣٠٠٠ فارس تخفق امامه ٣٦ راية . وفى يوم ٣٠ رجب سنة ١٣١٢ هجم رابح وابتدر البرنو باطلاق النار عليهم فرجيشه لوفال وقابله البرناويون بدفاع باسل ودام ضرام الحرب وأظلم لسلاسنة الاسلحة وأطلق الساعة ١٢ مساء وهناك خارت عزائم البرنو فهزموا مستترين ٦٠٠٠ بين قتيل وجريح . ثلاثة مدافع و٦٨٠ بندقيه وجدت مبعثرة بين جثث المقتولين شارى قاصداً بلاد برنو سيرا من الأمتعة والخيل وغيرها أما خسائر المتحاربين فكانت عن حسن محمد الدنقلاوى

عظيمة جداً . هذا وقد عاد هاشم لعاصمته المسماه « ككو Kukwa » فاقام بها ٤٦ ساعة فقط وغادرها فاراً الى بحر الكجل غربا على مسيرة ٨ أيام من عاصمته . وجمع هناك فلول جنده وتأهب للمقاومة عند سنوح الفرصة . وذلك بعد ان أدركه رابح فى أثناء الطريق فسبا ٨٠ امرأة من السرارى والجوارى و١١ من بنات السلطان و١٠ من أولاد السلطان هاشم كان منهم أبا كاكمى أكبرهم وولى عهد السطنه و١٨٠ جملا كانت محملة بامتعة السلطان وأمواله

(رابح واولاد السلطان هاشم)

لقد عامل رابح أبناء وبنات السلطان هاشم معاملة لم نسمع بمثلها عند أعظم الأمم المتمدنة لانه عفا عنهم وجعل أبا كاكمى أميرا على قبائل البرنو وضم اليه كل بطانة وارقاء أبيه وأطلق يده فى ادارة شؤون البرنو وأهداه حصانا واذن لأهله فى تعظيمه كما تقضى بذلك تقاليد اسلافه ثم اذن له بان يقيم فى قصر ابيه وعاصمته وأسس رابح له عاصمة أخرى أسماها « دكو Dikwa » أقام بها جامعا فخما

الاحتفـــال بالنصر

لقد أقام رابح مهرجانا عظيما زانه بأقواس النصر وأطلقت المدافع والخشاخين وسائر الاسلحة حتى هرب بعض البرنو الى الغابات ظانين ان الأمير رابح يريد استئصال شأفتهم . ولكنهم عادوا لما سمعوا عزف الموسيقى والآلات . وختم ذلك بتلاوة القرآن الشريف والدعاء بنصر الأمير

الغنـــــائم

أصدر رابح أمراً يقضى بأن كل من غنم شيئا فهو له ماعدا ١٠ ٪ تعطى الى بيت المال الذى عين له أمينـــا يدعى الحاج عمر القطرونى من عرب بنى غازى وكان رجلا عفيفا طاهر الذمة . وكان هذا هو المسئول عن بيع الغنائم من رقيق وماشية وذهب وفضة وخلافه واستلام الضرائب من عمال السلطنه والصرف على الجيوش بطريقة عادله واليك تقسيم البلاد الى مناطق وتوزيع العمال عليها

اسماء العمال	اسماء البلاد	اسماء البلاد بالانكليزى
بابكر حماد	بقرا	Bagara
جباره الدنقلاوى	انقلقاتى	Angalgati
حمدين التعيشى	قيدوم	Geidum
قرقر التعيشى	كروارو	Karawaro
فضل المولى رابح	بوارى	Bereri
الشيخ ذهب سلامى	ماقرى	Magemri
قادم أبو حلوم الحبانى	كويام	Kuyam
كبسون مولى رابح	برقمان	Burguman
فضل الله رابح	مايد كورى	Maydiguri
تكاوما محمد الهوارى	كندقا	Kunduga
أحمد عديل الهوارى (١)	يالى برى	Yali Bari
طه محمد على الهوارى	باما	Bama
محمد رابح	يالى قرو	Yali Guro
حاج قبو البرناوى	برارى	Barari
كشالله عبد الله البرناوى	قجبا	Gujuba
مرحوم مسول رابح	بادية العيسيه	Aisia
اساغه رشدان	والوجى	Walugi
سرور مولى رابح	لقمنى	Lugmani
رزق مولى رابح	الحمادية	
أحمد الجابرى	عموم فلاتا	
ادريس الهوارى	بادية القوالمه	Elgwalma
على قورولك	والكى	Wilkai
أحمد ود الحاجه	انقلا	Angala
الفقيه أحمد كبير	مرتى	Marti
الفقيه أحمد صغير	كلدى	Kuldia

(١) هذا صور رابح واحد ضباطه اجتمعت به فى كفا كنجى سنة ١٩٢٥ وهو راوى القصة

أسماء البلاد بالانكليزى	أسماء البلاد	اسماء العمال
Kuwa	كره	حياتو
Mafio	مافيو	بنداس سلجلك
Guwa	قـوا	ريحان قدح مولى رابح
Milmar	ميلمر	دقن سامى
Wishum	وشم	شريف عجله
You	يو	أحمد ابراهيم أبو ستهم
Kusri	كسرى	مالك خميس
Gilfay	قلـفى	أبو منه
Shawa	شـوى	عبد القادر أبو سكين
Afdi	أفـدى	رحمه
Kabo	كبو	بشاره خـراج
Walka	ولـكا	آدم ولقيا
Magandani	مقنـدنى	أحمد العره
Andigia	أندقيا	مرجان
Gebel	جبـل	جـسرما
Zugagi	زقاقى	محمد صـالح
Gigla	جقـلا	محمد أحمد سليمان
	قوز الفول	حمدان سيرى النعيشى
Gulbi	جلبى	عـلى ابراهيم
Andafo	أندفـو	عشر
Sanaia	سنعيا	لقمان
Gowzy	قـرى	توبو مولى رابح
Lugmani	لقمنى	عبد الله أندمره
Suguma	سقما	عيسى

وكان عمال رابح يحصلون على الضرائب برفق وسهولة ويقدمونها الى أمين بيت المال بدون كشوف . وليس على أحد رقيب فى عمالته . بل كانت الثقة متبادلة بطريقة لا تكاد توجد فى العالم . فبالرغم من كون الحكومة جديدة ولا تعرف شيئا من النظام . فقد سارت فى أعمالها سيرا مرضيا من الأهالى . وكانت الايرادات تكفل نفقات الحكومة ولم يختل التوزان بين الايرادات والمصروفات . ولم يتضرر الأهالى من جور وارهاق كما هى الحالة فى جميع حكومات العالم إلا من هدى الله وقليل ماهم .

« القضـــاء الشـــرعى »

لقد اختار رابح فضل الله مجموعة من العلماء كانوا من اخيلاط الأهالى وجعل عليهم رئيسا يدعى الفقيه أحمد كبير وناط بهم النظر فى الخصومات التى تقوم بين الأهالى وكان القانون المعمول به مذهب الامام مالك بن انس . ونائب رابح هو المسئول عن تنفيذ الأحكام الشرعيه

سلطان برنو

ما كان لرابح لقب طول زمن تلك الحروب التى اجتاح بها كثيرا من الغرب ولكنه عندما انتهى به المطاف الى مملكة برنو التى أخضعها الحكمه نودى به سلطانا على برنو وملحقاتها . وهنا عقد مجلس من زعماء جيشه للنظر فى الانظمة وشعار السلطنه فقال فريق بان يلبس رابح تاجا من الذهب ويقال عنه « سلطان سلاطين الغرب » وذهب آخرون على انه لا يصح ان يلبس ملك مسلم تاجا من الذهب ولا أن يلقب بسلطان السلاطين أو شاه شاه . وانما اللائق المستحسن ان يلقب رابح بسلطان برنو وملحقاتها وان يرتدى الجبة المرقعة وعمامة مقصبة تلف بطريقة عمامات الهنود وان تكون فوقها ريشات ظاهرة ويصبح ذلك شعاراً خاصا بسلطان برنو اما الضباط فشعار العظيم منهم ان يكون بقربوس سرجه جوزبط بجلت وواحد لغير العظيم ويرتدى عامة الجيش الجبب المرقعة حتى يظن الناظر اليهم انهم من أنصار المهديه .

ثورة البرنو وخلعهم السلطان هاشم وولاية

« محمـــد جارى Jary »

ان البرناويين عزوا أسباب الفشل الى سوء تدبير السلطان هاشم وأرادوا خلعه وتعيين ابن أخيه المدعو « محمد جارى Mohamed Jary » فرفض هاشم وتحزب له بعض البرنو وكان ذلك من أهم البواعث الى حدوث ثورة داخلية وفتنة أخذت بجلابيب الأمة ولقد اشتبك الفريقان فى حرب هائلة ذهبت بها حياة السلطان هاشم والذين ظاهروه كمولاه « ملا آدم Mulla Adam » وغيره وقد فاز الحزب المعارض لهاشم ونادى بمحمد جارى سلطانا على برنو . وكان محمد جارى طويل القامة واسع المناكب عبلى الجسم مكسور أرنبة الأنف لحديث عاهة به فى حداثة عمره أخضر اللون جهورى الصوت وكان عالما واسع الاطلاع يعتبر فى الدرجة الأولى بالنسبة لعلماء برنو . وكان يلقب (بالقونى) وهذا اللقب لا يطلق فى بلاد نيجيريا إلا على المحققين من علماء التجويد . وهنا أجمع البرنو على الكر لاسترجاع بلادهم ودخول عاصمتهم قسراً بحد السيف . أما رابح فانه لما بلغه ذلك دعا جيشه المتفرق لجباية الضريبة وتأهب للقاء البرنو

رابح ومحمد جارى

لقد سار البرناويون فى جمع يقدر بنحو ٥٠٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجل وكذا خرج رابح للقائهم فى نحو ٢٠٠٠٠ مقاتل وتقابلا فى بلاد القرعان . وقد حدثت بينهما حرب من الساعة الرابعة بعد الزوال الى الساعة السادسة ونصف مساء وهناك تراجع الفريقان لدفن القتلى وأعادة الحرب صباحا . وكانت اذذاك حرب هائلة إذ وقف جيش رابح فى هيئة مربع متساوى الأضلاع وكان لكل ضلع من اضلاع المربع قائد مسئول عنه فهجم البرنو على الضلع الذى كان تحت إشراف فضل الله رابح فاخترقوه بعد ان أصيب قائده بطعنة رمح فى ترقوته اليمنى حتى خرج لسان الرمح فى أبطه إلا أن رابحا كان يقف بقوة احتياطية فى وسط المربع فضرب فرسان البرنو حتى أخرجهم من بين المربع وسد الثلمه التى ولجوا المربع منها . وبعد نهاية الحرب أخذ يحقق فى سبب كسر الضلع ولما وجده كان تحت أشراف ابنه أمر بجلده ١٥٠ سوطا فعارض بعض الضباط بحجة

انه جرح جرحا خطراً ولا يصح جلده وهو فى مثل تلك الحالة . فأبى رابح إلا التنفيذ عليه ولو كان فى ذلك ذهاب حياته . فجلد فضل الله قبل دفن الأموات ووضع السلاح من أيد المحاربين . وقد خسر البرنو فى هذه المعركة خسارة فادحة وكان من قتلاهم أبا بدوى الذى هو من أمرائهم وخال السلطان محمد جارى ومالا ركندمى مولى محمد جارى وكبير قواده وغيرهما من الأعيان

(أسر السلطان محمد جارى وقتله)

بات البرناويون قريبا من جيش رابح وعرضوا فى صبيحة الغد حتى ظنهم رابح انهم هاجمون عليه ولكن سرعان مانزلوا واشتغلوا بالأكل والشرب . فانتهز رابح هذه الفرصة وأمر جيشه بالهجوم عليهم فاضطر البرناويون الى الدفاع ودارت رحى الحرب بينهما واشتد الطعن والضرب وتهور محمد جارى تهورا مدهشا حيث هجم ثلاث مرات يخترق صفوف الاعداء بحصانه مصلتا سيفه تحت وابل من نيران العدو حتى وثب ابا شايب التميشى عليه وركب خلفه وقبض عليه بكلتا يديه وصرعه على الأرض فجلس السلطان مكانه ولم يبد دفاعا ولما رأى أخوه أبكر بونمى . ماحل بالسلطان نزل هو أيضا وجلس الى جانب السلطان محمد جارى أما جيش البرنو فانهزم هزيمة شنيعة وتأثره رابح الى ان وصل بلدة كشقر حيث توجد عائلات البرنو فسباوغنم وعاد . وفى اليوم التالى قدم محمد جارى وأخوه أبكر بونمى الى السلطان رابح الذى أمر باعدامهما فاعدما حداً بالسيف وهنا نقول ان طريقة زعماء السودان فى الحروب عقيمة جدا تدل على الجهل بأصولها . كيف يهجم الزعيم أو القائد العام فى طليعة جيشه تاركا تدبير شؤون القيادة معرضا نفسه لخطر الموت مع ان موته قد يكون من أهم أسباب الذعر فى جيشه . وليس أدل على ذلك من موت السيد محمد أخ المهدى فى واقعة الجمعة بالابيض وموت أحمد على فى واقعة غردت وموت الأمير يعقوب محمد فى واقعة كررى فكل واحد من هؤلاء كان موته سببا فى هزيمة من معه . مع ان القائد العام فى عرف الأوربا ويين يجب ان يكون مركزه بعيداً عن منطقة الخطر ولو ان ذلك لايمنع وقوع القدر المحتوم . ولكن اشتغاله بتدبير الجيش خير من الهجوم ليعمل عملا فرديا قد لا يفيد الهيئة الاجتماعية باكثر مما يأتى به أحد العامة فكان اللورد كتشنر فى واقعة النخيله يأتيه يسير بعيداً عن الجيش ويعطى تعليماته الى ضابط اركان حرب وهذا يهجم بحصانه بقدر ٢٠٠٠ ياردة الى الامام حتى يتصل بجندى

بروجى صار أخيرا اليوزباشى ، أحمد افندى خليل ، ويفهم البروجى بأمر القائد ويقوم هذا بدورة فيهجم بحصانه حتى يقطع نحو ٢٠٠٠ ياردة فيشرف هناك على كتائب الجيش منتشرة أمامه فيضرب البورى بالنوبة التى أمر القائد بها سواء ان كانت بالوقوف أو الهجوم وهلم جرا

توليه السلطان سندا ابكر وقتله Abbakar Sanda

ما كاد يعدم السلطان محمد جارى حتى نادى البرناويون بأخيه سندا أبكر سلطاناً عليهم . وصاروا يتأهبون لغزو دكوى Dikwa عاصمة رابح الجديدة وكان بها وكيله بابكر حماد الذى استأذن رابحاً فى الزحف عليهم قبل وصولهم اليه فلم يوافقه رابح بل انتدب جيشاً يتألف من ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة قادم الحبـــانى الذى سار ليلا ونهارا نحو ٧ أيام حتى وصل البرنو فى بـــلدة ود رو

وبعد باغتهم بحرب لم يقفوا لها بل هزموا تاركين ٣٠ قتيلا ونحو ١٠٠ جريح ولم يخسر جيش رابح عدا أربعة قتلى وجرح نحو سبعة أشخاص كان ضمن الجرحى الضابط أحمد عدبل الهوارى صهر رابح وهو الذى أخذت أخبار هذه الحروب عنه . فكشف لى هذا الجرح فى فخذه الايمن فكان منظره يدعو الى الدهشة والاستغراب لانه كان من طعنة رمح خرقت فخذه وسرج الحصان وولج الرمح فى ظهر الحصان حتى صرع براكبه على الأرض . هذا وبعد ثلاثة أيام ارسل قادم ٥٠٠ مقاتل بقيادة عبد الرحمن مبروك الهوارى الذى تأثر السلطان سندا حتى أدركه فى بلدة مارق Margai وحاربه حرباً هزم جيش البرنو وأسر السلطان سندا أبكر وجاء به إلا ان البرنو أدركوه فى مساء ذلك اليوم وحاربوه حرباً دامت الى شروق الشمس ومن ثم تراجع البرنو بدون جدوى وواصل عبد الرحمن مبروك سيره بعد ان خسر ٤٠ قتيلاً خلاف الجرحى وكانت خسائر البرنو اضعاف هذا العدد . ولما وصل الى قادم أمره بان يستأنف سيره الى ان يلحق رابحا فى بلدة دقيدم Gaidam، ولما بلغ اليها وقدم سندا أبكر لرابح الذى أمر به فقطعت رأسه فى الحال ثم استدعى رابح قادم الحبانى فوصل اليه فى بحر ءالو Alaw، ومن ثم عاد رابح الى دكوى

توليـــة السلطان محمـــد بقراما

كان هذا من سلالة سلاطين البرنو وكان شجاعا أبى النفس وهو فى بلده دقردولى Gardooli،

فارسل رابح لحربه سريه تتألف من ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة جباره الدنقلاوى الذى سار اليه وحاربه مرارا حتى نفدت الجبخانه ثم احتفظ بما بقى منها وحفر خندقا أحاطه بزريبة من الشوك تحصن بها وكتب لرابح بطلب أنجاده بالذخيرة فارسل رابح له الذخيرة وكذا أنجده بجيش يقدر بنحو ٥٠٠٠ مقاتل بقيادة فضل الله رابح الذى عندما وصل اتحد الجيشان وهجما على البرنو هجوما عنيفا حتى هزم السلطان محمد بقراما الى بلاد كانم التى كان ماؤها أشبه شىء بماء البحر الاحمر لا يستطيع أحد الشرب منه عدا سكانه الأصليين

« عصيان سلطان مندرا Mandara »

المندرا قبيلة مهمة تتكلم بلغه خاصـــة وتدين بالاسلام . تسكن فى جبال شاهقة صعبة المسالك كثيرة المستنقعات رديئة المناخ . تقع تلك الجبال فى الجنوب الغربى من بلاد برنو على بعد ثلاثة أيام من ديكو Dikwa عاصمة السلطان رابح . وكان لهذه القبيلة سلطان يدعى أبكر يعنى « أبو بكر » وكان هذا كثير الهوس سىء الظن . ولما طرد رابح السلطان هاشيا كتب للسلطان أبكر سلطان مندرا يدعوه الى التسليم فاذعن أبكر بدون حرب ولكنه رفض القدوم الى رابح ولكن لم يقبل رابح منه هذا الاذعان المحفوف بسوء الظن . فكتب اليه انذارا هدده فيه بالحرب ان هو لم يحضر اليه . فجرد عليه جيشا جرارا كان يتألف من ٦٠٠٠ مقاتل من حملة الاسلحة النارية و ٧٠٠٠ فارس من الكماة المدججين بالسيوف والرماح وعقد لواء القيادة العامة الى وكيله بابكر حماد المبدلابى الذى سار الى جبال المندرا وقد خرج السلطان أبكر لحربه وهناك نشبت بينهما حرب هائلة هزم فيها المندراويون بعد خسائر فادحة وقد أسر السلطان أبكر وكان رجلا ضخما هائل المنظر وذلك بعد ان قتل أربعة من أولاده وهم لول Lawal والياس ومايـنا بيا Mayna Biba وسانقرى Sangori وفر ابنه الأكبر المدعو عمر الذى نودى به سلطانا على مندرا واعتصم فى جبل مرا Murra الذى هو اشبه بجبل مره فى دارفور لصعوبة مسالكه فأخذ أبو بكر حماد يحصره به ١٢ شهرا لم يستطع الوصول الى العدو ولم يرض العدو النزول اليه كما فعل أولا . وهناك سئم جيش رابح البقاء بين تلك الجبال فعاد به أبو بكر حماد الى ديكوى ولما قابل السلطان أبكر رابحا عفا عنه وسلمه نساءه وأولاده الصغار وأمره بالاقامة معه فى ديكوى ولما خرج رابح لحرب الفرنساويين قتل فضل الله رابح السلطان أبكر لاسباب سياسية

خروج حياتو محمد بيلو وقتله Billo
فرار جبريل مدعى خلافه المهدى

كان حياتو محمد بيلو من سلالة عثمان بن فوديو الذى كان من كبار العلماء العاملين ولعثمان هذا من جلائل الاعمال ماصيره فى طليعة أهل جيله علماً وفضلا إلا أنه دلت التجارب العديدة على ان أبناء الأولياء وسلائل الاتقياء يغترون بانكباب الناس على تقبيل أيديهم وظن البركة فيهم فيشعرون بالعظمة ويطمحون الى الملك فيعملون مايجعل القريب بعيداً والصديق عدواً لدوداً . مع انه لم تصل اليهم تلك العظمة إلا من طريق الانكسار وانكار الذات والتواضع لله جل شأنه .

هذا ولما سمع حياتو محمد بيلو بظهور المهدى وتدهور حكومة مصر أمامه فى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م كان أول من كتب اليه من نيجريا وآمن بدعوته . ولما علم قدوم السلطان رابح الى مملكة برنو سار اليه وانضوى تحت لوائه فرحب هذا به وأهدى اليه من المال والجوارى والغلمان ماجعله أحسن الناس حالا وانعمهم بالا وزوجه ابنته السيدة حواء .

ولما اشتغل رابح بحرب الفرنساويين وترك ابنه الامير فضل الله رابح بالعاصمة جاء رجل يدعى جبريل الفلاتى مدعى خلافه المهدى المنتظر وهنا يجب ان نأتى بمذكرة وجيزة عن تاريخ حياة هذا المدعى فنقول ولد جبريل الفلاتى فى مدينة أرداوه من أعمال كتاقم الواقعة فى شاطىء نهر كتاقم المنسوب اليها

كان جبريل من رعاة الغنم جاء ذات يوم فى مأتم فصرع أمام الناس وقد حمل الى داره وهو لايعى شيئاً . ثم حدث به جذب وصار يتكلم كلاماً لايتفق مع المعقول وبعد زمن يسير صار يدعى الولاية والصلاح وأعقب ذلك بقوله وانى خليفة المهدى المنتظر » فالتف حوله ٣٧ رجلا من الفلاتا وهناك قال انى أمرت بجهاد قبائل الزنج الوثنية شرطا بعد ان يبلغ اتباعى ٤٠ شخصا فأحضر له أولئك السذج الملتفين حوله ثلاث نساء متطوعات للجهاد فتم بذلك العدد المفروض عليه كما زعم ! ! وهناك هاجم قبيلة زنجية تسمى كركرى Karikari ، فقتك بالكثير منها وكان ضمن المقتولين السلطان دكنده Dukanda ، والسلطان جارمى مالم

وسبا نساء وأولاد الزنج وغنم ماشيتهم . واذاع نشرات فى بلاد فلاتا وهوسا وبرنو حضهم فيها الى جهاد الزنج الغير مسلمين وقال ان المهدى سيظهر بعد ان يمهد له باعماله هذه فانضم اليه كثير من مريدى الهرج وأباح نصف الغنائم لاتباعه . وقد وقف فى سبيل هذه الدعوة جماعة من سلاطين فلاتا وهم

١ السلطان صالح الفلاتى سلطان مسو

٢ « حاجى سلطان كتاقم **Katagum**

٣ « عثمان سلطان بوشى **Bushi**

٤ « عمر سلطان قمى

فالرغم من رفض الاولى بعض السلاطين المذكورة أسماؤهم هرب من اتباعهم نحو ٠٠٠٠ اشخص الى ذلك الداعية . وهناك صار يهاجم قبائل الزنج ويفتك بهم وينهب من أموالهم ماشاء ولما رأى حاجى سلطان كتاقم تضخم جيش المدعى واستفحال أمره انضوى اليه وصار يحارب معه وأخيرا تغلبت قبائل الزنج على المدعى وفتكت رجاله فاضطرته الى الهزيمة الى قومى دار السلطان عبده أما حاجى فانه رجع الى كتاقم **Katagum**

فاقطع عبده بلدة بورمى الى جبريل الذى أقام بها نحو سنة واحدة وبعد صار يتحدى جباة السلطان عبده ويمنعهم تحصيل الزكاة وقد حدثت بينهما حرب قتل فيها السلطان عبده وهزم جيشه وقد عين حسن سلطانا بدلا من عبده المقتول ولما استنجد هذا بسلطان سكتو الذى أمر السلطان محمد منقه ابن صالح والسلطان عمر بمحاربة جبريل فسار هذان فى جيش جرار وحصرا المدعى ٤٠ يوماً حتى اضطراه الى الخروج لحربهما وهزمتهما بعد ان أهلك كثيراً من اتباعهما . وهناك هابه الناس وأخذ يصول فى طول البلاد وعرضها . وفى أثناء سكرته بلغه اشتغال رابح بحرب الفرنساويين لجاء مسرعاً لكى يصطاد فى الماء العكر وقد فاته قول القائل « ماكل مائع ماء ولا كل سقف سماء »

قد حرض جبريل حياتو محمد بيلو على عقوق رابح والقضاء على مملكته وان ينادى به سلطاناً بدلا عنه . وكانت لحياتو جموع عززتها جموع جبريل وبينما هما يدبران المكائد اذ باغتهما فضل الله رابح الذى قبض على حياتو وقطع رأسه وأطلق النار على اتباعه واتباع جبريل ففتك

بكثير منهم وفر جبريل الى دارفلاتا وما زال يعبث بها حتى قتله الفرنساويون عند احتلالهم للسودان الفرنسى وأراحوا العالم من شره

واقعـــة جبل كنو Kano

لقد نهج الغربيون نهجاً غريباً فى تلمس وسائل الاستعمار وجازفوا بمجازفات دلت على شجاعتهم الحسية والمعنوية لانهم كانو يسيرون فى بلاد لايلائمهم هواؤها ولايصلح لهم غذاؤها لاسيما وانهم ماكانوا يعرفون شيئاً من لغة السـكان فمن أجل ذلك التباين اشتبه عمال رابح فى رجل فرنسى فى بلدة كسرى التابعة لفرت لامى وجاءوا به الى ديكوى فسأله رابح عن سبب حضوره فقال انه تاجر جاء ليرى البضايع المرغوب فيها من الأهالى ثم يعود لاحضارها فأمر باعتقاله وقام بنفسه ليبحث عن الفصيلة الفرنسية التى جاء معها هذا الفرنسى اذ لايعقل ان يجىء رجل بمفرده الى تلك البلاد ذات الأمم المختلفه واللهجات المتباينه فسار السلطان رابح فى جيش عظيم من جنوده بعد ان ترك ابنه الأمير فضل الله وكيلا عنه فى ديكوى وذلك بعد ان أرسل الطلائع والجواسيس فى كل ناحية من مناحى سلطنته فعادت اليه تلك الطلائع وأخبرته بوجود قوة فرنسيه مسلحة بمدافع حديثه متحصنه فى ذروة جبل كنو الواقع فى شمال بحرشارى وكان معها السلطان عبد الرحمن قورنه سلطان باقرما الذى اسلفنا عنه وكان الفرنساويون سلحوا رجاله ببنادق من ذات الطلقات المتعددة وهو يرابط فى المنطقة الواقعة بين البحر والجبل متحصناً فى خندق يمتد من طرفى الجبل الى ان يتصل بالبحر فقسم السلطان رابح جيشه على ثلاثة أقسام فتولى القيادة بنفسه على قسم من هذه وناط بقيادة القسم الثانى الى أبو بكر حماد والثالث الى عثمان شكو ثم سارت الثلاثة أقسام ليلا بدون ان يعرف الفرنساويون شيئاً من أخبارها فباتت ذات يوم قريباً من جبل كنو وفى الساعة السابعة صباحاً هجم قسمان من الجيش على السلطان عبد الرحمن قورنه نصير الفرنساويين بين الجبل والبحر وتأخر القسم الذى كان يقوده السلطان رابح فى وراء الغابات وهناك احتدم الحرب ووجهت الطابيه الفرنسية التى بذروة الجبل فوهات المدافع على القسمين الهاجمين على الباقرما ولما اشتغل الفرنساويون بالذب عن الباقرما جاء السلطان رابح وقسمه وتسلقوا الجبل من الخلف كالنمور حتى كانوا والفرنساويون فى مستوى واحد . وباغتوهم بهجوم مكنهم من احتلال الطابيـة

والقضاء على حاميتها التى لم يبق منها عدا خمسة فرنسيين وقعوا فى الاسر ثم أطلق هذا القسم على الباقرماويين وأصلاهم ناراً حاميه حتى هزموا هزيمة شنيعة ومن ثم استدعى رابح الخمسه أسرى وعرض عليهم الاسلام ولما رفضوا أمر بهم فاعدموا فى الحال ولقد غنم رابح المدافع والبنادق الفرنسيه . وما كانت خسارته تذكر بالنسبة الى رزىء الفرنساويين اذ لاتتجاوز ١٥٠٠ بين قتيل وجريح وكان ابنه محمد أصيب برصاصة فى رجله اليمنى وقد أذاعت جريدة الاهرام بعددها ٦٥٨١ الصادر يوم الجمعة ١٠ نوفبر سنة ١٨٩٩ الموافق ٦ رجب سنة ١٣١٧ تحت عنوان

السلطـــان رابـــح

جاءتنا الانباء البرقية منذ أيام بسطو رابح سلطان برنو وباقرما على بعثة فرنسوية وتنكيله بها . وقد قرأنا فى جريدة الطان الواردة أمس فصلا جديراً بالمطالعة لما يستشف من خلاله من راى الوزارة الفرنساوية فى أمر هذا الرجل . وملخصه ان رابحاً قد استلفت اليه العالم المتمدن لأسره المسيو بيهاجل وقتله برتونال وبرون ومرتين من رجال البعثه المذكورة .

وقد استفحل أمر هذا السلطان لأن مملكته حصينة تمكنه ان يمول جيشاً كبيراً يغزو به الأرقاء فيما جاوره من الارجاء إلا بلاد وداى فى صقع تشاد . فانها لكثرة سكانها نجت من بطشه فرغب عنها الى الجنوب .

ولسنا نأول اتجاهه الى هذه الجهة بغير ماتقدم (١) لاننا لانصدق ان الانكليز أوفدوا اليه فى سنه ١٨٩٤ سفراء ليبعدوه من أملاكهم كما شاع . ثم قالت الجريدة المذكورة ان من الناس فى فرنسا من لايثور . وبالجملة على رابح ومعاقبته حالا ولكنها ترى ان هذا التردد لاينجم عنه إلا استمرار العبث والفساد فى تلك الاملاك التى اعترفت بها المانيا لفرنسا فى سنة ١٨٩٤ وانكلترا فى هذه السنة .

فاذا ترك رابح وشأنه شرد السكان وبور الاراضى كما فعل التعايشى فى السودان المصرى وكما فعل ساموري فى مملكته ، فكانت نتيجة ذلك بعد حين زيادة النفقة على الحرب والحصول

---

(١) هذا تعليل يدل على جهل السكاتب بحقائق الأمور لان البلاد التى اخضعها رابح أغنى بالرجال والمال من سلطنه وداى وما عدل رابح عن وداى إلا انه يريد القضاء على ممالك باقرما وبرنو وفلانا وهو سار ثم الهواطى ، بحيرة تشاد وينحدر شرقا فيكتسح بلاد وداى ودارفور ولكن الارض مت مقيلته فى صخور الاستعمار الفرنسى .

على الاملاك مقفرة من السكان غير صالحة للاستعمال الا بعد العناء الشديد وبذل الأموال الطائلة .

واقعة كنو كنج دقل Kono Kung Dagal

تقع كنو كنج دقل فى شاطىء بحر شارى شيد بها الباقرماويون حصنا فتحوا به المزاغل وأقاموا به ثم أخلوه بسبب هزيمتهم فى جبل كنو . فسار اليه رابح وتحصن به بعد انتصاره على الفرنساويين فى ذلك الجبل وانتظر هناك يتربص بالفرنسيين الذين أخذوا يتأهبون لأخذ الثار وبعد ٦٠ يوما جاءوا فى قوة تتألف من نحو ٤٠٠ جندى فرنساوى و ١١٠٠٠ جندى من الباقرما المسلحين بالبنادق وكانت تعزز القوتين باخرة مدرعة ومسلحة بالمدافع . وما كاد يبدو حاجب الشمس حتى بدأ الفرنساويون والباقرماويون بهجوم عنيف وصارت الباخرة تطلق نيران المدافع على الحصن الذى صار يتصدع على المدافعين به فيموتون تحت الانقاض . ومع ذلك فان السلطان رابح وجنوده أظهروا يومئذ من ضروب البطولة مايدعو الى الاعجاب . ومازالوا يدافعون الى مابعد غروب الشمس حتى أبادوا القوة الفرنسية البرية وهزموا السلطان عبد الرحمن قورنه وجيشه بعد ان تركوا أكداسا من القتلى وتراجعت الباخرة فأراد ضباط رابح مطاردة العدو ولكن أصدر رابح أمراً يقضى بان لايبرح أحد ذلك الاستحكام الى بزوغ الشمس اذ ربما كان فرار العدو مكيدة يراد استدراجهم ليخرجوهم من الاستحكام ليلا ثم يسكروا عليهم .

ولما خرجوا فى الصبح لم يجدوا حول الاستحكام إلا أكداسا من القتلى . وكانت خسارة رابح ٣٠٠ قتيل كان ضمنهم عثمان ودشكو من أمهر قواده أصابته قنبلة مزقته شر ممزق وجرح نحو ٥٠٠ جندى كان ضمنهم القائد العظيم أبو بكر ود حماد العبدلابى وكيل السلطان رابح أصابته رصاصة تحت السكاره ثم مرت فكسرت طرف المخروقة فبقى ٢٥ يوما ثم توفى الى رحمة مولاه وكان لهذين القائدين أعظم أثر فى نهضة رابح العسكرية وكانت لموتهما رنة أسف كان وقعها على النفوس ثقيلا جداً .

هذا ولقد وجد رابح كتابا وضعه الفرنساويون على قصبة ثم غرسوها على قبر أحد

قتلاهم يقولون فيه ماخلاصته ، ارجع الى عاصمتك فانا قادمون لحربك بها ! ،

عودة الفرنساويين لحرب رابح

يؤخذ من وقائع المسألة ان الفرنسيين قصدوا بحروبهم الاوليـــة سبرغور العدو لمعرفة قواه المعنوية ثم غابوا سبعة أشهر وعادوا الى ميادين القتال مسلحين بالبطاريات ذات المدافع الحديثة ومدافع المكسيم وجندوا كثيراً من السنغاليين الذين اشتهروا بولائهم لفرنسا . فجاءوا سائرين فى شاطئ م بحر شارى تحميهم الباخرة المدرعة الى بلدة كسرى فسار لهم فضل الله رابح فى جيش عظيم وهاجمهم ثلاث مرات ولم يستطع الثبات أمام تلك البطاريات الفتاكة ولما تأكد من شدة وطأة العدو حفر خنـــدقا قريبا من كسرى وكتب لوالده أخبره بقوة العدو فانجده ب ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة كبسون مولى رابح وحاج قمبو البرناوى . وهناك قام فضل الله رابح بهجوم رابع على الفرنساويين وأصلاهم نارا حاميــة حتى هزمهم إلا أن جنود فضل الله اشتغلوا بالغنائم حتى كر الفرنساويون واطلقوا عليهم النار فى حال اشتغالهم فبرحت بهم تبريحا فظيعا وهزموا بعد ان قتل القائدان كبسون رابح وحاج قمبو **Gumbo**

واقعـــة كسرى Kusri

لقد انجد رابح ابنه فضل الله ب ٤٠٠٠ مقاتل بقيادة بشارة خراج النعيشى واحمد القر ودرحمه كلاهما من عرب السلامات وكان للعدو سور عال يحيط بهم فأمر فضل الله جيشه بعمل سلالم بحيث يكون لكل رجلين سلم فقام نحو ١٠٠٠ مقاتل فى جنح الظلام وساروا بدون ان يشعر العدو بقدومهم ثم وضعوا تلك السلالم على السور وتسلقوها ونزلوا بداخل الاستحكام الفرنسى وباغتوا العدو باطلاق النار وهب الفرنسيون من سباتهم وظلت الحرب متأججة بين الفريقين الى طلوع الشمس فقتل كل جيش فضل الله ولم ينج منه عدا رجلين جاءا بالخبر فكتب فضل الله لأبيه أخبره بذلك . ولما سمع رابح توالى الهزائم هاله الأمر ورأى ضرورة عودته لميدان القتال ومباشرته ردتلك الباخرة التى عسكرت مزاجه

مقتل السلطان رابح فضل الله

سار السلطان رابح فى نحو ٣٠٠٠٠ جندى بين فارس وراجل وثلاثة مدافع . ولما بلغ كسرى أمر ابنه الأمير فضل الله بالعودة الى ديكوى لحفظ الأمن بين ربوع البلاد وحفر رابح خندقا تحصن به فظل ٤٠ يوما لم تحدث بينه وبين الفرنساويين حرب . وبينما هو كذلك إذ بجيش جرار بقيادة الجنرال لامى باغته بهجوم عنيف فى الساعة السابعة صباحا بعد ان أحاط الفرنساويون باستحكام رابح من كل جهاته ونشبت الحرب بينهما من الساعة السابعة صباحا كما ذكرنا الى الساعة العاشرة صباحا . هلك فى غضون هذه المدة مايقدر بنحو ٠٠٠٠ جندى خلاف الجرحى وكان ضمن المقتولين السلطان رابح ومن كبار ضباطه قادم الهبانى والأمير يوسف وعبد الله ملى الفلاتى وبلال تركاش وحمدين التميشى وغيرهم وهزم بقيه الجيش . وقد حاول جنود رابح أخذ جثمانه من ميدان القتال . ولكن نيران الفرنساويين حالت بينهم وبين مايشتهون . وما كانت خسائر الفرنساويين بأقل خطراً من عدوهم إذ كان من قتلاهم الجنرال لامى القائد العام للحملة الفرنسيه وغيره من الضباط وكثير من سائر أفراد الجيش الفرنسى .

هذا وكان السلطان رابح طويل القامة كبير الهامة ضخم الكراديس واسع الجبهة معتدل الأنف خفيف اللحيه قصير الشاربين أخضر اللون جمع الله له مابين وقار الكهول ورشاقة الشبان . أصيب فى حربه لقبائل البندا بنشاب فى أصبعه الوسطى من يده اليمنى جعل الأصبع ناشفا لايتحرك . وكان رابح يكرم العلماء ويحب الفضلاء ويعطى المال عطاء من لايخاف الفقر . ومن انبل أعماله النادرة انه دخل بلاد برنو بعد ان خضب عرصاتها بالدم وتخطى على هام أبنائها وما لبث عاما أو بعض عام حتى استطاع ان يجمع قلوب الشعب على محبته والاخلاص فى خدمته . فان قبائل تلك الاقطار كانت ولم تزل تتغنى بمدح رابح توقعه توقيعا بديعا على آلة تسمى هناك « بالكيته **Kaita** » لها صوت أشبه شيء بصوت « الكمنجه » فإذا وقعت تلك الاغانى على آلة الكيته ترى القوم يتواجدون ويذرفون الدمع دما على مليك طالما غمرهم باحسانه فما أخلقه بقول الشاعر

نداك إذا ضن الغمام غمام	وعزمك ان فل الحسام حسام
فهذا ينيل الرزق وهو ممنع	وذاك يرد الجيش وهو لهام

ذكرى رابح والجنرال لامى

مابخس الفرنساويون حق السلطان رابح ولم يسيئوا الى جثمانه بعد موته بل كانوا ينظرون اليه بعين الغبطه والاعجاب . فاحسنوا جهازه ودفنه . ثم أقاموا عليه بناءمربعا وضعوا فى كل زواية منه مدفعا رمزاً على انه كان رجلا حربيا أو ضابطا عظيما . هذا وأقاموا تمثالا للجنرال لامى وكلاهما بميدان واحد فى مدينةفورت لامى العاصمةالجديدة التى اختارها الفرنساويون لوداى وقد تقع فى يمين بحر شارى وانها مدينة ذات شوارع عظيمة غرست بها الاشجار والحدائق وشيدت بها مبانى على قواعد هندسية حديثة فهى بمثابة الخرطوم لدى حكومة السودان الفرنسى ولها ميناء ذات شهرة تجارية

تولية فضل الله رابح سلطانا على برنو

ماكان فضل الله بأقل من أبيه حزما وعزما . فانه قابل تلك الكارثة العظيمة برباط جاش ووطد النفس على القيام بمزاولة الدفاع والذود عن المملكة ولو انه كان يعلم يقينا عدم تكافؤ الجيشين . فاجتمعت فلول المنهزمين من واقعة كسيرى على الجيش المرابط فى ديكوى ونادوا بالأمير فضل الله سلطانا على برنو واحتفلوا بولايته احتفالا عظيما ثم بايع الجيش السلطان وحلفوا له يمين الطاعة .

واقعة سقبجا Sagabaga

تقع هذه القرية غرب ديكوى على مسافة أربع ساعات منها بالسير البطىء . سار اليها السلطان فضل الله بقصد الالتجاء بالانكليز فى يولا من بلاد فلاتا وقد هجم عليه الفرنساويون فاضطروه الى حربهم حربا دامت خمس ساعات خسر فيها فضل الله خسارة فادحة وكان ضمن القتلى الفقيه احمد اكبر رئيس القضاء الشرعى وولده ابو بكر ومحمد الحاج والشريف أبو النور والصديق النور وغيرهم من الضباط وأعيان الجيش واستولى الفرنساويون على الذخائر والأموال وكانت ضمن السبايا نساء رابح . وقد كان لتلك الحرب أثر سىء فى نفوس الجيش ولكنه لم يزل يثابر على الثبات ويحرص على الأخذ بالثأر مهما تكن العاقبة .

واقعة إشقى Ishgi

كان الفرنساويون جاهدون لاجل القضاء على فلول جيش السلطان فضل الله قبل أن يتمكن من إعادة النظام الى ذلك الجيش الضعيف المنهوك القوى وبث روح المعنوية فيه والكر به لاستدراك مافات وللاحتراس مما هو آت . فبعد أربعة أيام من واقعة سقبجا أدركوه فى إشقى وحدثت بينهما حرب هزم فيها جيش فضل الله وغنم

الفرنساويون ما وصلت ايديهم اليه وعادوا الى ديكوى أما فضل الله فانه دخل بلاد فلاتا وكتب انذاراً الى السلطان الزبير يعلنه الحرب وكان الزبير رجلا عاقلا رد عليه رداً لطيفا بما معناه انى كنت صديقا لوالدك المرحوم السلطان رابح ولا أرى ضرورة تدعونى الى حربك فان كنت تريد مكانا حصينا يعصمك من غارات العدو فدونك والهجوم على جنال « بابر **Babur** » الذين هم طائفة زنجية وثنية كانت خاضعة للسلطان زبير تؤدى له الجزية ثم شقت عصا الطاعة فهجم عليها السلطان فضل الله وساعده سلطان فلاتا بجيش تحت إمرة مولاه « قلاديما **Giladima** » فدوخ سكان تلك الجبال وفرض عليهم الجزية وأقام بينهم سنة كاملة مكنته من التأهب لحرب الفرنساويين الذين اضربوا عن مطاردته ظانين انه قد بلغ به الضعف مبلغـــا لايقدر معه الى التعرض لخطار الحروب !!

غارة فضل الله على البرنو

كان فشل جيوش السلطان فضل فى حرب الفرنساويين فى أول الأمر سببا فى دخول قبائل البرنو فى طاعتهم فأغضب ذلك فضل الله رابح الذى رأى من الضرورى اجتياح البرنو قبل الوصول الى الفرنساويين وكان لقربى **Girbay** « سلطان برنو مولى يسمى « ملا موسى **Mulla Nusa** » يقيم حاكما على منطقة تقع فى الطريق التى يريد السلطان فضل الله المرور منها . فسار عليه فى جيش عظيم وأغار عليه إلا أن ملاموسى لم يقو على الدفاع فسلم الى السلطان فضل الله وقدم له ٨٠٠ حصان فأمنه فضل الله واستأنف سيره الى مولاه السلطان قربى وحاربه حربا هزم فيها السلطان قربى الى بلاد كانم فغنم فضل الله وسبا وعاد الى مدينة ديكوى ظافراً منصوراً

واقعـــة بلا ربا Billa Raba

ما كاد يبلغ الفرنساويين قدوم فضل الله حتى ساروا لحربه فى جيش عظيم فاضطر فضل الله الى اخلاء ديكوى وسار بجيشه غربا الى ان بلغ بلدة بلارابا بعد ثمانية أيام وقد لحق به الفرنساويون بعد ان أقام بها وأمر جيشه بتنظيف الاسلحة والتأهب لدفع

غائلة العدو المزمع وصوله وبينما هو كذلك اذ هاجمه الفرنساويون باطلاق النار على جيشه فقابلهم بدفاع مجيد وبعد بضع دقائق أمر فضل الله فرسانه بالهجوم من الجناحين فهجم أولئك الفرسان مفرقين رماحهم حتى ولجوا صفوف الاعداء وهزموهم هزيمة شنيعة فكانت خسائر الفرنساويين ٤٠٠ قتيل عدا الجرحى أما السلطان فضل الله فانه خسر ٧٠ قتيلا كان منهم قادم الاحمر من عرب السلامات . وكان الجرحى فوق هذا الرقم منهم دودو الحيانى وعبد القادر أبى سكين

توجيه السلطان الى بحر أشكا

بحر أشكا هو الحد الفاصل بين بلاد برنو الذين يقيمون شرقه وتقيم قبائل فلاتا غربه . فسار اليه السلطان فضل الله وحفر هناك خندقا وأخذ يرسل السرايا لغزو قبائل الزنج فدوخ كثيراً منها وفرض عليها الجزية . ثم أقام أربعة أشهر لم يحضر اليه الفرنساويون . ومن أجل ذلك سئم البقاء هناك بل سار بجيشه شرقا . ثم أرسل نحو ٢٠٠٠ جندى بقيادة حامد اديمى الذى سار الى الامام وحارب فلاتا أم بررو Um Bararo، وغنم أموالهم ولما وصل الى بلدة « برقما Birgima » حفر خندقا تحصن به ولحقه السلطان وجيشه فأقاموا هناك يتحينون الفرص لمهاجمة الفرنساويين فى الوقت المناسب

توسط الانكليز في الصلح

ان غارة الفرنساويين على بلاد السلطان رابح والايطاليين على الحبشه والبلجيك على الرجاف وهلم جرا كانت باتفاق دولى . وبالرغم من ذلك فان حكومة نيجريا انتدبت أربعة موظفين انكليز ساوروا الى السلطان فضل الله فى بلدة « برقا »

ورجوه الكف عن الأعمال الحربية ريثما يتوسطوا بينه وبين الفرنساويين لايجاد صلح شريف تحفظ به كرامة الفريقين فأجابهم فضل الله بالايجاب والقبول وفتح باب المفاوضات ولكن لسوء الحظ ونحس الطالع ارسل السلطان فضل الله أحد ضباطه المدعو عيد النعيشى بألف جندى الى ديكوى لاخراج خزينة كانت مخبوءة بالأرض لاحضارها اليه . وكان عيد هذا رجلا قليل الوفاء ساقط المروءة فما كاد يرى تلك الخزينه

حتى بهره منظر الذهب وسولت له نفسه الخبيثة الاستئثار به وشق عصا الطاعة على السلطان وليته ان وقف عند ذلك الحد بل صار يغير بالقبائل المصافية للفرنساويين يفتك وينهب أموالها . فاعتبر الفرنساويون ذلك عملا مخلا بشروط الهدنة فجردوا جيشا باغت الضابط عيد بحرب قتل بها وبدد جيشه وصارت خزينة السلطان غنيمة للفرنساويين . وكان كما قيل ، ذهب الحمار يطلب قرنا فجاء بلا أذنين .

مقتل السلطان فضـــل الله رابح

لما بلغ السلطان فضل الله خيانة عيد ووقوعه بين براثن العدو تأكد قدوم الفرنساويين لحربه لانهم لا يعلمون شيئا عن عصيان عيد وعيثه بدون أمره فغادر برقا وسار الى بلدة قجبا Gujoba ، التى تبعد يوما واحداً من برقا . وكانت قجبا من أمهات عواصم بلاتا يحيطها سور عال فاعتصم فضل الله بسورها وتأهب للقاء الفرنساويين الذين جاءوا اليه فى قلة لا يتجاوز عددهم ٥٠٠ جندى مع ان جيش فضل الله يومئذ ٢٠٠٠ مقاتل ولكن سئم رجاله الحرب وضجوا مما هم به من الاضطرابات العسكرية . وبينما هم كذلك اذ أحاط الفرنساويون بالقرية وأطلقوا النار عليها وقابلهم فضل الله وجيشه بدفاع مجيد حتى أصيب برصاصة فى جبهته فصرع قتيلا .

فما كاد يرى بعض ضباطه ما حل به حتى وضعوا السلاح وسلموا للعدو فكان من هؤلاء أليان وتخيا . ورفض آخرون فى عزة وإباء فظلوا يثابرون على الحرب حتى غابت الشمس . وهناك حملوا جثمان السلطان فضل الله وساروا الى بلدة «مدى Miday على مسيرة يوم واحد غرب قجبا ودفنوه هناك باحتفال عظيم بعد الصلاة .

تولية محمد نبى Nibby

كان هذا أصغر ابناء السلطان رابح وقد كان يناهز ٢٥ سنة من عمره آل اليه الملك بعد أن تطرق الهرم على حكومة أبيه ونخر عظامها سوس التفريق. فصارت والدته تلح عليه فى عدم التعرض لاخطار الحروب حتى لايذهب كما ذهب أبوه وأخوه. فتأثر السلطان محمد نبى **Nibby** من حديث والدته وهناك كتب خطابا لقائد القوات الفرنسية يطلب منه الأمان لنفسه. وسار الى أقرب نقطة فرنسية سلم اليها وذلك بعد أن عارضه جماعة من ضباطه وحذروه سوء العاقبة ولما لم يلتفت. تركوه وشأنه. فأول شيء استلم الفرنساويون منه ٣٠٠٠ بندقية. وقبضوا على الضباط الذين عارضوا فى مسألة التسليم وهم جباره الدنقلاوى وذهب وله حسنه من عرب السلامات والوان من دلقا واعدموهم رميا بالرصاص. ثم اعتقل السلطان محمد واخته حواء فى فورت لامى وجعل لكل منهما راتب يتقاضاه شهريا واذن لها فى ضم بعض الارقاء أمامائر الجيش فوزعوه فى البلاد الآتيه :—

١	فورت لامى	1	Fort Lami
٢	قلفى	2	Gilfay
٣	كايسم	3	Kileisum
٤	لقن	4	Lugun
٥	ديكوى	5	Dikwa
٦	مساقط	6	Masagit
٧	منجفا	7	Mangafa
٨	بسو	8	Bosow
٩	فرسمبو	9	Farsambo
١٠	يارو	10	Yaro
١١	دار كانم	11	Dar Kanim

يسرني أن أرفع لقراء مؤلفاتي عن تاريخ وأدب السودان
الهدية العظيمة التي قدمها لي الاستاذ أحمد حمدي فدا
الخوجه التركي بمسجد محمد علي باشا الكبير بالقلعة
في يوم الثلاثاء ١٩ فبراير سنة ١٩٥٢ م
٢٣ جماد أول سنة ١٣٧١ هـ

● ● ● ● ● ● ● ●
● ● ● ● ●
● ● ●
●
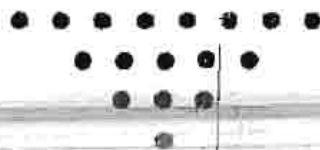
نكتة

نذكر لهذه المناسبة نكتة على سبيل المفاكهة . لقد اشتهر الاتراك بجوده الخط في عهد حكومة مصر التركية بالسودان. وكان الميرالاي علي شريف بك التركي مديرا لبربر وكان فنانا يجيد الخط بأنواعه . ولكنه لايخلو من القسوة والجبروت فاخذ سكان مدينة بربر يبعثون عنه بلاغات بدون إمضاء للحكمدار بالخرطوم وهذا لايعرف علاجا لتهم لادليل على اثباتها وحسما للنزاع نقل المدير الكردفان فسار لمنصبه الجديد ساخطا على أهل بربر الذين وصفوه بما ليس فيه. وهناك طلب اليه أحمد افندي القفاري باشكاتب مديريه كردفان نقلة أي مشقا لابنه عثمان القفاري ليتعلم خطا كخط المدير فكتب له العبارة الآتية :ـــ

قط القلم قط   وتعلم جمال الخط
طفت البحار وجزت الامصار   مارأيت ألعن من أهل بربر قط

اللواء عبد الرزاق حقى باشا

كان عبد الرزاق طويل القامة ضخم الكراديس ممتلىء الجسم كث اللحية عين مديرا الى كسلا ثم وكيلا للحكمدارية بالخرطوم . ولما ثار السلطان هارون الرشيد وحضر المقدوم سعد عرجون مدينة الفاشر وشدد النكير على حسن حلمى باشا سار عبد الرزاق على رأس أورطة مصرية لانجاده ولكنه ما كاد يصل حلة أرقد شرق الفاشر حتى خرج لحربه حماد ودجمل والمقدوم سعد عرجون وحارباه حربا اضطراه الى الرجوع الى بلده فوجه بدار حمر وبقى هناك الى ان دعا هارون سعد عرجون الى بلدة الطينه وهناك عاد عبد الرزاق باشا واستأنف سيره لانجاد الفاشر حوالى سنة ١٢٩٤ هـ ولم تزل جنوده موجودة بالفاشر وكان معهم طبيب مصرى يدعى محمد مهدى بعثت صورته لسمو عمر طوسون باشا سنة ١٩٣٣ م والى هنا نمسك عن سيرته لاننا لا نعرف متى دعى لمصر وكيف كانت أطواره الأخيرة

مصطفى باشا الطوسيه لى

كان هذا ضابطا برتبة الميرالاى جىء به ناظرا لترسانة الخرطوم ومنصبه يعادل منصب مدير الوابورات وكانت الترسانة ذات حركة واسعة النطاق تتبعها ١٢ باخرة نيليه ومجموعة عظيمة من الصنادل والمراكب الشراعيه والفلايك الصغيرة . وكان يشتغل بتلك الترسانه زهاء ٣٠٠٠ عامل من الصناع المصريين الماهرين وقد خففت تلك البواخر عبأ المواصلات منذ عهد سمو اسماعيل باشا خديوى مصر . وقد منح مصطفى بك رتبة اللواء كما اذاعته جريدة الوقائع المصرية بعددها ٧٣ بتاريخ يوم الاحد ٢٨ شوال سنة ١٢٩٤ هـ و ٤ نوفمبر سنة ١٨٧٧ م : —

« أحسن بتلك الرتبه « أى لواء » الى حضرة سعادتلو مصطفى باشا الطوسية لى ناظر ترسانة الخرطوم » كان مصطفى باشا كبير الهمة ودمث الاخلاق دينيا محبوبا . وقد يرجع الفضل اليه فى تحسين الملاحة بين الرجاف وأبى حمد

البكباشى محمد افندى مرزوق

ولد فى سنار حوالى سنة ١٢٤٣ هـ ١٨٢٨ م كان مربوع القامة متوسط الجسم حليق اللحيه قصير الشاربين متعلم تعليما بسيطا . يقال انه من سلالة الهمج وزراء الفنج

قديماً . وقد اشتغل قبطاناً لاحدى البواخر التى تسير بين الخرطوم وجبل لادو عاصمة خط الاستواء قديماً فأظهر مقدرة فى الملاحة وحنكة جعلتنا له المكان الأول بين اقرانه . ولما حصرت الخرطوم وقبل سقوطها سار بفريق من المصريين والسوريين والافرنج الى مصر فاجتاز الشلالات ووصل بهم الى شلال أسوان سالمين فكافأته حكومة مصر اذ منحته رتبة البكباشى وأحالته الى المعاش فأقام فى أسوان . ولما جىء بأسرى واقعة توشكى سنة ١٣٠٦ هـ تولى الانفاق على كثير منهم عن سخاء وطيب خاطر الى ان زوج النساء لاناس من العبابده وغيرهم . ووجد الرجال منهم اشتغالا بتلك البلاد كفلت معيشتهم فالبكباشى محمد مرزوق برهن على بره وكرم اخلاقه . هذا ولم نقف على تاريخ وفاته تغمده الله برحمته . ويقال له ولد موجود الآن فى جزيرة الفيل بمدنى . . .

الشيخ مصطفى السلاوى

ولد بمدينة الخرطوم حوالى سنة ١٢٤٥ هـ : ١٨٣٠ م كان أبوه الاستاذ السلاوى المغربى المالكى ثالث الثلاثة علماء الذين انتدبوا من الأزهر لمرافقة حملة اسماعيل باشا التى سارت الى السودان فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ م وهم الشيخ محمد الاسيوطى الحنفى فالسيد أحمد البقلى الشافعى والشيخ أحمد السلاوى المالكى . وان مصطفى السلاوى أخذ العلم عن والده وخلفه فى منصب قاضى قضاة السودان وهو أول من شرع تناول الرشوة وتلاعب بمناصب القضاء الشرعى فصار يطرح تلك المناصب الدينيه فى المزايدة فيأخذها اندى القوم كفا ولو كان جاهلا مع وجود العلماء يقال انه عين قاضيا لدارفور وكتب له بطاقة يطلب منه قدرا من المال نظير ذلك فكتب اليه القاضى الجديد بقوله « ماعندى ما أعطيكه فى الوقت الحاضر » فوقع الشيخ مصطفى السلاوى بأسفل رده قائلا

عزلنـــــــاك لمـــا قلت ما	وولينـــــــا من بذل
فمـــــــلا سلت أن ما	نافيـــــــة للعمـــــل

ولما رأى العلامة الشيخ عثمان عرفى الهوارى قاضى كردفان لم يتقرب اليه بشىء من الصلاة عزله بحجة انه كان يقيم الليل بتلاوة القرآن والمجالس للقضاء تغلب عليه الفترة الطبيعية

فيساوره النعاس بدرجة لايكاد يميز بين أرباب الخصومات بالمحكمة وذلك بعد ان تحصل على فتوى من الشيخ ابراهيم عبدالدافع مفتى السودان بعدم صلاحية الشيخ عثمان عربى للقضاء وولى أخاه الشيخ بلال عربى بعد ان تناول منه الجائزة إلا أن عثمانا لم يرص تلك الوصمة التى هى عدم التمييز بين أرباب الخصومات فاسرها فى نفسه حتى قدوم سمو محمد سعيد باشا والى مصر الى السودان فسار الشيخ عثمان عربى الى الخرطوم بقصد مقابلة الوالى وبث شكواه اليه ولما علم السلاوى بوصوله أوعز الى مأمور ضبطية الخرطوم بعمل اللازم نحو الحيلولة بين القاضى عثمان وسمو محمد سعيد باشا إلا أن القاضى عثمان استأنف سيره الى مدينة أبى حمد التى تبعد ٥٧١ كيلو مترا شمال الخرطوم وانتظر هنالك الى أن تشرف بالمثول أمام سمو محمد سعيد باشا عند وصوله وامتدحه بقصيدة ضمنها الغرض الذى جاء من أجله فرحب الوالى به وعطف عليه واستغرب السبب الذى عزل من أجله ثم سار بمعيته الى الخرطوم فدخلها يوم ١٦ يناير سنة ١٨٥٨ الموافق سنة ١٢٧٤ هـ

وفى اليوم التالى لوصوله استدعى الشيخين مصطفى السلاوى وابراهيم عبد الدافع المفتى وسألهما عن سبب عزل الشيخ عثمان عربى عن قضاء كردفان فقال الأول انه كان يكثر من قيام الليل وتلاوة القرآن الى درجة يجيء الى المحكمة منهوك القوى يساوره النعاس حتى لايكاد يميز بين أقوال المتخاصمين وانى استفتيت هذا المفتى وهو الذى افتى بعدم لياقته للقضاء فعزلته ووليت أخاه بلالا بن عربى مكانه وكان الشيخ بلال هو الذى طلب عزله ورشح نفسه لمنصبه بعد ان اتحف قاضى القضاة بقدر من المال. وكان سمو محمد سعيد باشا جالسا وقتئذ بحافة النيل الازرق أمام سراى الحكمدارية وحوله جمهرة من الولاة والضباط فاستشاط غضبا واحمرت وجنتاه وأخذ يرنو بطرفه الى السلاوى والمفتى تارة والى البحر طورا حتى توهم الناس انه سيأمر بقذفهما بالنهر وكان يردد لهما قوله « أما وجدتما له ذنبا يبرر عزله عن القضاء إلا تهجده بالقرآن » وبعد بضع دقائق أمر بهما فكبلا بالأغلال واقصيا الى سجون طره بالقاهرة ونقل الشيخ بلال الى فشوده فبقى بها الى وفاته أما الشيخ عثمان عربى فانه أعيد الى منصبه فى قضاء كردفان فبقى به الى سنة ١٢٠١ هـ : ١٨٨٤م ولقد مدحه الشيخ محمد الجزولى أحمد الحمى بقصيدة هناه بفوزه جاء ضمنها قوله .

أعاديك ياذا الفضل غابت شموسهم ... وذا ابن السلاوى بالحديد مكبل

وقد ولى قضاء القضاة لورد حتيك من علماء السودان وكان ذلك المنصب وقفا على المصريين الذين اتخذوه سبيلا الى الثروة فطالما تلاعبوا بالحقوق وعبثوا بالعدالة فكانما عناهم الشاعر بقوله

قضاة زماننا اضحوا لصوصا ... عموما فى البرية لا خصوصا
فحسبك أنهم لوصانا خونا ... لسالوا من خواتمنا الفصوصا

ولقد بقى مصطفى السلاوى وابراهيم عبد الدافع فى سجن طره بالقاهرة حتى قال الشيخ ابراهيم عبد الدافع الاستغاثة الآتيه : —

نحمدك اللهم ياقيوم ... حمداً به تفرج الهموم
ثم الصلاة والسلام سرمدا ... على شفيع المذنبين أحمدا
وآله والصحب مافاح أرج ... ومادنا وقت السرور والفرج
وبعد ان كنت أخا لأواء ... بادر إلى مولاك بالدعاء
مستشفعا إليه بالأخيار ... لاسيما إن كان فى الأسحار
وناد ياجيش خيار الأمه ... لكى بهم عنك تزول الغمه
ياسادة هم الغياث فى الورى ... ألا ترون مابنا الآن جرى ؟
يانقباء يارجال الغرب ... ألا ترون مابنا من كرب
يانجباء يارجال مصر ... ألا ترون مابنا من أسر
أيا رجال الشام ياأبدال ... حل بنا الكرب وضاق الحال
يامن غدو بين الورى أخيارا ... ألا ترون مابنا قد صارا
يامن هم العمد والأوتاد ... ألا ترون كربنا يزداد
ياغوث هذا الوقت ياملاذ ... ألا يكون منك لى إنقاذ
أيا أهيل الطرق والسلوك ... يامن هم فى الخلق كالملوك

جميعكم من غير ما تفصيل … قوموا بنا فى الحادث الجليل

يامن لهم مناقب شهيره … وفضلهم كالشمس فى الظهيره

أيا أبا اللثام ياهمام … أما لكم فى أمرنا اهتمام

فكم أعنت كم أغثت أسرى … وما ونيت بل خطفت قسرى

أيا كبير الشأن ياجيلانى … ماذا التراخى منك والتوانى

ياسيدى الدسوقى يارفاعى … يامن له أذعنت الأفاعى

ألاترون مابنا قد حلا … متى نرى الافراج كُلّا

أيا أبا يزيد يابسطامى … هلا رعيتم سادتى ذمامى

أيا جليل القدر يا ابن العربى … هلا نهضتم فى بلوغ الأرب

أيا ابن مشيش ويا دباغ … أيحسن الاهمال أو يساغ

يا شاذلى يا إمام الناس … ماذا التراخى منك والتناسى

ياحجة الإسلام ياغزالى … ويا أبامدين قم بحالى

أيا أبا يعزى ويازروق … أين الغياث منك واللحوق

أيا أبا العباس ياسبتى … أين النصير منك والحمى

ياسهروردى يا أبا النجيب … قوموا بنا فى الحادث العجيب

يا ابن إدريس ويا سلطان … يامرغنى الختم ياعثمان

أيا رجال الله أيا كانوا … يامن بهم قد عمر الديوان

يامن مضوا فى سالف الازمان … من سائر الأقطار والبلدان

يامن لهم كل فخار أتلد … أعنى الذين فى بقيع الغرقد

يامن هم حازوا مقاما أعلى … ومن حواهم ترب ذاك المملا

يامن هم أيضا بأرض الطائف … ألا أمان سادتى للخائف

يامن هم أيضا بأرض القدس … نرجو بكم سفن النجاة ترسى

يامن هم فى يمن والسند … والروم والعراق ثم الهند

يامن هم فى عجم والصين ... متى الغياث منكم يأتينى

يامن هم فى كوفة والبصرة ... متى الغياث منكم والنصرة

يامن لدا بغداد قد أقاموا ... وحب مولاهم به قد هاموا

يامن دعى معروف فى السماء ... لفوزه برتبة الولاء

أيا سرى عجلن سريعا ... وكف عنا حادثا فجيعا

أيا أبا القاسم ياجنيد ... فى شدة دعاكم العبيد

ياسهل يا منصور يامكحول ... يابشر الحافى يا ابن حنبل

ياشبل يا بقال ياسنجارى ... ويا عقيل هيا بانتصارى

يامن هم فى الحب أيضا هاجوا ... وابن هوار منهم والتاج

كذلك الحلاج والدباس ... بجاههم يزال عنا البأس

يامن هم لكل فخر حازوا ... أيا أبا يعقوب ياغراز

أيا ابن ماهين أيا عدى ... حياة ياجاكير ياكردى

أيا سويد يا على يامطر ... نرجو بكم نجح المراد والوطر

يامن هم فى قبلة والجوف ... متى يكون مأمنى من خوف

يامن هم فى الشرق والجنوب ... وفى الشمال أنجزوا مرغوبى

يامن هم فى الغرب أعنى الأقصى ... وحصرهم بالعد ليس يحصى

يامن هم فى البدو والأرياف ... والبر والبحر وفى الفيافى

يامن حوت جمعهم سنار ... قد أخفر العهد وذل الجار

وما رأينا من يغار فيكم ... ولا أغثتم سادتى بنيكم

يامرغنى يا حسن السريره ... فما رعيت سيدى للجيره

يامن لدا أسوان قدما حلوا ... نرجو بكم كروبنا تنحل

ياضوى ياشيخ أبا الحجاج ... متى يجىء الأمر بالافراج

ياعبد غفار ثوى فى قوص ... هيا بنصر عاجل منصوص

يامن لدى الصعيد أيضا ثاوى ... كالقوصى والفرغلى والقناوى
يا أيها الشيخ أبا عمران ... هلا هممت سيدى بشأنى
يا ساكنى مصر أيا سادات ... أما لكم فى أمرنا التفات
يا آل يس جميعا طرا ... طال علينا الكرب واستمرا
ياصحب خير الخلق يا أئمة ... قوموا بنا ياسادتى بالهمة
يا عقبة بن عامر ياساريه ... أما علمتم بالقضايا الجاريه
أيا إمام القوم ياابن شافع ... أليس منكم منجد وشافع
ويا إمام الليث قم بنصرى ... ياسيدى لكى يفك أسرى
يا أهل الوفا وياابنى الصديق ... ألا ترون ما بنا من ضيق
يامن حوت قرافة الامام ... من كبر وسادة أعلام
يا ابن أبى جمرة ياشهير ... أما لنا فى حيكم ظهير
ياروزبارى ويا ذا النون ... ويا بحار العلم والفنون
يا ابن مرزوق ويا أنصارى ... هلا أخذتم سادتى بثارى
يامن لدا بستان روض العلا ... تنزهوا من الحدثات العظا
أيا أبا العباس يابصير ... ما لنا فى حيكم نصير
ياشرف الدين وياعفيفى ... ياخضر الكردى يامنوفى
يا أيها القطب أبا خواص ... ما لكم فى أمرنا خلاص
ياشاذلى يا أبا المواهب ... أما لكم فى أمرنا مذاهب
يا سيدى يحيى وياكورانى ... يا ابن عطاء الله ياشعرانى
يا جعبرى يا ابن أبى العشائر ... أما لكم فى أمرنا بصائر
ويا حسين الأدمى يازاهد ... أيا أبا خودة قم وجاهد
أيا عصفير ويا عراق ... ويا بهاء الدين هل من راق
يا فرج المجذوب يابهلول ... بجاهكم نرجوا العنا يزول

يا عبدى ويا حسين الجاكى … أليس منكم من يغيث الشاكى

أيا أبا السعود ياملثم … يامن حواهم جبل المقطم

يامن دعى فى مصر بالسلطان … القطب شمس الدين والمنانى

ياقطب يادردير ياحفنى … ياابن كمال الدين يابكرى

أيا أبا إسحاق يامتبولى … أرجو بكم يقضى إلى سولى

يامن حوت بولاق من ولى … خصوصا القطب أبو على

أما رأيتم حين جئنا مصرا … ومن حاكم قد أخذنا جبرا

إلى مكان الذل والنكال … والأسر والقهر وسوء الحال[1]

فكيف منكم يحصل السكات … وأنتم الولات والرعات

يامن هم فى الجهة البحرية … من كل من فى الشرق والغربية

وسابقا قلت لكم قصيدة … مرتجيا إغاثة أكيدة

والآن زاد الكرب والعناء … والضر والأسقام الضناء

يامن هم فى حماة هذا الثغر … هيا بكم هيا بكم للنصر

أيا أبا العباس يامرسى … ياسيدى ياقوت ياعرشى

ياشرف الدين ويابوصيرى … أما رأيت سيدى تكرورى

ياسيدى المغاورى ذى الجاه … فلا تكن عن نصرنا بالساهى

أيا أبا الفتح الجليل المشتهر … هلا نهضتم فى فكاك من أسر

يامن هو المشهور بالمجاهد … بادر وعجل وانتصر وساعد

يامن حوت رسالة القشيرى … أسماءهم قوموا بدفع الضير

ويا عباد الله جمعا أحضروا … يقدمكم إلياس ثم الخضر

قوموا بنصر عاجل بالساعة … مثل الذى كان إلى خزاعة

---

(١) يقصد بمكان الذل سجون طره فعاد الشيخ ابراهيم عبد الدائم لوطنه وزاد شهرة وظهرت له الكرامات وله قبة تزار فى جنوب حلفاية الملوك.

لكى تفوز بالمنا والمطلب   جميعنا ونيل كل مآرب
وشملنا بأهلنا يجتمع   والحاسدون جمعهم ينصدع
بجاه كل الرسل والأملاك   والانبيا والعرش والافلاك
وجاه ختم المرسلين أحمدا   صلى عليه الله مادام المدا
وآله وصحبه الأخيار   ماغرد القمرى فى الأسحار
وما دعى داع بصدق النية   لدا الصباح ثم فى العشية
والحمد لله وفى المراد   وزالت الهموم والانكار

ماتوسل بهذه المنظومة مكروب إلا افرج الله عنه كربته وأزال محنته ولذا أصبح التوسل بها ملازما لاوراد السودانيين فى أوقات الشدة والرخاء .

قيل طلب الشيخ مصطفى السلاوى ناقة رشيقة ليمتطيها فى أسفاره من الشيخ جار النبي من سكان ضاحية الخرطوم فرفض صاحب الناقة خوفا عليها من الأجهاد وبعد زمن جاء صاحب الناقة شاكيا فقال له القاضى ما اسمك فأجابه الرجل قائلا اسمى جار النبي فقال له القاضى « تعالى صلى الله عليه وسلم عن جوارك وأعرض عنه » فرجع الشاكى مكبوت الضغائن لاينبت ببنت شفه اذ لاسبيل الى انصافه من ظلمه . هكذا كانت مظاهر العدل بين ولاة ذلك الطور البائد إلا أن محمد سعيد باشا كبح جماح بعض الطغاة الذين قام الدليل على طغيانهم ولكن لم يمكنه ضيق الوقت من استئصال شأفة الظلم بل تدهور الولاة ريثما عاد محمد سعيد باشا الى أرض الكنانه وعادوا هم الى ما كانوا عليه ومازالوا كذلك حتى التوى رأس الحية بوخز دعاة المهدية فى أبا ولا غرابة .

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

وهذا النوع منيت به مصر منذ سنة ٩٢٤ هـ : ١٥١٨ م قال العلامة الرافعى بك فى الجزء الأول ص ٣٦ من كتابه (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) مانصه :ـــ

« وكانت مراسيم التعيين تصدر من الاستانة لقاضى القضاة ولعدد من القضاة يشبه

أن يكونوا رؤساء محاكم يبلغون خمسة وثلاثين قاضيا . ومراسيم التعيين لا تصدر إلا فى مقابل أتاوة من المال يدفعها طلاب مناصب القضاء لحكومة الاستانة وبعض هؤلاء القضاة كانوا زمنا ما أتراكا فكانوا يستعينون بالتراجمة ولذلك عمت الفوضى إدارة القضاء [١] على أن مناصب القضاء خلا منصب قاضى القضاة قد آلت مع الزمن الى القضاة المصريين ذلك أن القضاة الاتراك الذين تصدر لهم مراسيم التعيين كانوا يتنازلون عن هذه المناصب لمن يطلبها من المصريين تلقاء جعل من المال . ثم صارت مراسيم التعيين تصدر رأسا للقضاة المصريين .

كانت مناصب القضاء تباع وتشترى وتعرض فى سوق المساومة فترسو على من يدفع الثمن الأعلى . ولا يمكن أن يصل النظام القضائى فى بلد من البلدان الى مثل هذا الدرك من التدهور [٢] فلا جرم كانت وظيفة القضاء فى ذلك العصر موضع الزراية فى نظر الجمهور والعلماء . وكان قاضى القضاة فى الغالب تركيا لا يعرف العربية فكان يتخذ ترجمانا يترجم له الأوراق وينقل أقوال الخصوم والترجمان على ذلك هو صاحب الحول والطول ومدة القاضى سنة واحدة أو سنتان متى جاء أجلها تعين حكومة الاستانة قاضيا آخر أو تمد مدة القاضى القديم ويجوز أن تمتد مدة قاضى القضاة بنزول القاضى الجديد له عن مدته ببيعه أيامها بالثمن عن تراض بينهما . وبهذه المساومة يجوز أن تمتد مدة قاضى القضاة الى اربع أو خمس سنوات متعاقبة وله أن يعين من دونه من النواب ولمن يصدر له أمر التعيين أن يتنزل عنه لغيره . وغنى عن البيان أن هذا النظام كان مصدرا للجور وأكل أموال الناس بالباطل . ذلك أن القضاة الذين يشترون مناصبهم انما ينظرون اليها كوسيلة لابتزاز الأموال . فالفرق كبير جدا بين مكانة القضاة فى ذلك العصر

---

(١) ما أشبه يومنا بالأمس فان قضاء الانكليز بالسودان أسوء من قضاء الترك فى القرون الماضية . فالقاضى الانكليزى الآن يقف أمامه محامى يتكلم بالانكليزية ضد عربى لا يفقه مايقول خصمه ولا يوجه القاضى أسئلة الى العربى بعبارات وربما لا ينسجم مع جوهر القضية لأنه ليست له من مؤهلات القضاء الا جنسيته الحكومية ثم يقضى على العربى بحكم جائر واذا ما استأنف يدفع رسما أصلياً ثم يرفض قاضى الاستئناف اعادة نظر القضية رغم أن الحكم جاء فادحا على المظلوم الا أن يرفع بصره الى السماء ويبسط يديه الى قبة القضاء مستمطرا اللعنات على القاضى وذلك القضاء .

(٢) هكذا كانت المناصب فى السودان سواء فى ذلك مناصب القضاء والادارة والجباية فى عهد الاتراك والمصريين الى سنة ١٣٠٢ هـ : ١٨٨٥ م .

ومكانهم قبل الفتح العثمانى فان قضاة القضاة الأربعة كانوا موضع اجلال السلاطين كما انهم كانوا على جانب عظيم من العلم والتقوى . أما فى عهد الحكم التركى فقد وصل النظام القضائى الى درجة لانظير لها من الانحطاط لذلك كان كبار العلماء يتورعون عن تقلد مناصب القضاء اعتبر ذلك فى تراجم العلماء المعدودين الذين ذكرهم الجبرتى فى وفياته فانك لاترى من بينهم عالما معدوداً تولى منصب القضاء فى مصر . وهذا وحده دليل كاف على انحطاط منزلة القضاء فى عهد الحكم التركى [١].

ويحكم قاضى القضاة فى الخصومات التى تعرض عليه فى القاهرة وبولاق ومصر القديمة وله ان يعين نوابا فى خطط القاهرة فكان بها تسعة نواب وببولاق نائب وبمصر القديمة نائب وهؤلاء النواب يحكمون بين الناس بالنيابة عن قاضى القضاة ويشترون منه مناصبهم بالمال واذا تغير قاضى القضاة أمكنهم أن ينالوا اذنا باقرارهم على مناصبهم تلقاء جعل يدفعونه للقاضى الجديد . لم يكن للقاضى رسوم معلومة ولا مرتب محدود . بل كان كل قاض يتقاضى فى كل دعوى مايقدره من الأجر بحسبها وكما يقدر يدخل فى ذلك اجور الكتبة أو التراجمة . واذا كان قاضى القضاة متورعا فانه لايطلب أجراً معلوما بل يكتفى بما يعرضه أرباب القضايا وبذلك ينال احترام الناس ومحبتهم . وكان القضاة لقلة بضاعتهم من العلم يرجعون الى فتاوى العلماء للفصل فى القضايا فكانت هذه الفتاوى تقدم كمستندات فى الدعوى ولفتاوى العلماء قيمة فى بعض الاحكام بعد صدورها ومن ذلك جاءت كثرة الفتاوى فى ذلك العصر . الى ان قال الجبرتى طرفا من شكوى الناس من فساد النظام القضائى وكلامه وان كان منصرفاً الى أوائل عصر محمد على إلا أنه يتضمن وصف هذا النظام فى عهد البكوات المماليك وكيف كانت وظائف القضاء تباع وتشترى وكيف زادت الحالة سوءاً لما عادت السلطة للاتراك بعد انقراض حكم المماليك وانتهاء عصر الحملة الفرنسية واليك ماذكره الجبرتى ننقله لما فيه من تفصيل لبعض ماأجملناه وتوضيح للنظام القضائى فى عصر الحكم التركى كما وصفه شاهد عيان . قال

فى يوم الخميس ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٢٣١ والموافق ٢٠ مارس سنه ١٨١٦ حصلت جمعية ببيت البكرى وحضر المشايخ وخلافهم وذلك بأمر باطنى من صاحب الدولة

---

(١) هكذا كان العلماء فى السودان فكان البدرى القرافى فى الخندق بدنقلا رشحه الامير اسماعيل للقضاء فاشترط ان لايأخذ عليه أجراً ولايقيد بالقوانين واللوائح بل يقضى كالكتاب والسنه وكفى .

« محمد على باشا » وتذاكروا مايفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل وذلك ان القضاة الذين يأتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لايتعدونها فى أيام الامراء المصريين « المماليك » فلما استولى هؤلاء الاروام « الاتراك » على المماليك وأصبح القاضى منهم تحسن أمرهم وزاد طمعهم وابتدعوا بدعا وابتكروا حيلا لسلب أموال الناس والايتام والارامل. وكلما ورد قاضى ورأى ماابتكره الذى كان قبله أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الأمر وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة وكتخدا بك بل والباشا محمد على وصارت ذريعة وأمرا متبعا لايحتشمون منه ولا يراعون جليلا ولا كبيرا ولا جليلا الخ .. هذا والذى يتأثر نهج السلاوى فى قضائه وجوره يتبين له انه اقتبس نظامه فى قضائه ومعاملاته من ذلك النظام البائد وكما يؤخذ من توقيعه الذى يقول فيه

عز لنالك لما قلت ما وولينـــا من بذل

انه لا يخشى لومة لائم فى تلك التصرفات المشينة والنظام الذى يتعارض مع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية

هذا ولنرجع الى مانحن بصدده فنقول ظل الشيخ مصطفى السلاوى ردحا من الزمن معتقلا بالقاهرة ولم يعد الى السودان الا بعد كل جهد جهيد ولكنه بقى بعيدا عن مقاعد الولاية واستراح الناس من قضائه ولم يجرأ أحد الى بلوغ الغاية اللهم الا ما كان يحدث من وراء حجاب . وفى ٢٦ يناير ١٨٨٥ أسر المترجم له على يد انصار المهدية حال فتح الخرطوم وبعثرت تلك المنهوبات التى قضى حياته فى جمعها حتى سيق سوق المجرمين الى السجون ومن المدهش لم يكن له ولد يرث تلك الثروة الطائلة ان هى بحث من براثن الفاتحين ولسنا ندرى ماهو الباعث الى تناول الرشوة والعبث فى الاحكام مع العلم بالزواجر فلله در القائل

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون مثيـــله فترصد للامر الذى كان أرصدا (١)

كان السلاوى طويل القامة اسمر اللون متوسط الجسم متناسب الاعضاء كث اللحيه وقورا وانه واسع الاطلاع موفور الأدب سريع الخاطر حلو الفكاهة وقد بلغ من العمر ٧٠ عاما

(١) يقال أرصدت له أى أعددت

المستر شوبر Shawber

سنة ١٢٦٥ ه : ١٨٤٩ م

كانت ولم تزل قبيلة سليم البادية تتنقل فى ضفاف النيل الابيض وهى من القبائل المشهورة بوفرة المال والرجال قد جاء اليها سائح انكليزى يتلمس وسائل الاستعمار وكان اسمه مستر شوبر أقام بينها ردحا من الزمن وكان سلوكه مشينا نبت عنه نفس العرب ولم يقف عند ذلك الحد بل أخذ يسخر بعباداتهم الأمر الذى اضطرهم الى ضربه وطرده من بينهم فرفع الأمر الى الحكومة التى أمرت الميرالاى موسى بك المحرر مدير كردفان اذ ذاك بحرب قبيلة سليم وما كان من أمر هذا إلا أنه سار بألايه من الأبيض فى جمادى الثانى سنة ١٢٦٥ ه وأطلق النار على أولئك المستضعفين فبرحت بهم نيران الآلاى تبريحا فظيعا رجالا ونساء وأطفالا وعاد فى ٢٤ منه بالسبايا والاسرى والألوف من الابقار ومقادير هائلة من المصوغات ولقد جاء فى مذكرات العلامة القاضى عربى ودكنين الهوارى قاضى شرعى كردفان ما نصه « موسى بك المحرر تعين فى ١٣ القعده سنة ١٢٦٤ وفى ٢٢ صفر سنة ١٢٦٥ سار الى بارا وابى حراز وكازقيل وعاد الى الابيض فى ١١ ربيع أول سنة ١٢٦٥ وفى ذلك الوقت بلغه عصيان قبيلة سليم فسار لاخضاعها تم ذلك وعاد فى ٢٤ جماد الثانى سنة ١٢٦٥ . وجاء فى جريدة الأهرام بعددها ٥٤٣٥ فى ٤ فبراير سنة ١٨٩٦ و ٢١ شعبان سنة ١٣١٣ مقال ضافى الذيول لكاتب مصرى كان ناقما على تصرفات الانكليز بالسودان ما نصه « وكان غردون كلما تبين زيادة نفور السودانيين من الحكومة يتضاعف سروره ويزداد هو وما جوروه ظلما واعتسافا حتى أنهم أخذوا يدخلون فى الامور التى تمس الدين وشاركهم فى ذلك جميع الانكليز من تجار وسياح ثم أنهم لم يكتفوا بابعاد المصريين عن الوظائف بل أخذوا يبعدونهم الى مصر حتى لا يكونوا سياطرة على أعمالهم ومقاصدهم الخبيثة . وكانوا أيدا يستعينون لانفاذ اغراضهم بأولاد الشيخ الميرغنى واتباعهم المحالفين لهم منذ زمان طويل . ويؤدون اليهم أموالا طائلة أغراءلهم بانفاذها وذلك لاعتقاد السودانيين الصلاح فى أولئك المشايخ الى ان قال وكان أولاد الشيخ الميرغنى يأخذون ثلاث ضرائب من أهالى السودان الشرقى فى كل سنة على يد جباة لهم كانت تعادل ضرائب الحكومة وهى ضريبة الحوليه وضريبة المولد وضريبة الزيارة الى ان قال بما كان يحدثه الانكليز فى السودان على يد سياحهم ان أحد

هؤلاء السياح المدعو المستر شوبر الذى سكن السودان وجال فى انحائه نحو خمس عشر سنة ليضرم فيها نيران الشقاق كان ذلك سنة مسافراً فى شواطىء البحر الأبيض فى جنوب مركز الكوه فنزل عند قبيلة رحالة اسمها « قبيلة سليم » وأقام بمنزل شيخها ضيفا كريما فكان رجالها يصحبونه الى الغابات ليستطلع مايريد ويرسم مايريد . وكان من عادات القبائل الرحل انهم كلما نزلوا فى الصحراء يقيمون مسجدا . وذلك بان يجمعوا قليلا من التراب على شكل دائرة مربعة فأراد ذلك الضيف الكريم أن ينقل رسم هذا المسجد فى دفتر سياحته فرافقه الى المسجد كل من فى الحى ليشاهدوا رسم الفوطوغرافيا وكان ذلك وقت أذان العصر فعندما سمع المستر شوبر المؤذن أخذ يحذف (يتقايأ) ويتفوه بكلمات يمنعنا اجلال مقام الدين من كتابتها فقام عليه الأهالى وبعضهم أراد قتله وقد نالته جراح ولكن شيخ القبيله تدارك الأمر بكل صعوبه وحمى ضيفه بعد ان قتل أحد خدامه ورفقائه الانكليز وتمكن من تهريبه ليلا . ولدى وصوله الى مركز الكوه أرسل الى الحكمدار غردون [1] برسالة برقية يخبره فيها بما جرى له فقامت قيامة الانكليز على قبيلة سليم وجرت البواخر عباب النيل حاملة أربعة الآف جندى لقطع دابر تلك القبيلة الضعيفة التى أهانت الشرف البريطانى على قولهم فحصد ذلك الجيش قبيلة سليم بالمدافع والخيول تحت قيادة المستر شوبر [2] وذلك قبيل الفجر وأمطر عليها ناراً حامية فأهلكها عن بكرة ابيها ولم ينج منها إلا رجلان وإمرأة اختبأوا تحت القتلى الذين بلغ عددهم عشرة ألاف ذهبت أرواحهم ضحية إهانة الفرد الانكليزى المشؤوم وعلى أثر هذه الحادثة أضحى البسطاء والعامة من السودانيين يعتقدون بما يقوله لهم الانكليز من أن الحكومة المصرية والاتراك لايدينون بالدين الاسلامى لأن أهلاك قبيلة سليم بارسال أربعة آلاف جندى عليها كان بأمر خديوى مصر الخ .. فهذه سفسطة يأباها العقل وتمجها الاسماع لأنه ليس فى السودان من يجهل سلامة عقيدة المصريين والاتراك

---

(١) هذه الحادثه كانت فى سنة ١٢٥٦ ه : ١٨٤٩ م وكان القابض على زمام الحكمداريه اذ ذاك رجلان من كبار المصريين وهما خالد باشا الذى ولى حكمداراً من ١٣ ديسمبر سنة ١٨٤٥ الى ٥ نوفمبر سنة ١٨٤٩ وعقبه جركس عبد اللطيف باشا من اول يونيو سنه ١٨٤٩ الى ١٣ يناير سنه ١٨٥٢ ولم يكن الحكمدار غردون باشا الذى عين حكمدارا فى ١٧ فبراير سنه ١٨٧٧ للمرة الأولى

(٢) لايعقل أن يتولى القيادة سائح انكليزى مع وجود الميرالاى موسى بك المحرر ويحتمل أن يكون ضابطا سياسيا لقائد الحملة فقط

والسوداني يرى بالعين المجردة شعاع الحنيفية المنبعث من الازهر الشريف ويدين بالطاعة لخليفة المسلمين التركي اذ ذاك ولكنه ينكر تصرفات خديوى مصر الذى يأمر بابادة قبيلة عربية مسالمة لمجرد بلاغ مفرض بدون تحقيق ولا روية ومما يدعو الى الدهشة والاستغراب كان فى السودان عشرات الألوف من المصريين والاتراك والارنؤد وغيرهم لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا يميطون اللثام عن مواضع الضعف من سياسة الخديوى الذى قد لا يعلم حقيقة الحالة فى السودان فاذا قيل له بعصيان كذا وخروجه عن الطاعة أمر باخضاعه بدون نظر الى النتائج الأمر الذى صير القريب بعيداً والصديق عدوا لدوداً كيف لا وقبيلة سليم ظلت نصف قرن تتأوه من ألم تلك الجائحة ولما ظهر المهدى بأبا فى سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م كانت أول من قبض بخلاقيم الولاة وحاسبهم حسابا عسيراً على ماضيهم المظلم وجورهم المشين فواحدة بواحدة والبادىء أظلم كما يقال فى المثل العربى .

—« الفقيه عبد الله احمد الصابونابى »—

كان الصابونابى من عرب بنى حسين وكانت له حلة فى شمال النيل الازرق جنوب سنار على بعد بضعة أميال منها . لقد اشتهر الصابونابى بالتقوى والكرم وله خلاوى عديدة للضيافه ونفقات تدل على جوده وعطفه على عابرى السبيل ولقد كان فى محاربة محمد بك الدفتردار باعثا الى الفوضى والاضطرابات التى كانت منها غارة عصابة من الدنكا إبراهيم ، على حلة الصابونابى والتبنيه وجبل القربين شرق قلى واشتبكوا مع العرب فى حرب انتصر فيها الدنكاويون بعد أن قتلوا الفقيه عبد الله أحمد الصابونابى ونهبوا الابقار والضأن والماعز وعاثوا فى البلاد فساداً . وكان ضمن المقتولين يومئذ المكى الكاهلى وهو من الأبطال المشهورين فقالت أخته أم كنن؟ شاعرة الكواهله

الجرى مابيحل وقت الصقر يقدل يا عيال أوعوا من الضل (١)

---

(١) الجرى أى الفرار من الموت لا يطيل أمد الحياة إذا حان الأجل عند مايقدل الصقر فالصقر هنا استعير للبطل من الدنكا إذا تبختر فى الميدان أما الضل فهو الانقباض والحزن حال الهزيمة

بوصيكم مودعناكم وديعا مابيخون فيكم | شيخ الدنكا جازم مابيخليكم [1]

نبوت الترك فى الحلة راجيكم [2]

ثم قالت

قتل الصابونابى والخبر جانا

قتل المكى أخى فى الغربة عزانا [3]

شوفوا الولده دى الماها خجلانه

بيضا خلة أمه الماها ندمانه

البجرى نسيبته ـ ومرته طلقانه | ندابن لسان ـ أم كنه بقفانه [4]

---

(١) بوصيكم بالثبات والله بكلاكم بحفظه . وجازم أى أقسم ان لا يترككم فاصمدوا له وبددوا جيشه أخذاً بثاركم منه

(٢) نبوت الترك فى الحلة راجيكم ـ أى ان الذى يرض الموت فى حومة الوغى سوف يموت بنبوت الترك فى شأن جباية ضريبة الويركو ولا غرو الأولى اشرف له وأبقى لسمعته

(٣) عزانا مأخوذ من العزة والمنعة

(٤) ندابن أى نتعاهد على الثابرة فى الحرب حتى النصر لنقطع بذلك لسان أم كنه التى تتطلع أخبارنا من ورائنا وترهف صاخ أذانها لكى تسمع من أبنائنا ما يطلق لسانها بالثناء والاطراء على شجاعتنا وذلك أشرف مايتباهى به السودانى

تمرد دورتنجى الاى بالتاكا

في سنـــة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م

كان هذا الآلاى يتألف من أخلاط الزنج كالنوبة والتقلاويين والفور والشلكاويين والهمج أما ضباطه فكانوا من الاتراك والسودانيين وكان يعسكر فى التاكا وبعد وفاة موسى حمدى باشا حاكم دار السودان بالخرطوم ورد تلغراف لوكيل الحكمدارية يوم الاربعاء ١١ صفر سنة ١٢٨٢ هـ الموافق سنة ١٨٦٦ ميلاديه منبئا بتمرد دورتنجى ألاى أى الآلاى الرابع فى التاكا وتحرج الحالة هناك الى أقصى حدود الخطر وتعزى تلك الثورة التى ذهب فيها كثير من الأرواح البريئة الى غطرسة ضابط من رتبة البكباشى يدعى خطاب افندى والسبب انه لم تصرف ماهيات العساكر بضعة أشهر وقد بلغ الاستياء منهم مبلغا عظيما وقد دعوا الى القيام بمامورية فى حدود الحبشة فرفضوا الاذعان لهذا الأمر مالم تصرف لهم استحقاقاتهم وما كاد يسمع خطاب افندى منهم ذلك حتى امتعض وقال وهل أصبح للعبيد شأن حتى يرفضوا اطاعة الأوامر تالله لاخرجنهم الى المأمورية بالسوط مكرهين فضاعف بذلك غضبهم وايقظ نار الفتنه لأن نساء الجنود قابلن بعولتهن بغاية السخرية والازدراء قائلات اين صفات الرجوله منكم اذا كنتم تساقون بالسياط كالانعام وهناك ظهرت اعراض الثورة وعزم الثوار على الفتك بالضباط ونهب الخزينة والاستحواذ على الجبخانة . اما عمر بك فخرى وكيل الحكمدارية بالخرطوم فقد ابرق الى اللواء حسن باشا قومندان الحدود فى التاكا يسأله عن تفصيل الحادثة والاحتياط مما عساه يحدث من أولئك المتمردين فبعث هذا اناسا من الهجانة لاستكشاف حركات الثوار لابلاغ وكيل الحكمدارية ولما عادوا اليه بالخبر اليقين وافهموه انهم يريدون الهجوم على التاكا التى كانت بها حامية تتألف من جنود الباشبزق الشايقية بقيادة السناجق محمد العطا اغا وعكود اغا ومحمد خير الفكى اغا ويوسف السليكى اغا وأحمد زياد اغا والملك حامد اغا ومعهم أردى من الاتراك بقيادة السر سوارى سعيد اغا رتبهم حسن باشا على باب وسور البندر وبنا برجا عاليا على باب وسور البندر وبنا برج عاليا على باب القاش وضع به مدفعا وناط بالسر سوارى سعيد اغا المحافظة على الجبخانة وتاهب الكل للقاء الثوار الآتين من جهة المتيكناب وفى الساعة السابعة صباحا وصل الثوار بعد ان اجتاحوا حلل العربان التى كانت فى سبيلهم

وكان الجنود مستعدين لاطلاق النار الا ان اللواء امرهم بالكف عن اطلاق الرصاص وان يتنحوا عن سبيل الثوار وان يعيدوا المدافع من الابراج حتى يدخل الثوار الى الكارة أى ثكناتهم ولعله كان يتوقع تهدأة خواطرهم ليخلدوا الى السكينة ولكن كان الامر بالعكس فانهم دخلوا وهم يطلقون النيران من باب القاش حتى ولجوا الحصن وفتكوا بعشرين موظفا في مكتب الالاى كان منهم البكباشى خطاب وعرجوا على حى الجعليين (العجيجاب) ونهبوا أموالهم وفى يوم الخميس ١٢ صفر ناد خلفاء السيد الحسن الميرغنى بالامان فكف الثوار عن اطلاق النار ولكنهم ظلوا ينهبون كل ما وصلت يدهم اليه واستولى الثائرون على كثير من الاماكن وكان فى التيبا كا يومئذ الكونت ديسون وتسعة عشر نفرا فرنسيا والقيدان مدر فالتجأ اليهم جانب من أهالى المدينة المغاربة وغيرهم وكان فى جوار منزل الفرنسيين برج وهو أقوى ابراج المدينة متانة وارتفاعا اتخذوه حصنا لوقايتهم ووضعوا عليه مدفعا. ولما كادت تنفد الذخيرة من الثائرين بعثوا أناسا ليشتروا لهم ذخيرة من الفرنسيين إلا ان الفرنسيين رفضوا بيع الجبخانه فى مثل تلك الظروف فغضب الثائرون وهاجموا برج الفرنسيين مرارا وشددوا النكير عليهم حتى اضطر الكونت ديسون الى تسليم ذخيرته الى السر سوارى سعيد أغا لحفظها مع جبخانة الحكومة ثم سار الفرنسيون الى اللواء حسن باشا وأفهموه بما حاق بهم من جراء هجمات جنود الآلاى العصاة فانتدب لهم بلوكا من الجنود النظاميه وبعض المتطوعين من أهل المدينة لحمايتهم وبينما هم كذلك وجنوده اذ اتفق الثائرون مع بعض الجنود غير المنظمين وهؤلاء خدعوا حسن باشا ليسلمهم الجبخانه لانهم أحرص عليها من السر سوارى سعيد أغا الذى لما أمر بتسليمها لهم رفض رفضا باتا قائلا لا أسلم الجبخانه وفى رمق من الحياة ولولا حزمه لامكن الثوار القضاء على الهيئة الحاكمة وسقط السودان الشرقى فى يدهم ولقد ضاعف ذلك يقظة سعيد أغا الذى كان وجنوده جاثين على ركبهم عند المزاغل لا يتحرك أحدهم إلا لضرورة وكان الماء يجلب لهم من الخارج وقد أقام أغلب سكان المدينة فى فريق المغاربة الكائن بين الجبخانه والمديرية والبرج الذى تحصن به الفرنسيون وانشبت المجاعة براثنها فى أحشائهم فطلبوا من حسن باشا ان يصرف لهم غلال من الشونة فرفض فاصبحوا فى اسوء حال لمدة أحد عشر يوما وبينما هم يعانون تلك الحال اذ حضر من القضارف السر سوارى عال كاشف بك التركى ومعه ٢٠٠ جندى من فرسان المغاربة فاطمأن الاهالى لمجيئه واراد على كاشف الخروج للعدو والقضاء

عليه أو طرده بعيدا عن محيط المدينة فابى حسن باشا عليه ذلك لتضخم قوة العدو الذى انضم اليه بعض التكارنه والسقطه أى (مرفوتى الجيش) والعبيد المعتوقين والنهابين الخ حتى بلغ عددهم زهاء الاربعة الآف . فاستنجد اللواء حسن باشا بقبائل البدو كالهدندوه والحلانقه والحمران فابوا طلبه وساروا فى جموع عظيمة أقاموا بالغابات حوالى التاكا فأصبح الثائرون محصورين بين جنود الحكومة والاهالى من الداخل وبين عصابات البدو من الخارج ولقد دام الخطب متفاقما نحو أربعة وخمسين يوما فاشتد فزع الفرنساويين حتى ضاعف حسن باشا الجنود المحافظه عليهم الى ١٥٠ جنديا وواحد طوبجى وضابط برتبة الصاغول أغاسى . وفى يوم ٦ ربيع ثان سنة ١٢٨٢هـ هجم الثوار هجوما عنيفا فقابلهم جنود الحكومة بثبات واشتد القتال بعنف فارتد الثائرون بعد خسائر عظيمة وفى اليوم التالى اجتمعوا بالكاره وضربوا ابوقات الحرب وكروا فقابلتهم جنود الحكومة واحتدم القتال وتراجع الثوار بعد ان أبلى الفريقان بلاء حسنا وهناك اطلقت مقذوفات المدافع على مساكن الثوار فهدم بعضها ومات كثير منهم . وفى ذلك الوقت قدم الميرآلاى آدم بك العريفى بآلايه وعسكر غرب القاش واجتمع آدم بك العريفى مع اللواء حسن باشا واتفقا على استدعاء زعماء الثورة والاحتيال عليهم لعلهم يقبلون تسليم الاسلحة الا ان الزعماء ادركوا مغزى المكيدة وأرادوا الهجوم على جبخانه الاى آدم بك ولكنها نقلت فى الحال الى مخازن الجبخانه بالمديرية ثم ان الثوار أخذوا نساءهم واولادهم وامتعتهم وعسكروا قريبا من الالاى آدم بك الذى رجا السيد الحسن فى الخروج اليهم ودعايتهم الى الطاعة وما كاد ينادى قومه السيد الحسن حتى اذعنوا وجنحوا الى السلم ووضعوا الاسلحة أكداسا على الأرض وتقدم فرسان الارنؤود لاستلامها ومن ثم أمر العصاة بان يخرجوا الى ميدان فسيح خارج المدينه لتملى عليهم الأوامر القاضية بالغاء الآلاى وتسريح جنوده فاخذوا يخرجون مع نسائهم وأولادهم وبينهم كذلك اذ رأى بلوك باشى من جنود الارنؤود فتاة رشيقة القد تسير الى جانب أبيها فامسك بيدها وجذبها اليه فرجاه والدها فى تركها فلم يقبل منه ثم أدخل يده فى جيبه ودفع له قدرا من النقود رشوة فرفض البلوك باشى وهنالك اعاد الوالد النقود الى جيبه واستل خنجرا وطعن به البلوك باشى فارداه قتيلا يتضرج فى دمه ولذلك أطلق جنود الارنؤود على أولئك العساكر العزل ونسائهم وأولادهم نيران البنادق فبرحت بهم تبريحا فظيعا ففر الباقون الى الحدود وغيرها بحالة شنيعه ولقد أبرق الميرالاى آدم بك العريفى الى سمو

خديوى مصر محتجا على سياسة أولئك الضباط الخرقاء وشناعة أعمالهم الوحشية فاستدعاه الخديوى للقاهرة وأمر جعفر مظهر باشا حكمدار السودان ليذهب الى التاكا ويعقد مجلسا عسكريا للتحقيق عن ذلك ومحاكمة المتسببين ولكن ما كاد يبلغ أولئك الضباط حتى تسلط عليهم الوهم فمرض ابراهيم بك مدير التاكا ومات بعد خمسة أيام من مرضه وتوفى على أثره عثمان بك قائمقام الآلاى واصيب حسن باشا باسهال فمات بعد وصول جعفر باشا الذى حقق فى المسألة وحكم على بعض الضباط بالاعدام شنقا وهم خليل أغا وبشير أغا أبو اللقية ومحمد أغا أبو تزلك وعيد أغا وخلافهم . وانكى من هذا وذاك تصاعد الروائح الكريهة من جثث الأموات فلقد كانت سببا فى تفشى الحمى التيفوسية التى فتكت بالسكان فتكا ذريعا . فانظر يا رعاك الله ماجره خطاب افندى الذى سول له وهمه وطيشه انه قادر ان يسوق الالوف من الرجال المدججين بسوطه الى حيث يريد اللواء حسن باشا وابراهيم بك المدير الذين لو كانت لهما ذرة من العقل لامكنهما خنق الفتنة فى مهدها باسترضاء الثوار قبل ان يبلغ بهم الهوس الى ذلك الحد . واعجب من ذلك كله طيش البلوك باشى الذى مد يده لفتاة ليرضى ملاذه البهيمة وما درى انه فتح بذلك سبيلا الى حده وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ، هذا ما كان من أمر الآلاى المتمرد . أما الميرالاى آدم باشا العريفى فقد قدر له سمو الخديوى ما بذله فى تهدئة خواطر الثوار وكافأه بترقيته الى رتبة اللواء الرفيعة وكان أول ضابط عربى سودانى تولى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى فى السودان الى ان توفى الى رحمة مولاه ودفن شرق القباب أمام جامع الخرطوم تغمده الله برحمته وربما عدنا الى ترجمته فى مقال نفرده له عندما تسمح لنا الفرص . وعندما انتهت حادثة الآلاى رفع محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا الحكمدار قصيدة ضافية يهنأ بها سمو اسماعيل باشا خديوى مصر لم نجد منها عدا قوله :

باس الخديوى أباد الزنج بالتاكا	ولم تزل مصر للاعداء فتاكه
سيفا وما لكها اسماعيل سيدها	بهمة امرئ الطغيان فكاكه
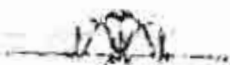
(جعفر مظهــــر باشــــا)

لقد اسلفنا عن انتداب جعفر مظهر باشا للتحقيق فى ثورة دورتنجى ألاى فانه حكم بالاعدام على بعض الضباط وبرأ من لم يقم الدليل على اشتراكهم فى الجريمة منح رتبه اللواء على الجنود المصرية وان يكون وكيلا للحكمدارية وكانت معه أورتطان من الجنود بقيادة زكريا بك ولما بلغ التاكا أحدث نظاما جديدا فى الجيوش اذ وزع جنود الآلاى الثانى على جهات التاكاوسواكن ومصوع وقداتى الآلايان التاسع والعاشر

١ البكباشى خورشيد أفندى علام

٢ « خورشيد أفندى بسمى

٣ « شحاته أفندى حسين الذى توفى بشندى وخلفه البكباشى محمد أفندى أمين الذى كان بالمجانه

٤ الصاغ ابراهيم أفندى كامل

٥ « على أفندى الكردى

٦ « محمد أفندى حمدى الذى توفى بجبال فازغلى قدجاءت تلك الجيوش مع جعفر صادق باشا حكمدار السودان الذى رافقه أحمد رامى بك والدكتور مصطفى النجدى بك الى كرسكو ومنها الى عتمور أبى حمد ومنه سارت بالمراكب الى الخرطوم فقام الناس من الجهات الى الخرطوم وعلقت الزينة وأطلقت المدافع واستعرض الجنود وكان الاحتفال عظيما جداً فقابل الحكمدار العلماء وزعماء القبائل والموظفين وقناصل الدول ولكنه لم يعمل عملا يذكر لمرضه فبقى الى قدوم جعفر صادق باشا الى القاهرة صحبه الطبيب مصطفى بك النجدى . ثم ان جعفر مظهر باشا قلب الاوضاع القديمةوقرر مع شاهين باشا توزيع العمال كما يأتى

١ على فضلى باشا يكون نائب الحكمدارية

٢ عمر فخرى بك يكون مديرا لدنقلا

٣ محمد أفندى كرارد يكون باشكاتبا للحكمدارية

٤ اسماعيل بك أيوب يكون رئيسا لمجلس السودان

٥ محمد بك سعيد نجل جعفر مظهر يكون عضواً بالمجلس

٦ محمد أفندى أحمد رئيس تحريرات الحكمداريه

٧ حسن أفندى صبرى كاتب سر الحكمدارية

٩ ابراهيم بك مرزوق رئيس القلم الافرنكى بالحكمدارية (١)

١٠ أحمد بك رامى معاون أول الحكمدارية

١١ حسن حلمى بك مديرا لكردفان (٢)

---

(١) ابراهيم بك مرزوق ولد بمصر سنة ١٢٢٣ ه وتوفى بالخرطوم سنة ١٢٨٣ ه كان من الادباء البارزين حفظ ٢٠ الف بيتا من شعر العرب عدا المتون وله شعر رقيق يتجافى عن مواضع الملق منه قوله

ان الفضيلة فى الأنام غدت على … شرف النفوس الشم أقوى حجة
فاذا ادعيت بأن أصلك يافتى … من سادة الأبطال أهل الهمة
فابن لنا نور الشهامة مثلهم … وعلى رفيع المجد أحسن غيره
واذا أردت الفخر فاسهر دائما … لطلابه واهجر لذيذ الهجعة
فتكون ذا شرف وتلك دلائل … دلت على شرف وكل فضيلة

وقال معاتبا صديقا له

يا معرضاً متجنباً … حاشاك من نقص الذمام
مولاى مالك قد بخلت … على حتى بالكلام
سلم على اذا مررت … فلا أقل من السلام

لقد كتب عنه الاستاذ حسن نائب المرصفى ترجمة طريفه أدبيات اللغه فابرهيم بك مرزوق كان لطيفا حلو الفكاهة وكانت وفاته رزءاً ثقيلا على أدباء عصره . وكان ممن خدموا سياسة مصر بالسودان

(٢) حسن حلمى بك « باشا » كان هذا الضابط سىء الاخلاق جاف الطباع وانه أظلم من الليل اذا عسعس فبلغ من ظلمه فى كردفان حتى لقبوه « بالجويسر » دخل مدرسة الابيض ذات يوم فوجد طالباً يخيط ملابسه فاستدعى الشيخ محمد الجزولى المدرس بالمدرسة وقال له كيف تكون موجود وتصبح المدرسة ورشة للخياطه ثم أمر بجلده ٥٠ كرباجا ولكنه كان شجاعاً واذا جلس فى طريق ترك الناس المرور منه خوفا من شره وله حوادث جمه والخلاصة كان هو وأمثاله من بواعث ثورة المهديه ولكنه أفلت من اسنة أعدائه الكثيرين

١٢ عبد الرزاق بك مدير التاكا (١)

١٣ ممتاز بك مدير سواكن (٢)

١٤ السيد البقلي بك حكيمباشي الحكمدارية

١٥ علي افندي غراب حكيمباشي مستشفى الخرطوم

١٦ علي أفندي محمود أجزاجي باشا مخازن الأدويه

١٧ أحمد أفندي فهمي أجزاجي مستشفى الخرطوم

١٨ سيد احمد أفندي محمد طبيب بندر الخرطوم

١٩ الاستاذ الأمين الضرير رئيس وممبز علماء السودان

مناورة حربية

رأى جعفر مظهر باشا ان يظهر بمظهر القوة والجبروت لكي يحدث رعبا وروعا في نفوس الأهالي عملا بالمثل السوداني القائل « دق القراف خل الجمل يخاف » لانه تأكد من استياء السودانيين وأخذوا يفكرون في التخلص من ربقة الترك ونصرائهم من الجراكسة مع انه لما تذمر السودانيون وحسروا عن ساعد الجد تضاءلت تلك القوة وتبخرت آمال القابضين على ناصية الحكم هذا ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول قد دعا جعفر باشا بعض الأورط المصرية الى الخرطوم حتى ضاقت بها رحاب المدينة وناط بتدبير المناورة الى نجم الدين بك الذي كان ذا براعة وحذق بالفنون العسكرية ثم استدعى رؤساء الادارات

---

(١) عبد الرزاق باشا ما أكرمه من ضابط حسن الاخلاق بابساً في دينه وهو الذي شيد جامعاً فخما في التاكا ولم يسجل على نفسه سقطة يذكرها التاريخ ولم تذكر سيرته الا مقرونه بالدعاء والاطراء

« ٢ » ممتاز باشا أخيراً حكمداراً ما كان ممتاز أقل فضولا من حسن حلمي باشا وهو الذي عذب الوطنيين بالجلد والسجن نزعم انهم كانوا يتناولون الرشوة وأخيراً كان أحبهم اليها وأسرعهم قبولا لمن مديده بالعطاء قيل دفع له أحد زعماء القبائل جراباً صغيراً من جلد الهر به نحو عشرة أرطال من الذهب لزوجته فأقر تلك الهديه ذات اللون الاصفر الوهاج فقال العرب لبعضهم الجمل قبل العليقه فانهالت الهدايا عليه حتي أثرى من تلك الرشاوى باسم هدايا

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

ومناصل الدول والعلماء والذوات ومشايخ القبائل وعامة الشعب فكان الحشـــد عظيما وهناك خرج الجيش بملابسه التركيه واجرى حركات مغربة وابدى الضباط نشاطا مقطوع النظير واطلقت النيران بدرجة صيرت الضياء ظلاما فاظهر غاية الغبطة والسرور لرشاقة نجم الدين بك الذى أبدى الغرائب والعجائب فى حركاته السريعة وصيحـــاته بالنداآت التركية بصوت جهورى يسمع على بعد ثلاثة كيلو مترات وبعد بضع ساعات عادت الجيوش الى أوكارها وارفض الجمع بين قانع بالقوة وشدة البأس التى ظهرت بهما حكومة جعفر باشا وساخر يرى ان تلك الجيوش ماهى الا كالسراب الذى يحسبـــه الظمآن ماء اذا نشبت الحروب وتجهمت أسارير الخطوب وقد صدق الخبر عندما وهب السودانيون نفوسهم للموت فى سبيل الدفاع عن الحرية

أما جعفر باشا رأى من ذلك الدرس الذى القاه على الشعب مايبرر له ان يضاعف الضرائب الى ست أضعافها ويستعمل الكرباج وكل أنواع التعذيب والذى يتحصل بعد ذلك الارهاق يجعله فى مقرراته السنوية ويترك مايتعذر تحصيله وبعد فرض تلك المغارم وأمر بجبايتها نقل قبل ان يحقق ما أراد لخليفته وتضخمت أرقام المتأخرات وأصبح محمد رياض باشا رئيس الوزارة المصرية يلح فى تحصيل المتأخرات ومحمد رؤف باشا يرد عليه لكى يصدق بشطبها ولكنه لازال متمسكا بها كما تراه فى تقرير محمد رؤف باشا الذى نثبته بعد وبينا هما فى جدل بشأن الضرائب اذ جهر المهـــدى بدعوته وقال السودانيون ، الف فى تربه ولا قرش طايه ، وبعد ان ثار السودان وعم طوفان المحنة جاء الجنرال غردون فمحق الضرائب ثلاث سنين ماضيه وثلاث سنين مقبلة واباح تجارة الرقيق فقال السودانيون ، مها جئتنا به من آية لتسحرنا بها فانا بك غير مؤمنين ، وكان من أمره ماذكرناه مفصلا فى كتابنا ، بدائع الآثار فى أخبار المهدى المنتظر ،

ومن أعمال جعفر مظهر باشا انه استدعى الجنود السودانيـــه من كردفان ومدنى والتاكا والجيره وغيرها وارسلها لمصر وكلف وسارمعها طبيب واجزاجى . وقدحدثت مجاعة فى عهده فاستدعى جماعة من التجار وصرف نقودا من خزينة الحكومة

الجعليـــون

جاء فى جريدة الأهرام بعددها ٥٨٨٧ الصادر فى يوم الخميس ٥ أغسطس سنه ١٨٩٧ م — ٦ ربيع أول سنة ١٣١٥ هـ تحت عنوان .

حادثة الجعليـــين

تعودت السردارية فى كل عام أن تملأ الآذان بالاشاعات وتذيع فى الأرجاء أخبار انتصار حلفائها فى السودان على جنود الدراويش ويذكر القراء انها كانت عام أول . تقص علينا انتصارات حليفها عمر طيطه أحمـــد زعماء قبائل السودان الشرق المصادقة لها الى حد أنها قالت أن هذا الرجل التقى بعثمان دقنه ونازشه القتال فى وقعت أسفرت عن انهزام عثمان وفوز عمر بعد أن فقد الأول سبعمائة فارس . ولم تمضى أيام قلائل حتى ظهر فساد هذه الرواية وبعدها عن مواطن الصدق والوثوق . وقال حضرة مكاتب الأهرام فى سوا كن ما معناه . أن الحربية غالت وبالغت فى تلك الأخبـــار حتى حملت البعض على الاعتقاد بأن شيخ العرب عمر طيطه من القواد المغاوير والأبطال الذين لايشق لهم غبار ولا يصطلى لهم بنار ولقبه (بالجنرال) تهكمـا وسخرية . وعليه فان للسردارية جنرالا فى كل عام : وجنرالها فى هذه السنة هو عبد الله سعـــد أمير الجعليين الذى تروى لنا من أنبائه ما يتركنا فى حيرة وذهول ويجعلنا نظن أن ملائكة السموات هبطوا لتكثير عدد الجعليين أصدقاء الانكليز . وان الله باركهم كنسل ابرهيم الخليل . فصاروا كرمل البحر بعد أن كانوا دون القليل .

وما اقتصر التهويل على الدوائر العسكرية فقط بل تناول كثيراً من الجرائد على اختلاف مشاربها ومنازعها . فأخذت فى صفحاتها عن قوة الجعليين وشدة بأسهم مايشبه خرافات العرب الأمر الذى حدا الى أن أنشر هــــذه المقالة فى الأهرام موضحا فيها أحوال الجعليين الذين فارقتهم منذ ثلاث سنوات فأقول .

ان الجعليين قوم نازلون بضفتى النيل شمال الخرطوم فى مديرية بربر يبلغ مجموع عددهم نحو ٤٠ الف نسمه وهم ينقسمون الى قسمين أحدهما يسكن الجهة من مصب نهر اتبره والآخر يقطن الجهة الشمالية من هــذا النهر . وسكان الشمال يعرفون باسم البرابره

وبين الفريقين . عداوات وإحن قديمة مستعصية . وسكان الشمال ينقسمون الى قبائل صغيرة اشهرها الزيداب ورجالها بوجه الاجمال نوتية فى المراكب الشراعية . وكذا قبيلة المكاراب . وأما قبيلة النفيعاب التى منها عبد الله سعد فصناعة رجالها الحياكة وكان عبد الله سعد حائكا كما سنبينه فيما بعد .

وفى أيام تسلط الحكومة المصرية على السودان لم تكن للجعليين وحدة قومية بل كان لكل قرية رئيس أوعمدة كالقرى الريفية فى مصر (١) . ولم تكن لهم أيضا جامعة فى الاتحاد فى الرأى . وقصارى القول انهم مااجتمعت كلمتهم الا فى أيام المهدية لأن المهدى كان يحثهم على الائتلاف كيفية قبائل السودان . وزراعتهم على شاطىء النيل وطرق الرى لا أثر لها عندهم بتاتا . ومحصولاتهم لا تكاد تكفيهم شهراً واحداً وأ كثرها من الذرة الرفيعة . والدواب كالخيل والبغال لا وجود لها عندهم . والحمر الاهلية قليلة جدا حتى أن كل سبعة نفوس منهم يملكون حماراً واحداً الخ .

انى لأعجب غاية العجب لجراءة هذا الكاتب الذى علم أنه ليس بين قراء الأهرام اذ ذاك من يعرف تاريخ السودان فيكون حجر عثرة فى سبيل نشراته السقيمة . فأطلق العنان لقلمه وصار يكيل الكلام جزافا بدون ان يقيم للحقيقة وزنا فقدر التعايشة بنصف مليون مع أنهم دون العشرين الفا وقدر الجعليين بأربعين الفا حالة كونه يربو عددهم عن نصف مليون وحصرهم فى منطقة ضيقة فى مديرية بربر ولا يكاد يخلو منهم مكان فى أقاليم السودان .

أما قوله أن النفيعاب يحترفون الحياكة فباطل يكذبه الواقع ويبطله البرهان . ولو صح ذلك على فرض فلا غبار عليهم فى شىء منه لأنها وسيلة من وسائل الحياة فرحم الله القائل .

وليس على عبد تقى نقيصة — إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

وقال لم تكن للجعليين وحدة قومية فباطل أيضا فقد برهنوا على وحدتهم فى حربهم

(١) نعم كذلك وعند الضرورة تتجمع تلك الفصائل لصد تيار العدو مهما كان عاتيا هكذا قام الجموعية والجميعاب وغيرهم وثاروا الى الملك ادريس بالمتمة لحرب محمود ود كوينه وقام سكان العسوق وانضموا الى [illegible] لصد غارة الضبانيه والتكارنه .

شعوره وزبنه وتزيفهم جند الفونج فى المتمة فى عهد الملك ادريس . وحربهم التكارنة فى بلاد الحبش أما قوله سبعة منهم يشتركون حمارا فهـذا قول يتعارض مع الواقع وسخيف لا يقول به عاقل وما هى قيمة الحمار حتى يشترك فيه سبعة أشخاص أهو سفينة شراعية ؟ وما هى رابطه الحمار بالكلام عن حرب عبد الله سعد بجيوش المهدية وهل يظن الكاتب وفرة الحمر يكون لها أثر فى فوز الجعليين إنما يراد به الحط من كرامة عشيرة تشتمل على الفاضل والمفضول والمالك والمملوك والقنى والصعلوك كما هى الحال فى كل زمان ومكان . هـذا ولنرجع الى مانحن بصـدده فنقول . أن للقبائل المذكوره أغانى شتى فى وصف تلك الجماعة منها قال حمـد الكافر :ـــ

طال الشوق على أهل النظاف والزينه   عملوا البوراهم صوبته به سفينه

خلاق العباد شاحدنه كان يودين   فى البقاره فـلا تنطق به غبينه

نعم وإن تكن حادثة حرق اسمـاعيل باشا فى سنة ١٢٣٨ قصصت القوادم من اجنحة الجعليين ولكن أراد ربك ان تنتعش تلك العشيره إلا انها لم تعد لمكانها الأولى بل بقى منها فى ضفاف نهر أتبره وجزرة فى سنار وكردفان ودارفور وغيرها أما عبد الله سعد فكان من الأبطال الذين لا يشق لهم غبار وكفى بنا برهان مطاردته لفلول الحملة الأنكليزية بقيادة الجنرال تشارلس ولسن من المتمة الى كورتى .

ولقد أظهر الجعليون فى واقعة أب طليح من ضروب البطولة ما يوجب الفخر كما قال حاج على ود سعد الذى شهد تلك المصارعه وجرح فيها نوعا على فتنة الاشراف ومنافستهم للخليفة عبد الله بشأن الزعامة :

أمس دنقرنا فى العريان خبط   وقلبنا من الخوف ثبت (١)

أهل الرباسة لكوها وأبت   بعد ما شابت عقبان جبت (٢)

---

(١) الدنقر بكسر الدال طبل عظيم يضرب للحرب أما العريان فاسم جبل تجمع فرسان الجعليين به وخبط ضرب
(٢) لكوها أى مالوها شابت الدولة أى شاخت وعقب ذلك عادت لسن الطفولة .

محاولة النقد

في سنة ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م

كنت مشغول الفكر بما أراه من خلط المؤرخين فيما اعلمه واتحقق صحته من تاريخ السودان ومازلت أقدم لمعالجة تلك الاغلاط رجلا وأوخر للنكوص أخرى عسى أن يقوم أحد السودانيين على بفرض الكفاية ولما لم أر أحدا حتى ظهور تاريخ الاستاذ عبد الله حسين المحامي والمحرر بجريدة الأهرام فاضطرني الى مراجعة كل ماينشر به والرد عليه وكانت الصحف في السودان على ما بها من قلة تكاد تكون محتكرة لأقلام أشخاص مملوءين اذ ذاك من رواد الشهرة وغيرهم من المستجدين عطف الانكليز بما ينمقونه من وصف الحكومة بالعدل والاصلاح فأسست مجلة أسميتها « أم درمان » لخدمة التاريخ صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٦ الموافق ٢٩ جماد الثاني سنة ١٢٥٥هـ في العدد الخامس بدأت الرد على كتاب السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية لمؤلفه الأستاذ عبد الله حسين بعد أن اخبرته ورد قائلا ارسل لي ملاحظاتك لأحفظها للطبعة الثانية ولكني لم التفت الى قوله لأني لم أضمن الحياة الى ظهور الطبعة الثانية

(١)

– « السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية » –

لقد بزغت شمس سفر حديث بالعنوان المتقدم وضعه الاستاذ الفاضل عبد الله حسين المحامي والمحرر بجريدة الاهرام والعضو في البعثة المصرية التي ارتادت بعض أقاليم السودان في صدر عام ١٩٣٥ لدرس الحالة الاقتصادية به كالزراعة والتجارة وغيرهما من مرافق الحياة وعادت تحمل بين جنبيها من آيات الغبطة ودواعي السرور ما اطلق لسانها بالثناء والاطراء الذين تلاشى بهما بعض الاعتقاد السائد هناك ببربرية السودانيين وجفاء طبعهم كما زعم بعض المغرضين عفا الله عنهم.

وما كادت البعثة المصرية تعود الى كنانتها حتى أذاع الأستاذ عبد الله حسين خبرا يقول فيه أنه سيضع مؤلفا طريفا من تاريخ السودان، فقام الناس وقعدوا وهللوا

وكبروا سرورا وابتهاجا لذلك النبأ . قائلين . لقد سمعناه ينقد مؤلف الدكتور هيكل «عشرة أيام فى السودان» لخروجه عن جادة الاعتدال وذهابه من ذات اليمين الى ذات الشمال . ولا غرو فان رجلا كهذا لجدير به أن يتحرى الحقائق ولا يكيل الكلام جزافا بدون أن يقيم له وزنا . وربما قام عنا بفرض الكفاية فى مؤلفه الذى قد يكون بمثابة رد على تلك المؤلفات الملفقة التى نمقها ذو الغايات فاشبعوا السودانيين فيها وخزا دونه وخز الرماح . ولم يتعرض أحد منهم إلى نقدها . لوجوم الناس تحت تأثير الانقلاب السياسى وتبدل الأحوال بعد حروب صبغت أديم البلاد بدماء الكماة من ابنائها . ودخول الأمة فى طور الاحتلال الذى لايجعل للاسير حرية فى القول أو العمل مهما كان شأنه . وهناك تمهد الطريق وصفا الجو لتلك المؤلفات الزائفة . فراجت وراجا غريبا . وجرت شوطا بعيدا فى الوضع والتلفيق والاختلاق . وأصبحت مرجعا لكثير من الكتاب فى العالم ونحن نقرأ ذلك ولا نجرأ على القول بغيره . خوفا من ضخامة القاب المؤلفين . كالسر والباشا والبك وهلم جرا . وهذه أضعف درجات الايمان بالوطنية . كما ذهب اليه جماعة الفقهاء . فى الاكتفاء بانكار القلب . لمن لم يدفع المنكر بيده أو بلسانه .

ويا عجبا كيف تتبدل أحكام الجبلة وكيف يمحى أثر الفطرة وكيف تستذل النفس منا حتى لاتصبو الى الرفعة . وكيف ترضى بالهوان حتى تكون ككرة القدم . تتقاذفها أرجل الكاتبين . وتعيث فى عرضها ايدى المؤرخين . فتصبغها فى كل آن بلون آخر . فنسمى العربى زنجيا والهاشمى نوبيا والزنجى حبشيا فى وقت حرية الاقلام . ونحن نقضى الحياة من خوف الذل فى الذل . ومن خوف الهوان فى الهوان ؟ !

ولعمرى والحالة هذه يجب اما أن ننسلخ عن الانسانية ونتخلى عن الايمان بالوطنية ونتبرأ عن الاتصاف بالعربية . وأما أن نرد الحجر من حيث أتى بأن نجرد أقلامنا اللاصقة فى اغمادها ونسير متلاصقى المناكب لهدم ما اكتته تلك الاقلام الجائرة من الترهات وغرائب الخزعبلات وحتى نزهق الباطل ونقيم على انقاضه منار الحق .

هذا وبينما كنا نقتل الوقت ممللين النفس بظهور ذلك المؤلف الجديد . ظانين بل

متحققين بان نرى فيه قضاء مبرما على المختلقات التي أسلفنا عنها اذ حمل البريد الينا منه سفراً يشتمل على ثلاثة أجزاء . فتصفحناه بشغف وراجعناه بدقة . فالقيناه خلط قولا سديدا وآخر بعيدا . لأنه أخذ عن مؤلفات . لازالت شجى في حلق الأمة ، وكان كثير منا يتأهب لنقدها وتزييف ماجاء بها . اذن فالمؤلف الجديد لم تكن به . سوى انه نبه الافكار والفت الأنظار وايقظ الهمم الى دحض تلك الأباطيل التي كان يراد بها محض النكاية بالسودانيين لان سبق أولئك المؤلفين كانوا في اسرهم . وهنا نرجو من الاستاذ عبد الله حسين ان يسمح لنا بان نميط اللثام عن الاغلاط التاريخية التي جاءت في مؤلفه خدمة للحقيقة والتاريخ . لكي لاينظر العالم الينا بنظارة معكوسة فنلدغ من حجر مرتين . لان الذي يرى تضافر أقوال المؤرخين على شيء لايدله من الاذعان والتصديق . مالم يقم الدليل القطعي على الغاية وفساد الرواية . ولا يعقل ان يكون ذلك بغير أقلام الوطنيين السودانيين الخبيرين بكنه بلادهم . وان زعم الاستاذ على انه أخذ عن بعض السودانيين حال مروره هناك . قلنا له ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء . فليس كل من تظله سماء السودان عليما بتاريخها . ربما انه أخذ عمن لا يعرف غير محيط داره أو قريته التي هو فيها . وفاقد الشيء لايعطيه فدرس التاريخ ليس من الأمور الهينة . ولو كان كذلك لاصبح كل الناس مؤرخين (١) ذلك اذا لم نقل ان الايام التي قضاها الاستاذ في بهجة المقابلات ومشاهدة المهرجانات ليست كافية لان يصور في مخيلة القارىء شبحا حقيقيا يمثل ماضي السودان وحاضره الا ان يكون ذلك بمعجزة الهية وهيهات وكل مااعترضناه في حوادث بلادنا لاننكر فضله في انه أودع كتابه كثيرا من الوثائق التي ما كانت تعرف من ذي قبل . ذلك علاوة على جمعه وتنسيقه في وقت يكاد لايقبله العقل لولا ان المؤلف ماثل بين أيدينا وهذه همة تذكر فتشكر .

---

(١) أقول ذلك لان السودان مسقط راسي ومنبت عشيرتي وعمري الآن ٧٥ عاما ولله الحمد . طفت البلاد وتعرفت بساكنيها ولم أزل أقوم برحلات عدة من الأخيرة في ديسمبر سنة ١٩٤٩ بعد سبعة أشهر درست فيها تاريخ وجغرافية كردفان وجنوب دارفور وكما كانت في رحلة كبيرة في بحر الغزال من ديسمبر سنة ١٩٤٦ الى ابريل سنة ١٩٤٧ وفي ١٩٣٨ بكسلا وسنة ١٩٤٤ من مركز الدر الى دنقلا ولم أزل [illegible] تيجيات الرسمية منها فكيف استطاع غيري ان يضع مؤلفه يشتمل على ثلاثة أجزاء في مدة وجيزة

الجزء الاول

قال « الشلك » فى الصحيفة ١٩ والزنوج قبائل كثيرة منها الشلك غرب النيل عند بحيرة نو مع ان هذا يتعارض مع الحقيقة . فالشلك

يقيمون على ضفاف النيل الأبيض شرقا مع الدنكا وغربا وحدهم فى المنطقة بين الرنك شمالا وتوتجه جنوبا وهذه المنطقة فى أقليم ملكال وبحيرة نو داخلة فى أقليم بحر الغزال وسكانها دنكا ونوير

الدنـــكا

وقال الدنكا شرق النيل الابيض والحقيقة ان الدنكا ويين ينتشرون شرقا وغربا فى أربعة أقاليم (١) منها الدنكا ابراهيم ينتشرون فى شاطىء النيل الشرقى بين الرنك شمالا ونهر سبت جنوبا (٢) الدنكا رق فى مشروع الرق (٣) الدنكا أقار فى التونج (٤) الدنكا بور فى بور والدكفيول (٥) الدنكا عالياب فى طومبى (٦) الدنكا مشيش فى شامبى (٧) الدنكا أتويت فى لار (٨) الدنكا ملول فى اويل وبحر نيغام ليل (٩) الدنكا رق دنكا ماريق فى غريقه التابعه للشهود . فالدنكا فى أربعة أقاليم متنائية عن بعضها . ومما جاء فى تلك الصفحة صورة رجل شلكاوى . وقال عنه دنكاوى فى زى محارب فى ابهى زينته . ولو كان له المام بشعار قبائل الزنج لادرك خطأه قبل نقده لأن الشلكاوى يعقص شعر رأسه حتى يصير كالقبعه لتظله من وهج الشمس . أما الدنكاوى فانه يرسل شعر رأسه حتى يكون له إكليلا تشبها بالأسد ويصبغه حتى يصير أصفر كلون شعر الافرنج . وفى الصحيفه ٢ قال ومن قبائل البجه العبابده ويتصلون باسوان والبشاريين أو البشاريه من القصير حتى سواكن والأمرأر الى ان قال قبائل بنى عامر والحباب . ومن الغريب انه استشهد بصورة زنجيات عاريات الأبدان من نساء النوير حتى يظن انهن من القبائل التى يتكلم عنها وذلك ضرب من ضروب الاساءة مع ان زى هذه القبائل انسب مايكون للزى الشرعى فالمرأة العبادية مثلا لايرى منها غير عينيها وقدميها . وهذا خطأ فالعبابده من خلاصة العرب لانهم سلالة عباد بن الزبير بن العوام رضى الله عنه أما البشاريه فيقال من الكواهله « زبيريه أيضا » وفى رواية انهم خلاسيون من عرب وبجه . والأمرآر منهم فرع يقال لهعتمن أبناء عثمان وله عجيب من العبدلاب

وبنو عامر عرب ساكنوا البجه فاثرت فيهم البيئه فصاروا يتكلمون برطانة البجة. وليس هذا بغريب فالاشراف من سلالة الحسين رضى الله عنه فى سواكن يتكلمون بلغه البجة وهكذا من كانوا بالصومال وفى بلاد العجم والصين والهند فتعلم اللغات لايؤثر فى صفاتهم وجواهر ذاتهم

(٢)

أنا لنعجب كل العجب عندما نرى تعلق المصرى بالسودان منذ أمد بعيد والحاجه فى المطالبه بتوحيد القطرين بحجة انهما أخوان وهو لايعرف مساكن أحدهما من زوايا الكرة الارضية ولادرجة القرابه بينهما ان كانت من طريق الرحم أو العصبية. ذلك بالرغم عن الجوار واصق الدار بالدار. هذا اذا لم نقل ان الآفا من المصريين جاسوا خلال السودان وساكنوا بل صاهروا عشائره [1] عشرات السنين جريا وراء المادة وتفانيا فى عرض هذه الحياة ولما عادوا لقطرهم المحبوب لم ينقلوا سوى ذواتهم. فاصبح الكاتب المصرى لايجد من المادة التى تعينه عند الحاجة عدا الرجوع الى تلك المؤلفات المعتلة التى برزت عن دائرة الضبط وخرجت عن قواعد الربط. فكانت كداء الطلب ماتغذى منها مؤلف الا أحدث تسمما فى الاعضاء وتشويشا فى الافكار. هذا وقد وضعت تلك المؤلفات فى ظروف خطرة وتحت سماء متلبدة بالغيوم السياسية وكتابها ممن أوقعهم سوء الحظ ونحس الطالع بين فكى الأسر فى إبان الثورة السودانيه وثمرتها الدينيه. فذاقوا من حروب الدهر وآيات العبر. ما صيرهم ينظرون الى السودانى نظرة المنتقم الجبار الذى برأته الايام مقاعد الرياسة وسلمته سيف النقمة كالبارون سلاطين باشا وابراهيم فوزى باشا والقس أهر ولدر وغيرهم من الذين قلبوا لنا ظهر المجن وكالوا الكلام بسوء نية. فهولاء أعداء رسم الاضطهاد فى مخيلتهم شبحا

---

(١) وقد كان من أبناء السودنيات مايفتخر به كاليوزباشى أمين أفندى محمد عبد الله منير الذى قبض على رجلين من اليهود قتلا اللورد موين ولولاه لحادث انجلترا الى تحويل رواية السم لى ستاك فى سنة ١٩٢٥ م فهذا الضابط أنجبته السيدة فاطمة بنت فضل المولى من واو ووالده البكباشى محمد افندى عبد الله منير من قرية [ميت غمر] انحدروا المبشرية فى أرحام السودانيات حتى تكون الوحدة وحدة بالمعنى الصحيح لا اسم على غير مسمى

مخيفا ما زال يلازمهم ملازمة الظل للشاخص. حتى قالوا ماقالوا مما تعافه العدالة ولا تسوغه نواحيس الامانة لأن مؤلفاتهم هى عبارة عن تاريخ حياتهم وما لاقوه من خير وشر. اذن فماذا يعتذر الذى شاهد الأحوال عيانا وخالط زعماء البلاد وحادثهم فى شتى نواحى التاريخ ثم عاد فكتب ما كتب تحت سماء صافية الأديم . والبس بها من المؤثرات النفسية التى تضطره الى البروز عن ظل النزاهة كالأستاذ عبد الله حسين وبأى لفظ يجيب عن قوله فى صحيفة ٢١ جزء أول . ومن النوبة الدناقلة وهم سكان ما بين الشلال الثالث والرابع . ومن قبائلهم الأشراف التى ينتسب اليها السيد محمد أحمد المهدى والمحس الى قوله أهل سكوت وأهل حلفا ، فويح للحقيقة التى تلاشت بين عبث الكاتبين وخلط المؤرخين الذين لم يعرضوا تلك الأباطيل على ميزان العقل ليتبينوا غثها من سمينها فذلك قول أوحت به الهواجس والأوهام وأول من أدلى به جماعة من علماء الآثار الافرنج عندما كانوا ينقبون على آثار أثيوبيا بمروى وجبل البركل بدنقلا مع ان اثيوبيا غادرت تلك المنطقة فى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد فرارآ من ضغط الأشوريين الذين دالت دولتهم وقامت على انقاضها دولة الرومان . وما دخل العرب الى السودان الا فى سنة ٢٥٥ هـ كما رواه المقريزى فى الجزء الأول من خططه . أفهل يعقل ان يؤخذ من تلك الآثار شىء من الدلائل والقرائن مايدل على عربية سكان دنقلا . ماهكذا فدنقلا عبارة عن بوغاز مر به مهاجروا العرب . وسكانها الآن أخلاط من بنى هاشم وبنى أميه والبديرية ، عباسيه ، والأوس والخزرج وفزاره الخ . أما النوبه فتوجد منهم عائلات متفرقة فى كل السودان لادنقلا وحدها وأكثرما يكونون فى الدر بمديرية أسوان وكردفان ودارفور . وبالرغم من قلتهم . فانهم يتعصبون لقوميتهم ويتباهون بأنهم سادة البلاد قديما

أما قوله ومن قبائلهم الأشراف التى ينسب اليها السيد محمد أحمد المهدى فقول يتعارض مع الحقيقة . لأن السيد محمد أحمد المهدى بن عبد الله بن فحل بن عبد الولى بن عبد الله بن محمد بن الحاج شريف بن على بن أحمد بن على بن حسب النبى بن صبرنسى بن نصر وهذا هو الذى هاجر من الخناق فى شمال اسوان الى دنقلا فى عهد العباسيين بن عبد الكريم بن الحسين بن نجم الدين بن عون الله بن عثمان بن موسى بن أحمد أبى العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكرى بن علوان بن عبد الباقى بن يعقوب بن السيد الحسن بن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وكذا توجد

بدنقلا عناصر شتى من سلائل تركية وكرديه ومصرية قد لا يعرف بعضهم الا بنسبته الى وطنه بمصر كفلان الطحطاوى وفلان القناوى والجعفرى وهلم جرا . ومن الغريب قوله فى الصحيفة ٢١ ومن قبائل العرب الزبالعه فالزبالعة ليست بقبيلة وانما هى ضلاله كالاسماعيلية والقرامطة ولقد أطلنا الكلام عليهـــا انظر الصحيفة ١١٦ هذا ولقد ذكر الأستاذ فى مؤلفه قبائل لا تكاد تتجاوز عدد الاصابع فى حين أن بالسودان ١١٤ قبيلة عربية وأكثر من ذلك قبائل الزنج[1] ولا نريب عليه فى شيء من ذلك لأنه غير ميسور الاحاطة بكل تلك القبائل فى مثل الأيام الوجيزة التى قضاها فى بلادنا .

وعلى كل حال نرجو من حضرات القراء أن يتصفحوا ذلك المؤلف بغاية الحذر حتى يروا آخر ما فى الكنانة من نقده فى هذا المؤلف . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

(١) توجد جاليات كثيرة غير عربيه أرغمت فى قبائل العرب بالسودان وهى كثين بدارفور والمماليك بقريه أزقرفه شمال شرق مدينه الدامر والقبط فى كردفان وأم درمان والحضور الذين هم قبط هاجروا بضغط الفاطميين وأسرعوا بالهجرة وصاهروا العرب بالمتمه وغيرها فنزلوا سلالة حسنة السمات بديعة الجمال والمولدون الذين هم من سلائل شتى كالترك والكرد واليونان والمجر سكان جزيرة المجراب بحلفا والمصريين الخ

(٣)

ليس الغرض من تفنيدنا لأثر الخطوات مؤلف الأستاذ عبدالله حسين هو مجرد النقد والتشويش على قرائه. كلا ثم كلا. بل نحن قوم نرى من جهل المصرى بنا اسامة طالما حطت من أقدارنا بين المصريين الذين يدرسون ابناءهم حتى الآ أن السودانيين يأكلون الذباب بالعسل. ويرسمون صورا عارية ويكتبون بأسفلها (سكان النيل) فأنى لطالب يلقن من نعومة أظفاره مثل تلك النقائض المزرية ويرى أمثال تلك الصور العارية ذات الذيول وهو فى مهد التكوين وأول خطوات التمدين يعترف بإخاء السودانى. أو يرضى بنسبته اليه. أجل أن أولئك العراة سودانيون حاميون ونحن حتى الآن نتألم لما منوا به من البعد عن مناهل العلم ودواعى الحضارة. ونلقى باللائمة على الحكومات التى لم تمد يدها الى رفع مستواهم منذ أن بسطت مصر نفوذها عليهم فى عهد الخديوى اسماعيل باشا فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى كما أن الانكليز لم يمهدوا السبيل الى غير مصارعات دينية يقوم بها دعاة الكاثوليك. أما المؤرخ المصرى لا أخاله يجهل أن بالسودان قبائل شتى من العرب كبنى هاشم وبنى أميه والأوس والخزرج وكنانه وجهينه وربيعه ومضر وترك ومصريين ونوارج أى «كنين» ومماليك وغيرهم فلما لا نرى صورة لهؤلاء والحال أنهم أقرب الى مصر وكثير منهم يساكنون المصريين بالقاهرة وغيرها اذن تناول صور الزنوج العارية وترك غيرهم من أهل الحضر كان بسوء نية الغرض منها التشهير بالسودانى العربى الذى طالما نادى بالوحدة ووقع فى أحضان مصر وليس ببعيد المصارعة على الوحدة بالخرطوم سنة ١٩٢٤م اذ استمرت الحرب فى الشوارع والأزقة ٢٢ ساعة وتلاها الحكم بالاعدام رميا بالرصاص والنفى الى أقاصى الجنوب هذا وقد وضعت مؤلفا أسميته (الصراع المسلح على الوحدة فى السودان) وجاء فى الصحيفة ٤٨ جزء أول صورة لأربعة أمراء تعايشه وهم يونس الدكيم وعبد الباقى عبد الوكيل والختيم موسى ومحمد المهدى أحمد وكتب بأسفلها «من مشايخ أبى حمد والشلال وهم كأهل الصعيد» فهؤلاء طالما جالستهم وأخذ عنهم بعض حوادث التاريخ التى جرت على يدهم كما يعرفهم المصرى أيضا لأنهم أقاموا فى رشيد زمنا طويلا فى حال اعتقالهم. فدهشت جداً لهذا الخلط الغريب مع أن هؤلاء الامراء أخذت لهم مئات الصور وكتبت عنهم الجرائد الانكليزية وكتب عنها بما ترجمته (سجناء الحرب من أمراء الدراويش) ليت شعرى كيف يخطئ المصرى

---

(١) وذلك لا يشغلنا عن الاعتراف بفضل جلاله فاروق الأول ملك مصر والسودان الذى فتح باب التعليم على مصراعيه للسودانيين الذين نهضوا بعد غفلتهم سيكون لها أثرا خالداً فى حياة الوادى ووحدته إن شاء الله

العربي ويصيب الانكليز الأعجمي الذي لا يكاد يعرف من بلاد السودان عدا اسمها. هذا وليس التاريخ بالشيء الهين الذي يؤخذ كالقتوغرافية. وإنما يحتاج الى ذي همة يعاني صعابها ويقطع شعابها برحلات شاقة وبذل الجهود في الأخذ والتمحيص بين الروايات المتباينة وطرح الأقوال المفرضة لا ان تملأ المذكرات من غث وسمين. وقال في الصحيفة ٧٣ قد انقسم البجة إلى قبائل العبايدة والبشاريين والهدندوه والأمرا والحلانقا والحباب وبنى عامر الخ. فذلك خطأ من ألفه الى يائه فان البجه هم الهدندوه فقط أما عداها فعرب فمن ذلك العبايدة هم أبناء عباد بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه راجع ذلك في الصحيفة رقم ٥٠ من كتاب مسامرات الأخبار للاستاذ محي الدين العربي. والبشاريون قيل خلاسيون تناسلوا من أب عربي وأم بجاوية. أما الحلانقة فعرب يرجعون إلى هوازن هاجروا إلى الحبشة من بغاز باب المندب وأقاموا هنالك زمناً طويلا وكانوا يحملون السياط فاطلق الأحباش عليهم اسم حلانقا. وهو ما معناه بالعربية حملة السياط ولما اضطهدهم الأحباش لدينهم ساروا الى السودان متتبعين سيف نهر القاش والأمرار وبنو عامر أبناء رجلين أخوين هما عامر وعمار كلاهما من العرب فنسل عامر بني عامر ونسل عمار الأمرآر. وكلمة آر. بلغة الهدندوه أبناء عرب ولكنهم ساكنوا البجة وصاهروهم حتى أثرت فيهم البيئة والوسط. وفي رواية ان الهدندوه عرب أيضا وفي الصحيفة ٧٤ عن مملكة الفونج قوله يرجع الى تاريخهم العربي الى نفر من بني أمية فروا من الشام الى المغرب الأقصى والسودان فأسسو مملكة سنار. والصحيح أن العبدي الشاعر دخل على السفاح وكان في مجلسه ٨٢ رجلا من بني أميه كان ضمنهم الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن عمران فانشده قائلا.

أما الدعاة الى الجنان فهاشم — وبنو أميه من دعاة النار

وبنو أميه روحـة ملعونة — ولهاشم في الناس عود نضار

فرفع الغمر رأسه وقال له يا ابن الزانية. ما دعاك الى هذا فامتعض السفاح وأمر بهم فقتلو جميعا أي الأمويين ماعدا ابناء الغمر فروا الى الحبشة اى بنا الغمر وذهبوا هنالك بالغمريين ولما ساءا الأحباش في معاملتهم هاجروا منها الى جبال الفونج وسموا باسمها. وبعد زمن طويل ساروا الى جبال سقدى ونوبة. ومن هذه وثبوا الى مملكة النوبة فاخضعوها وأسسو على أنقاضها مملكة الفونج بسنار في سنة ٩١٠ هـ ثم جاءت في الصحيفة ٣٦ صورة امرأة

دنكاوية عارية وكتب باسفلها قائلا امرأة من المدندوة مع انى لم اسمع بان امرأة مدندوا تحلق شعر رأسها و تسور بالحديد والنحاس و ترتدى الفراء فالمرأة المدندوية تدين بالسلام من أول عصوره . وهى أشد ما تكون على الحجاب الشرعى وأمثال هذه الصورة مما تسبب استياء الناس هناك ويروا من ذلك محض الاساءة والتشهير بهم . وجاء فى نفس الصحيفة قوله . آثار سقوط والحس والصحيح سكوت والمحس

وكذا جاء فى الصحيفة ٧٨ من الحملة المصرية ما نصه وتم احتلال مديرية دنقلا [١] ثم واصل سيره جنوبى دنقلا فى بلاد الشايقية وعلى المصرية من كورتى على الشاطىء الغربى للنيل هجم الشايقية على فرسان الجيش المصرى الذين تقدموه لكن الفرسان المصريين هزموا الهاجمين الذين سلموا وانضموا جنودا فى الجيش المصرى ليس هـــذا بحقيقة ولا يشبه الحقيقة بأى حال من الأحوال فقد أسلفنا بما لا يقبل الزيادة راجع الصحيفة ٩٦ ترى كيف كان الصلح مع الشايقية أما الحملة المصرية فانها سارت فى غاية الاطمئنان لم يعكر مزاجها الا فى قرى محصنة بها طائفة من المماليك بالدر وأبريم التابعتين لاسوان بقيادة حسن قوش كاشف أغا وبعد اطلاق المدافع عليها واخضاعها سارت الحملة جنوبا الى جزيرة ساى بالسكوت وقابلها هناك الشيخ عبد السلام أحمد المحسى [٢] بهداياه وكافاه اسماعيل باشا بتعيينه قاضيا شرعيا كما أسلفنا . ولا ضرورة تدعونا الى الاعادة فالغرض من ذلك هو محض التفاهم ودلالة المصرى الى تاريخ الســـودان حتى لا يغتر بضخامة العناوين وزخرفة الرواية وهى كالسراب الذى يحسب الظمآن ماء

(٤)

ولقد أسهب الأستاذ عبد الله حسين فى مؤلفه عن الحملة المصرية فقال فى الصحيفة ٨٧ من الجزء الأول حتى وصل على النهر تجاه بربر التى فتحها الجيش المصرى فى ١٠ مارس سنة ١٨٢١ واخضع ملكها نصر الدين والحال ذكرنا أن نصر الدين له أعداء نافسوه الرياسة وهم

---

(١) ليس هذا احتلالا وانما كان تم الخ على أنه تم بغير حرب و [illegible]

(٢) كانت أم عبد السلام المحسى [illegible] بنت سليمان و[illegible] المملوك [illegible] ابيها بدلالة [illegible] على ابادة المماليك فى جزيرة ساى كما ذكرناه

بنو عمه الرحاب والنميمات ولما قام الى الحج اغتالوا ابنه فعرج الى القاهرة ودعا محمد على باشا الى دخول السودان ورافق الحملة المصرية الى دخولها بربر وهى ابدته على قومه واخذت تعهداً على الرحاب والنميمات بالخضوع لأمره كما هو ظاهر من الأغانى الآتية

ما زاغ مع الزايغين	وما جلب النحاس والطين
ختوا أختامهم طايعين	تور الأرقو نصر الدين(١)

ثم قال

ما زاغ مع الزاغوا	وما جلب النحاس بلهو
ختوا أختامهم طاعوا	ميرف راقدة يا وجاعو

يؤخذ من ذلك أن الحكومة هى التى أرغمت الميرفاب على طاعة نصر الدين وأخذت عليهم تعهدا بذلك . وجاء فى الصحيفة ٦٠ قوله كتب الى الملك عدلان بن ادريس أى اسماعيل باشا . يدعوه الى التسليم ويحذره سوء العاقبة . فكتب اليه الملك كتابا يقول فيه دان مدينة سنار محروسة بالخيول الرومية وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية فلا تغتر بانتصارك على الشايقية . بل تيقن أننا نحن الملوك وهم الرعية ، هذا خلطة تمجه الأسماع ويأباه الذوق السليم كتب هذا الكتاب السلطان محمد الفضل سلطان دارفور الى محمد على باشا راجع الصحيفة ٩٣ من هذا السفر تجده بتطويل اقتطفت منه هذه العبارة المتنافرة . وانه من انشاء حسين ودعمارى الأزهرى وجاء فى الصحيفة ٦١ قوله . وبعد استلاء المصريين على سنار . أنفذ الأمير اسماعيل صهره محمد الدفتردار بجيش لفتح كردفان فهذا يتعارض الحقيقة التى هى أيام حملة محمد بك الدفتردار من بلدة أبى قسى بدنقلا ثم سارت بصحراء الماتول الى جبال الحرازه ومنها الى بارا ولقد التقت هناك بالمقدوم مسلم كما اسلفنا عنها . وجاء فى الصحيفة ٢٥٦ عند الكلام عن مدينة أم درمان . وبنى المهدى جامع الصفيح . وبنى الخليفة بجانبه جامعا متسعا وهو حوش عظيم مربع يحيطه سور له ثمانية أبواب بغير سقف ووضع الحجر الأول فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٧ وبنى بعد ٧٣ يوما وكان الأهالى يؤدون الصلوات الخمس فيه جماعة الخ يؤخذ من سياق هذا

---

(١) تور الأرقو هذا اسم للثور العظيم الذى يدير الساقية وحده أما تشبيه الرجال بالجمال والثيران فعادة عربية كما قال المتنبى :

فلا زلنا نذاعب منك قرما	تراجعت القروم له حقاقا

الحديث أن جامع المهدى غير جامع الخليفة وكان لكل منهما نظام فى بنائه وتكوينه لا يشبه الآخر . وكانت تقام الصلوات فى الشمس بحالة تنافى الخشوع والصحيح أن جامع المهدى هو جامع الخليفة الذى خططه المهدى عندما أسس أم درمان فى سنة ١٣٠٢ هـ : ١٨٨٥ م أما جامع الصفيح فهو محراب اتخذ من الزنك ولا تتجاوز مساحته ١٠ أمتار طولا فى ٧ أمتار عرضا وخلفه راكوبه مترامية الأطراف للصلاة فى ظلها تسع عشرات الالوف وفى الصحيفة ٢٥٧ قال ذبح أنصار المهدية الآمنين التجار والمستخدمين المصريين فى مدينة الطيارة وبقرت بطون الحبالى وقذف الأطفال بالجو وكان الثوار يلقونهم على أسنة الرماح فى عهد الفقيه المنه زعيم قبائلى الجمع والجوامعة هذه القصة

الاسرى من الضباط المصريين الذين بايعو الامام المهدى على جهاد الكفر وقد رئى بينهم القائمقام سيد بك جمعه مدير الفاشر يضع سيفه على كتفه ومسبحته على عنقه . وفى حصر الخرطوم كان امير الطوبجية المهدية طالما سدد مقذوفاته بالعاصمة فامر غردون بنقل الجبخانه بعيدا عن المخازن خوفا من الانفجار

سبق لى تـــكذيبها الى قوله ونكل محمد خالدزقل بكن الخ فهذا زعم باطل ساقه حامد افندى القرضاوى والصحيح ليس فى الطيارة مصرى واحد . فارجع البصر الى الصحيفة ٥٩ تجد الكلام وافيا عن هذه القصه . فانا نأسف جدا لرواج هذه المختلقات التى صارت مرجعا يتناقلها المؤرخون هـــذا عن ذاك فى الطيارة حدثت تلك الفظائع ولكن القاتل والمقتول من السودان وقضى المهدى كقوله تعالى « النفس بالنفس » أما محمد خالد زقل بك فانه كان مديراً لدار إحدى مديريات دارفور الخمس سلم للمهدى وصار من أمرائه . فانه قسى فى معاملة ضابط مصرى الذى هو الصاغ حامد أفندى بشأن الغنيمة وقد شتم الامير فاضطره الى ضربه بالسياط ثلاثة أيام متوالية بعد فترات حتى مات دون ماله الذى لم يرثه عن أبيه وإنما هى منهوبات ذهبت الى حيث لم تعرف وهناك كثير من الضباط مصريين وسودانيين كالقائمقام السيد بك جمعه الذى صار أميرا للطوبجيه مع يوسف أفندى منصور وغيرهم لم يمسوا بسوء . وقال وقتل من سكان الخرطوم عيده حوالى ثمانية آلاف والصحيح أن هذا العدد مبالغ فيه . وقيل سبت ٣٥٠٠٠ فتاة يوم سقوطها ، ٢٤٠٠٠ القاعدا الجيش الذى كان وحيدة الخ مع أن المقتولين ٢٠٠٠٠ القا بين رجال ونساء وأرقاء أما الأسرى والسبايا فدون هذا العدد كما شهدتهم بعينى غير أنى لم أعرف كم كان احصاءهم بالضبط وكان ٢٠ ٪ سودانية . هذا وان مسألة القتل فى الحروب أمر طبيعى لا يتنكره عاقل . فكم أهلك الله قوما بقوم ويأتى فى كل آن بآخرين

اللوا مصطفى مراد باشا

هذا من خيرة الضباط المصريين . جىء به مديرا لبربر فعدل بين الأهالى برفق فى جباية الأموال . وكان حسن السيرة عفيفا . وفى سنة ١٢٩٤ هـ منح رتبة اللواء وعين مديرا لعموم السودان أى « حاكما عاما » كما أذاعته جريدة الوقائع المصرية بعددها ٧١٤ الصادر فى يوم الاحد ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ١٧ يونيو سنة ١٨٧٧ م واليك نص الأمر

« صار سعادتلو مصطفى مراد باشا الذى كان مدير بربر ، مدير عموم السودان القبلى والبحرى المنحصر ذلك فى سبع مديريات . وهى الخرطوم وسنار وفازغلى وفشوده وبربر ودنقلا وكردفان . مع احالة توكيل أشغال الادارة العمومية بالحكدارية عليه

وأحسن اليه برتبة اللواء ، فاستلم مصطفى باشا مهام هذا المنصب الخطير وكان فيه المثل الأعلى لمكارم الأخلاق . ولكنه مالبث ان استدعى لمصر ولسنا ندرى أطوار حياته الأخيرة . ونحن نأسف لاعادة أمثال هذا الرجل الفاضل لمصر ولو ترك فى السودان لخفف كثيرا من ويلات ظلم الارنؤد والالبان ولكن يريد المرء ان يعطى أمناه ويابى الله الاما اراد .

السودان
بين غردون وكتشنر

هذا عنوان لمؤلف وضعه اللواء ابراهيم فوزى باشا ونحن نعجب لهذا الاختيار فى التسميه التى تدل بوضوح تام على شغف عظمائنا بالانكليز حتى خلدوا لهم ذكرا فى تاريخ بلاد لاتعترف بسيادتهم عليها بالرغم عن تعلق غيرهم باذيالهم كما قال الشاعر

عبد رق مارق يوما لعتق   لو تخليت عنه ماخلاك

فما الرابطة بين غردون وكتشنر وقطر السودان فاذا كان اسم الوالى شرط صحة فى التاريخ فكان الأخلق بالباشا ان يسمى كتابة ، السودان بين محمد توفيق وعباس حلمى باشا ، لانهما ولاته الشرعيين . سقط من الاول واسترجع على يد الثانى . فتكون التسميه مقبولة ولها قيمتها . أما غردون وكتشنر فموظفان لا أكثر ولا أقل . ولكن الناس فيما يعشقون مذاهب وكنى

هذا عنوان لامضى المؤلفات نكاية بالسودانيين وهو من الكتب التى نمها ذوو الاغراض عن تاريخ هذه البلاد المنكودة الحظ . والتى لم تسنح الفرص لكتابها المعارفين بنكنهما . ان يوفقوا للدفاع عن كرامتهم وان يصدوا ذلك التيار الجارف من الاكاذيب والمختلقات الزائفه قبل ان تتغلغل فى الافكار وتبلغ من الناس درجة الاعتقاد بصحتها وكان الناس فى غاية التأثر لشدة وطأة الانقلاب وتبدل الأحوال ودخول الامة تحت سيطرة جديدة . لاسيما وتعسف الغالب على المغلوب . قد وجدت تلك المؤلفات المجال ذاسحة وجرت شوطا بعيداً حتى غابت عن مسارح النظر . وقد أصبحت مرجعا لبعض

الكتاب فكانت كداء الكلب ماتغذى منها كتاب إلا أحدث تسمما فى الافكار . ولما انقشعت سحب السياســـة وهداجوها والتفت بعض الوطنيين للاشتغال بالصحافة . فانصرفوا الى الاشتغال باطراء الحكومة والثناء على كبار رجالها رياء وملقا واستجداء لعرض هذه الحياة الفانية مع اهمال تاريخ البلاد الذى هو الحياة الخالدة الباقيه مابقيت الدهور حتى ينفخ فى الصور ويبعث مافى القبور اذ ليس أشرف للامة ولا أجدى لعمها وأبقى لحياتها من جميل الذكر الذى لايعادله تشييد القصور . والمباهات بركوب العربات وحمل الوسامات كما قال القاياتى

وان وساما يعتلى صدر جاهل ... جنى من الازهار يحمله قبر

وانما الشرف كل الشرف عمل يأتيه الرجل فى أمته فيدع لأثر الحمـــد فى حياتها الاجتماعية أو السياسية أو الأدبيـة أو الاقتصـــادية . ويسجل له فى بطون التواريخ حياة ثانيـــة

فالتاريخ انفس متاع الأمة وانبل مقاصدها واهماله لعبث المؤرخين وخلط الكاتبين وصمة عار تزرى بالأمة . هذا وكتاب السودان بين غردون وكتشنر لمؤلفه ابرهيم فوزى باشا استهدف لنقدما به من عوج فالمؤلف جمعته الظروف بالكولونيل غردون فى سنة ١٢٩٠ هـ : ١٨٧٤ م الذى عين مامورا لخط الاستواء فاول شىء بدأت به قبيل سفره من الخرطوم همس لغردون بان الحكمدار اسماعيل باشا أيوب يعرقل مساعيه فابرق غردون بذلك لسمو اسماعيل باشا الخديوى الذى ... اسماعيل أيوب وامره باجابه طلبات غردون ولو كان فى ذلك مرافقته بنفسه ولما بلغ غردون جبل اللادو شمال النيل ١٧١٥ كيلو مترا جنوب الخرطوم تطور فوزى تطورا سريعاً حتى بلغ رتبة البكباشى فى سنة ١٢٩٤ هـ وعين مديرا للدول والمكاركة ثم رافق غردون باشا لمصر وهناك رقى الى رتبة القائمقام فى رمضان سنة ١٢٩٤ هـ ولما عاد عين مدير البحر الغزال ونقل الى مديرية خط الاستواء بدلا عن الكولونيل غردون وخلط وفتح جيبه للرشوة من تجار الرقيق وكان يقيم الى جنبه محمد أمين بك حكيم صحة خط الاستواء الذى أخذ يراسل غردون سرا عن أعمال ابراهيم فوزى بك حتى أوغر صدره منه فعزله من مديرية خط الاستواء وارسل مسجونا الى الخرطوم ورقى محمد أمين الى رتبة الباشا فيه وصار مديرا لخط الاستواء أما ابراهيم فوزى فانه أعيد الى القاهرة ووجد ثورة عرابى باشا غضة فى

خطواتها فاشترك فيها ولما فشلت قبض على فوزى ووضع بالسجن ثم عفى عنه . ولما انتدب الجنرال غردون حكمدارا للسودان بدلا عن عبد القادر حلمى باشا رافقه ابراهيم فوزى بك ظانا انه يجد حظا فى رحلته الاولى ولكن ما كل مرة تسلم الجرة . فعين محافظا لمدينة الخرطوم . وكان بها السيد أحمد العوام أحد خطباء الثورة العرابيه الذى نفى الى الخرطوم فأول أعمال ابراهيم فوزى باشا اتهم هذا السيد بزعم انه اشعل النار بالجبخانه ولكنها اطفأت قبل وصولها البارود فتولى ابراهيم فوزى باشا التحقيق واثبت الجريمة على السيد أحمد العوام الذى حاكم بالاعدام رميا بالرصاص . ولما أريد أعدامه بالخرطوم توسط السيد حسين مجدى المصرى ورجا الجنرال غردون بان يسمح باعدام أحمد العوام خارج العاصمة حفظا لكرامته لانه رجل من كبار علماء مصر فقبل غردون فاعدم بالخرطوم بحرى فسخط الناس على فوزى بك وبعد الحادثة مباشرة قام ببلوك مع أوردى باشرق لمحاربة الثوار بجلقابه الملوك وكسرت رجله وهو بالسقاله وعاد كاأسفلناعنه مع انه كتب عن هذه الحادثة فى تاريخه بمالم يوصف به روميل البطل الألمانى .

(٣)

جاء فى الصحيفه ٣١ جزء أول قوله « وفى خلال ذلك تبينت من أمر ادريس ابتر أنه رجل غير مستقيم مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فرأيت أن أزجه فى السجن لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره » ليت شعرى ماهو الدليل على عدم استقامته وأى فتن أثارها وما هى سوابقه مع التجار اللهم لا هذا ولا ذاك . بل كان ادريس حازما أبى النفس لم يقبل طبعه ذلك الجفاء والاستبداد الذين ظهر بهما أمثال ابرهيم فوزى باشا وغيره من الضباط الذين كانوا معه أهم البواعث فى هياج السودان وعقوقه بمصر وقطع الرابطة بين القطرين بعد ان ذهبت بدرات المال ومهج الرجال . ولم يقف الباشا عند ذلك الحد بل رأى ان يهاجم السودانيين بتلك الاقلام . المأجورة . وقد فاته انه بدلنا من مراجعة تلك الاذاعات وطرح مالم يقم الدليل على صحته . هذا وادريس بك ابتر رجل معروف بين مواطنيه بكرم اخلاقه وطهارة ذيله . ثم قال فى الصحيفه ٣٤ جزء أول تقـــدم لى الكلام على ادريس أبتر وزجى اياه فى السجن لما تبينته من حاله . فلما عدت الى الخرطوم جلبته معى اليها مخافة ان يكون فى

بقائه هناك مايجلب الشرور والمفاسد . وكانت عنده فى بحر الغزال كمية وافرة من سن الفيل اخذناها منه كما اخذنا مثلها من الشركات الاخرى ونقدناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم [١] والمال اقوى شفيع للانسان فى كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال معه من استمالة قنصل ألمانيا بالخرطوم اليه . وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون تلغرافياً . بان ادريس قد سجن ظلما وانه برىء من كل مانسب اليه . والقنصل المذكور كان من أخص أصدقاء الكولونيل غردون ويثق به ثقة عمياء . ولدى عودة الكولونيل غردون من سواكن سرت للقائه خارج المدينة على احدى البواخر . ومعى الفريق عثمان رفقى باشا القائد العام للجنود السودانيه وقتئذ فأول كلام فاتحنى به رغبته فى عودة ادريس ابتر الى بحر الغزال . فأخذت اشرح له بأدلة أما عساه يقع من عودة هذا الرجل . وبينت له بالاسهاب أعماله السيئه الماضية فلم يكترث بشئ من ذلك وأصر على ارجاعه الخ . يؤخذ من هذا الاعتراف ان الباشا كان واشيا عاتقا للسودانيين ومن المخجل ان يسعى المصرى لهدم شخصية بارزة وهمة ونابه طامحة ويرده افرنكى فدلا تربطه بالسودانى جامعة جنس أو دين أو لغة . هذا وقد خدمت ثلاثين عاما من مارس سنة ١٩٠٤ الى ابريل سنه ١٩٣٤ فكنت أرى كثيرا من المأمير المصريين يظهر الرجل منهم بمظهر الشدة ويقسو فى معاملة الاهالى . واذا رفع الأمر الى الانكليزى تسامح وعفى . واذا لمته لاحد أصدقائه . قال لك انه مأمور من الانكليزى الذى تسامح . مع ان هذا دفاع أو هى من حبال العنكبوت . مع انى رايت بعضهم اذا امر من الانكليزى بشىء يقول بصراحة امر المفتش أو المدير بكيت وكيت . حتى لايلام على فعل قط . وبهذه المناسبة كان سمو البرنس اسماعيل داود نائب مأمور كورتى راى من ضعف الاهالى مالا يصح مطالبتهم بالمتأخرات فأخذ يطالب بشطب تلك الضرائب حتى اضطر الماليه الى التصديق باعفائها . وفى اكتوبر سنة ١٩٣٤ م طلبت من سمو الأمير عمر طوسون باشا بان تختار حكومة مصر اكرم ابنائها للخدمة فى السودان لشد ازر الوحدة وتقوية الرابطة بين القطرين وكان ذلك فى محادثة خصوصيه فسر لذلك ولو مد الله فى اجله لنفذ ماطلبته . لان فى ذلك مافيه من دواعى القوة وتوحيد الكلمة

---

(١) ماكانت هذا الطريقة عادله وليس من الحكمة آن يسجل الباشا على نفسه تلك المعامله التى هى ضرب من ضروب الجور المزرى ولكن

لا يبلغ الاعداء من جاهل ... مايبلغ الجاهل من نفسه

« ٣ »

قال فى الصحيفه ٣٦ جزء أول ثم رأيت أن لا أطيل الاقامة فى مركز وظيفتى قبل أن أمر على مراكز المديريات لتفقد حالة العمال والاهالى . وهكذا سرت انتقل من جهة الى أخرى مدة أربعين يوما . ثم عدت الى اللادو ثانية وأقمت بها نحو ١٥ يوما . قمت بعدها متابعا المرور شمالا قاصداً مديرية بور وسبت وبينما كنت سائراً بوابور الاسماعيلية فى مرورى هذا شمال مديرية بور . قبل أن أدرك محطة شامى بنصف ساعة اذ سمعت لغطا كثيرا من العساكر الذين معى . فسألتهم عن سببه فأخبرونى . ان إناسا سائرين على الشاطىء حاملين راية حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم فى الهواء استلفاتا لنا . فقمت وأخذت منظارى بيدى وتحققت من أمرهم . فأمرت برسو الوابور وانتظارهم وبعد هنيهة وصلوا الينا باذا بادريس بك أبتر مدير بحر الغزال مقبلا علينا . فاندهشت لرؤيته فى هذا المكان . وسألته عن سبب قدومه فأخبرنى . أن سليمان بن الزبير . قد هجم على مركز المديريه وأخذ كل ما فيه من الاسلحة والذخائر فاستفهمت منه عن السبب الذى حمله على فعله هذا مع أنه أقام فى هذه المديرية سنه كاملة لم يقدم فى خلالها على مثل هذا الأمر فأنكر ادريس بك السبب الحقيقى قائلا انه أقدم على هذا الأمر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب . ورجانى اعطاءه عساكر لمقاومة عصيانه وردعه عن طغيانه . فقلت له لا بد أن تكون أنت السبب فى عصيان هذا الرجل . ثم استفهمت منه عن حقيقة ماجرى من القاضى والضابط الذى أصحبهما معه ادريس بك . فحاولا اولا . مداراة مديرهما ثم رأيا أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان . وهو ان ادريس أبتر لما وصل زريبة شركة المعلم غطاس أدب له مستخدموا الشركة وجلهم من الدناقلة بنى جلدته مادبة حوت كثيرا من أنواع المسكرات . فلما لعبت بنت الحان برأسه أخذ يقول انه تعين مديراً رغم عن ابرهيم فوزى بك . وأنه انفق فى هذا السبيل الف جنيه للقنصل فردريك الذى تقدم لناذكر شأنه معه ولا بد من استعاضته ، بتوزيعها على موظفى المديرية ثم لا بد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن الزبير وتخريب زريبته وقتله وصار يتخذه بألفاظ السباب والشتائم فى حق ابن الزبير . فلما بلغ ذلك ابن الزبير قام هاجما على مركز المديريه وكان منه ما كان ، الى ان قال وعلى اثر ذلك ارسلت ادريس ابتر الى غردون مخفورا بعشرة من العساكر وواحد من

الضباط ولذلك ارسلت له الأوراق التى باشرت فيها التحقيق الى قوله وما بلغ ادريس ابتر الخرطوم حتى زجه غردون باشا فى السجن الخ هذا قول مكذوب والاجراآت التى قام بها فهى خطأ محض كيف يبلغ بعصيان سليمان وغارته على المديرية ويجرى التحقيق مع المبلغ هذه القصة سمعتها من اوثق المصادر والروات كالآتى

١ الميرلاى النور عنقره بك مدير كاكل وكبكابيه

٢ الملازم أحمد اغا دفع الله السروراتى كان فى جيش الزبير.

٣ محمد افندى عبد الرحمن متوركتى سار مع حملة جيسى باشا

٤ اليوزباشى نورين أفندى سليمان قام فى بلوك المحافظة على ادريس فى مشروع الرق

قال الأول لما اعتقل الزبير باشا بمصر قدم الجنرال غردون الى مديرية دارا وكان فيها جيش الزبير برئاسة إبنه سليمان الذى تآمر مع بعض ضباطه على اغتيال الجنرال غردون انتقاما لأبيه المعتقل ومهاجمة الفاشر وغيرها فنصحته وحذرته . وكتب السعيد حسين كتابا الى الجنرال غردون فى الطريق قبل وصوله وبعثه اليه فى السوانى شرق الفاشر فرد عليه غردون يشكر وكتب الى القائمقام صالح بك حجازى مدير دارا يأمره بالاستعداد للطوارىء . فما كان من هذا الا انه حصن المديرية بزريبته من الشوك وبنى بداخلها ابراجاً عاليه ووضع بها المدافع واستدعى العساكر الموزعين بالمأموريات ومنع الناس من دخول استحكام المديريه وبعد بضعة ايام وصل غردون باشا ومر من امام جيش سليمان الزبير فلم يجرأ احد على اغتياله وفى اليوم التالى استدعى ضباط الزبير فسرنا جميعا فوجدناه جالسا على خيمه امام المديريه ومعه ساطى بك وخواجه ارمنى مترجم والمدير وبعد دعانى وبعد المصافحة سلمنى ظرفا مقفولا وكذا سلم السعيد حسين الجيعانى ظرفا وكذا سلم سليمان الزبير واذن لنا بالانصراف ولما عدنا الى ثمكناتنا فتح كل منا ظروفه فوجدت فى ظرفى ما نصه ، نظراً لخدماتك الجليلة فقد منحناك رتبة البكباشى وان تكون نائبا لمدير بحر الغزال وكما قال للسعيد حسين وان تكون نائبا لمدير شكا وفى ظرف سليمان الزبير قال له اختر احد الأمرين اما السفر الى دنقلا أو تلحق بأبيك فى القاهرة

وبعد قال النور عنقره كلفت سليمان الزبير باشا بأن يكتب مذكرة يعتذر فيها الى الجنرال

عمل حدث منه فعمل وقدمته للجنرال ورجوته فى الصفح عنه لجدالة سنه وقلة تجاربه فاقتنع وعفا عنه واستلم منه الطرف الاول ودفع له ظرفا آخر منحه به رتبة البكباشى وعينه وكيلا لمدير بحر الغزال ثم استلم منه الظرف الاول الذى سلمنى اياه وكتب لى آخر رفع رتبتى الى قائمقام وانا اكون مديرا لشكشكل وكبابية وقال كل منكم يقوم لمحل عمله فسرت انا الى كبابية . وكذا سار سليمان والسعيد حسين الجيمابى فى طريق واحد لكى يتأخر السعيد فى مديريه شكا ويواصل سليمان الزبير سيره الى بحر الغزال ولكنه كان غاضبا من السعيد حسين لكتابته للجنرال غردون باشا بشأن المآمرة على اغتياله فى دارا ففى جنح الظلام هجم على السعيد حسين وقام ذلك من نومه وتبادلا اطلاق النار تقريبا من نصف ساعه وبعد سار سليمان لبحر الغزال وكتب السعيد حسين الى الجنرال غردون فى دارا وهذا أبرق للحكمدارية بالخرطوم أن تجهز حملة عسكريه بقيادة جسى باشا وأن تقوم بسرعة لبحر الغزال لحرب سليمان الذى باغت المديرية وقضى على حاميتها وقتل عثمان أبتر نائب المدير وأسر شاهد المدير ادريس الذى كان غائبا بمأموريه بالخرطوم وفتك بالتجار ونهب أموالهم . هذا وقال أحمد دفع الله الضابط بجيش الزبير كلاما لا يتعارض مع رواية النور بك وقال محمد أفندى عبد الرحمن سوركتى انه لمجرد وصول تلغراف الجنرال غردون اعدت الحملة بقيادة جسى باشا ورافقه الميرالاى يوسف بك حسن الشلالى والقائمقام سانى بك أبو القاسم فرافقت أنا الأخير ثم سارت الحملة الى شامبى ومنها خرجت من البواخر وسارت برا الى واو ومنها الى قنده وحدثت بين جسى وسليمان حرب فهزم الأخير وسار الى جبال كتوا كا فى كفا كنجى ومنها قام الى دارفور وفى دار التعايشى سلم الى حسنى باشا الذى ادده وضباطه كما ذكرنا ذلك عند الكلام على رابح فضل الله سلطان برنو . وقال اليوزباشى زرين سليمان أفندى سرنا من الخرطوم ببلوك واحد لنحافظ على ادريس بك وعائلته فى مشرع رق وكان ضابط البلوك يوزباشى مصرى وملازم تركى فتوفى اليوزباشى بالكوره فدفناه بها سار بنا الملازم التركى الى المشرع فوجدنا ادريس بك وعائلته فقابلنا بغاية الاكرام فانتظرنا ه الى أن قتل سليمان الزبير وعاد ادريس بك لمديريته فى قنده هذا وانى حال عودتى من اكنجا فى نوفمبر سنة ١٩٢٦ مررت بقنده ونظرت الاستحكامات التى كان بها الحرب . فانظر اك الى اختلاف تلك الرواية فادريس أبتر بك لم يسجن وكان الجنرال بدارفور لا بالخرطوم هيم فوزى باشا لو صدق فيما قال على فرض كيف يأتى اليه المظلوم يقبض عليه ويبعثه راسة الى الخرطوم ولا يسأل الظالم أفهذا تصرف مدبر

« ٤ »

ومن المضحك وشر البلية مايضحك ماجاء بالصحيفة ٥٦ قال ان شاعراً ينظم القصائد بالقغه العاميه دخل على أحد ملوك الفونج فانشد قصيده مدحه فيها . وجاء في آخرها ذكر طه صلى الله عليه وسلم . فانكر الملك هذا الاسم . وسأله مستفهماً أمن الصحابة طه هذا . فسكت الشاعر فاعاد عليه السؤال فقال الشاعر كيف لاتعرف طه. فقال أظنه من صغار الصحابة لانى أعرف الاكابر كعلى وعمر وابى بكر وقس على امثال هذه الجهالة . الى ان قال عن مملكة الفونج [illegible] مظالم هذه الدولة حدث عنها ولاحرج . فان الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم أن يأخذوا كل بنت حسناء ويتمتعوا بها كموطؤة بملك اليمين . ولا يمكن ان يقل عدد المحظيات في بيت الملك عن الألف ومعه دونه عن المائتين فنقول اما حكاية الشاعر والمحاورة التى جرت بينه وبين ملك سنار . بشان اسم طه عليه السلام فكذب صريح فان ملوك سنار عبارة من النعيم الرقيق لسلالة [illegible] الذين [illegible] ولا غرابة انما يعرف الفضل ذووه [illegible] ذلك في تاريخ [illegible] بك وفى رحلة الدكتور محمد بنازى الذى كان طبيب الآلاى المصرى [illegible] سنة ١٢٨٣ ه أما ذكره أما عن أخذه كل حسناء ووطئها بملك اليمين فكذب لاحقيقة له [illegible] كان يرى في دور ملوك سنار رقيق ليس بينهن حرة عربية الامر الذى ماكان خاص بالملوك دون غيرهم . ولو بلغت مملكة الفونج من التعسف والجور الى هذا الحد لما دامت ٣٢٦ عاما قابضه على صولجان الملك بين عرب تكاد تلتهب غيرة وحماساً . فنقول لابرهيم فوزى باشا رقعها بأ[illegible] اسلاميه لها من جلائل الاعمال مايقف القلم عجزاً عن وصفه كيف لا . وقال الدكتور محمد بنازى في العدد ١٤٩٥ من جريدة الوقائع المصرية يوم الخميس ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ [illegible] الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٧٨٢ م مانصه ولهذه الواقعه[1] ازدادت شهرة سنار [illegible] في الاقطار الاسلاميه الى ان بلغت أخبارها الى السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ملك القسطنطينيه [illegible] بذلك سروراً عظيماً وبعدها وردت الى سنار وفود الحجاز والهند والسند ومصر والعراق والمغرب الخ . . وهل يعقل ان مليكا جاهلا غبيا لايعرف اسم طه تحتجب به الاقطار الاسلامى[illegible]

[illegible] ولم يتبع مرة

(١) الواقعه يقصد بها واقعة الركيات التى هزم بها ملك سنار النجاشى إياسو وأمراءه [illegible] ١٠٠ الف مقاتل في سنة ١١٣٦ ه

سعى اليه وفودها من بلاد الهند والسند والمغرب التى لو نظر أحدنا الى الخرائط يظن ان الحلقه مفقوده بينها وبين السودان لوما تحققت من ذكاء وأباء يكللان هامات أولئك الملوك لذين بهروا العالم بأنبل الخصال وأجل الأعمال ولكن

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

مجـــلة أم درمان

بالعدد ٨ فى ٩ يناير سنة ١٩٣٧ و ٨ شوال سنة ١٣٥٥ جاء فى الصحيفة ٦١ جزء اول وله عن مقتل الامير اسماعيل باشا

(وهنا أبسط للقارىء حقيقة أرى من الواجب على تقريرها فان الأقوال تباينت فى ايضاح السبب الذى من أجله قتل الملك نمر الامير اسماعيل باشا . فروى بعضهم . ان الامير رأى امرأة هى أخت هذا الزعيم .. فسأله عنها . فقال احدى جوارى . فقال له بما زعماأطلب منك مائه مثلهـــا فلم يحمل الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الامير انما يود التطاول لهتك عرضه فاضمر له الشر وفعل مكيدته التى يراها فى هذا المقام (واردف ذلك بقوله على ان هذا لا تخلو من انتقاد . لانه المطلع على أخلاق وعوائد اعيان السـودان . يرى انهم من الرفيع الى الوضيع لا يأنفون من تقديم الجوارى لاى ضيف ولو وضيعا فضلاً عن حاكم ذى مقام سام كالامير اسماعيل باشا الخ)

لاغرو أنه يقصد بذلك ان السودانيين يقدمون الجوارى للضيوف ليتمتعوا بهن سفاحا وذلك مما لايقوله به من له ذرة من العقل ليت شعرى اين كتابنا الا ذكياء وشعرائنا النبلاء واين الجهلة الاغبياء الذين يثورون لغير سبب ويهددون ويتوعدون لدون موجب كيف ساغ لهم هضم هذه التخم وكيف وجموا عن الرد على تلك الوقاحه الشائنة . اأهل رضوان التجرد عن الصفات الانسانية والخصائص العربية التى تحتم عليهم الذود عن العرض ليقاسموا الحيوانات فى حظوظها لا سمح الله ، أم كان ذلك رهبا وجبنا لضخامة لقب المؤلف الذى دلنا بمؤلفه هذه على مبلغ نزهاته وسخافة قوله الذى ما كان يهدف بيالى غير النقائص . وكان يجهل أو تجاهل أن السودانيين أكثر سكان الكرة الارضية محافظة على العرض وانهم ان قدموا لضيوفهم

الجوارى انما يكون ذلك هبة فالموهوب له أصبح مالكا (١) له حق التصرف كيف شاء وعند
عادة عربية يشكر الواهب لا يذم . روى الهيثم بن عدى قال بينما عبد الله بن جعفر يسير بأزقة
المدينة إذ سمع غناء فأصغى اليه فإذا بصوت شجى رقيق لجارية تغنى

قل للكرام ببابنا يلجوا ما فى التصابى بالفتى حرج

فنزل عبد الله بن جعفر من على دابته ودخل على القوم بلا استئذان فلما رأوه قاموا اجلالا
وتعظيما له ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل وقال له يابن عم رسول الله دخلت منزلنا
بلا إذن وما كنت لهذا بخليق . فقال عبد الله لم أدخل إلا بإذن قال ومن أذن لك قال قينتك
هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا . فولجنا . فان كنا كراما تأذن لنا وإن كنا لئاما
خرجنا مذمومين فضحك القوم لظرفه ودقة ملاحظته . فقال له صاحب المنزل صدقت جعلت
فداءك ما أنت إلا من أكرم الأكرمين . فجلس عبد الله ودعا جارية له وأمرها أن تغنى فغنت
حتى طرب الحاضرون ثم دعا بثياب وطيب فكساهم وعطرهم بالطيب ووهب الجارية لرب الدار
قائلا له هذه أحذق بالغناء من جاريتك وخرج . أفهل ينتقد السودانيون على أكرم صفات
العرب وأبهى شمائلهم ؟.

ومن الغريب المدهش قال فى الصحيفة ٩٦ جزء أول . وفى حكم اسماعيل أيوب باشا الخاتى
النظامات التى كانت تسير عليها المجالس التى تأسست فى سنة ١٢٦٦ ه وتلاعب بها حيث جعل
كل أعضائها من رجال السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصمغ والمنسوجات وعهدت
الرئاسة الى رجال لا يفهمون كلمة من الكلمات التى تتركب منها جمل القانون وفى أكثر
الاوقات يكونون أميين . والقضايا لا يفصل فيها مع طول المدة . فيظل الخصمان يتناظران
بالرشوة حيث يحرص الجانى ويشدد على الخصم فى الاستنطاق فيحذوا حذو خصمه
ويقدم المال فيقلب التشديد على الآخر وهكذا حتى يملا الانفاق فيتصالحان

(١) نذكر هنا مثالا واحدا . جاء جندى من الباشبزق الارنؤد فى عهد حكومة مصر التركية الى
قرية قبيلة دار حامد فى شمال كردفان ونزل فى شجرة ظليلة وأخذ يتفرس فى أشياء فشاهد شابة والسمة
الجمال فسأل عنها فقيل له هى عروس لذلك الشاب فاستدعى زوجها وكلفه بأن يسقى له حصانه من الآبار
التى تبعد بضعة أميال فركب الشاب الحصان وسار به وأخذ الجندى يراقب العروس حتى رآها دخلت
الخاص بها فدخل عليها ومد يده لها ولما رفضت هددها بمسدسه حتى أكرهها على قبوله فبطش عليه فهو
الى مكانه وبعد يسير عاد زوجها ووجدها فى فراشها وقد قالت يا فلان فلان ان ولدت أنا مولوداً
فى يوما ان هذا الجندى دخل على وهددنى وفعل بى كيت وكيت فقال لها إذن خذى عصاة
لدار أبيك وبعد خروجها اشعل النار فى بيته فاجتمع الناس لاطفاء الحريق وجاء الجندى ووقف ولم يتحمل
عليه زوج المرأة وخنقه وولج به النار كالحزم فصارا كتلة من الفحم . هذه قصة واحدة ولو أردنا
فى غيرها لاحتجنا لمؤلف ضخم

وساءت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب بأداء الضريبة يجوز ضربه خمسمائة جلدة وأن يؤدي ولو بضعة قروش . ويتفننون فى طرق التعذيب حتى ابتدعوا مسألة القط . حيث يوثق الرجل كتافا ويدخل قط فى سراويله . فضلا عن تطاول أولئك على أعراض الناس ويقبضون على كل امرأة حسناء عجز وليها عن أداء الضريبة . ولهذه الاسباب امتلأت قلوب السودانيين بالضغينة وباتوا ولاهم لهم غير تدبير ثورة يتهيأ لهم الخلاص من هذا النير . فاغتنم محمد أحمد المهدى هذه الفرصة وادعى المهدوية فقوبل بالتصديق والرضى من كل انسان حتى أن بعض المشايخ قال له) أعاهدك سواء ان صدقت فى دعواك أو كذبت ما دمت على عداء الحكومة وحربها)شهد شاهد من أهلها فإذا كان قد تحقق الجور وهتك العروض والتلاعب بالامة بمثل تلك الألاعيب الصبيانية وقام رجل مسلم لازالة ذلك الجور وانقاذ الشعب بصرف النظر عن دعوى المهدية كيف يوصيم بالدجل والشقاء ويستعان عليه بالافرنج . اللهم رحماك هذا ونقول أما قوله عن فساد النظام فى عهد اسماعيل أيوب باشا ليس ذلك وقفا على وال دون آخر أما الامية نضاربة أطنابها بما فى ذلك خورشيد باشا حكمدار السودان قال لى بعض المصريين انهم شاهدوا بعض المديرين تعمل له علامة بأعلى ختمه كهلال أو نجمة لانه لا يعرف أعلى الختم من أسفله هؤلاء غير السودانيين . وكان يلقب الكاتب بالافندى والأمى بالاغى والقبطى بالمعلم والوطنى بالفكى أى الفقيه وكل منهم يعمل على هضم حقوق الاهالى كان وطنى يشغل منصب كاتب قسم الخرطوم يجرى تناول الضريبة من الاهالى بدون أن يعطى عليها ايصالات فاخذ رجل يلح عليه فى طلب الايصال وانه يقول له طلبتك بجيبة تحت الخصم من دفاتر المتأخرات فقال الرجل

الفكى شيخنا كاتب القسم ... الديه عليه تايه فى الرسم

جميع مستخلصات القسم ... سواها تجيبه تحت الخصم

ولا يعقل ان يهضم الكاتب مال تلك الضرائب مع وجود المأمور وانما يحتمل أن يكون واسطه بين الحاكم والمحكوم وله اجر المناولة من رئيسة . ثم جاء فى الصحيفة ٨٢ تحت عنوان ذكر جبل ماسه وقدير قوله يوجد فى الشمال الغربى من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو المقطم وشكله كراوية مستديرة مع فرجته من جهة الشرق . وفى داخل الدايرة بركة يجتمع بها ماء المطر يسمى هذا الجبل (القدير) ثم حذفت أدات التعريف فصار جبل قدير . ولم

يكن اسم (ماسه) معروفا لهذا الجبل قبل ظهور دعوة المهدية . وإنما اتفق أن المرحوم الشيخ حسن العدوى من أشهر العلماء المالكيه بالأزهر الشريف ذكر فى كتابه (مشارق الانوار) أن المهدى المنتظر ستكون هجرته الى جبل ماسه . فادعى المهدى أن ماسه اسم لجبل قدير ، أن كل السكان يشكرون هذا الاسم ولم يعرف به قبل هذا الوقت . وبالنسبة لما للشيخ حسن العدوى من الشهرة فى بلاد السودان راجت حيلة المهدى عند كثير من البسطاء وعدوه من الآيات الدالة على صدق دعواه . فنقول لا شبه بين المقطم وجبل قدير . وماسه هو غير قدير وإنما هى هضبة صغيرة تتصل به . وقال لى الشيخ مصطفى قدال التاجر بمركز رشـ (سمعت الملك بوش الذى هو ملك جبل قدير . قال لما جاء الينا المهدى خرجت لمقابلته فـ أن صافحته يدا بيد وبايعته على الجهاد . قال لى ما اسم هذا وأشار بسبابته الى تلك الهضبة فقلت له اسمه حجر المس لان اسم حجر يطلق فى عرف النوبه على كل جبل سواء فى ذلك الجبل الكبير والصغير فأجاب المهدى قائلا كلا بل اسمه (ماسه) فإذا حذفنا أداة التعريف أصبح ما وهذا قريب الشبه من ماسه مع تحريفه . فيحتمل أن تكون حقيقة الاسم ماسة وحرفت على مر لتقادم العهد وعجمة السكان ويحتمل أن يكون غير ذلك . وسواء ان كان هذا أو ذاك فلا تأثير لهذه التسمية فى الاعتقاد بصحة الدعوة لما كثر ما كان يرى من الآيات البينات الـ على ذلك كنقش اسم المهدى على بيض الدجاج وورق الشجر . وذلك عـــلاوة على ما تنـ كثير من كبار الصلحاء والاتقياء قبل ظهور الدعوة . وما كان الذين بايعوه وآمنوا بدعـ من السذاجه الى الحد الذى يقذفون بأنفسهم فوق مارج من نيران المدافع لمجرد رواية الـ حسن العدوى ومن شاكله من الفقهاء .

وجاء فى الصحيفة ٧٣ قوله وأخذ يدعو السكان للاسلام لأنهم لا دين لهم . والاعـ يزعمون أنهم مسلمون وأكثرهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرهما . يقصد باللادينيين الـ والأعراب كنانه وأولاد حميد والحوازمة وهذا عا يأباه العقل ويبطله البرهان . ؟ أبوا منهم المسلمون والمثقفون . أما العرب فمسلمون ولكنهم جهلاء وذلك أمر لم يتنلوا بالاسرة القطر المصرى الذين تقوم فى بلادهم مئات او ألوف المدارس مع ازهرها الشم ولم ينج منـ الاحصاء الرسمى سنة ١٩٣١ كما يأتى

قل أن
ية العقيد
ـرفور
ما وا
الآنفة
وا
رجا
إبقا
فـ
على
إ ابـ
والـ
الحقا
الى ا
كتب
قبيلة
الطوسا
من
ئة . وكـ

	ذكور	اناث	جملة
الاحصاء	٧ر٠٥٨ر٠٧٣	٧ر١٦٩ر٧٩١	١٤ر١٧٧ر١٦٤
غير متعلمين القراءة والكتابه	٥ر٦٧١ر٢٣٠	٦ر٨٣٥ر٧٣٩	١٢ر٥٠٦ر٩٦٩
متعلمون القراءة والكتابه	١ر٣٨٦ر٨٤٣	٣٣٤ر٠٥٢	١ر٦٧٠ر٨٩٥

فاذا كان هذه نسبه التعليم فى بلاد تعتبر فى المكان الأول من بلاد الشرق قاطبه ، إذن فكيف يلام بدو السودان الذين لم يرو لدور التعليم شبحاً ولا شموا للثقافة رائحة . وهنا يجب على من يتعرض لنقد غيره ان يتحقق من ذاته اولا قبل الاندفاع وقريحته انقى من هامة الاصلع ليس بها من مادة ما يؤهله لالتقاط تلك الدرر من قاع المجهول اللهم ارنا الحق حقاً فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه

كنين KENNIN

تدهشنى جداً ثقة السودانيين بكل اجنبى عنهم وان كنا لانعتقد المصرى اجنبياً وانتظارهم الحقائق التاريخية عن حوادث قطرهم وهى حتى الآن فى حكم المجهول لدى غيرهم ولسنا فى حاجة الى اقامة الدليل على ذلك بأكثر من مقالاتى التى تصدر تباعاً فى الرد على المؤلفات المصرية كتب حضرة عبد الماجد افندى ابراهيم مأمور نيالا الى مجلة الرسالة يسألها عن الاصل فى قبيلة كنين فى دارفور وانها علقت على سوآله بقولها (وقد راينا ان نذيع الاستفهام على صفحات الرسالة عسى ان يتقدم من الباحثين الذين توفروا الله يقصد توفقوا ، على دراسة السودان الحديث من يتفضل باجابة الكاتب عن سوآله) فنحن نجيب السائل ولو اننا تأكدنا عدم ثقته من [illegible] سماء هذا البلد لمسكين الذى يعلم هو وغيره من ابناء جلدته انه ليس فى وطنه [illegible] من هو أعلم منهم بتاريخ بلادهم فنقول الكنين قوم يرجعون أصلهم الى قبائل

قبائل البربر كما رواه العلامة عبد الرحمن بن خلدون وكانوا يقيمون فى منطقة تحد شرقا بالقطر المصرى وغربا بالمحيط الاطلانيكى وشمالا بالبحر الابيض المتوسط وجنوبا بالصحراء الكبرى وقد تشتمل تلك المنطقة على بلاد طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش فكان يقدر سكان هذه المنطقة زهاء ١٥ مليون نسمه . وذكر المؤرخون فى سبب تسميتهم بالبربر ما خلاصته ان افريقش IFRIQSH أحد ملوك التبابعة عز الما وجدهم يتكلمون بالرطانة قال ما اكثر بربرتهم فسموا بالبربره وفى اللغة العربيـــة اختلاط الاصوات غير المفهومة ويعرف الكيتياويون عند سكان الجزائر بالتوارج أو بعبـــارة أخرى بالطوارق الان الاصح الاولى . واشهر بلادهم هناك (هكار HAKAR) أو (هجـــار HAGAR) (وأزجر AZGAR) ولقد اجتمعت بزعيمهم الشيخ محمد سيدى أبى القاسم بالفاشر فى مارس ١٩٣٠ وكان عمره كهلا يناهز الثلاثين من عمره فسألته عن نسب كتمين فقال انهم من اصل عربى هاجروا الى السودان الغربى واقاموا فى ضاحيه ملى وسكنوا ولما احتل الفرنساويون تلك البلاد هاجروا عنها الى وداى وعندما هيمن الفرنساويون على الاخيرة ايضا هاجروا الى دارفور الا انه ليس هناك برهان يؤيد عروبة كتمين . ولما وصلت الى كتم اجتمعت بكثيرين من عقلائهم الذين أكدوا لى على أنهم من أصل التوارج كما رواه ابن خلدون وذهب الى ذلك كثير من المؤرخين والكتاب

صفاتهم

الكيتياويون نحاف الاجسام دقيقو الاطراف ذو وجوه مستطيلة شاحبة اللون ضاربة الى السواد غالبا وقد يوجد فيهم اللون الاصفر الذهبى وقاماتهم رشيقــة وشعورهم سابلة وقد تضفر المرأة منهم شعرها بضع ضفائر سميكة تسيرها من الأمام الى مؤخر الرأس وهن وسيمات الطلعة بديعات الجمال

لغتهم

يتكلم الكيتياويون بلغة خاصة تخالف لغة البربر ولعل ذلك ناتج من قبائل نيجيريا أو اقتباسهم بعض الالفاظ وتقليدهم لهجات البلاد شأن الغالب ومع ذلك فانهم يتكلمون اللغة العربية بطريقة لاتخلو من شائبة العجمى

الاخلاق

قل ان يوجد فى العالم اليوم أناس يجارون الكنيناويين فى كرم اخلاقهم فانهم فى [غا]ية العفه والاستقامة قال لى عوض افندى بلال ضابط بوليس الفاشر انه خدم فى [دار]فور ١٦ عاما لم ير فى غضونها رجلا ولا امرأة من الكنين دخل غرف السجن [يو]ما واحداً لذنب جناه ، وانهم فى غاية الشجاعة والنجدة والثبات والصدق والوفاء [و]الانفة والوقار وسلامة النية مع اتحاد الكلمة واحترام القومية

ومن الغريب إذا تردد الاسد على سطو أبقار الاهالى فى شمال دارفور يؤجرون رجلا من الكنين ببقرة واحدة فيمكن له بزريبة الماشيه واذا مارأى تشويش [الا]بقار خرج له بسيفه وضربه ضربة اطارت رأسه

العادات

[مـ]ن أغرب عاداتهم توحيد الزوجة واذا فرض ان رجلا تزوج امرأتين جعل للاولى [الخ]يار والحريه المطلقة بين ان تقيم فى عصمته راضية بما هناك من الضرار أو الطلاق الى [غير]ه ومن ذلك يجدهم أشد الناس حرصا على توحيد الزوجة بين الشعوب الاسلامية

لهم شدة فى دينهم
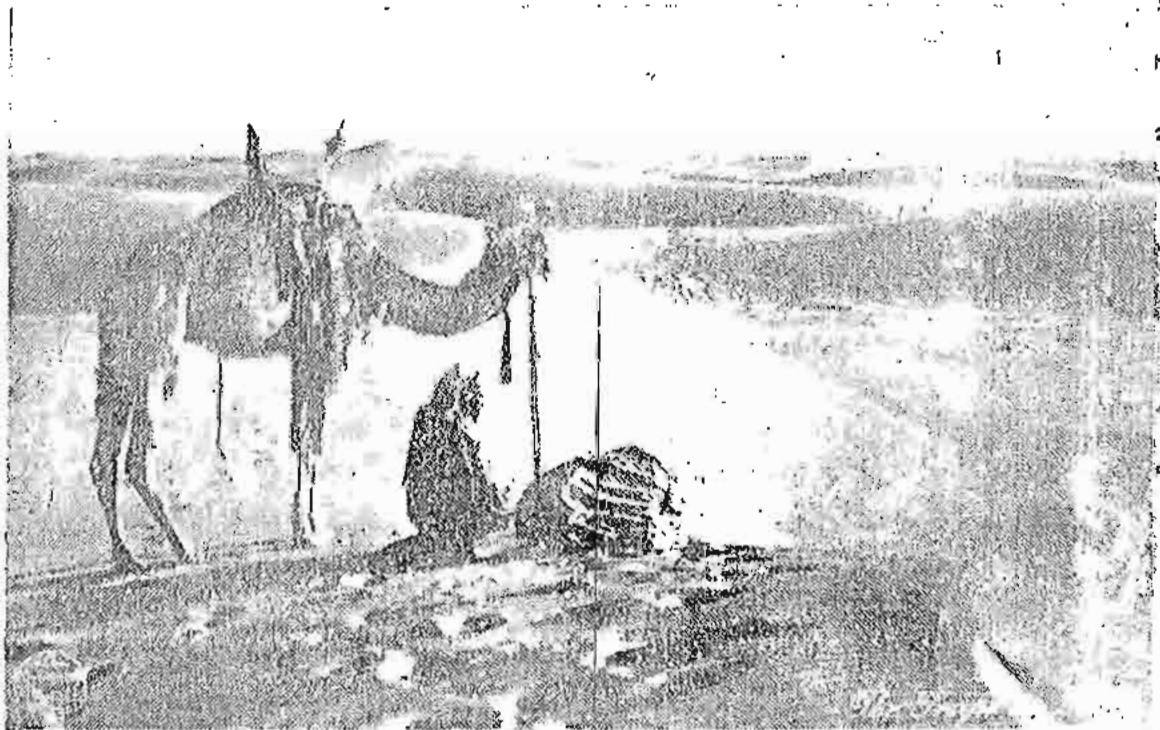
وقد تتحلى النساء الكنيناويات بلبس الصليب فتلبس المرأة صليبين من أنواع مختـ
فى عنقها ويكون مقبض السيف والسكين والخاليف أى رأسها بهيئة الصليب والقدس
كثيراً منهم عن سبب هذه العادة فكانوا لا يعللون ذلك بغير انهم وجدوا آباءهم يف
ذلك وهم على آثارهم مقتدون . ولكنى سمعت من خالد افنـــدى حسن خالد الخ
بمديرية دارفور قال انه شهد احد علماء كنين بدارفور وسأله بعضهم عن سبب استعم
الصليب فى الحلى وغيره فأجاب العالم قائلا (ليس ذلك بصليب وانما هو فرندى السـ
كانت تلبسه العرب بالصحراء رمزاً الى الشجاعة وقد أخذ من هذه العـــادة بعض
المؤرخين الافرنج على ان الكنيناويين يرجعون فى أصلهم الى الرومانيين مع ان ذلك قو
فاسد ليس من الحقيقة فى شىء . ومن عاداتهم لثام الرجل مع كشف يافوخه وسفو
المرأة سفوراً يزريت به عن ظل الحجاب الشرعى ويحتمل ان يكون هؤلاء بقايا دولة
الملثمين التى قامت بالمغرب ويحتمل ان يكونوا من غيرها وقد ذهب المؤرخون فى
تعليل لثامهم مذاهب شتى وتفرقوا الى طرائق قدداً فقال أحد الشعراء فى ذلك

لما حووا أحراز كل فضيـــلة غلب الحيـــاء عليهم فتلثموا

ولا يرتدى اللثام شاب دون سن الرشد بل يرجئون ذلك الى مابعد بلوغه سن
الرشد وهناك يحتفلون بوضع اللثام على فمـــه فيضعه رجل يعتقدون صلاحه بعد ان
يمحض النصح الى الملثم ويحذره الكذب والغيبة والنميمة والشتم وادمان المسكرات
واجتراح السيآت . أما المرأة فتقتصر فى لباسها على ازار أسود وقميص صغير قد لا يستر
ثدييها لولا ما هناك من الازار كما أسلفنا وتارة تكون حاسرة الرأس وطوراً تضع
على رأسها خماراً خفيفاً ومع تلك الخلاعة ترتدد المرأة بين الاسواق فلا تكاد تسمع
عنها شيئاً يدنس عرضها . ولهؤلاء رقص بديع بالسيوف يقيمونه فى الافراح وأيام
الاعياد الاسلامية يتبارون فيه رجالا ونساء بحركات هادئة ونغمات مطربة

كانت قبائل البربر تدين بالمسيحة الى صدر القرن الأول الهجرى وهناك ا
وقامت بدعاية اسلامية واسعة النطاق فى بلاد نهر النيجر والسنيغال . فالـ
على تمسكهم بديانة التوحيد وانهم يابسون فى الاعتقاد بها الا ان الجهل متف
يكاد يوجد المتعلمون منهم الا نادراً ومع ذلك فانهم يحافظون على اداء ولم ينج من
ويتقربون بالنوافل ويحجون الى بيت الله الحرام ويخرجون الزكاة وحاصـ

لهم شدة في دينهم وثباتا في يقينهم

قوافلهم

ان الغالب في حيواناتهم الابل وهم عبارة عن بدو يقيمون في الأودية حيث توجد لهم المراعي الخصبة وانهم يشتغلون بنقل بضائع التجار بين كردفان وأبشي ويجلبون العطرون من الصحراء الى دارفور ولهم في ذلك جلد وصبر على تحمل المشاق والسير في صحراء جرداء لا ماء بها ولا كلاء وطالما كنت أقابلهم أثناء أسفاري لدارفور سائرين في القوافل مدججين بالسلاح مطبوعين بطابع الخشونة تلوح على محياهم علائم الرجولة والجبرة كأنهم ليسوا من أهل هذا الزمن فترت فيه الهمم وضعفت فيه العزائم وشغل أهلوه بتنسيق القوام وجمال الهندام ناسين او متناسين قوله صلى الله عليه وسلم تخشنوا فان النعمة لا تدوم

المباشر مخائيل ابو عبيد

هذا رجل قبطي عينته حكومة مصر في عهد خورشيد باشا حكمدار السودان ولقب بالمباشر وهو عبارة عن ناظر حسابات السودان وصرفت له ماهية ثلاثة أشهر مقدما وقد تعهد هذا بمراجعة إيرادات ومصروفات سنار ويقدم عنها حساباً مضبوطاً في مدة ستة أشهر كاملة ولكنه كان بليداً لا يمكن أن يفي بوعده فكتب عنه خورشيد باشا وأفهم حكومة مصر بعجز الرجل فتألف مجلس المشوره وقرر بأن يؤخذ مخائيل أبو عبيد كعامل في الترسانه بأجرة رقيقين في اليوم . وقد يكون هذا برهانا على فساد النظام إذ ذاك فكيف يعين رجل كهذا في منصب خطير قبل معرفته كفاءته ؟.

احمد ابو اذان باشا وتمرد الرقيق

أبو أذان باشا كان حكمداراً للسودان منذ سنة ١٢٥٤ هـ وهو أول من فكر في ادخال
ولد في بلدة أدالسودان وانه جمع عدداً كبيرا من الأرقاء وعمل مصانع في الخندق بدنقلا والمتمه
١١ هـ ١٧٧٨ م وخلافها الى أنه تمرد الزنوج في عهده من شندي الى سنار في يوم واحد وبعد
بحريه) سكان لم تركن فيها جنود الحكومة والأهالي رد البعض وأفلت كثيرون الى جبالهم

أما أحمد باشا فقد قدم له أحد زعماء السودان أمراً من السلطان سليم يقضى بأن يكون السودان ولاية اسلامية تابعة لسلطنة تركيا رأسا فكتب هذا كتاباً للصدر الاعظم فى الاستانة يسأله عن حقيقة ذلك ولما سمع والى مصر أنكر عليه مخاطبة الصدر الأعظم من غير طريق مصر ومن ثم بعث ٤٠٠ جندى سوارى من عساكر الالبان بقيادة السنجق داموس اغا ليقبضو عليه ويعودوا به الى القاهرة مسجوناً إلا انه ما كاد يسمع أحمد ابو ادان باشا ذلك حتى شرب سماً وتوفى لوقته ودفن فى القبة الشرقيه امام جامع الخرطوم الحالى وكانت وفاته سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٤ م وخلفه احمد المنيكلى باشا

اراكيل بك حاكم مصـــوع

كان هذا اخا نوبار باشا الارمنى رئيس وزراء مصر جىء به حاكماً للسودان وقد قابل الناس ذلك التعيين بغاية الاشمئزاز كما يرى ذلك فى ترجمة أحمد بك أبى سعد ولما تأكد سمو اسماعيل باشا الخديوى نفور الناس منه لمخالفته لهم فى الاعتقاد نقله حاكماً لمصوع وفى سنة ١٢٩٢ هـ : ١٨٧٦ م أول شىء بدأ به هناك غزا بلاد الحبشة بثلاث اورط مصرية . وقد رافقه من الضباط المصريين اربعة يكباشيه كالآتى

١ — البكباشى على افندى راتب

٢ — « أحمد افندى فوزى

٣ — « أحمد افندى سعيد قومندان الطوبجيه

٤ — « عمر افندى رشدى اركان حرب الحملة

وما كان اراكيل بك يفقه شيئاً من مكائد الحروب ولا اساليب القيادة ولكن قضت حكمة الله ان يقود ذلك الجيش بحكم وظيفته الادارية . يدخل حدود الحبشة من جهة سنهيت وفرق جنده فرقا صغيرة تقدمت تلك الفرق ازاء بعض لاحتلال اسمره . وكان الأحباش فى غاية الاستعداد للذود عن حياضهم نظراً لغزو الجيوش المصرية لحدود بلادهم مراراً . فهبوا فى الجبال واحاطوا بالجيش المصرى إحاطة السوار بالمعصم وفتكوا به فتكا ذريعا ومثلوا بالاسرى حيث قطعوا مذاكيرهم وغنموا كل ما بيدهم من اسلحة وجبخانة ومهمات وماشية . ولم ينج من الجنود المصريين الا قلة عساكر

اللواء ماسنجر باشـــا

كان ماسنجر باشا ضابطاً سويسريا استخدمه سمو اسماعيل باشا حكمداراً للسودان الشرقى وكان ماسنجر عادلا فاضلا وهو أول من بدأ بزراعة القطن فى نهر القـــاش وقامت تلك التجارب بمحصول جيد . وجلب محلجاً من أوربا شيد عليه بناءشامخا اتخذه الايطاليون طابية لمحاربة أحمد فضيل أمير المهدية كما ذكرناه فى ترجمته . وتخلوا عنهـا لورطة العرب الشرقية . ومن أنبل اعمال هذا الضابط أنه ألف كـتابا صغيراً طبع باللغة العربية عن جغرافيا وتاريخ السودان الشرقى بطريقة موجزة مفيدة .

وفى سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٦ م قام ماسنجر باشا بحملة عسكرية كانت تتألف من ٢٤٠٠ جندى من الباشبزق الشايقية ورافقه من الضباط والسناجق الملك سعد صبـــير اغا والملك محمود والملك جاريش آغا والشيخ عبود آغا والشيخ الازيرق اغا والشيخ محمد بير أغا والشيخ العطا أغا . ولقد كانت تلك القوة من الفرسان المدججين بالســلاح سارت من القضارف الى بلدة دوكه جنوبا ومنهـا الى القـلابات . ومن ثم أوغلت فى حدود الأحباش الذين تجمعوا لها وبينما هى معسكرة فى إحدى الغابات اذ جاءهـا جند [illegible] بنحو ٥٠٠٠ بقيادة أحد رؤس الأحباش ثم أحاط بها [illegible] السوار بالمعصم وهجم الأحباش على الحملة المصرية التى أصبحت تدافع لتفتح لهـا طريقا لـكى تخلص به من تلك الورطة وقد نجا ماسنجر باشا مع بعض جنوده بعد أن منوا بخسـائر فادحة . وكان من القتلى يومئذ الشيخ ود عبود اغا ووقع سعد اغا ود الملك صبير فى الاسر مع بعض الجنود . ولما نجا الشايقية الى القضارف جمعوا قدراً عظيما من المال بعثوه مع وفد على الفور سكان القلابات بعد مفاوضات أجريت مع الرأس قائد الاحباش الذى قبل منهم ذلك الفداء وأطلق الأسرى

ادريس شيخ محمـــد

ولد فى بلدة أبى قسى فى الشاطىء الغربى من النيل شمال الدبه بدنقلا حـــوالى سنة ١١[illegible] هـ ١٧٧٨ م : وكان والده الشيخ محمـــد من فرع (دسكنجى) الذين هم دناقله [illegible]ديريه) سكان ابو قسى وجزيرة تنقسى وبشميه فى حفير مشو بدنقلا وتعلم ادريس

ما تيسر من القرآن . واشتغل بتجارة الرقيق والصمغ والريش بين جبال تقلى التى ... اليها مع شقيقه شريف شيخ محمد (١) حوالى سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م على أثر عمهما ... عزبى ود دسكى الذى كان من كبار الاغنياء والذى سنترجم له فى غير هذا المكان .

سار ادريس شيخ محمد فى تجارة عظيمة الى القاهرة سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٨ م و... بوكالة (الخان خليل) وقد صادف ذلك أن زهراء باشا كريمة محمد على باشا الا... وحرم محمد بك الدفتردار فى حاجة ماسة الى عشر جوارى لخدمة سرايتها . و... بعثت مندوبا من معيتها لاختيار تلك الجوارى فلم يظفر المندوب بجوار أطول قامة وأرشق قدا لدى أحد غير ادريس . فاختار المندوب ذلك العدد من الفتيات وط... من ادريس شيخ محمد أن يخبره بالثمن ليدفعه اليه . فاجابه بقوله (هى هدية منى لا... النائب عن خليفة المسلمين) فدهش المندوب لاخلاص التاجر وكرمه الحاتمى . فق... الجوارى الى تلك الاميرة التى كافأته باضعاف ثمن الجوارى ووعدته خيراً . وقد أخذ... بيانا بعنوانه فى السودان . ولما قدم الجيش المصرى للسودان وانتصر على الفور فى ... سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م استدعى محمد بك الدفتردار ادريس شيخ محمد وعينه حاكما ... عموم كردفان . بادية وحضر حتى سكان جبال النوبة وجبال تقلى . وفوض له فى الاحك... حتى كان يولى ويعزل . ويصدر احكاما بالاعدام دون أن يعارض فى احكامه التى أ... فيها وجار وقهر الاهالى ومنع أن يضرب نحاس فى جميع كردفان بغير نحاسه . وأن ... يركب رجل على فروة (مرعز) التى هى نوع من جلد الماعز الآتى من تركيا وارمنيا ... وقد يصبغ بين أحمر وأخضر وأصفر ومنها ما يكون ذا لون أسود وابيض الخ . و... سنة ١٢٣٨ هـ ١٢٨٣ م سار ادريس شيخ محمد فى جيش جرار من أخلاط الجوام... والبديرية والشويحات والدناقلة والهوارى ودار حامد وغيرهم لمساعدة محمد بك الدفتر... فى حربه الانتقامية ضد الجعليين لمناسبة حرق سمو الأمير اسماعيل باشا فى شند... وساهم بدوره فى الغارات الجبارة المشهورة وبعد يسير عاد ادريس الى الابيض وظ...

---

١ — شريف هـذا الجد الثانى لمؤلف هذا السفر الذى هو محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم شريف بن الشيخ محمد

٢ — كان أولاده وحفدته يباهون بقولهم ونحن أبناء البدن النحاس ويقطع الراس حتى كان ذو... فى كراهة الناس لهم وتقورهم عن الاختلاط بهم الى عهد قريب

٣ — لم يزل هذا النوع من الفراو يستعمله ذو اليسار من السودانيين . وقد خص به ادر... ولايته بكردفان

ن الخشونة واستبد وكان أول من فرض ضريبة الويركو واستعان على تحصيلها
كرباج بطريقة تعافها المروءة ويأباها الشرع . حتى اضطر كثير من الأهالى الى الفرار
قراهم واعتصموا بجبال النوبة فى جنوب كردفان وذهب آخرون الى جبال كاجا
ول وكاجا السروج وكاجا البوطه فى الشمال الغربى

الدكتور محمد نيازى افندى

تخرج محمد نيازى من مدرسة الطب فى القصر العينى . وهو مصرى الأصل . وقد
طبيبا لمديرية الجيزة . وفى سنة ١٢٨٢ هـ : ١٨٦٦ م نقل للالاى المصرى المرابط
مدنى . فأقام محمد أفندى نيازى زمناطويلا . واختلط بأهالى السودان اختلاطا استطاع
أليف رحلة وصف فيها البلاد وسكانها وعاداتهم وأخلاقهم وخرافاتهم . فهو لتن
اب فى كثير من بحوثه . فقد زلت به القدم وخلط فى بعضها خلطاشوه به تلك
حوث القيمة . ولا تثريب عليه فى شىء من ذلك لانه ضمن رحلته جهوداً عظيمة
يعقل ان تسلم من شائبة الخطأ . وحاصل القول ان الدكتور محمد نيازى ساهم بأكبر
يب فى تاريخ قطرنا . اذ صور منه جزء مهما لقراء وادى النيل تصويرآمفيداً وانه
ل جهوده هذه عن غيره من الموظفين الأتراك والجراكسه والمصريين الذين أضاعوا
ت فى الجرى وراء المادة حتى ايقظوا نيران الفتن وخضبوا عرصات البلاد بدماء
نها البريئة .

عاد الدكتور محمد أفندى سالما الى وطنه ومسقط رأسه بمصر ونشر رحلته فى سلسلة
لات فى جريدة الوقائع المصرية . وقد نقلناها وعلقنا عليها فى مواضع الخطأ وغيرها
مؤلف وهو مائل للطبع الآن إذا هيأ الله المادة

صباحى محمد الكاهلى

ان صباحى محمد رجلا جبارا أسس له كبانية فى بلدة جقمنى GAGGIMNI،
لمر بعض الجاه جنوب الاضيه وشرق المجد . كانت اصباحى فصيلة من جنود البازنقر
... جندى أى غير نظامية مسلحة ببنادق من الطراز الذى يحشى من
يسطو على قبائل الزنج يقتل ويأسر وينهب الماشية ولما صدرت الأوامر

الخديويه بمنع الاسترقاق . بعثت مديرية كردفان على أفندى الخاتم الـ بأقوام بها . على رأس ١٠٠ جنـــدى من فرسان الباشبزق وزودته بتعليمات بأقسام صباحى وتجريد جيشه من السلاح ومصادرة الجبخانة والرقيق الموجود به امى من الخطل فى الرأى ان يكلف المعاون بالقبض على رجل جيشه ١٠ أضعاف الى جند المديريه . وما كاد يعلم صباحى من نوايا الحكومه ضده حتى هاجم تلك الـ بحرب بددها وقتل بالمعاون وفر الباقون من جنود الباشبزق الى مدينة الابيض وا المدير بذلك . وكان صباحى خطب أخت أحمد بك دفع الله وقبل ان يتم زواجه حدث منه ذلك ضد الحكومة . فكلف المدير أحمد بك بان يؤمنه بالنيابة عن الحكـ ويستقدمه لاجراء الزواج فاغتر صباحى بتلك الحيلة وجاء الى الابيض . وهناك المدير بالقبض عليه واقصى الى المنفى فى فازغلى فظل بها حتى توفى الى رحمة مولاه ١٢٩٩ هـ الموافق سنة ١٨٨٢ م

عوض ولد العـــرض العركى

كان هذا من وكلاء كشك على . ولما ضمت كبانية الى الحكومه تبع العوض الزبير رحمت باشا وعندما خرج سليمان على الحكومة . قبضت الحكومة على العو الذى كان يشتغل مستقلا فى ديم قوجو السكان جنوب ... بير على بعد يوم ونصـ منه واقصته فى سنوبت فظل بها الى ان توفاه مولاه الى رحمته فى سنة ١٢٩٨ هـ : ١٨٨١ أما املاكه فصادرتها الحكومة بلا مسوغ . فكان رحمه الله بطلا لايبالى بالمكاره

محمد بك تومان مدير دنقلا

عين هذا مدير لدنقلا فى سنة ١٢٧٠ هـ : ١٨٥٤ م كان هذا المدير محسنا عادلا دمث الاخلاق وهو الذى حفر الآبار فى طريق المانول فى عهد محمد سعيد باشا و كثيرا فى احياء الشعائر الدينية الا انه لم يبق فى منصبه أكثر من أربع سنين وبعد الى جهـــات أخرى

ريدة الـ و الحبشة
با محمد راتب

عبد الله بك كردى مدير دنقلا وبربر

يادة العامة جباراً متعسفاً وهو أول من استعمل الكرباج وارهق الناس بظلمه . ولما
رض منزنجى ألاى فى كسلا نقل اليها لكنه استبد هناك استبداداً صير الناس يدعون
يه فما أقام فيها إلا بضعه أشهر حتى توفاه مولاه الى رحمته ولا غرابة لقوله صلى الله عليه وسلم
من أفلح من صلى عليه ، فالصلاة هنا بمعنى الدعاء

على فضلى بك وكيل الحكمدارية

لا كان هذا مثال الكمال والانسانية وانه قويم الاخلاق حسن السيرة يابسا فى دينه
خذه لومه لائم فى الحق . عين مديرا لدنقلا سنة ١٢٨١ هـ ثم نقل وكيلا لحكمدارية
دان وبينما كان يشغل منصبه الأخير اذ باغتته المنيه فدفن باحتفال عظيم فى
ار قبب الباشوات شرق جامع الخرطوم الحديث

شيخ خضر

كانت فى دنقلا قبيلة تعرف بالشرباشية يقيمون فى جزائر الاشراف وبلدة
فى شاطىء النيل الشرقى والخناق فى غرب النيل . وكانت للشرباشية مملكة صغيرة
ن ملكها ، شيخ خضر ، قابل هذا سمو المرحوم اسماعيل باشا عند وصول الحملة
رية دنقلا سنة ١٢٣٦ هـ فأنعم عليه اسماعيل باشا بكسوة شرف ولقبه بالكاشف
قسم دنقلا فأصبح يشتغل بجباية ، الويركو ، وشيد له قصراً فى شمال النيل تجاه جز
شراف أى جنوب قصر المنفوخ قريبا منه فأخذ يسخر الخنافية والأشراف فى نحت
حجار والقيام بعمل الشبابيك والأبواب حتى سئموا البقاء هناك فهاجر السيد
الله والد السيد محمد أحمد المهدى بحرمه وأولاده الى الخرطوم ونقل منها الى كررى
م هناك الى وفاته .

أما القصر فصار بعد وفاة شيخ خضر الى الولى ود نميرى واشتهر بنسبته اليه لأنه
ر الكاشف بعد شيخ خضر . قابلت الأخير فى تمتار سنة ١٣١٢ هـ فرأيت منه رجلا
نوع القامة نحيف الجسم أميا ليست له من المؤهلات مايستحق الذكر ولكن

يشقى ويشقى آخرون بهم	ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته	لكن جدود وأرزاق بأقسام
كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد	يرمى فيحرزه من ليس بالرامي

عثمان بك صدقى مدير دنقلا

كان هذا ظالما مستبدا لا يهمه غير حشو جيبه . عين مديراً لدنقلا فى سنة ١٢٨٤
١٨٦٨ م فأول أعماله فرض ٥ ريالا ، يجبى من كل ساقيه وبديهى ان بالمديرية مالا يقل
عن عشرة آلاف ساقية وأصدر تعليماته للكشاف بان يحصلوا ذلك الريال قبل ضرب
الويركو وقد اشتهرت تلك المغارم اذ ذاك باسم ، ريال الكاشف ، وانما لجت المدير
لاسيما وانه عرض الوظائف الى المساومة فتالها اندى الناس كفا بالعطاء . فكان ير
الموظف من عمله ويخلفه فيه آخر بغير سبب وكان ذلك من البواعث التى دعت الموظفين
والاعيان الى رفع الكل شكاوى عنه كان لها أثرها فى عزله وتوجيه منصبه الى حسين با
خليفه فى سنة ١٢٨٨ هـ ؛ ١٨٧٢ م الذى ما كاد يستلم مهام المديريه حتى ابرق الى وز
الماليه بالقاهرة يقول لها ان سلفه حمل ٤٠ صندوقا من الذهب والفضة وطلب ضبط تلك
الأموال والتحقيق مع عثمان صدقى بك عن الموارد التى تناول منها الثروة العظيمة
وهناك اذاعت حكومة مصر نشرة سرية الى مديريات الوجه القبلى تأمر بضبط الم
وصاحبه الذى كان كالثعلب فى دهائه فى كل ناحية ضبط فيها يتخلص بدفع رشوة تم
له سبيل المرور ولكن وجد فى المنية مديراً نزيها رفض قبول الرشوة ولما بدأ التحقيق
معه . قال انه أتى به بصفة هدية لسمو مولانا الخديوى المعظم . والى هنا قفل المحضر
واخطرت المعيه السنية بقدوم الهادى وهديته التى حلت محل القبول والاستحسان
هكذا كان الغالب من ولاة السودان الا ان عثمان صدقى بك حرم من ثمرة مجهوده
بسبب يقظة حسين خليفه باشا وغيره من المديريين

الفريق محمد راتب باشا سردار الجيش المصرى

كان راتب باشا ضابطا شهما له دراية وخبرة تامة بالفنون العسكرية وهو سردار
الجيش المصرى فى عهد سمو اسماعيل باشا خديوى مصر الذى اصدر له أمراً يقضى بعمل

جريدة لغزو الحبشة انتقاما منهم لما نالوه مع الجنود المصرية الذين وقعوا فى أسرهم .
فبدأ محمد راتب باشا تلك الحملة التى كانت تتألف من ثلاث فرق عسكرية مصرية وتولى القيادة العامة بنفسه ورافقه سمو الامير حسن باشا نجل الخديوى كرئيس شرف الحملة الغرض من ذلك كان لاجل تدريبه على القيادة العامة . وبالرغم من كفاءة محمد راتب باشا فان الخديوى اشترط عليه بأن لا يعمل عملا مالم يوافق عليه الجنرال لورنج الامركانى الذى كان أركان حرب الحملة مع أنه جاهل بفنون العسكرية وغير مخلص للحكومة مصر التى كانت تطمئن بأمانة الأجنبى وكفاءته ولا تطلب اقامة الدليل على ذلك با كثير من بياض وجهه وشحوب بشرته وحضرة عينه وتلك غريبة فى انتخاب الرجال !! وكان الجنرال يحيط به رهط من الضباط الأمركان . ولقد احتفل الوزراء والامراء والذوات بتوديع تلك الحملة احتفالا بهيجا فغادرت القاهرة ملحوظة بعين ملؤها الاحترام سائرة الى بور سعيد ومنها الى سواكن ومصوع وقد كان سيرها سيرا بطيئا اقلق الخديوى الذى أمرها بالاسراع فى الزحف وهناك تحركت الفرقة الأولى بقيادة اللواء عثمان رفقى باشا وسار مع هذه محمد راتب باشا السردار وأركان حربه فى أول أغسطس سنة ١٨٧٦ . وفى صبيحة الغد سارت الحملة وكانت تتألف من ٥٠٠ دابة برئاسة البكباشى محمد أفندى عله انى (السيد احمد عرابى باشا) وسارت الى جانبها اورطة بقيادة البكباشى حاج أفندى عبد العال الملقب (بالدكر) وكان سير الجيش وبالاخص الحملة فاقدة للنظام حالة تدل بوضوح على سوء التدبير . قال السيد أحمد عرابى باشا فى كتابه كشف الستار ما نصه

« فلما بعدنا عن مركز أم كالكو بنحو ستة أميال وجدت الجمال والخيل والبغال السابق ارسالها مع الفرقة الأولى منتشرة على رؤس الجبال وبطون الأودية بأحمالها . بعضها واقف يرعى وبعضها مشبك فى شجر السلم وشجر الأبنوس وشجر أم غيلان وبعضها ملقى أحماله من الجبخانه والبقساط والتبن والشعير والفول الخ

كان ذلك لاهمال الحرس وفرار الحملة منها . وكان أحد القسس الفرنساويين المبشرين بالحبشة يتردد على الجنرال لورنج ليأخذ عنه أخبار الجيش المصرى وتحركاته وكان ذلك القسيس وصلة الاتصال بين الامبراطور يوحنا كاسا نجاشى الحبشة والجنرال لورنج على الخطط الحربية والمكائد التى دبرت ضد الجيش المصرى وبعد هجم الامبراطور بجيش

يقدر بنحو ٠٠٠ ٨٠ مقاتل على فرق مصرية كانت تتألف من سبع أورط مصر
وبطاريتين طوبجية قريبا من قباخور وما لبث ذلك الهجوم ساعة واحدة حتى قضى
الفرقة المصرية العظام المبرم من ضمن القتلى المصريين يومئذ اللواء راشد باشا راق
والأميرالاى محمد جبر بك وكثير من الضباط ذوى الرتب الصغيرة . ووقع كثير
المصريين فى أسر الأحباش الذين غنموا المدافع المصرية ولعدم معرفتهم باستعمالها كره
الأسرى المصريين وكلفوهم باطلاق تلك المدافع على الجيش المصرى فى واقعـــه يو
١٤ أغسطس سنه ١٨٧٦ وبالرغم من فعل المدفعية فقد ثلث المصريون وخاضوا غم
تلك الحرب بثبات وحرص جديرين بالاعجاب . وكان البكباشى على الروبى افند
قومندان فرقة الفرسان يطوف بخط النار محرضاً الجنود المصرية بقوله (ان مص
بعيدة عنكم ان لم تصبروا على الدفاع فانتم مقتولون بلا شك) وقد اظهر محمد راتب با
من الحنكة والثبات ما استطاع به رد الجائحه العظيمة اذ رد الاحباش عن مراكزهم الأمامية
خط النار . ومن الغريب ان الجنرال لورنج ورهطه من الامركان خلعوا الطرابيش المصر
وارتدوا القبعات وربطوا على اعناقهم مناديلا بيضاء اشارة على انهم مسيحيون ليأمنو
بطش الأحباش . هذا وبعد حروب تبودل فيها الكر والفر مراراً هزم المصريون بعدا
منوا بخسائر فادحة . ولقد تأثرهم الاحباش واستردوا المناطق التى انتزعتها مصر
بلادهم ونجا محمد راتب باشا وسمو البرنس حسن باشا وبقية الجيش المصرى . فاستشا
سمو اسماعيل باشا الخديوى وأراد محاكمة الضباط الشراكسة ولكنه كف عن ذلك لك
لايحدث استياء عاما بين صفوف الجيش . أما الامبراطور يوحنا فانه شمخ بأنفه وحر
بلاد المسلمين فى الحبشة بحجة انهم كانوا فرحين بقدوم المصريين وفتك بكثير منهم واضطهد
الى اقصى حدود الاضطهاد إلا أن انتقم لهم منه على يد انصار المهدية الذين قتلوه شر
قتلة وحزوا رأسه فبعث مع إسلابه وتاجه الأثرى الى خليفة المهدى بأم درمان وكانت
واحدة بواحدة جزاء

MONS DANELE COMBONI

(المطران دانيال كمبونى)

كان هذا أول دعاة المسيحية الكاثوليكية فى السودان وانه اسس جمعية الارساليات التبشير

فى جميع أنحاء أفريقيا . وأعد الراهبات لهذا الغرض .

ولد دانيال كمبونى بمـــدينة ليمون بإيطاليا فى يوم ١٥ مارس سنة ١٨٣١ م الموافق سنة ١٢٤٦ هـ وكان والداه من أسرة إيطاليه ذات أصل عريق ثم أدخل صغيراً فى دير فيرونا **Verona** بايطاليا فتلقى علومه الأولية والابتدائيه . ومن ثم انتظم فى سلك طلبة كليه (متسا **Mazza**) التى هى بمدينة فيرونا أيضاً . وكان دانيال كمبونى آيه فى ذكائه وحدة ذاكرته فانه بز أقرانه فى كل علم من العلوم المقررة ونهج نهجاً فى المذاكرة وحفظ اللغات الأجنبيه جعله فى المكان الأول من خريجى تلك الكليه حيث أتقن من اللغات غير لغته لايطاليه ١ — الانكليزيه ٢ — العربيه ٣ — الروسيه ٤ — البرتغاليه ٥ — الفرنسيه ٦ — البرتانيه ٧ — لاسبانيه ٨ — المجريه ٩ — الالمانيه ١٠ — العبريه ١١ — اللاتينيه ١٢ — اليونانيه القديمه ١٣ — النوبيه . ومن الغريب المدهش أنه لم يحفظ من هذه لغات بالمدرسه عدا أربع لغات فقط وحفظ ما بقى منها باجتهاده فمن ذلك انه حفظ اللغة الألمانيه فى ١٥ يوماً . وهو مما يكاد يبرز عن دائرة المعقول . وفى سنة ١٢٦٩ هـ : ١٨٥٣ م تعين (مدرساً) فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٥٤ ثم صار كاهناً وبعد زمن يسير عينه (جون نسيدرر **John Nepomuceno of Tscniderer.**) قسيساً لمدينه (ترانتو **Tranto**) بايطاليا وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ م انتدب مع خمسة أشخاص آخرين بعثه دينيه لمدينه الاسكندريه وواصلت تلك البعثه سيرها جنوباً حتى بلغت مدينة الخرطوم فى يوم ٨ يناير سنة ١٨٥٨ م وغادروها سائرين نحو الجنوب والظاهر كانوا ينوون اكتشاف البحيرات الاستوائيه قبل وصول استانلى اليها ولكنهم عندما بلغوا مدينة كندكرو التى تبعد عن الخرطوم جنوبا ١٧٣٠ كيلو متراً تفشت فيهم الملاريا وبلغ بهم الجهد مبلغاً عظيما فاضطروا أن يعودوا إلى الخرطوم فبلغوها فى ٤ ابريل سنة ١٨٥٩ م ولملازمة الملاريا لهم غادروا تواً إلى مدينه (فيرونا **Verona**) بايطاليا فى أواخر سنه ١٨٦٠ م وذلك بعد أن تزودوا بمعلومات جغرافيه وتاريخيه ذات قيمه عظميه إلا أننا لم نقف على ما أذاعوه بين العالم الاوربى الذى كان متعطشاً إلى للقيام تلك المناطق العنيه بمناجمها غاباتها .

وبنظره يرتك إلى الجهود الجبارة والمجازفات التى يقوم بها دعاة المسيحيه فى بلاد أفريقيا

وعلماؤها وأغنياؤها فى سبات عميق لم يدر فى خيالهم منافسة الافرنج فى الدعاية إلى دينهم ولا استثمار خيرات تلك البلاد وضم شعوبها لزيادة القوادم من بقاع المملكة المصريه . مع أنها لو جادت بالقليل من فضلات ثروتها الطائلة لترامت شعوب أواسط افريقيا إلى أحضانها ، ولأصبحت مصر كالروسيا عدداً وعدة . وربما بزتها فى قوة البأس ومضاء العزيمه . وها نحن نأتى بصورة رسالة لأحد المبشرين بجهيه خالما كان جائلا موغلا فى تلك القارة التى أصبحت بين فكى الاسد الاستعمارى .

قال (ان المرسلين من الافرنج لاينجحون فى تلك البلاد . فكان أمزجة أهلها مخالفة لمشربهم على خط مستقيم . وانى أشاهد المرسل من المسلمين مع مابه من الفقر والحاجة . لايزيد على ان يسمع شيئاً من كلامه . فيميلون طربا ويهتزون عجبا . ثم يكتبون عنه بعض كلامات ويبلعونها تبركا بها . ويستشفون به على كل داء . وارى المرسل من غيرهم يبذل لهم المعاشة والمال ويواسيهم . وهم لايزدادون الا فرارا) هذا قد خبر المبشرون على ذلك الحفلة قرناً كاملا ولم نر فى غضون هذه المدة بسلم واحد ! ! ومن الغريب ان الاوقاف المصرية تفكر فى اعداد المبشرين فى البابان التى تكاد تكون الحلقة مفقودة بينها وبين مصر وعدة . كما قيل مثل لرجل (بهل تحفظ القرآن ؟ قال نعم وأزيد فيه ! !) هذا ولنرجع الى سياق الكلام عن المطران دانيال كمبونى فنقول انتدب لمدينة عدن لمنع تجارة الرقيق ولكنه مالبث هناك زمنا طويلا بل عاد الى فيرونا وسار منها الى روماحيث . قوبل من اصدقائه ومعارفه بغاية الحفاوة والتكريم . وفى سنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٤ م تبادر الى ذهنه القيام بدعاية واسعه النطاق فى افرقيا ومن ثم صار يتجول بين فرنسا والمانيا والنمسى لعرض فكرته على ذوى الشأن من دعاة المسيحيه الذين قابلوه فى مكان بالايجاب والقبول وفى ٦ يناير سنة ١٨٦٦ م كان فى سيلان ؟ ومنها قفل راجعا الى باريس الى اوروبا مرة أخرى . وفى سنه ١٨٦٧ م انشاء جمعيتين ثم ذهب الى باريس للمفاوضه فى شؤون افرقيا الدينية والسياسيه . وفى اثناء عودته الى ايطاليه زار المانيا والنمسا للمرة الثانيه طالبا المساعدة للتبشرية الافرقيه . وفى سنه ١٨٦٩ م قدم الى القاهرة لأجل الشروع فى اعماله التى كرس حياته لخدمتها . ولكنه عاد الى روما فى سنة ١٨٧٠ م ليحظى بالتأييد الادبى والدينى من مجلس الفاتكان . البابا . ثم عرج فى سيره الى المجر وبولندا وروسيا وفى سنه ١٨٧٢ م صودق جمعيانه فى روما وعين رئيسا للارساليات الكاثوليكيه فى السودان . وكان اذ ذاك فى درجة

(فكار) (Ro - Vicar) التى هى أعلى من القسيس واقل من المطران ومن ثم سافر الى فينا عاصمة النمسا ومنها الى الخرطوم مقر عمله فبلغ الاخيرة يوم ٤ مايو سنه ١٨٧٣م ، وهناك شيد الكنيسه الكاثوليكيه الاولى من نوعها فى الخرطوم بل فى كل افريقيا وغرس حولها حديقه غناء وكان أول من ادخل طريقه انشاء المدارس فى الارساليات لانه قد يدرك فى الشباب مالا يدرك الكهل . وهى طريقه لها قيمتها من حيث العقائد الدينيه . وفى سنه ١٨٧٧ م استدعى الى ايطاليا وعين قسيسا لروما ولكنه كان يميل بطرفه الى المجازفات والخدمه فى غير بلاده فلذلك عاد الى الخرطوم فبلغها يوم ٤ ابريل سنه ١٨٧٨ م واستانف عمله بها الا انها صارت ساوره الحميات فعاد الى روما سنه ١٨٧٨ م لتغير الهواء وبعد اشهر عاد الى الخرطوم وقام رحلات فى جهات كردفان وجبال النوبه وغيرهما لتأسيس كنائس فرعيه تابعه للكنيسة الكاثوليكيه بالخرطوم . ولكنه حيل بينه وبين مايشتهى حيث ادركه الوفاه فى ١٠ اكتوبر سنه ١٨٨١ م الموافق سنه ١٢٩٨ هـ وقد صادف ذلك ثورة المهدية ووقوف دولاب حركه التبشير ووقوع بعض المبشرين فى فخ الاسر الى سنة ١٢١٦ هـ : ١٨٩٩ م كالاب أهور الدوى مؤلف كتاب اسر عشرة سنوات فى اسر المهدى .

كليه الكمبونى التذكارية

فى سنة ١٣٤٧ هـ . ١٩٢٩ م

COMBONI COLLEGE

كانت للبدولى دانيال كمبونى مكانه عظيمه فى نفس الشعب الايطالى لا سيما ورجال الدين الذين لا زالوا يتعبون بأعماله الممتازة وطفراته المدهشه وذكائه المفرط . فعزى على الآباء الكاثوليج أن تمر شخصيه كهذه من عالم إلى عالم بدون ان يكون لها أثر خالد ففى سنه ١٣٤٧ ١٩٢٩م وضع الاب (بنى H.E. Bishop F.X. Bini) الحجر الاول من بناء كليه وذلك بعد أن قام آباء الإرساليه الكاثوليكيه بجمع الاكتتابات وقد ساعد الاخوان الكمبونيين) من جمعية (القلب المقدس) مساعدة محسوسه إذ أعطوها مشروعاً حسناً وفى سنة ١٣٥٢ هـ : ١٩٣٤ م زيد اتساع البناء . وانشئت دار للطلبه الداخليه يسع فى الوقت

الحاضر ٤٠٠ سرير . وكانت جميع الابنيه على قواعد هندسيه من أحدث طراز . والقسس هم الذين قاموا بالرسم والبناء والنقش وأحيطت الكليه بســور غرست بداخله حديقه غناء ذات منظر نضر يأخذ بمجامع القلوب . ومن الغريب لم يكلف ذلك البناء سوى وذلك لاشتراك القسس فى كل الاعمال المهمه

منهــاج العمل

يتضمن منها كليه كيورنى ثلاثة أقسام . القسم الثانوى . والابتدائى . والتحضيرى (أ) القسم الثانوى . يستمر هذا القسم لمدة اربع سنين كاملة . ويتضمن تاريخ الهنـد القديم والحديث . اللغه الانكليزيه وآدابها اللغه العربية والفرنسيه . الرياضيات . العلوم . التاريخ الجغرافيا . مسك الدفاتر . الاختزال . الكتابه على الآلة الكاتبه . الفن . الغناء الموسيقى والرياضه البدنيه . وأ كثر الطلبه يعدون أنفسهم لعمل المكاتب بالتخصص فى العلوم التجاريه والباقون يوجهون إهتمامهم توجيهاً خاصاً للعلوم ليكونوا أكثر إستعداداً للهندسـه والقانون والطب والاقتصاديات وما يماثلها من العلوم الجامعيه الاخرى أو لاى عمل آخر اقل صيغه كتابيه

السنه الخامسه من هذا المنهاج تعد طلبه القسمين التجارى والعلمى معاً لامتحان شهاده كليه اكسفورد الذى يسهل الحصول على الماتركيلشن من اى جامعه إذا كان نجاح الطلبه بتفوق .

(ب) القسم الابتدائى . ويستمر لمدة اربعه اعوام كامله ويتضمن العلوم الدينيه . اللغتين العربيه والانكليزيه . الحساب باللغتين . التاريخ . الجغرافيه . علم الحياة . الصحه . الرسم . الخط . الغناء . الموسيقى . والرياضه البدنيه . ويتبع هذا القسم فى دروسه المنهاج المصرى لكى يعد الطالب لامتحان الشهادة الابتدائيه المصريه فى آخر السنه الرابعه الابتدائيه . إلا ان اللغه الانجليزيه تدرس فيه إلى مستوى اعلى حتى تهيء الطالب لقسمنا الثانوى .

(ج) القسم التحضيرى ويستمر لمدة ثلاثه اعوام للطلبه الذين تقل اعمارهم عن التاسعه ويتلقى الطلبه فيه مبادىء اللغتين الانكليزيه والعربيه . وشيئاً من الحساب والرسم والخط .

ملحوظه . تدرس اللاتينيه والاغريقيه والايطاليه والارمنيه والعبريه كجزء من المقرر

للطلبة الذين يبدون استعداداً ورغبة فى الإلمام بها : —

هذه خلاصة ما أخذناه عن الأب سيمبيانى **Symbianini** أستاذ التاريخ فى كلية الكمبونى وما هو مدون فى لائحة الكلية المذكورة . فاذا صرفنا النظر عن مسألة الخطر على العقائد ونظرناه بالعين المجردة عن الغاية لقلنا ان التعليم فى هذه الكلية أرقى منه فى مدارس السودان الأخرى وأنه يتمشى مع حاجة البلاد. وأنه يهيء الطالب للدخول فى أعظم جامعات العلم اذا درس لغاتها درساً صحيحاً وإنى لاحظت فى أثناء محادثتى للأب سيمبيانى **Symbianini** أنه رجل وديع الأخلاق الى درجة يغبط عليها فاذا كان بقية المدرسين كأستاذ التاريخ أو دونه بقليل لزاد ذلك فى قيمة الكلية وصيرها مفخرة للايطاليين . هذا وفى أوائل عهد الحكم الثنائى منذ سنة ١٨٩٩م ١٣١٦ هـ أخذت مدينة الفاتيكان ترسل بعثاتها التبشيريه الى السودان حتى بلغت كنائسها ٤٠٠ كنيسة يساعدها الانكليز من خزينة السودان بمبلغ ٢١٦ الفا من الجنيهات سنويا لاسيما ما يلاقى القسس من التسهيلات عند سفرهم ببواخر وسكك حديد السودان لقد بطر القسس بطرا شديدا حتى صاروا يتحدون المسلمين هناك ويطالبون بطردهم من بلاد ظلوا بها عشرات السنين فانتدب لذلك مأموران هما أبو الدهب افندى المصرى كان أبوه من بوليس سواكن ومحمد افندى أحمد حامد الجعلى العمرابى فالأول حرق دور المسلمين بواو وخرب حدائقهم واستبد بطرق لم يسمع بها منذ عهد بعيد وهكذا قام أحمد حامد بدوره فى طرد المسلمين من راجا وكنجى حتى مات بعضهم فى الطريق ظمأ ولما سرت فى بحث التاريخ فى يناير سنة ١٩٤٦ وجدت للرجلين سمعة لا يحسدان عليها من جفاء وعداء للانسانية كما أخبرنى أمين الشيخ الطيب الذى مات كمدا لطرده وتبديد ثروته ومن المدهش لما تصدق للاستاذ السيد محمد الامين القرشى بالدعاية الاسلامية احتج الكاثوليكيون طالبين ايقاف هذا العمل الذى احتكر لهم نصف قرن الا أن الحكومة لم تسمع لندائهم فى إبان اليقظة وتبرم الشعب من نير الاحتلال وضغط الاستعمار.

ابلغ أنواع الزهد

لقد بلغ المهدى فى وعظه مبلغا عظيما من التاثير على رجاله الذين زهدوا فى متاع هذه الحياة الفانية الى درجة لم يتصف بها أحد منذ الصدر الاول من التاريخ الهجرى فى ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ عندما هزم جيش المهدى غردون دون أن يمد أحد يده الى شيء من الغنائم المنثورة فى دور الأغنياء وخزائن الولاة فانتدب المهدى خمسة كتاب لجمعها وتقديمها لأمين بيت المال بدون رقيب عليهم وهم :

١ – عبد السلام الحاج بله كاتب إمارة عبد الرحمن النجومى
٢ – أحمد محمد قياجى كاتب امارة أحمد أبو سن عدلان اللبيح
٣ – بشير ود بادى كاتب إمارة محمد عثمان ابو قرجه
٤ – شيخ ادريس احمد هاشم كاتب إمارة مكين ود النور
٥ – مكى ود العقب كاتب إمارة شيخ فضله

وانتدب مع كل منهم ٤٠ جنديا مدججين بالسلاح للمحافظة على المال والمندوبين جمعه إذ ربما يكون بداخل دور الأهالى أناس مختبؤين يدافعون دون مالهم فأبدى أولئك المندوبون من العفة وطهارة الذمة ما يدعو الى الغبطة والسرور فانهم جمعوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وسلموها الى بيت المال دون أن يختلس فرد من الكتاب وجنود الحرس درهما ولا دينارا ولو فرض وحدث شيء من ذلك لظهر أثره فى أنجالهم وحفدتهم الموجودين حتى الآن وأخذ أمين بيت المال يصرف الذهب فى مرتبات الأنصار فهبط سعره الى درجة صار ثمن أوقية الذهب باثنين جنيه مصرى

ولما استرجع السودان فى سبتمبر سنة ١٨٩٨ وجد الانكليز فى خزينة عبد القيوم أمين خليفة المهدى ما يربو على عشرة مليون جنيه نقلت على باخرة من أم درمان الى بربر ومنها الى سواكن فلندن كما روته جريدة المؤيد وعزز تلك الرواية الناظر عبد الله بكر بك الذى سمع عن القائمقام سعيد بك عثمان الذى كان برتبة الملازم أول وبلوكه حرسا على ذلك الذهب عند نقله للباخرة بميناء أم درمان .

أم درمـــان

هذه أبهى عواصم افريقيا بعد القاهرة ذلك رغم حداثة عهدها وترادف أزجاتها في يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ هـ ٢٩ يناير سنة ١٩٨٥ م ضرب المهدي نحاسة ونفخت بوقات الحرب وسار في جميع يقدر ٢٤٤٠٠ نسمة الى ان اناخ ناقته في مكان القبه الحاليه ثم خطط جامعه البالغ ١٣ فدانا أو ٥٤٦٠٠ متر مكعب حتى تعد ذلك خط

قبـــة المهـــدى

دائره شرق الجامع وخطت منازل خلفائه حوله وكان موضع المدينة عبارة عن غابة كثيفة واخذا نصاره كل طائفة تقطع الأشجار وتبنى مكانها منازل عبارة عن اكوخ ورواكيب متواضعة جلها في الأشجار التي تطعت واخذالناس يهدمون منازل الخرطوم

وينقلون الانقاض لعمارة أم درمان ففي بضعة أيام شغلوا المنطقة الواقعة بين خور شمبات شمالا وديم الفتيحاب جنوبا والنيل شرقا وغربا كادت العمارة تتصل بجبال المرخيات ولكن لا نظام بها وليس هناك شوارع مهمة غير شارع العرضه الذى تمر به جيوش المهدية غربا للاستعراض بطريقه أشبه شيء بالمناورات الحربية لدى الجيوش المتمدنة أما البناء فانه اخذ يتطور تطورا بسيطا الى واقعة كررى واحتلالها بعد معركة سال الدم بها أنهارا كما نذكره بعد وهنالك اخليت المدينه ولم يبق بها من السكان عدا ٢٥ ٪ وكان ذلك سببا فى اتلاف البناء بطول الامطار وبعد بضع سنين صار الناس يعودون لترميم منازلهم والسكن بها . ثم اخذت الحكومة فى تخطيط شوارع المدينة وتنظيم البناء واصبحت الحاجة ماسه لغرس الحدائق فصار السكان يغرسون حدائقا صغيرة بداخل منازلهم وقامت شركة الماء والكهرباء برى المدينة وانارتها وسار الترام بالكهرباء وصارت تنافس أعظم المدن حضارة واليك وصفها الآن فانها تقوم فى شمال النيل عند ملتقى النيلين حيث الدرجة ١٥ والدقيقة ٣٨ من خطوط العرض الشمالى والدرجة ٣٢ والدقيقة ٢٩ من خطوط الطول الشرقى ويبلغ ارتفاعها ١٢٥٦ قدما عن مستوى المحيطات تكتنفها من جهة الغرب جبال المرخيات ومن الشمال جبال كررى وينحدر عليها واديان اللذان هما خور أبو عنجه إلى مصبه بالنيل بعد ان يقسم المدينة الجنوبى إلى شطرين وكذا خور شمبات الذى يصب بالنيل شمال المدينة .

وهنا نقول سطح المدينة متناسب فى الوسط والشمال ومتنافر فى شاطىء النيل والجنوب ويربط بينها والخرطوم كبرى النيل الابيض والتربة تنقسم إلى ثلاث عناصر الخضوة والجير والطين الضارب لونه إلى الحمرة . هذا ويقال أن أسمها قديما « وشل » الذى هو أسم لاحد ملوك « العنج » « النوبه » وبعد موته وليت أمرأته كان أسمها أم درمان فسميت المديرية باسمها ومن الغريب إذا حسبت عدد حروف وشل بالجمل تجدها ٣٣٦ وكذلك يكون حروف أم درمان وذلك ضرب من التعليل أقرب من الحدس والتخمين لم يقم برهان على صحته وذهب آخرون على أن بعض العرب يبدلون

ببطانته التعايشي وكان ما كان من شأنهم . وهناك أصبح كثير من الأعيان جواسيسا ضد خليفة المهدي الذي اجتهد في تأليفهم وهيهات لأن الشيخ النذير خلد قاضي القضاة قال كانت حكومة مصر تصرف لهم ماهيات من سنة ١٣١٠ ﻫ وأخيرا قبض خليفة المهدي على الياس باشا امير روزج به في السجن الى وفاته به وهاجمت جيوشه عبد الله ود سعد فقتل ومن معه في ساعة واحدة وكان أشدهم عداوة له بأم درمان .

« واقعـــة كررى »

أخذت الأخبار تترى بانهزام جيوش المهدية في الأطراف والعدو يتقدم بسرعة لاحتلال أم درمان وكنت أنا إذ ذاك ضمن ملازمين خليفة المهدي بأم درمان بعد ان كنت في الحدود منذ — ١٨٩٦م فرأيت منه أمرا غريبا وهو كثرة السهو في الصلاة وجبره بالسجود وذلك بالرغم من ثباته وعدم مبالاته بالبلاء المتجهم . وفي سـبتمبر سنة ١٨٩٨ م صرفت الجبخانة للجيش بدون تمرين غير أني كنت ضمن طائفة من الملازمين أمر القائمقام اسكندر بك التركي الذي كان قومندانا لأورطة مصرية بالأبيض يعلمنا الحركات العسكرية كحاز ضر وحاز در بدون طلاقه النار على الهدف

وفي يوم الأربعاء ١ سبتمبر سنة ١٨٩٨ تحركت جيوش المهدية وخرجت من باب جامع المهدي الغربي وسارت أرباعا بشارع العرضة وكان الربع يتألف ما بين ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ جندي يسير في طليعته الأمير ممتطيا فرسه شاهرا سيفه ثم البيرق والموسيقى فالجيش أربعات وكان الصمت ضاربا أطنابه مع الرهبة وكان وميض الأسنة كالكواكب والليل نشيدهم : لا إله إلا الله . لا إله إلا الله . لا إله إلا الله ، جودوا [1] الكفار في شان الله

وبعد انتهاء جنود الربع الأول وتقدمه بقدر ٤٠٠ يارده يسير الربع الثاني هكذا والثالث فالرابع وهلم جرا من الساعة السادسة صباحا الى حوالى الساعة الرابعة مساء ونصبت الخيام غرب المدينة بشكل نصف دائرة في وسطها خيمة الخليفة عبد الله وهي خيمة النجاشي يوحنا التي جاءت ضمن اسلابه لها نقوش وزخارف بديعة وحوله الخلفاء والأمراء والملازمين ثم بات الجيش تلك الليلة هاديا لا يكاد يرى فيه علائم الاضطراب

---

(١) جودوا الكفار في شان الله أي كأمره القتال القوم حيث وجدتموهم .

سورکنی و تلامذته الکشافه بملابس اهدیت الیوم من جلالة عبد العزیز آل سعود ملك الحجاز

الأستاذ احمد محمد سوركتي وتلامذته الكشافة بأزيائهم الرسمية في بتابيا

ص	خطا	صواب	ملحوظات
۲۲	لا يقاولن به	لايقول به	
۲۳	سفاجر	سفاحا	
۳٤	كالصعيد	كالصيد	
۲٥	الاتونج	الافرنج	
۲٥	منها كاية كمبونى	منهاج كللية كمبونى	
۲٥۰	اكوخ	اكواخ	
۲٥	الخضرة	الحضرة	
۲٥	كاذ فى جانب باحصياء	كاذبا بجانب حصباء	
۲٤۱	طلاقة	اطلاق	
۱۲	واخرب بهم	واخرت بهم	
۱۲۰	اراد	ادار	
۲٦۲	لحطة	كخطة	
۳۷۱	بالقاهرة	للقاهرة	
۳۸۰	باحورق	باجرق	

نمرة	خطأ	صواب	ملاحظات
١١٦	ومستوعا	ومستودعا	
٨١١	بتانيا	بتابيا	
١٢٥	السوادى	الوادى	
١٣٦	والمرماح	والرماح	
١٣٨	المربيع	المرابيع	
١٤٣	غردون باشا	هكس باشا	
١٤٤	بصيا	نصبا	
١٤٨	كىداسا	اكداسا	
١٤٩	بالمدفعية	المدفعية	
١٥١	عضوتها	عصوتها	
١٦٣	طبجات	طبنجات	
٢٠٢	الى حده	الى حده	
٢٠٢	وموصوغ	ومضوع	
٢٠٦	فاظهر غاية الغبطة	فاظهر الناس غاية الغبطة	
٢١١	فراجت وراجا	فراجت زواجاً	
٢١١	صخامة	ضخامة	
٢١٨	والامرا	والامراء	
٢١٩	تدين بالسلام	تدين بالاسلام	
٢١٩	اسافيا	اسافنا	
٢٢٠	الرحاب	الرحاب	
٢٢٠	أتقد	أتقد	
٢٢١	قبائلى	قبائل	
٢٢٦	هبريل	ابريل	
٢٢٦	الاستجامات	الاستحكامات	

نمرة	خطأ	صواب	ملحوظات
٤٢	الفتيحات	الفتيحاب	
٤٤	ديبون	ديبوى	
٤٩	بجانزا	لجانزا	
٥٣	لاعلان	لاعلام	
٥٩	عبد الله المسن	عبد الله المحسى	
٥٩	أبو قرحه	أبو قرجه	
٦٠	بين	بيت	
٦١	اودلاد	اولاد	
٦٤	الدرويش	الدراويش	
٦٤	استبداليه	اسبتالية	
٧٣	وهط	رهط	
٧٥	الاعتدال	الاعتراف	
٧٧	الاتصاليه	الانفصالية	
٧٧	١٩٢٤	١٩٣٤	
٧٩	يكنت	يكتب	
٨٠	اسمهموم	اسمهم	
٨٤	مدوب، الأهرام	مندوب الاهرام	
٨٥	معاو ن	معادن	
٨٧	فسارس	فسارت	
٩٢	الهواورة	الهواره	
١١١	سموك النمو	سموك النم..	
١١١	وبيدده	وبيده	

نمرة	خطأ	صواب	ملحوظات
٨	مضغت لحم	مضغة لحم	
٨	سلابه	اسلابه	
١٠	ياور	باور	
١١	الجنو	الجنود	
١٤	عدنى	عدنى	
١٤	قداسى	قدامى	
١٥	أحمد المهيدى	احمد المهدى	
١٦	لجلالة الملكه	جلالة الملكة	
١٩	نوتى	نوتى	
٢١	الرباطات	الرباطاب	
٢١	لامير النور	الامير النور	
٢٤	نطر	نصر	
٢٧	الخامة	الخامسه	
٢٧	لمطالع	لمطامع	
٢٧	نيصبه	نصيبه	
٢٢	التى القاهرة	القاهرة التى	
٣٧	المتلألة	المتلألأة	
٤٠	اداران	ادران	
٤٠	طويلا	طولا	
٤٠	تقول	يقول	
٤٢	بيع	ربيع	
٤٢	صيور	سيور	

شفاه الله !

ولقد كانت تلك الحادثة سببا فى زيادة مكانة ساتى ماجد ورفعته فى نظر الهيئة الاجتماعية، وبعد هنيهة من الزمن ادعى أحد القس الكاثوليكى بأنه نبى آخر الزمان ووضع كتابا باغته زاعما أنه القرآن وقال ان محمد أسبق وادعى النبوة فى غير وقتها فرد ساتى ماجد عليه بما فيه الكفاية وسار لمصر ليطلب الفتوى ببطلان دعوى القس ولما وصل القاهرة أفتى علماء الأزهر له ما عدا الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الذى قال له انك لم تحمل شهادة ولا يصح قيامك بالدعاية فى بلاد عظيمه كامريكا فأجاب ساتى ماجد بقوله أرسل معى بعثة من حملة الشهادات وأنا أرافقها الدلالة فرفض وقد افتى علماء الغرب والشام والعراق والسودان وغيرهم بتكذيب المدعى ولكن كان المراغى حجر عثرة فى سبيل الدعاية وربما كانت بغمزة من الانكليز أو الأميركان او القنصل الايطالى بالقاهره الذى قد لا تعجبه هزيمة جيوش الفاتكان المنتشرة فى الكرة الارضية لأن لسياسة الاستعمار مغمزات لا يعرفها الا الراسخون فى علم المكر والدهاء فاضطر الشيخ ساتى ماجد الى العودة لوطنه بالغدار بدنقلا نزلت فى ضيافته فى ديسمبر سنة ١٩٤١ اثناء احدى رحلاتى لبحث التاريخ فرأيت منه رجلا طويل القامة كث اللحية متناسب الاعضاء وقورا وكان كريما دمث الاخلاق يرتدى الملابس الافرنكية وعلى رأسه قلنسوة سوداء عما يلبسه العراقيون عادة ولو كان السودانيون يقدرون الرجال لاقاموا التماثيل لأمثال أحمد محمد سوركتى وساتى ماجد ولكن التاريخ هو الحكم فى أقدار الرجال وابقى لسمعتهم ما دامت الدهور حتى ينفخ فى الصور ويبعث من فى القبور .

خاتمه

لقد تم طبعه بعون الله تعالى يوم السبت ٢٨ رمضان سنة ١٣٧١ الموافق ٢١ يونيو سنة ١٩٥٢ و ١٤ بؤنه ١٦٦٨ وقد بلغ المؤلف ٧٦ عاما من حياته ولله الحمد وسأردفه بجزء ثانى اذا كانت فى العمر بقية والله ولى التوفيق

القس فانظر بربك الى مصارعة هذا البطل الذى ضرب الرقم القياسى فى الشجاعة والآباء حالة كونه منفرداً فقامت ضجة صحفية فى الاخذ والرد بدرجة الفتت نظر الحكومة والشعب فلقبوه (بشيخ الاسلام بأمريكا الشمالية) وصار يجتمع بالعلماء ويناظرونه فى المسائل الدينية وقد يأتى بأجوبة سديدة يقيم الدليل عليها من القرآن الشريف . ولقد تمكن من دحض حجج الكاثوليك وبينما هم كذلك اذ حدث كسوف فى الشمس حتى رأى الناس النجوم نهاراً فدعت حكومة الولايات المتحدة رؤساء الاديان الى اجتماع عام ليعظوا الناس للكف عن المعاصى والتمسك بتعاليم الاديان السماوية لكى يرتفع البلاء وقد دعى شيخ الاسلام فى نيورك ليلقى كلمته فأعد الشيخ ساتى محاضرة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما جاء الميعاد اجتمع الناس حتى ضاقت بهم رحاب المكان . وأخذ يدعى زعماء الاديان بنظام واعطى لكل زعيم الوقت اللازم لوعظه ثم يتنحى عن المنصة لغيره . ولما نودى بالقس الايطالى كان وعظة فى ذم الشرق والشرقيين والطعن على تعاليم الاســلام ونسب كل ما يرى من البلاء والغلاء الى الاسلام والمسلمين ولم يقاطع فى شىء من ذلك للنهاية . ولقد نودى بشيخ الاسلام فى نيورك فقام ساتى جند وتكلم عن الاسلام وهديه بعبارة بليغة ثم عطف واستدعى القس الايطالى الذى وقف وهناك وجه اليه أسئلة حارة كان أولها . قال له أفهل عيسى الذى تعبده من دون الله ولد فى الشرق أم فى أوربا فأجاب القس قائلا فى الشرق فقال اذن كيف تحط من كرامة الشرق وهو الذى أنجب الهك والهاً بائك وهنالك دوى المكان بالتزقيف اعجاباً واعقب ذلك بأسئلة أسكتت القس ولما انتهى الاجتماع وازدحم الناس فى الخروج طعن ساتى ماجند بسكين حتى خرج طرف الريئة (الفشة) من بين أضلاعه فسقط على الارض يتضرج فى دمه فأوقف البوليس الناس وصار يفتشهم لكى يجد الآلة التى طعن بها ساتى ماجند وأخذ الاطباء فى اسعافه بالعلاج وقد قال لهم (ان وجدتم الجانى فانى عفوت عنه) فدهش الحاضرون لهذه المكارم وأخذوا من ذلك أن الاسلام هو دين التسامح دين مكارم الاخلاق فاسلم المئات بسبب ذلك الحادث هذا وقد بذل الأطباء الهمة فى علاج البطل عليه حتى

حفظ ساقى ماجد القرآن فى بلدته وهاجر للازهر بالقاهرة لطلب العلم وما لبث أن سار لانكلترا واجتمع هناك برجلين أحدهما كنزى والثانى يمانى فأسس الثلاثة جمعية للتبشير بدين الاسلام فكانت خطوة أولى من نوعها وشجاعة أدبية مقطوعة النظير ولحسن حظهم كان ساقى ماجد خطيباً بليغاً وجريئاً لا يبالى بمنابر الدعاية جهورى الصوت خبيراً بالاقتباس من القرآن وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان أحد صديقيه يجيد اللغة الانجليزية ويعرف آدابها فصاروا يجولون فى الجزر البريطانية يقوم ساقى ماجد بالقاء المحاضرات فى أهم المجتمعات باللغة العربيه ويترجمها زميله الى الانكليزية أجتمع الانكليز رجالا ونساء لسماع تلك المحاضرات إلا أنها لم تؤثر فى عقائدهم .وكان أحد المبشرين الايطاليين بامريكا ينشر مقالات فى الطعن على تعاليم الدين الاسلامى ويرسمه بشكل رأس تمساح فاغراً فاه بارز الأسنان ويصفه بالوحشية وأنه يأمر بأكل لحوم البشر فتأثر أعضاء الجمعية الاسلامية وتشاوروا فى خير الوسائل لكبح جماح ذلك المبشر فتطوع ساقى ماجد بأن يذهب الى أمريكا ويرد على ذلك المبشر فى نفس الجريدة التى اعتاد النشر بها ولما كانت حرية الأديان كاملة هناك لا يشوبها شىء من الاضطهاد ولدعاتها أن يجولوا ببعض البلاد بها فطلبت الجمعية الاسلاميه التصريح بها لساقى ماجد الذى تصرح له وسار الى أمريكا غير مبال بطول الشقة وعواصف المشقة وكان اذذاك يدرس اللغة الانجليزية حتى أجادها ولما وصل نيورك وجد هناك خمسة أشخاص أتراك فهم القنصل التركى ومترجم القنصلية والسفير التركى ومترجم السفارة وإمامهم ففرحوا به والتفوا اليه وصاروا يساعدونه فى الرد على ذلك القس الذى اسلفنا عن طرقه للإسلام فقدم ساقى ماجد مقالاته الى الجريدة الامريكية التى كانت تنشر للقس ولكنها رفضت النشر ضد القس فما كان من ساقى ماجد الا أنه رفع قضية بالمحكمة فى نيورك طالب الزام الجريدة بنشر مقالاته فى العمود الذى كانت تنشر به مطاعن القس والحكم له بالتى الف جنيه رد شرف نظير التشهير بالاسلام والحط من كرامة الشرقيين فحكمت المحكمة بنشر مقالات ساقى ماجد فى العمود الذى اعتادت تنشر به مطاعن

ساتى مـــاجد

أو

(شيخ الإسلام بأمريكا الشمالية)

كان هذا أول مجاهد جازف بالدعاية لدين الاسـلام فى قارتى أوربا وأمريكا حتى اعترفت به الأخيرة ولقبته (بشيخ الاسـلام بأمريكا الشماليه) ولد فى دنقلا العجوز سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م كان والداه من الزياداب الذين هم فرع من اليديرية أى (عباسيه) كما رواه مؤلف كتاب صبح الأعشى فى الجزء الرابع بقوله (أبناء بدير العباسيه) .
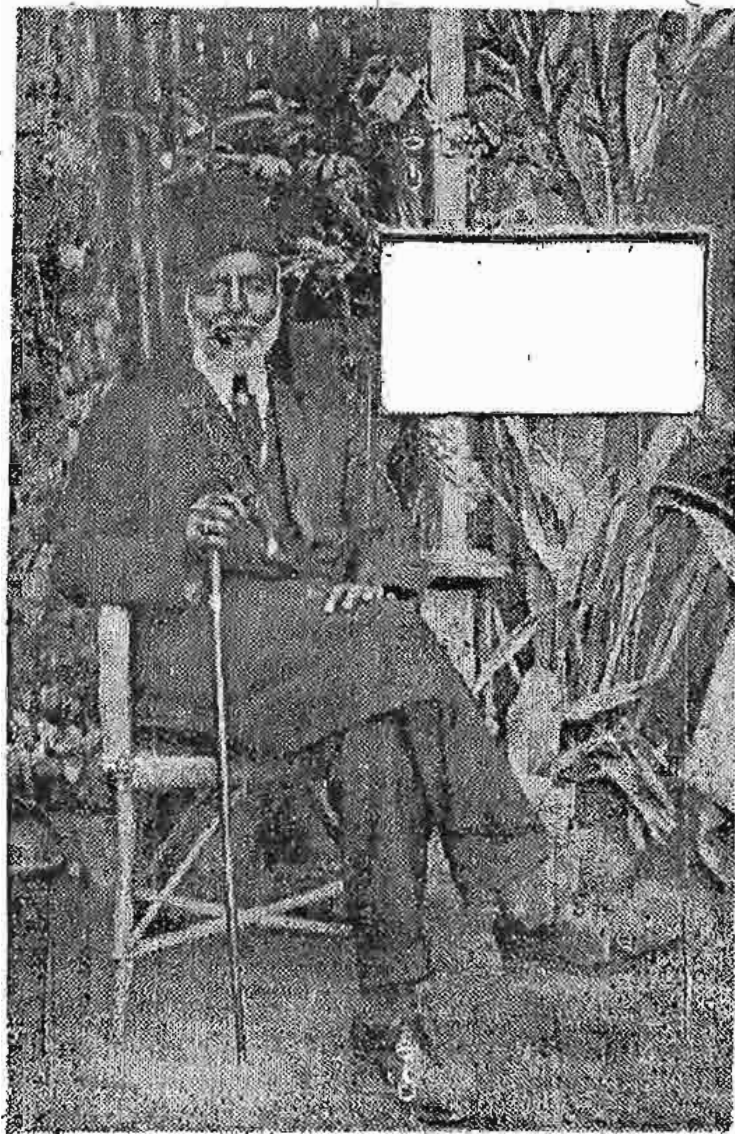
وهيئاتها وأوقاتها كما ورد عن الشارع بدون زيادة ولا نقص ولا تحوير ا وعليهما وعلى
مض حكام المحدودة تحمل آية (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
وحديث (كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة) وحديث (من احدث فى أمرنا هذا
ماليس منه فهو رد — هذا ما تيسر والله ولى التوفيق .

من المطيع والخبيث من الطيب كما في تحويل للقبلة قال تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) ومعنى نعلم هنا نميز وقال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) أى بما رأيته مطابقا للحق وموافقا لحالة المجتمع والمحكوم لهم والمحكوم عليهم وقد أوجب الله على المؤمنين في صدر الاسلام أن يثبت العشرون منهم لمائتين من أعدائهم ويقاتلوهم حتى يغلبوهم ويولوهم الادبار الامتحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة بقوله تعالى (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) نظرا لما كان فيهم من قوة الروح والصلابة والزهد في الحياة ثم بعد مضى ذلك الطور تحضر المسلمون واترفوا وذهبت عنهم تلك الصلابة والقوة والصبر ومالوا الى الملذات نسخ ذلك الحكم تبعا لما طرأ عليهم من الضعف بقوله تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وليس بمعنى علم هنا تجدد علمه بعد أن كان يجهل حقيقته بل معناه بمعنى انه تعالى عالم بما طرأ عليهم من الضعف وبدل الحكم بما يناسب حالهم وفى الآية توضيح خفى على ما صاروا اليه من الضعف ولا تناقض في شيء مما ذكر ولا في شيء مما يشبهها مما في الكتاب والسنة حتى نلجأ في الحكم عليها بالتناسخ المطلق لأن التناقض لا يتحقق الا فيما اتحد فيه القضيتان المتناقضتان في وحدات ثمانية وهى الموضوع والمحمول والزمان والمكان والكلية أو الجزئية والاضافة والشرط والقوة أو الفعل هذا ومما يشرح موضوع لزوم الاجتهاد بعض الشرح حديث معاذ حينما أراد الرسول ارساله الى اليمن فقال له الرسول ما معناه بما تحكم اذا وردت عليك قضية ، فقال معاذ . احكم بما في كتاب الله ، فقال له الرسول فان لم تجد ؟ فقال ، فبسنة رسول الله ، فان لم تجد ، فقال أجتهد رأيى قالوا فضرب الرسول صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله أوكما قال وأما العقائد والعبادات فلا اجتهاد فيها بل يلزم اداءها مع التزام ألفاظها وصورها

بكم العسر) وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

هذا وعلم ما تقدم أن الاجتهاد فى أحكام المسائل الاجتماعية والمسابقات الحيوية وتطبيقها على مصلحة الأمة بحسب الزمان والمكان والحال من أوامر الدين ومن الأمور التى اكمل الله بها هذا الدين واتم به النعمة على المستمسكين به لان حوادث الزمان وتطورات الحياة غير محدودة ولا ثابتة فى مركز محدود بل هى فى صعود وهبوط و تقدم وتأخر دائما ويجب على الأمة الاسلامية ان تحتل افضل المراكز واعلاها فى كل طور وفى كل حال من الأحوال وقد ضرب الله لنا أمثالا كثيرة فى كتابه العزيز أننا نتلو فى كتاب الله قوله تعالى (وما أرسلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل) وقوله تعالى (انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقوله تعالى (وما أنت عليهم بجبار) وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) وأمثال ذلك ثم نتلوا بجانبها قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقوله تعالى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) ثم نتلوا بجانبها قوله تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وأمثالها كل ذلك من باب تبديل الحكم بتبدل الزمن والمكان والحال وهو نسخ غير مطلق بل نسخ للحكم لانتفاء موجبه مطلقا أو موقتا كما أو كيفيا وكلما يتخيل نسخه من القرآن فمن هذا الباب وربما ماكان منسوخا فى وقت يكون ناسخا فى وقت آخر اذا اقتضاه الحال قال الله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) فأحسنه بمعنى وفقه للزمان والمكان والحال لأن أقوال الله تعالى كلها متساوية فى الحسن لذاتها وانما يختلف الحسن العارض بمقتضيات الاحوال وقال تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) أى بأوفق منها للطور الذى انتقل الناس اليه ومن فوائد نسخ الآية أو الحكم بمثله الاختبار وتمييز العاصى

خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون هذا بالنسبة لذات الشخص واما بالنسبة للجمع فان الله تعالى يقول (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ومن المعلوم أن اقامة الصلاة غير مجرد فعل صورة الصلاة . فالصلاة التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هى المقرونة بالخشوع والخضوع والطهارة من الارجاس المعنوية والحسية التى يكون مقيمها مناجيا بها ربه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . (المصلى يناجى ربه) وطبيعى أن الذى يقف أمام ربه خاشعا واثقا بوعده ووعيده مستحضر الهيبة وجلاله خمس مرات فى اليوم لا يستطيع أن يرتكب فحشاء ولا منكرا فى خلال ذلك واما صورة الصلاة الخاليه من الخشوع المشوبه بالرياء والسمعة أو تقليد الغير فى القيام والقعود فقط لا لقصد طاعة الله فلا تنهى صاحبها عن فحشاء ولا منكر وقد قال الله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) وقال فى صفة المنافقين ، (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس) فمن كان كامل الايمان وادرك أن الصلاة تكون موجبة لقوة بدنه وروحه وصحتها وانه يناجى بها ربه وأنها تكون سببا لسعادته وسعادة مجتمعه فى الدنيا والاخرة سهلت عليه وخفت ولا يرى فى ادائها أقل حرج ولا ثقل بل تكون غاية لذاته وسعادته حينما يناجى بها ربه كما قال صلى الله عليه وسلم . (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ومع ذلك فقد خففها الله بان جعلها ركعتين فى السفر وأباح فيه الجمع بين الصلاتين المشتركتين فى الوقت وأباح اداءها للذى يجد تكلفا فى القيام ان يؤديها قاعدا أو مضطجعا أو بالاشارة إذا لم يقدر على غيرها وجعل فى وسيلتها التيمم عند عدم الماء أو كلفة استعماله وأباح فيها المسح على الخفين كما أباح أداء الصلاة بالنعلين وفى ثوب واحد وفى أى مكان أدركه وقتها .

هذا ومن المشاهد المطرد أن السلطان اذا دعا أحد لمحادثته ومناجاته فرح الشخص وافتخر واحب ان تكون مدة مناجاته اكثر مدة مما يأمر به السلطان ويجد فى ذلك لذة وسرورا لشعوره برضاء السلطان عليه ومحبته له واذا اخبره طبيب يثق به بأن فيه مرضا مهلكا وأن دواءه الشق أو القطع والكى المؤلم فانه يسلم نفسه الى ذلك الطبيب ويتحمل كلما يعمله من غير أن يجد حرجا فى نفسه ثقة بقول ذلك الطبيب وايمانا به فكيف المؤمن بالله الواثق بوعده مع هذه التكاليف السهلة وقس على ذلك الصوم وتخفيفاته تاليا قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد

ومعنى النية القصد الباعث للعمل وهو لازم طبعا لكل عمل إختيارى ومحله القلب ولا عبرة بغيره ولايكون العمل السيء المخالف لاوامر الله المضاد لمصلحة الامة حسنا بدعوى حسن النية كما يدعيه البعض .

وأما القياس من حيث مدلول لفظه فهو أمر معقول لا يخلو منه عاقل ولا يستقيم مع الخلو عنه عمل وهو نتيجة الفكر والفقه والاعتبار الذى امتاز به الانسان على غيره وهو الأمر الذى يجب أن يكون الحاكم والمفتى والقاضى ومن يكون مترئسا فى شيء من أمور المسلمين متفوقا فيه والا صار سببا فى تقهقر الأمة وخذلانها .

وأما قياس التمثيل الذى يلجأ اليه بعض الفقهاء وهو الحكم على شيء اخر سابق له نص عليه الشارع لتساويهما فى علة الحكم أو كانت عليه الصفة الجامعة بينهما يقينيه أيضا فلا مراء فى مساواة الحكم وان كان غير ذلك فهو ظنى يجب أن ينظر فيه الى المصلحة الراجحة على حسب الزمان والمكان والحال ويطبق عليها ليؤخذ به أو يترك لأن الاساس مصلحة الأمة وتفوقها وقوتها فى الحياة ومواضيع المسابقات الحيوية وهذا الموضوع مدحك عقول الرجال والهامم فان كثيرا من الناس يسوقهم الغرور والطيش وقلة التجارب وقلة التأمل وعدم معرفة نفسية الأمة وضعف الاستعداد وينتهى بهم الى غير ما يحبون .

وأما الحرج فالمقصود منه ثقل التكاليف والامر الذى يوجد ضيقا فى النفس وتكلفا فى ادائه وسببا للاعراض عنه واستحقاق العذاب بتركه وهذا قد تنزهت عنه التكاليف الاسلامية بصورتها وعوارضها ولنلفت النظر الى أهمها واثقلها وأكبرها معنى وتكلفا على غير الخاشعين الذى قال الله فيه (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) .

والظن هنا بمعنى اليقين لانه من معانيه ، فنقول : (الصلاة فيها رياضة بدنيه توجب استمرار الصحه لمن داوم عليها بعد الطهر الكامل من الادران والنجاسات لاخلاء البدن عن الفضلات الخبيثة والجراثيم الضارة وفى الوقت نفسه فيها رياضة روحية توجب قوتها اذا أقيمت بشروطها وأهمها الخشوع والطهارة الكاملة من أرجاس الشرك والانتماء الى غير الله لان الله تعالى يقول : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ويقول ان الانسان

الله ورسوله وما رضيه الله لنا من الارشادات ويدخل تحته جميع ما أنعم الله به علينا من حكم واحكام ومواعظ وعبر وقصص ذات معان غزيرة ومغاز عاليه وأوامر ونواهي على درجاتها وارشادات كليه وجزئيه ومصالح خاصه وعامة وتفصيلات لكل ما يحتاج اليه البشر فى معاشهم ومعادهم قال تعالى : ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، وكلمه كل شيء هنا نوعى كما يدل عليه السياق ، ومعناها كل شيء يحتاج اليه البشر من الارشادات التى لا توصلهم اليه عقولهم المجردة وهى كقوله تعالى . ما فرطنا فى الكتاب من شيء لان ذلك هو الموضوع الذى أرسل له الرسل وليس المقصود ما يصل الى علم التجارة والحداده والكيمياء أوغير ذلك لانه لا قائل من الانبياء والرسل ارسلوا لذلك نعمى جملة ، اليوم اكملت لكم دينكم ، ضمنته جميع الارشادات والقواعد والوسائل التى تكفل خيرى الدنيا والآخره لمن يتمسكون بها حق التمسك ويضعونها فى مواضعها وهو معنى الاسلام هنا الى قوله تعالى ، ورضيت لكم الاسلام دينا ، بمعنى ورضيت لكم هذا الاسلام الذى اكملته وأتممت به نعمتى عليكم دينا تتمسكون به وتخضعون لاوامره ونواهيه ،

وقد يطلق كلمه (الدنيا) بوجه خاص فى عرف الشارع على الامور التى ليست داخلة فى الموضوع الذى أرسل له رسله ويميز الانسان حسنه من قبيحه بفطرته وتجاربه ، كالزراعــة والتجارة والحدادة وعلم المعادن وما أشبه ذلك ، وعلى المباحات المندوب اليها القابلة للتحسين والتنويع والملذات المباحه التى لا تبلغ من حد السرف والتبذير كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (حبب الى من دنياكم الطيب والنساء) وكما قال (أنتم أعلم بأمور دنياكم) وقد يكون كلمة الدنيا وصفا لموصوف مذكورا ومحذوف كالحياه ونحوها بمعنى القريبة أو الحقيرة أو نحوها كما فى قوله تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) وقوله (تريدون عرض الدنيا) وقوله (ربنا آتنا فى الدنيا حسنه) .

وأما سبيل الله فهو كل طريق يوصل الى رضاء الله وكل عمل مأذون فيه صراحة أو داخل تحت قواعد الدين العامه يقصد به اعلاء كلمة الله بشرط أن يكون تنفيذه مطابقا لارشاداته ووصاياه من فعل خير ودفع شر بالوجوه المشروعة لنفسك أو لامتك أو لدينك وهـو مفهوم من ظواهر آيات الكتاب المحكمه كقوله (وانفقوا فى سبيل الله) كقوله (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ،

وبما أن هذا هو المقصود في السؤال على حسب الظاهر فلنشرحه قليلا فنقول (جملة الأوامر والنواهي باقسامها محدودة كانت في كمها وكيفها وأوقاتها كالصلوات المفروضة وصوم رمضان والحج وحدود بعض الجنايات أو كانت محدودة في الكيف دون الكم ، كالنوافل والصدقات المقيدة بعدم الرياء والمن والايذاء أو غير محدودة في كمها وكيفها ما دام في حيز المباح القواعد العامة وفعل الخير والاستعداد للنوائب . والسعي في طلب الحلال والتفوق في العلوم والصنائع والقوة وأحكام بعض الجنايات والمعاملات ، والمصالح المرسلة التي تتحور على حسب الزمان والحال ، ويوكل أمرها الى أولى الأمر الذين يجب عليهم ان الى ترجيح المصلحة الراجحة للامة وما يفوزون به على غيرهم في معركة الحياة ، ولهذا أوجب الأئمة على القاضي والمفتي أن يكونا مجتهدين دائما ليطبقوا احكام المسائل الاجتماعية الغير المحدودة على ماتقتضيه المصلحة الاسلامية ويضمن سعادتها وفوزها على غيرها ويكون كل ذلك دينا وعبادة بوجه عام وعد الله الثواب عليها أن فعل طاعة لله واتباعا لامره .

ومن غفلة الامه عن هذا الأساس نشأ عن [illegible] تقهقر الامه وخذلانها واستعباد الاجانب لها في كل شيء وقد قلنا أن كلمة الدين وكلمة الدنيا في عرف الشارع بينهما عموم وخصوص [illegible] وتمايز ولا نخطيء ان قلنا ان جميع أوامر الدين داخلة في عموم أوامر الدنيا من حيث المقصود الحقيقي منها ويدرك فاعله ثوابه في الدنيا قبل الآخرة من صحة بدن وسعادة حياة وعلو همه وغيرها . وما وعد الله المتقين لاوامره في الآخرة من النعيم وغفران الذنوب فمن محض فضله ورحمته وان جميع أوامر الدنيا داخلة في أمور الدين من حيث مراقبة الدين لها وهيمنته عليها وبيان حدود الضارة منها والنافعة وما دام الوازع أو المنفذ لاحكام الدين وأوامره ونواهيه مفقودا في هذه البلاد لعدم حكومة اسلامية تقوم ذلك وتوقف كل واحد في حده في المسائل الاجتماعية فيجب على المسلمين أن يحافظوا على الأساس الاول وهو سلوك الطريق الذي يضمن لهم الفوز والسعادة والتفوق في معركة الحياة ويكسبهم القوة والمنعه . وهذا لا يخفى على أحد ذي بصيرة وبصر ينظر بها ما بين يديه وما خلفه ان كان من غير المصابين بداء التقليد العمياني أو داء التعصب الذميم أو حب المصلحه الذاتيه الحقيره .

وأما قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي) فهو شامل لجميع ما جاء عن

الحمد لله وحده

حضرات الأماجد أعضاء ادارة الجمعية المحمديه المحترمين دام توفيقهم آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصل كتابكم الكريم رقم (٢٢٩٥) بما احتوى عليه من الأسئلة المهمة وبما أن أجوبة هذه الاسئلة اذا أريد كتابتها بالتفصيل واستيعاب الأدلة والوجوه تحتاج الى مجلد كبير على الأقل وأن قوتنا وأوقاتنا وعيوننا التى لا نستطيع أن نقرأ بها ولا نكتب لا تساعدنا على ذلك أحببنا أن نكتب عليها كلمة وجيزة جد الايجاز لئلا نرد طلبكم رغما من كل وجه ، فكتبنا هذه الأسطار التى نقدمها على استحياء املاء على بعض التلاميذ . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ونرجوكم المعذرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهى هذه :

ان الدين والدنيا . يطلقان فى اللغة العربية على معان متعددة ، وكذلك فى كلام الشارع وبينهما عموم وخصوص من وجوه ، ويفهم مدلول كل لفظ ومقصوده بحسب المقام والسياق والمقتضى على حسب أسلوب الكتاب والسنة . واشتقاقه من دان يدين بمعنى (خضع) ومن معانى الدين ، الجزاء كما فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) أو يوم الخضوع المطلق وكقوله تعالى (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) وقوله تعالى (وان الدين لواقع) وهى معانيه العبادة أى التقرب الى الله بما أمر أن يتقربوا به اليه . وأهمها العقائد والعبادات كما فى قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) وقوله تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وقوله تعالى (يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) وقوله (لكم دينكم ولى دين) ومن معانيه (القانون السماوى) الذى يجب أن يخضع لحكمه بغير اختيار غير مأذون فيه . ويسلم له تسليما من غير أن يوجد حرج فى النفس ، جزما بان الله أعلم واحكم وأن اختياره للناس خير لهم من اختيارهم لأنفسهم ان كانوا مؤمنين ، وليكون اتباعه وسيلة لهم لنيل سعادتى الدنيا والآخرة ، كما فى قوله تعالى (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقوله تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج)

ويخضعوا لاحكامه ثم سيحاسبوا من عداهم باعمالهم ويفاضلوهم بآثارهم ويخرجوا فائزين من هذا الميدان ولكن طمس الطيش والغرور على عقولهم فاخذوا يصارعون أحكام الله حتى صرعتهم وازلتهم من عروشهم وهم لا يشعرون .

كان يجب عليهم قبل الدخول في ميدان الدعوة الى المبادىء المشرفه أن يزنوا أنفسهم ويتبينوها هل هي من النفوس العاليه المطمئنه التى لا تخاف في الحق لومة لائم ولا تنخدع بخدعة هوى أو عصبية أوهي من النفوس السافلة المذبذبة التى لا تثبت على مبدأ كما كان يجب عليهم عندما نووا الهزيمة والتقهقر عن مبادئهم أن يزنوا ما بأيديهم من الحجج وما في حقائبهم من زاد النفوذ والجاه . هل يكفى في أن يخرجهم من الميدان سالمين ويرجعهم الى مركزهم الأول الذى كانوا عليه قبل الدخول أم لا .

لا أعلم لهم ملهيا عن التفكر في ذلك كله سوى الغرور نسأل الله أن يعافينا واياهم منه .

لعمرك أنى يوم سلع للائم لنفسى ولكن مايرد التلوم
أأمكنت من نفسى عدوى ضلة ألهفى على مافات لوكنت أعلم
لو أن صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابه لم تلقه يتندم

وأما القسم الثالث أى المتجمدون فقد انكشف حالهم واضطربت مسالكهم وعجزوا عن حفظ مراكزهم لكونهم جهالا وارثين متصنعين لاموجودين مؤسسين ولاحكماء محنكين . ولم يبق أمام الجميع إلا أحد أربعة أمور . أما أن يقطعوا النظر على كل ماكان يخطر ببالهم من أمر الخلافة والأمارة والجاه ويزهدوا فى لذة الفخفخه والشيمة ذى القبلة والامتياز باسم النسب ويلتفتوا للصنائع والتجارة ويمتزجوا مع المسلمين ويعيشوا معهم إخوانا بمعنى الكلمة . وأما أن يبيعوا إسلامهم وينضموا إلى إحدى الحكومات الأجنبية ويندمجوا فى إحدى الأجناس الأوربية وينفصلوا عن العالم الاسلامى ماله وماعليه ، وأما أن يرجعوا إلى الدين ويخضعوا لأوامره بمعنى الكلمة ويتخلقوا بمكارم الأخلاق ويستميلوا بها المسلمين حتى يرفعوهم إلى مايحبون بعد طول الاختبار والتمرين وهذا يحتاج إلى صبر طويل لتمكن سوء الظن بهم فى قلوب الناس لما تظاهروا به من الأفعال المتناقضة وأما أن يبقوا على مركزهم اليوم يسافهون الناس ويسافهونهم ويكيدون للناس ويكيدون لهم ويتكبرون ويتكبر عليهم ويكيلون ويكال لهم حتى يصلوا إلى أسفل الدرجات ويلقبهم العالم بألقاب السقوط والحقارة والعار حتى يصل أحدهم إلى التبرىء من نسبه والهروب من بين القوم الذين يعلمون أسمه ولقبه وذلك ما نخشاه عليهم ونعوذ بالله من شره .

وأما حركة عرب جاوه فهى فى الحقيقة متفرعة عن حركة العلويين هذه وتوضيحه إن الذين يسمونهم متنورين من الذين تاقت نفوسهم لادراك الامارة والخلافة فى ضمن الدعوة الاسلامية التى تقدم ذكرها كان قسم عظيم منهم أى من شبان العلويين الذين جاءت موروى وحضر وكانوا من أهل البيوتات الصغيرة المستضعفه بالنسبة للقواعد والعوائد المتبعه بحضرموت وحيث ان اهل المناصب منهم قد اختصوا بالجاه والنفوذ الروحى دونهم واستأثروا بالهدايا والنذور والفخفخة عليهم بغير استحقاق مع انهم سقط منهم فى الادب والعلم وربما يسبقونهم الى مناصب الامارة والخلافة الموهومة فى خيالاتهم عند نضاج تلك الفكرة التى يسعون فى ابرازها وادراكها ، رأوا من

جبل بدون أن يمارس علما من علوم السياسة ، ولا أن يتصف بخلق من الاخلاق العالية ، ولا أن يبرز فى علم من علوم الحياة . فكان حال هذا القسم كحال الرجل الأحمق المعروف بأشعب على ما يحكى وهو انه خرج ذات عشية من داره فاذا رأى فى طريقه عروسا مزفوفة إلى دار زوجها فرجع أشعب إلى داره بسرعة مدهشة وأمر بتنظيم داره ورش ساحتها والطريق المسامته لها . فلما سئل عن سبب ذلك قال لعل أهل العروس إذا رأوا المكان مهيأ يظنون أنه المكان المقصود فيغلطون ويدخلون العروس فى دارى فأغلقها وأدعى انها زوجتى وأتمتع بها .

أما القسم الثانى فخيل إليهم أن إدراك الخلافة والامارة سهل عليهم إذا أزالوا الخلافة العثمانية الموجودة اليوم وهدموا أركانها فاخذت معاول جرائدهم تعمل وحملاتهم تتوالى وشحذوا ألسنتهم من جميع الأقطار وانقضوا على الخلافة التركية من جميع الجهات وأيدهم بعض ساسة الغرب الذين ينتظرون هذه الفرصة الثمينة من أزمان طويله بفارغ الصبر ولله درهم من ساسة . ولقد أدرك القوم من الخلافة العثمانية بعض المرغوب من اسباب الهدم والتقطيع إلا أن الشقة بينهم وبين أمنية الخلافة أصبحت أبعد من ذى قبل والسور الذى كان بينها وبينهم أمسى أمتن وأقوى بدرجات كثيرة .

وأما القسم الثالث فقد بقى على حاله المعروف مظهر الجمود والتصوف ومقاومة الجديد وتقديس القديم لحفظ خط الرجعة للجميع وتلقى المنهزمين واليائسين من القسمين الأولين كما هو مشاهد بالعينين ويفهم بالبداهة خطأ الأقسام الثلاثة من اقتران جميع اعمالهم بالخيبه وانعكاس نتائجها عليهم ولا أعلم لخذلانهم فى جميع المراكز شيئا سوى الغرور والاستعجال المنبثين عن الجهل وقلة التهذيب فقد آب القسم الأول منهم بلقب الرفض وسوء السمعة بين جل المسلمين الذين يهمهم أمر الخلافة كما كان سببا لكشف حال الأدلة الساقطة التى كانوا يموهون بها على العامة ولا يبعد أن يكونوا أيضا سببا لكشف حال أنسابهم وتواريخ آبائهم بجمهم المتوالى . وقد آب القسم الثانى بأقبح مما آب به الأول من تمليك ديارهم وأمتهم للأجانب الذين لا يرضون عنهم كما قال تعالى حتى يتبعوا ملتهم وخذلوا من كان يرعاهم ويترضى عنهم فرجعوا بضعفين من الخزى والعار آسفين على ما ارتكبوه نادمين على ما فعلوه ولات ساعة مندم فما أشبه هذه الحالة بحالة من قال :

خطوات العرب بجاوة

وفكرتنا الخصوصية فيها

إن خطوات عرب جاوة تابعة فى الحقيقة لحركة عامة المسلمين إلا أن مبدأها غير المبدأ العام فى مقاصده ووسائله . وغير خاف ولا مجهول إن المسلمين من أول هذا القرن تحركت فيهم روح جديدة قد كانت مدوخة منذ قرون عديدة بفضل المجهودات العظيمة التى بذلها الساسة الروحيون الماديون ومن لهم التأثير من المتفقهين والمتصوفين عالمين وغير عالمين ممن أميتت قلوبهم بحب الفخفخة ، وسكرت نفوسهم بثناء العامة وركبت أدمغتهم على تحالف الخالفة والشقاق بدون نظر إلى حق أو باطل ، ومشروع أو مبتدع فكان من حركة تلك الروح الدينية . والنهضة العلمية ، ماهو معروف بين الأحزاب الناهضين وبين الزعماء الروحيين والمتفيقهين من المعارك الأدبية فى جميع الأقطار ولما كانت تلك الحركة قائمة على أساس الرجوع إلى أصول الدين تحرك فى بعضهم العلويون إلى تمثيل أدوارهم الماضية فى طلب الخلافة الإسلامية والزعامة العربية متوكئين كما اعتادوا على عصا الانتساب إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون ان يعدوا العدة الكافية لنيل ما يرومونه من العلوم والمعارف والصنائع والأخلاق الجاذبية لأرواح الأمم . وقد انقسموا فى أعمالهم كهيآت منظمة باتفاق أو بغير اتفاق على ثلاثة أقسام وسكر الجميع بخمرة هذا الأمل البعيد وظلوا فى وادى هذا المطلب الخطير الذى لايدرك فى هذا اليوم بالأمانى والانتساب ، ولا بالتفنن فى قواعد التصريف والاعراب ، ولا بالعكوف عند المنبر والمحراب . فطفق قسم منهم يخطىء الخلفاء الراشدين فى إقدامهم على الخلافة والأمارة دون جدهم على زعمهم ويفسق الصحابة فى مقاومته ورده وليس غرضه من ذلك على مايظهر إحقاق حق ولا إبطال باطل وإنما غرضه طلب الخلافة لنفسه من طريق الوراثة وتهديد من ينازعه بالتفسيق الذى ألصقه بمن نازعوا جدهم ليصلوا إلى ذلك المنصب العالى ، هكذا كالتمثال الذى ينصب على رأس

الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم . ليت شعرى كيف غلت الأيدى وفترت الهمم وضنت تلك النفوس الصغيرة بالمساهمة فى الأعمال الخيرية رجاء الثواب وحسن المآب ؟ وفاتها أن المسلم قوته بإيمانه وعزه بدينه وثقته بربه الذى فرض عليه عون أخيه وتكفل لهما بالرزق بقوله تعالى « وفى السماء رزقكم وما توعدون » هذا وماسبح الغربيون فى الجوزاء وغاصوا بين لجج الماء إلا بفضل ثرائهم وتقدير حكوماتهم . إذن فماذا يضرنا إن ألفنا الجمعيات وواصلنا التبرعات لشد اواصر المجتمع واعداد تلك النفوس الطامحة الوثابه لتلقى اسمى الفيوضات واستلهام الهدى ورشف افاويق الحضارة التى مدت قطوفها للجانى من بنى الانسان فى القرن العشرين الذ دهش العالم فيه لما شاهدوه من فلسفة الصناعة والاختراعات الدالة على سمو مدارك البشر : هذا وقبل ان نذهب بالقارىء بعيداً فنقول له إن الأعمال والجهود الجبارة التى قام بها الأستاذ احمد محمد سوركتى لهى اكثر وأجل من ان تحصر فى مثل هذه المذكرة الوجيزة وانه رفع رأس السودان عاليا فى جاوه ولولا ماهنالك من الموانع الشرعية لاقترحنا عمل تمثال يقام له فى وسط جزيرة ارقو تخليداً لذكراه ولكن التاريخ احرى واضمن بأن يجعل له حياة ثانية تبقى ما بقى الجديدان وتبادل الفرقدان .

وفى سنة ١٩٤٣ توفى إلى رحمة مولاه فى بتاويا واحتفل بدفنه احتفالا عظيما تغمده الله برحمته :

ثرواتهم عن مجارات أولئك السابقين فى مضمار البذل والاحسان مع أنهم ربما يفوقون غيرهم فى الجهاد بأنفسهم فى سبيل الله كحضرات الأدباء الشيخ على بن سعيد بن مغيث والشيخ سالم بن عمر بلفاس والشيخ عبد الله بن عبد القادر بن هرهرة ومن نحا نحوهم من أبطال الاصلاح والارشاد عن أمنية الاحسان. فعسى الله أن يحفظ اعمالهم الصالحة وعزائمهم الصادقة : وسنذكر إنشاء الله آثارهم وما لاقوا من الابتلاءات فى سبيل إصلاح أمتهم مع إخوانهم القاطنين فى بلدان جاوه الأخرى انشاء الله تعالى ليكون تذكرة للاتين وعبرة للمعتبرين . أما من هم وراء أولئك من الخشب المسندة الذين يعدون بالمئات أو الالوف فحالهم كالأنعام بل هم اضل سبيلا ولايستحقون الذكر مع المذكورين حتى ولا باللعنة . فتعسا لهم وسحقا لأموالهم التى أساسها السحت وتمامها الفساد وقانا الله من شرورهم . هذا وأرانى أترك واجباً أقضى عما لاينبغى الاغضاء عنه إن لم آتى الثناء الجميل على أولئك السادات العظام الذين بذلوا الأموال وجادوا بتلك الهبات العظيمة للمدرسة الخيرية . أمد الله الجميع بالتوفيق لمرضاته . ولولا أن جريدة حضرموت قد سبقتنا لنشر أسمائهم لتشرفت الذخيرة بذكرهم تفصيلا . فعلى منوالهم فلينسج الناسجون . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . .

إن الاسهاب فى ترجمة السيد أحمد محمد سوركتى اضطرنا إلى كشف النقاب عن تاريخ شعب نبيل تربطنا به رابطة الدين والجنس واللغة مهما نأت الأوطان وتمددت سبل المواصلات .

وما كان يخطر بالبال أو يتاح الكلام عن العلاقة به لولا أن قيض الله لها هذا المصلح الذى وضع حجر الزاوية فى نهضة الثقافة هناك . واماط لنا اللثام عن تلك المكارم الممتازة والهبات المشرفة لأولئك السادة الذين ضربوا الرقم القياسى وحملوا لواء الاحسان وساروا بأمتهم سيراً حثيثاً فى هذا المعترك . فكانوا بذلك قدوة حسنة لمن هم دونهم إقداما من مواطنيهم . ان فى ذلك لعبرة وذكرى لأولى الالباب من الجاويين خاصة وشعوب الشرق عامة التى لم تزل تتلكع فى سبيل الاصلاح بدفع جزء من فضول تلك الثروات الطائلة خوف الوقوع فى وعيد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل

الناس يتعاملون فيه بالوجوه والوعود دون النقود . ولقد التجأ هؤلاء إلى التنازل من هذه المبالغ العظيمة التي ربما لا يجمعون مثلها في سنة كاملة لشدة تفانيهم في حب الخير ومعرفتهم قيمة العلم والتعليم وابتغاء لمرضاة الله وعدم رضاء نفوسهم الشماء بالدون لا غير ..

إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فنهنئهم على هذا التوفيق ونشكر لهم هذا السعي المبرور الذي قلما وفق لمثاله جواد في تلك الديار في مثل هذا الوقت العصيب (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فبمثل هذه النفوس السمحاء ترقى الأمة ويعم العلم وتنتشر مكارم الأخلاق ، وبمثل هؤلاء الرجال تدرك الغايات العظيمة وتذلل المصاعب . لا بمثل أولئك المحرومين الذين لا حظ لهم في الدين ولا ذكر لهم عند أهله . أعني الذين لا يزالون يتطاولون في البنيان ويتباهون بالفساد في الأرض . أولئك الذين كانوا يناجون الله في أيام فقرهم وقد كانوا عاهدوه بتلك العهود الغليظة التي أحصاها الله ونسوها . قائلين . لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين : فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . هذا ولا ريب أنه بما يجمل بالحكومة ويحسن بتاريخها ويرغم الناس على الاعتراف بفضلها . أن تحترم أولئك الكرام المتبرعين ، وتعرف قدر إنسانيتهم وترفق بهم وتأخذ بأيديهم ليتلوا الانسانية ولينشروا مكارم الأخلاق . ويفيدوا البلاد والحكومة بأعمالهم الخيرية لأنها تؤدي بذلك واجب [illegible] الانسانية [illegible]

[illegible] التي نحن بها فقد يوجد فيها عشرات من أغنياء العرب الذين يملكون عشرات [illegible] مثاتها . ولكنك قلما تجد بينهم لمن يجيب داعي الخير . أو يمديد المساعدة في أمر [illegible] أفرادا يعدون على أطراف الأصابع أجلهم وأسرعهم في ذلك حضرة الماجد المفضال [illegible] بن يوسف منقوش رئيس العرب بها وصنوه في الفضل والسماحة الشيخ سعيد بن [illegible] ويتلوهما السيد [illegible]

[illegible] والشيخ سعيد عبد العزيز . يلحق بهؤلاء أفراد قليلون علت هممهم وقصرت

الشيخ سالم باشميله عنه ولأخيه أيضاً مقدار ٨٠٠٠ ربية . وختم مجلسهم بالاحسان حضرة الغيور الشيخ سالم بن سعد بن نبهان عنه وعن أخيه الماجد متبرعا بمبلغ ٦٠٠٠ ربية . فبلغ مجموع ماتبرع به الخمسة الأفاضل فى ذلك المجلس ٤٨٠٠٠ من الربيات .

ولشدة حرصهم على تنفيذ هذا العزم وإيصال هذا الخير الذى أنعم الله عليهم بالتوفيق إليه . قاموا فى الحين إلى محل النوتاريس « أى العدل المنصوب من جهة الحكومة لتسجيل الأوقاف وغيرها » وطلبوا إلى الأفوكات « أى المحامى المدنى » الذى أمرهم بتنظيم صورة تمليك الوقفية التى يريدونها . وبعد تنظيمها على الوجه المطلوب . أمضى الجميع على ذلك بعد أن دفع كل واحد منهم ألفا من ذلك على يد النوتاريس قبل الإمضاء لتكوين أصل الوقف وتحقيق حيثيته أولا على حسب قانون الحكومة . ووضعوا ذلك المبلغ فى المصرف المتفق عليه بواسطة العدل . ثم كتب الجميع سندات رسمية بواسطة النوتاريس على أنفسهم مضمونها أنهم مدينون لهذا الوقف بما تبرعوا له به من المبالغ ، وأنهم يدفعون ذلك مقسطاً فى مدة ثمانية أشهر للوكيل المنتخب لحفظ المال والذى يلزمه أن يضع كل مايستلمه فى المصرف الذى اتفقوا عليه لوقت الحاجة . على أنه لايجوز له أن يتصرف فيه لأى غرض غير التعليم ووسائله وبعد الامضاء فى جميع تلك الأوراق انقلب الجميع إلى أهليهم شاكرين الله على ما من به عليهم من التوفيق ، طامعين فى فضله العظيم أن يتقبلها منهم قبولا حسناً موقنين بوعده الذى وعد به المحسنين فى قوله تعالى « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه . وهو خير الرازقين(١) . هذا ولاينبغى أن نستغرب هذا التوفيق . فانما ذلك نتيجة كسب المال من الطرق الشريفة التى أحلها الله . وأما من جمع المال من الوجوه المحرمة والطرق الخسيسة فيبعد كل البعد أن يوفق لمثل ذلك . وسننشر فى فرصة أخرى نص المكاتبة التى سجلت بديوان العدل مترجمة إنشاء الله تعالى . وبعد أربعة أيام قضيناها معهم مسرورين شاكرين لفضلهم معجبين بتلك الهمم العالية والعزائم الماضية . بارحنا مدينة سورابايا تاركين كثيراً من أهل الفضل والاحسان من افاضلها على جناح اللحوق بأولئك المحسنين بالمشاركة لهم فى هذا الخير العميم . ولعلنا نوافى القراء بأسمائهم فى اعداد الذخيرة الآتيه إنشاء الله . ذلك ماحظينا به من نعمة التوفيق التى يحسن التحدث بها شكراً لله تعالى وطمعاً فى المزيد منها لقوله تعالى « لئن شكرتم لأزيدنكم » ولقوله تعالى « وأما بنعمة ربك فحدث » . وبالخصوص فى هذا الوقت الحرج الذى أصبح

---

(١) ماذا يضر أثريائنا لو اتفقوا جميعاً لخدمة العلم وبلادنا لم تزل فى الدرك الاسفل من الجهل وليس أدل على ذلك من رجل من جبال الميدوب بدار فور تزوج بنت أخيه شقيقه ولم يعرف الحرمة حتى استولدها بضعة أولاد قبل فسخ زواجه بمحكمة كتم الشرعية على يد القاضى الاستاذ حسين حسن سعد

فشاع خبره وذاع وكاد يخترق السبع الطباق فى بلاد الهند ونال إعجاب الطائفة المتنورة خصوصاً الافرنج الذين شحنوا مؤلفاتهم بالاطراء والثناء على رجل غريب وحيد يجاهد كالجندى المجهول بين ٠٠٠٠٠٠و٦٠٠٠٠٠٠٠ نسمة حتى فرض عليهم احترامه . وصارت ترد إليه الفتاوى الدينية من الأفراد والجماعات ومافتىء يواصل ليله بنهاره فى تحرير الفتاوى وتأليف الرسائل الدينية حتى كان [illegible] المدينة ، وما هو حتى الآن أى سنة ١٣٥٩ هـ : ١٩٤٠ م يزاول عمله بهمة لايعتورها كلل ولايخالطها ملل هذا ونرجع بالقارىء إلى إتمام الكلام عن مكارم الجاويين وتقديرهم للعلم والعلماء .

مبرة عظيمة

فى سنة ١٣٤٢ هـ . ١٩٢٤ م

إنه لمما يدعو إلى الغبطة والسرور ما قرأناه فى مجلة الذخيرة الاسلامية بعددها الصادر فى رجب سنة ١٣٤٢ هـ عن تبرعات المحسنين فى تلك البلاد لأوقاف مدارس الارشاد وهو

«شكران على إحسان»

قد كان فضل الله تعالى أن حركتنا إرادته السامية فى غرة هذا الشهر المبارك أى شهر جمادى الأول من هذه السنة سرت من مقرنا بيتافيا إلى مدينة «سوروبايا» زيارة لمدرسة الارشاد القائمة هناك . وبمناسبة حضورنا عقد الاخوان الارشاديون مجلساً مختصراً للمذاكرة فى شأن التعليم ومصالح الجمعية . وبعد الفراغ من المذاكرة فى الشؤون المهمة التى عقد لأجلها المجلس صادف أن جرت المذاكرة فى مالية تلك المدرسة مع خمسة من أولى العزم والأريحة من الرجال الذين كانوا حاضرين يقيموا وقفاً خاصاً أبدياً لضمان استمرار حياة المدرسة وتقوية تعاليمها واستحسنوا أن يبدؤا أولا بأنفسهم بوضع أساس هذا الوقف . ثم يدعوا غيرهم بعد ذلك إلى مشاركتهم فى هذا الخير . فتبرع حضرة الجواد الشهير الشيخ ربيع بن مبارك بن طالب بمبلغ ١٥٠٠٠ من الربيات . وتلاه حضرة الماجد الشيخ عثمان بن محمد العمودى متبرعا ١١٠٠٠ ربية وتلاهما الشاب الأصيل مثال المروءة والنشاط الشيخ أبو بكر بن أحمد باشراحيل عنه وعن أخيه الأكبر الشيخ سالم بن أحمد باشراحيل بـ ٨٠٠٠ ربية . وقد حضرة السرى النجيب

ويقولون بعدم كفاءة المسلم لزواج المرأة العلوية أثار عواطف المسلمين في جاوه واستهدف أولئك المجازفون لسهام النقد المر إذ وجد الأستاذ أحمد محمد سوركتي المجال ذا سعة للحملة عليهم وإقامة الدليل القطعي على فساد دعواهم ودحض حججهم التي كانت أوهى من حبال العنكبوت . كيف لا وقال الله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولم يقيد الكريم بانه عربي أو زنجي . بل حكم أزليا بالفضلية التقي مهما كان عنصره . ولما نزلت الآية الشريفة « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا العام والخاص وطلب أن ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال « يافاطمة بنت محمد . وياصفية بنت عبد المطلب ويابني عبد المطلب . لا املك لكم من الله شيئا . غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها » . ثم قال « يابني هاشم لايأتين الناس يوم القيامة بالآخرة على ظهورهم . وتأتونها بالدنيا على ظهوركم . لا أغنى عنكم من الله شيئا » .

روى عن الاصمعي رضى الله عنه أنه رأى علي بن الحسين رضى الله عنهما باكيا من شدة خوفه من الله تعالى . قال له ياسيدي ماهذا البكاء وما هذا الجزع وأنت من أهل بيت النبوة . أليس الله تعالى يقول . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا . قال يا اصمعي هيهات . إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا . وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا » وقال الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه « الشرف كل الشرف من يشرفه عمله . والسودد كل السودد من اتقى ربه » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وقال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد أحمد بن ادريس الشرف طال وليس على فروج النساء اقفالاى ذروا الاتكال على عصا الانساب واعملوا عملا مجديا كما قيل « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » هذا قليل من كثير مما ورد في هذا الموضوع إذن لامكان لافضلية إلا أن كل ما أوردناه لايتعارض مع محبة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لاسيما الصالح منهم أما الذي يخرج عن جادة الاعتدال ويذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال المجاهر بالكبائر كالزاني وشارب الخمر ولاعب الميسر والمدلس المتظاهر بالصلاح لاستدرار عطف المسلمين لابتزاز أموالهم . ومطية الاستعمار الذي يستعمل نفوذه الديني لاخضاع المسلمين لمن هو على غير دينهم وهو يعلم علم اليقين أن الذي يسعى لاخضاع المسلمين له إنما هو عدو في ثوب صديق . قد يعمل على إرهاق المسلمين وهدم دينهم !! أفهل يجوز لنا شرعا نعتقد افضلية من أمثال هذا . ولاغرو أن الجواب سلبيا أكثر منه إيجابيا . وحاصل القول ان الاستاذ احمد محمد سوركتي عاد من جهاده مرفوع الرأس ظافرا منصورا

الدينية الصحيحة . فتألفت جمعية خيرية كانت تتكون من صفوة الجاويين تحت رئاسة الأستاذ أحمد محمد سوركتي فأعدت تلك الجمعيه المال اللازم لانشاء مدارس الارشاد التي خطت خطوات موفقة حتى بلغ مجموع مدارس الارشاد ثلاثين مدرسة وقد جلب الأستاذ أحمد محمد سوركتي المدرسين من السودان كالمشايخ .

١ — الشيخ أحمد العاقب الحسيني .

٢ — الشيخ محمد ... دنقلاوي

٣ — الشيخ صديق ... سوركتي هذا ابن أخي الأستاذ أحمد محمد سوركتي ونائبه في ... نيا .

٤ — الشيخ ... وز دنقلاوي .

٥ — الشيخ ... ن حامد

قد استخدم بعض خريجي مدارس الارشاد مدرسين بها واحضرت لهم حكومة هولنده مدرسين هولنديين لتعليم اللغة الهولندية على حساب الحكومة وما يحسن ذكره أن الأستاذ أحمد محمد سوركتي صار يعرف أربع لغات العربية والنوبية والمالزية والهولندية .وأصدر مجله دينية أسماها الذخيرة الاسلامية أرسل لي مجلدا عن سنة منها في عرم ... ١٣٠ هـ . وفبراير سنة ١٩٤٠ م فقرأت منها بحوثا دينية وفتاوى تدل بوضوح ... سعة المحرر وغزارة مادته . وكانت بها بعض مقالات في الدفاع ضد الحملة التي قام ... العلويون فاليك مثال بما كانوا يسوقونه من الحجج والبراهين على افضلية العلويين على ... وضعوا في ذلك رسائل عديده . وكانت تلك الضجة الصحفيه مشارا لاصح... من الآيات البينات التي أدلى بها الأستاذ أحمد محمد سوركتي وقوة يقين... ته ولاغرابة .

إذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود - -

الحرب القلمية التي اثارها أولئك الشيعة القائلين بافضلية العلويين على سائر ... بلافرق ولا تمييز واخذوا يؤلفون الرسائل لاثبات ذلك الاعتبار ...

دعلومة . ولقد سافر من مكة المكرمة إلى جاوه فى سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١١ م واستلم مهام منصبه الجديد . ومما يؤسف له كان من أولئك الأشراف أومن أتباعهم جماعة يعتقدون مذهب الشيعة ويتظاهرون بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فأراد أولئك العبث بعقائد الطلبة من طريق غير مباشر . فأرادوا أن يدسوا فى برنامج التعليم بعض عقائدهم التى لاتتفق بحال من الأحوال مع ظاهر الشريعة الاسلامية مثال ذلك القول بأفضلية العلويين على سائر البشر ماعدا النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهناك ارتطمت سفينة الاتفاق فى صخور تلك النزعات التى يراد دسها على العقائد على يد احمد محمد سوركتى الذى كان يقظا دقيق الملاحظة ولكنه أبى عليهم ذلك ولما حاولوا اضطهاده انعكست الآية وكانت النهاية بداية فانه أنصرف عنهم ولسان حاله يردد قول الشاعر

امطرى لؤلؤا سماء سرنديب وفيضى آبار تكرور تبرا
أنا ماعشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست اعدم قبرا
همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا

ومما زاد الطين بلة أن العلويين يرون عدم كفاءة المسلم مهما كان شأنه لزواج المرأة العلوية وإن كانت فقيرة، فكتب أحدهم يطلب الافتاء فى هذا الأشكال ، فأفتى الاستاذ أحمد محمد سوركتى بجواز زواج المسلم بالعلوية المسلمة وحدث هناك هرج ومرج (١) وكانت للعلويين جريدة تعبر عن أغراضهم فأخذت تنشر مقالات تكيل فيها الطعن جزافا بدون أن تقيم للحقيقة وزنا . وليت الأمر وقف عند ذلك الحد كلا بل صار جماعة من المتطرفين يكتبون للاستاذ أنذارا يتوعدونه فيها بالقتل والتنكيل ويرسمون له بخناجر ومسدسات فلا يكاد يفض ظرفا يرد اليه فى البريد الا يرى فيه شيئا من ذلك ولكنه كان يقابل تلك الأعمال الصبيانية الغاشمة بغاية التؤدة ورباطة الجاش . ووشوا به إلى الانكليز زاعمين انه قام بدعاية لصالح تركيا فى إبان الحرب العظمى ولما اراد هؤلاء القبض عليه حال حاكم هولندا بينهم وبين مايشتهون لاعتبار الاستاذ تابعا لحمايته . وقد صرح له حاكم عام هولنده بفتح مدارس اسلامية لمدة ثلاثين عاما واطلق له الحرية بأن يعلم ويضع البرنامج الذى يراه كافلا لحاجة البلاد وقد وجد من الجاويين أمة بارة كريمة الشمائل ذات استعداد للنهضة ونفوسا خصبة لقبول التعاليم

---

(١) اذا كان الغرض صون تلك الارحام الطاهرة من هو دونها فكيف لايترفع الاشراف عن اراقة نطفهم فى أرحام الجوارى وغيرهن من وضيعات الحسب والنسب وهم أولى بالتنزيه مع أن الكفاءة عندها الشرع ولم يترك مجالا لقائل ولايخفى ان حرمان الشريفة من متعة الزواج والذرية كما يتمتع أخوها مسألة فيها نظر ! قد لاتتفق مع العدل وسلامة الذوق لانها رغاتبق الى سن الشيخوخة وذهاب بهجة الشباب ، وذلك سجن لغير ذنب سوى نسبتها لآل البيت

« انكلترا »

تملك انكلترا من جزر الهند اربع جزر مهمة وهى ١- جزيرة بورنيو الشمالية بريطانية ٢- جزيرة ساراواك التي تقع فى الشمال الغربى من بورنيو ٣- سنة برونای ٤- جزيرة لبوان الكائنة بالقرب من ساحل جزيرة بورنيو الشمالى الغربى وهذه جزء من مستعمرات المضيق . وأهم صادراتها الين والساجو والتبغ والصمغ المرن والتوابل والطباق والتبيوكا وزيت البترول والفحم الجيد .

(الولايات المتحدة)

تملك الولايات المتحدة الامريكية جزر الفلبين الممتدة بين جزيرة فرموزه وجزائر سيليب وأشهر تلك الجزر لوزون ومنداناه . وهذه الجزر تربتها جبليه كثيرة البراكين وبها غابات كثيفة . وبالر‍‍‍ن ذلك فانها خصبة وتبلغ مساحتها ربع مساحة القطر المصرى ويربو عدد ها على ١٢٠٠٠٠٠٠ نسمة . وعاصمتها « مانيلا » ومناخها حار كثير الرطوبة م حاصلاتها القنب والسكر والتبغ والسجاير والارز وزيت جوز الهند الخ .

هذا ولنرجع لتمام ترجمة الأستاذ احمد محمد سوركتى فنقول إنه وجد المجال ذا سعة لاظهار مواهبه ‍ة المثال . وما كان اشتغاله بالدرس يثنى همته عن المذاكرة والاطلاع حتى صار ‍ ‍قرأ بشتى العلوم الدينية والعقلية والاجتماعية والسياسيه كانما عناه الشاعر ب‍

الذكاء فانه	اذكى	وابراع	من اياسه
‍حى البديع رفيقه	الا	تفرد	فى جناسه
‍ أى فن شئته	فكانه	بانى	أساسه

كانت فى جاوه جمعية تسمى « جمعية خير » أسسها جماعة من الأشراف المعروفين بالعلويين ولهذه الجمعية مدرسة كانت فى حاجة إلى مدرس يعلم الناشئة التعليم ‍ى . فمن أجل ذلك استدعى الاستاذ أحمد محمد سوركتي للخدمة هناك بشروط

بعض احفاد المؤلف فى الشمال والدهم السيد عبد الرحمن اسماعيل البيلى الموظف بمالية السودان .
أما والدتهم فالسيدة حسنى كريمة المؤلف وأحمد جمال الدين محمد عبد الرحيم وفى اليمين السيد محمد أبو زيد خال والد الأول وجد أحمد لأمه .

أرجو الله أن يرعاهم فينبتهم نباتاً حسناً إنه بالاجابة جدير

بين الأمور الادارية وبديهى ان الاعضاء لايجرمون الى ابداء رأى يتعارض مع هوى المستعمر الذى يشرف على تلك الاراء ويمحصها تمحيصاً قد لا يتفق مع رغبة الأمة التى تضطر الى الاذعان والرضى بما يرضى السياسة الهولنديه وهذا الضرب معمول به فى كل زمان ومكان أوقعه سوء الحظ وتعس الطالع فى مخالب الاستعمار واذا تبرم الناس وشكوا جوراً قيل لهم هذا مما وضعه الاعضاء الوطنيون ورأوا فيه صالح البلاد وهذا امضى لجام لكم الأفواه عن المعارضة وحاصل القول ان اعضاء المجالس مسيرون لامخيرون والذى يشمئز ويأبى طبعه الانقياد والطاعة العمياء وصف بالشذوذ وعدم الاخلاص فأبعد عن العضوية وتألب المرشحون لها من رواد الظهور وعفاة الشهرة فما أكثرهم فى أحوال كهذه وليس أدل على ذلك من منافسة المرشحين لعضوية المجالس البلدية فى بلادنا وما يجودون به فى سبيل الدعاية مع انهم أبخل من مادر

« البرتغال »

تملك البرتغال النصف الشرقي من جزيرة تيمور . وهذه القسمة وان كانت صغيرة بالنسبة لاولوية البرتغاليين في استعمار تلك البلاد ولكن مابيدهم الآن لا يستهان به لما هناك من كثرة المحصولات كالبن والكاكاو وجوز الطيب والفلفل وزيت البترول وغيرها من المعادن .

« هولنده »

تملك هولنده معظم جزر الهند الشرقية وأشهرها سومطرة وجاوه وسيليب ونحو ثلاثة ارباع جزيرة بورنيو . ثم جزائر الملوك وجزائر سنده الصغرى والنصف الغربي من جزيرة تيمور وغانه الجديدة . هذا وكانت تعامل هولنده الأهالي هناك معاملة حسنه إلا أنها صارت أخيراً تتدخل في شؤونهم الدينية كالأوقاف والوصايا والمواريث اوالانكحة إذ تعارض في تعدد الزوجات ونحو ذلك من التعسف الذي يتعارض مع النواميس الدينية . ولقد نبت نفس الأهالي وأبوا الاذعان والانقياد الاعمى لسلت لذلك الخلط وقلب الأوضاع الاسلامية . ولكنهم مكرهون على السير مع القوة ولست أدرى اتجنح تلك الحكومة المتمدنة إلى السلام احتفاظا بولاء الأهالي أم تصر على الاسترسال في خططها المعوجة التي لايرضاها المسلمون أياكانوا وليس في جاوه فقط !!

اما طريقة الأحكام ووضع اللوائح والقوانين فهي ان في البلاد استقلالا صوريا أشبه شيء بادارة المحاكم الأهلية في السودان . فالحاكم العام الهولندي والذي يتلقى الأوامر من ناظر المستعمرات الهولندية وينفذها بواسطة رؤساء الادارات كادارة العدلية . والمالية والمعارف والزراعة والصناعة والتجارة والاشغال العمومية

والحربية والبحرية . والسكرتارية العمومية Couverement qedyyoen industries

نصف أعضاء هذا المجلس تنتخبهم الأمة والنصف الثاني يعينه الحاكم العام . وهذا المجلس يؤخذ رأيه في الأمور المهمة من فرض الضرائب وغيرها

الفريقان فى واقعة بحرية فاز فيها الهولنديون ومنى البرتغاليون بخسائر فادحة . وكانت من نتائج تلك الحرب خروج البرتغال من جزر الهند الشرقية .

وفى سنة ١٦١٧ م عين « Jan pieterst » أول حاكم عام من قبل هولند لجزر الهند الشرقية . وفى ١٢ مارس سنة ١٦١٩ م سميت القلعة التى كانت قاعدة حربية لجيوش هولند « بتافيا » وفى ٣٠ مارس من السنة المذكورة ترحل الناس إلى المدينة وصارت عاصمة لتلك الجزر إلى سنة ١٣٥٩ هـ . ١٩٤٠ م

« الحكومة »

إن الجزر الهندية الشرقية تهيمن عليها الآن أربع دول التى هى البرتغال وهولند وانكلترا والولايات المتحدة الأمريكية . وها نحن نأتى ببيان ما لكل دولة من السيطرة والنفوذ على تلك الجزر الهندية الشرقية فنقول .

وأنها أشبه شيء بمدينة الخرطوم من جودة النظام والتأنق فى البناء وتكتنفها من الشمال جبال كجبل كينا الذى يسميه الأهالى « ميرو Meyro » وفى جنوبها على مسافة ٨ أيام جبل « كلمنجارو Kalmincnro » يحيط بهذه المدينة ودية وينابيع تتفجر منها المياه . أما الأصل فى سكان نيروبى « مساى Messai » و « كوكيو Cocio » فالاولى وثنيوا ما الثانيه فقد أسلم بعضها . وقد أصبح أغلب السكان من العرب والهنود والصومال والافرنج وغيرهم ويوجد بها خمسه جوامع وهناك شركات جمة وقناصل لايطاليا وفرنسا . ويقوم فى تلك المدينه تمثال للملكة فكتوريا وثلاثة تماثيل أخرى أحدها لجندى عربى والثانى لجندى سواحلى والثالث لجندى زنجى رمزا إلى شجاعة الثلاثة عناصر التى مهدت للنفوذ البريطانى فى تلك المجاهل . هذا وكانت سلطنة زنجبار تهيمن على تلك البلاد زمنا طويلا بدون منافس . ولما أذاع مستر ستنلى وغيره أخبار تلك البلاد أرسلت انكلترا الشركة الأفريقيه الشرقيه إلى زنجبار وفوضت لها فى بناء السفن التجارية المسلحه : فطلبت هذه قطعه أرض من سلطان زنجبار فاقطعها الأرض المطلوبة وصار رئيس تلك الشركة يتحكك بالسلطان ويستدرجه بالهدايا إلى أن أرضاه بزيارة لندن لمقابلة الملكة فكتوريا وفعلا سار سلطان زنجبار إلى لندن وأكرم بها وهناك تدخل الانكليز فى شئون سلطنته ولم يزالوا كذلك حتى أعلنوا الحماية على بلاده وقوض نفوذه وأصبح الآن كالمكاصوريا مغلول اليد فى بلاده كغيره من ملوك الاسلام الذين وقعوا فى مخالب الاستعمار .

Cheribon من التغلب على الملك البوذى واستولى على (بنتان BANTAN
وقد كان ذلك سببا فى احتكار البرتغاليين لتجارة الجزر الهندية الشرقية . واشتدت تلك
الحركة التجارية بين سنة ١٥٩٠ و ١٦١٠ م حيث بلغت البواخر البرتغالية فى ٠ واطىء
الجزر بين ١٥٠ و ٢٥٠ باخرة فى كل قافلة . وكانت لسبونه Lessabon أغنى
المواني الأوربية بسبب ذلك النشاط . وفى سنة ١٥٧٧ م جاء المشتر دريك Drake
الانكليزى فى أثناء سياحته حول الأرض فمر بجزائر الملوك Kings port
ووصف تلك الجزر فى رحلته . وفى سنة ١٥٩٤ م منع البرتغاليون دخول البواخر
الهولنديه فى ميناء لسبـون Lissbon وبذلك شلت حركة التجارة الهـولنديه
وصار الهولنديون يبحثون على طريق تؤدى الى جزر الهند الشرقية وقد تمكنوا من
ذلك بدلالة Cornolis Houtman الهولندى الذى كان يساكن البرتغال
ويعرف أسرارهم وقد أنشأ تجار أمستردام شركة للتجـارة مع جزر الهند الشرقية .
وفى ٤ ابريل سنة ١٥٩٥ م سارت أول قافلة تجارية كانت تتألف من أربعة بواخر التى
هى « Mauritis Holandi » حمولة كل منهما ٤٠٠ طن . وامستردام Amisterdam
٢٠٠ طن . و Duyfie حمولة ٥٠ طنا وكانت تحت قيادة « Cornellis Huvtman »
فوصلت تلك البو . إلى « بانتم Bantan » بجاوه فى ٢٣ يونى سنة ١٥٩٦ م
ثم أرسل الهولنديون ..فلة أخرى تحت قيادة « Cornellis VanNeck »
فى سنة ١٥٩٨ م وعززوها بثالثة ولما رأى البرتغاليون نشاط الهولنديين . أرسلوا ٣٠
باخرة حربية لقطع طريق البواخر الهولندية الذاهبة إلى الشرق الأقصى .. وقد تقابل

وهناك مدينة « لامو Lamou » على ساحل المحيط الهندى تبعد عن ممباسه ٢٤ ساعة لسير
البواخر . بها ثلاثة جوامع وكنائس أما السكان فعرب وهنود وافرنج يشربون من الآبار .
بها ميناء وكذا مدينة « كسمايو Kismayo » وهى شرق لامو تبعد عنها بمسيرة ٢٤ ساعة كان
سكانها « بورن Born » زنوج أما الآن فساد بها العرب والصومال البناء بها فخم وبها ميناء
انكليزية وأخرى إيطاليه . أما موقع المدينة فى ساحل المحيط الهندى الغربى حيث تكون
الأرض رملية . يشرب سكانها من الآبار والأهالى مواش كثيرة كالأبقار . ومحصولاتها
من الذرة والذرة الشاميه وغيرهما . والمناخ جيد جداً .

« نيروبى » هذه عاصمة حكومة كينيا فى شرق أفريقيا . تأتى اليها سكة حديد من زنجبار
وتسير منها إلى كافرندو فى بلاد « كزومو Kazovmo » ومنها تسير إلى جنجا ثم إلى كبلا
السكائنه عند مخرج النيل من بحيرة فكتوريا . هذه عظم العواصم الواقعة فى شرق أفريقيا

الطريق المؤدية الى الهند . وكانت فى الزنجبار جالية من العرب حذر أحدها ذلك الهندى بان لا يدل أولئك المبعوثين الى بلاده فيكون رائداً لشر يأتيها من جراء عمله ولكن عبثا حاول فان الهندى أغرته المكافأة التى بذلها له البرتغاليون فدلهم الى احدى جزر الهند . وكان مليك تلك الجزر يدعى (الزامرين) أى معناه (ملك البحار) وأكرم الملك رجال البعثة وعقد معهم محالفة تجارية تغلغلوا بسببها فى أحشاء جزره الشرقية وفى القرن الخامس عشر الميلادى وصل فالسكودى جاما الى مكان مدينة كلكتا Calcuta أى فى سنة ٩٠١ هـ : ١٤٩٦ م وكانت هذه أول خطوه فى سبيل الاستعمار . وفى سنة ٩١٦ هـ ١٥١١ م بلغ البرتغاليون (انتوناو دى أبرو Antonco De Abru) جاوه وامبون بندا . وفى سنة ١٠٢٢ م أرسل البرتغال الى بنتام Bantam من جزيرة جاوه التى لم تزل حينذاك هندويا بوخريا . وكان من حسن حظ البرتغاليين وجدوا العداء مستحكما بين الملك البوذى والأمير المسلم Cheribon فاستجار الأول بالبرتغاليين ووعدهم باعطائهم أرضا لبناء معمل وأن يكون قاعدة تجارية وأن يعطيهم جزية سنوية قدرها ١٠٠٠ كيس من الفلفل . فقبل البرتغاليون ذلك الشرط منه ووعدوه بالمساعدة على عدوه الا أنهم عادوا ليأتوا بقوة تمكنهم من الوفاء مع ذلك الحليف . ولكن قبل عودتهم تمكن أمير شربون المسلم

الأرض ، سرف ، ويشرب البعض من المشيش ، السكان فاخلاط من العرب والسواحليين والهنود والأرباويين .

وهناك جزيرة أخرى ، ممباسة ، كانت تقيم بها قبيلتان زنجيتان هما ، ونيكا ، والثانيه ، ديقو ، وقد دخلها العرب منذ عهد قديم ونشروا الإسلام بين الزنج حتى صارت لهم مساجد ومعابد وهذه الجزيرة ذات حضارة عظيمة . وبها خمسة جوامع وبعض كنائس لدعاة المسيحية ومدارس إسلامية . وتربطها بنيروبى سكك حديدية . وقد تنار ممباسة بالكهرباء وبها ميناء تجارية مهمة . تسافر البواخر من ممباسة إلى زنجبار ١٢ ساعة أما السكان فانهم من اخلاط العرب والهنود والافرنج . ويشربون من الآبار . وفى ممباسه أمام الانكليز تمثالا للمستر ، إسميث مكينزى ، فى يده شمال مذكره ، دفتر ، وهو يشير بسبابته اليمنى إلى جهة الغرب . إشارة على أن هناك بلاداً عظيمة يجب احتلالها والاستئثار بخيراتها .

بينه وبين أغراضه المادية والسياسية . فأخذ الأوروباويون يشحذون القرائح ويسرحون الافكار للتخلص من تلك الطريق المصرية . وبينما هم كذلك إذ قام هنرى المـــلاح يفرض الكفاية فأراح أوربا بجهوده الجبارة واكتشافاته التى أماطت اللثام عن كثير من المجاهل التى ما كانت تدور فى خيال النائم من سكان أوربا فى ذلك الوقت الذى لم يمض فيه من حضيض القديم . فكأنك بقبائل يقول من هنرى الملاح ؟ فأقول هو أنبل ملوك البرتغال التى هى دولة صغيرة فى غرب أوربا . كانت داخلة فى مملكة الأمويين فى الاندلس . ولقب هنرى بالملاح لكثرة ما أحدثه فى انهاض الملاحة وحققه من الاكتشافات التى ربطت الهند بأوربا من طريق رأس الرجاء الصالح .

أنشأ الملك هنرى ورشة لبناء السفن التى أدخل فيها (بيت الابرة) أى البوصلة ناقلا ذلك من العرب . ثم أخذ يرسل بعثاته يتلو بعضها بعضا فكانت البعثة من هاته تسير فى شاطىء المحيط الاطلانطيكى وترسم الشاطئ والبلاد والجبال والبحار المنحدرة الى المحيط ومتى يتطرق اليها السأم عادت أدراجها وبيدها الخريطة بالحد الذى بلغت اليه ثم تتلوها بعثة أخرى فتبدأ اكتشافها من آخر نقطة بلغت اليها البعثة الأولى وهكذا حتى اكتشف (فاسكو دى جاما) رأس الزوابع فاسماه رأس (الرجاء الصالح) تفاءلا وما زال يجوب ذلك المجهول غير مبال بطول الشقة وعواصف المشقة حتى أدى به المطاف الى زنجبار (١) ووجد هناك جماعة من الهنود استأجر رجلا منهم لدلالته الى

(١) زنجبار أو زنزبار والأصح الأول لأن الثانى من لفظ الأعاجم . وكان الأصل فى الأول بلاد الزنج ثم أدغمت الكلمتان فى بعضهما فصارتا زنجبارا مع بعض التحريف فالزنجبار هما عبارة عن جزيرتين تقعان فى الساحل الغربى من المحيط الهندى . كان يقيمن الاول « متنباتو Moltonbato » و « ام خديمو om Khideme » هما قبيلتان زنجيتان وثنيتان ولكل منهما لغة عجمى خاصة . ولكن انتزعها العرب من عهد قديم وأسسوا بها سلطنة عظيمة . وهى اليوم جزيرة إسلامية بها أربعة جوامع وبضعة زوايا وكذا بها أربع مدارس إسلامية وبضع كنائس للبعثات المسيحية . تقام المبانى من الحجر الجرانيط على قواعد هندسية بها ميناء مهمة وخطوط سكك حديد ضيقة . وتنار المدينة بالكهرباء وهى أعظم المواصم بها سراى السيد برقش سلطان زنجبار يشرب السكان من غدران آتية من ينابيع تتفجر من

الصغيرة الموجودة في الشمال الشرقي من سومطره لانهم اعتنقوا بواسطة تجار العرب . ولما دخل ابن بطوطه سومطره سنة ١٣٤٠ م وجد بها ملكا مسلما يسمى (الملك الزاهر) وكان هذا الملك يبسط نفوذه على حيز من الأرض واسع النطاق وكان عالما يميل الى المناظرات العلمية ويوجد في حاشيته كثير من العلماء والشعراء .

وقد كان للعرب نفوذ عظيم لا سيما الاشراف منهم الذين هم من سلالة الحسن والحسين رضي الله عنهم . وقد صار ملوك تلك الجزر يزوجون بناتهم للاشراف ويتباهون بتلك المصاهرة . وقد نسل الأشراف من بنات الملوك أولادا آلت اليهم الرئاسة مثل سلطان فونتياناك . من جزيرة برنيو Borneo . منذ القرن السابع عشر الميلاد كان اكثر المهاجرين العرب الذين يؤمون جزر الهند الشرقية من حضرموت وكانوا تجارا ثم احترفوا الملاحة وكانت لهم سفن شراعية تمخر عباب تلك البحار ونالو ثروة واسعة الى سنة ١٨٥٥ م وهناك زاحمهم الاورباويون بسفنهم التجارية وتدهور الملاحون الحضارمة وكفوا عن الملاحة وتلاشت مراكبهم شيئا فشيئا حتى صارت في أكفان العدم .

دخول الاورباويين

الى جزر الهند

كانت التجارة الهندية تنقل بحراً الى الخليج الفارسي ، وتنقل منه برا على الجمال الى الاسكندرونه أو الاسكندرية . وكانت تلك المدينتين تحت سيطرة دولة المماليك الجبارة التي تفرض على تلك التجارة عوائد جمركية تعادل سدس ثمن البضائع يوم وصولها الميناء وكذا تحصل عنها بقدر هذا الرسم يوم تصديرها إلى مدينة البندقيه في ايطاليا وتتوزع منها الى بطون أوربا . وقد يلاقي الأورباويون أعظم المشاق في دفع تلك الجمارك الجائره . ولم ينبثوا ببنت شفة احتجاجا أو تألما من تلك المغارم . لأن الشرق كان إذ ذاك يجول بين عروقه دم العزة والقوة المعنوية فلن تستطع أي دولة غربية الحيلولة

جزء عظيم محافظ على وثنيته الى القرن الثامن الهجرى . وهناك قام أفراد قليلون بالدعاية الاسلامية ووفقوا غاية التوفيق . وقد دخل العرب الى تلك الجزر فى عهد غير معروف بالضبط . الا أنه من المعلوم دخل العرب بالتجارة فى الهند قديما . وفى القرن السابع الميلادى نشطت التجارة عن طريق سيلان Cylan حتى وجد كثير من التجار العرب فى كنتون Conton بالصين فى منتصف القرن الثامن الميلادى . وفيما بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر أى الى حضور البرتغال لم يكن للعرب منافس فى التجارة ، ومن ذلك يحتمل أن العرب دخلوا بتجارتهم الى الجزر الهندية الشرقية فى القرون الأولى الهجرية وان كانت لا تذكر فى مؤلفات العرب لغاية القرن التاسع الميلادى . اذ ربما كان ذلك من طريق الاتجار وفى كتب التقويم الصينية . انهم وجدوا جالية عربية فى جزيرة سومطره سنة ٦٧٤ م كانت تقيم فى الشاطئ الغربى منها : ويؤخذ من تدين سكان تلك الجزر بمذهب الامام الشافعى أن العرب انحدروا الى تلك الجزر من طريق شواطئ الملابار فى جنوب الهند اذ كانت تأتى تجارة من الصين واليمن وبلاد فارس لان البلاد المتاخمة لجزر الهند الشرقية من الجهات تدين بالاسلام على مذهب الامام أبى حنيفة وكان ذلك قبل طواف ابن بطوطه فى القرن الرابع عشر الميلادى .

وكذا انتقل مذهب الشيعة من الهند الى هذه الجزر الهندية الشرقية ولم تزل بقاياها راسية فى أقليات توجد فى جاوه وسومطره . ويؤخذ من رحلة بن بطوطه أن سلطان سومطره Somatra المسلم قد حسن العلاقات بينه وبين ملك دلهى Delha ، وكان مع الاول رجلان من كبار العلماء جاء اليه أحدهما من شيراز والثانى من أصفهان أى كلاهما من بلاد فارس وصار العالمان يعلمان فى سومطره . وقد أخذت ترد على موانى تلك الجزر قوافل الدكن Decan الذين احتكروا التجارة فى تلك الجزر . وكانوا مسلمين راسخين فى الاعتقاد بالوحدانية وقد يرجع الفضل اليهم فى الدعاية للاسلام حتى كونوا أول جاليات تدين بالاسلام . وهالها أخذت تتلاشى عباده الأوثان وتتضاءل أمام ذلك القبس الذى أنار سبيل الحق فى وجوه القوم . وكان ذلك قبل دخول البرتغال الى تلك البلاد كما ذكره السائح مركوفولو Marys Folo الذى قضى نصف عام فى الشاطئ الشمالى من سومطرة فى سنة ١٢٩٢ م ان كل السكان كانوا مجوسا وعباد أصنام عدا سكان البلدان فى مملكة برلاك parlak

سا كنهم من العناصر الأخرى . ولكن أبى سوء الحظ ونحس الطالع إلا أن يحتكر الأجانب تلك المعادن ويستثمروها على مرأ من أصحابها المستضعفين الذين أصبحوا يئنون تحت نير الاستعمار

المنـــاخ

أن فى تلك الجزر الهندية الشرقية تبلغ درجة الحرارة فى النهار العادى ٥ ر ٢٦ بميزان سنتجراد . أو ٨٠ بميزان فارنهيت . [illegible] تبلغ درجة الحرارة بالليل ٢١ بميزان سنتجراد أو ٧٠ فهرنهيت . وقد يختلف الهواء اختلا[illegible] عظيما بسبب عدم تناسب تكوين البلاد . وقد تنافر أوضاعها لأن هناك جبالا تكاد ت[illegible]ح السحاب بقنانها . ومنحدرات وحجار كثيرة الاودية تضح لتلك الاودية رواسب وم[illegible]غمات يتولد منها الناموس وكثير من الحشرات . وكل ما زاد العلو قلت الحرارة وزادت [illegible]ودة بنسبة نصف درجة سنتجراد فى كل ٣٠٠ قدم أو درجة واحدة فى كل ٢٢٠ قدما فبـ[illegible] [illegible]عر المرء بالصيف فى الاماكن المنخفضة قد يكون فى فى نفس الوقت الهواء عليلا [illegible] و معتدلا فى الأماكن قليلة الارتفاع أى (المتوسطة) وقد تكون قنن الجبال بردا قا[illegible] كما هى الحال فى اركويت بالبحر الأحمر وكنم فى شمال دارفور [illegible]ـو ذلك لاختلاف يكـ[illegible]ـاخ رديئا مع غير سكان البلاد الأصليين .

الأديان

ان الدين العام [illegible] جزر الهند الشرقية هو الاسلام على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه . وتوجـ[illegible]ـية والنصرانية وللاخيرة دعاة تساعدهم الحكومات المسيحية على نشر تعاليمهم(١) . [illegible]ـب الله ويجىء المجاهد العظيم الأستاذ أحمد محمد سوركتى إلى تلك الجزائر الاسلامية [illegible]ـشرون شوطا بعيداً .

وهـ[illegible]ـن نعود الى الكلام عن تاريخ العرب لانهم هم دعاة الاسلام فى تلك الجزر الهندية [illegible]ـنقول لئن يكن دخل الاسلام الى أقطار الهند فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله [illegible] أول عصور التاريخ للهجرة ولكنه لم ينتشر انتشارا يعتد به ذلة . بل ظـــل

[illegible]لمسيحية تضافر وعنايه بالغة اقصى حدودها فى المستعمرات فى سنى ١٩٢١ و ١٩٢٢ [illegible]بروك نائب مدير منجلا يوصى تتجا بمساعدة القس اسحق ابراهيم المقنبراوى [illegible]ن) والاستاذ مصطفى المراغى شيخ الازهر يقف عقبه فى سبيل ساتى ماجد الذى مهد الاسلامية فى امريكا الشجاعة التى لا يفيد فى يدفاتر الهمة الجمال كما فيل لا يعمل السيف يد بطل فانه أخمد همة ولمايه ولم يادلها بغيرها مدة حملة الشهادات وما اكثرهم بالازهر [illegible]ح للاسلام من زعمائه الذين يريدون حصره فى منطقة ضيقة

(نيوخينيا الهولندية)

هذه جزيرة تبلغ مساحتها ٣٩٧٫٠٠٠ كيلو متر أو ١٥٣٫٠٠٠ ميل مربع أى تعادل مساحة اليابان بدون ملحقاتها . وهناك جزائر الملوك أو جزائر التوابل وهى عبارة عن جزر صغيرة كائنة بين جزيرة سيليبس . وجزيرة غانة الجديدة . وأشهر حاصلاتها التوابل والارز والساجو والذرة والأخشاب وجوز الطيب والقرنفل . وعاصمتها (أمبوينه) ويبلغ سكان تلك الجزر ٣٫٣١٩٫٠٠٠ نسمة

هذا وقد بلغ مجموع جزائر الهند الشرقيه ١٫٩٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع أو ٧٣٣٫٠٠٠ ميل مربع . أى بقدر ما يعادل الدول الآتيه :

١ انكلترا
٢ فرنسا
٣ المانيا
٤ بلجيكا
٥ هولنده
٦ سويسره
٧ الدانمارك
٨ السويد

أو نصف مساحة أوربا بدون روسيا . هذا ومجموع طول شواطىء هذه الجزر يعادل طول دائرة الأرض .

المعـــادن

يوجد فى جزر الهند الشرقية كثير من المعادن التى كان أشهرها . القصدير والفحم الحجرى زيت البترول والأحجار الكريمه . وفى بحارها الاصداف واللؤلؤ . وغير ذلك مما لم يكتشف . فمن هنا يعلم القارىء أن جزائر الهند الشرقيه هى أثمن درة وهبتها الطبيعة للماليزيين ومن

« سومطرة »

تقع هذه فى الجنوب الشرقى من ارة آسيا ويفصلها عنها بوغاز ملقا . وكذا يفصلها عن جاوه بوغاز سنده . وهى جزيرة بركانية ذات جبال . وقد خلعت عليها الطبيعة حلة سندسية خضراء تأخذ بمجامع القلوب بهاء . يستخرج منها الصمغ الهندى والكافور وأخشاب الدباغة والصباغة وشمع وتبلغ مساحة سـ طره ٤٠٠٠٠٠ر١٠ أو ١٦٢٠٠٠ر ميل مربع . أى أكبر من مساحة انكلترا وأشهر مان الطباق . وأهم صادراتها الفلفل الاسود . وأهم مدنها بالمبانج وهى ميناء ذات حركة تجارية . وسكانها ٢١٨٠٠٠ر نسمة .

« بورنيو الهولندية »

هذه أكبر جزا لم بعد استراليا وجزيرة غانة الجديدة . وبورنيو كثيرة الجبال وهى ذات غابات كـ آجام متعانقة بها انفس الأخشاب . وقد يبلغ محيط هذه الجزيرة ٥٥٣٠٠٠ر كيلو او ١٢١٠٠٠ر ميل مربع . وهى تعادل مساحة فرنسا وتملك هولنده أجزاءه الشرقية ... ومن حاصلاتها . الأرز . والفلفل . والسكر والتبغ . والبن . والكافور والقرنفل . و ن . والتى هى العشاش التى تبنيها الطيور من مادة غروية تؤكل ، وشمع العسل والهندى . وعاصمة هذه الجزيرة « بنجرمسن » الكائنة فى جنوبها . ويسكن اغلب هاته البـ بيوت الضافية على الماء . ولهذه الجزيرة روابط تجارية مع بتاوه وسنغافوره

« سيلبس »

و سيليبت كما عرفها بعض علماء الجغرافية . هذه جزيرة ذات شكل غير منتظم . رقيه من جزيرة بورنيو . ويفصلها عنها بوغاز مكسر . وهذه أجود ماء وتبلغ مساحتها ١٨٥٠٠٠ر كيلو متر أو ٧١٠٠٠ر ميل مربع . وهى أكبر اشنطون) بالولايات المتحدة الأمريكيه . وأرض جزيرة سيليبس من أخصب راعيه ومن أظهر محصولات البن الجيد . وعاصمتها (مكسر) الواقعه فى ب . وأهم صادراتها التوابل . أما سكانها ٣١٤٠٠٠ر٣ نسمة .

ويلهمينا وحكومتها العادلة التى بأسمها تصدر وتنفذ القوانين . ونرجو فى المستقبل خيراً كثيراً من الحاضر ، وإلى هنا يحلق بنا أن نأتى بأسماء جزر الهند الشرقية كل على حدتها فنقول :

(الجزائر)

تقع جزائر الهند الشرقية الهولندية من آسيا إلى استراليا كما ذكرنا بين الدرجة ٩٥ والدرجة ١٤١ من خطوط الطول الشرقيه . والدرجة ٦ شمالا من خط الاستواء والدرجة ١١ جنوباً منه .

وابعد خط من الغرب إلى الشرق ٥٠٠٠ كيلو متر . حيث بين الشاطىء الغربى لارلند فى المحيط الاطلانطيق . وبين الشاطىء الشرقى للبحر الأسود آسيا ... وابعد مسافه من الشمال إلى الجنوب ٢٠٠٠ كيلو متر . وكذلك تعادل هذه المسافة بين البحر الأبيض الشمالى ومدينة روم

«جاوه ومدورا»

تبلغ مساحة جزيرة جاوه ٥٠٨ و١٣١ كيلو متر أو ٥٠٧٦٢ ميلاً مربعاً . وتعادل هذه مساحة انكلترا بدون أسكتلندا وويلز وارلندا . وجاوه أهم جزر الهند الشرقية ويفصلها عن سومطره بوغاز سنده . وهى أكبر جزائر الأرض وأكثرها سكانا وأعظمها تقدما فى الزراعة . وتمتد تلك الجزيرة من الشرق إلى الجنوب الغربى بالقرب من خط الاستواء وانها أعظم جزيرة بركانية فى العالم خصبة التربة وبها رياض بديعة زاهرة اهم محصولاتها الارز وقصب السكر والبن . والشاى . والتبغ والقمح والذرة . والقطن . وشجر الكينا وجوز الهند . والمطاط « أى اللستك » وعاصمتها « تباما . أو بتاوه . وقد تبعد عن بورت سودان ٤٥٠٠ ميل تقريبا . فبتافيا بلدة عظيمة البناء انيقة المظهر تقوم على ربوة عالية ذات شوارع معبده بالأسفلت مطلة على خليج فى الشاطىء الغربى من الجزيرة . وهى بلدة حربية . وهى قاعدة الحاكم العام الهولندى وبها عدة شركات وفروع الكثير من البنوكة أما سكانها ومدورا فانهم بحسب أحصاء سنة ١٩٢٠ م ٠٠٠و٤٠٠ر٣٦ نسمة .

للصينيين . ثم بعد ذلك ابتدؤا فى تأسيس جرائد لأنفسهم بالعربية . ولكن بالأسف لم تبق هذه الجرائد مدة طويلة . بل سقطت واحدة بعد واحدة بسبب عدم اهتمام العرب بها . ولعدم مساعدتهم لها بالمال . والعجيب أن فى كل فترة من الزمن لا نزال نرى خروج جريدة . والموجود الآن هى نور . وبودور . فى ويلتفريدن والقسطاط فى سرابايا . وبعد كتابة المقالة هذه ظهرت هذه المجلة الموسومة بمجلة [illegible] الاسلامية التى تكتب فيها هذه المقالة . وهى دينية محضة ليس لها دخل فى الأحزاب [illegible] .

وعدد العرب الحضارمة [illegible] يزداد بازدياد سهولة المواصلات بين حضرموت وهذه الجزائر . وبكثرة التوالد بها [illegible] سنة ١٨٥٩ لم يكن هناك احصاء للعرب فى جزائر الهند الشرقية . وعلى حسب الا[illegible]ات الرسمية يبلغ عدد العرب .

سنة	[illegible] جاوه ومادوره	الجزائر الاخرى	المجموع
١٨٥٩	٤٩٦٢	غير معروف	غير معروف
١٨٧٠	٧٤٩٥	»	»
٨٥	١٠٨٨٨	»	»
[illegible]	١٩١٤٨	١٠٤٤٠	١٩٥٠٠
١٩١[illegible]	٢٧٨٠٦	١٧١١٥	٤٤٩٢١

من [illegible] حصاءات السابقة نرى أن عدد العرب فى ازدياد وذلك بالرغم عن الشدة فى تطبيق قوانين [illegible] الهجرة عليهم وهذا ناتج من تحسن أحوالهم فى المدة المذكورة .

فمثلا سنة ١٩١٦ ابطلت الحكومة جزئياً وفى سنة ١٩١٩ كليا قانون حصر العرب فى أماكن مخصوصة بعد ان كان لا يجوز لهم السكنى فى بعض الأماكن إلا باذن خاص . وابطل كذلك فى السنين الاخيرة مسألة أى تذكرة المرور والتجول فى داخل البلاد .

[illegible]بث أن الحرية والأماكن خاصتان للسادة فى حضرموت بينما جمع الحضارم من سادة ومشايخ وقبائل وضعفاء حائزين لكل ذلك فى هذه البلاد . فجدير بهم أن يشكروا المساكنة

جزائر الهند الهولندية وان كانوا قلما يستعملون اسماء الثلاثة الاخيرة . بل الأكثر يعرفون بكلمة السيد أو الشيخ . والسادة فى هذه الجزائر كذلك حائزون لاحترام من الأهالى والعرب . وفى هذا الباب نذكر عادة شم اليد ، حيث أن الشيخ الكبير فى العمر ولو كان غنياً يشم يد السيد الصغير العمر ولو كان فقيراً . وهذه العادة ابتدأت تتقهقر باسم طلاب المساوات . والذى دلهم على ذلك هو شيخ افريقى المولد مكى التعليم جاء إلى هنا سنة ١٩١١ لطلب من السادة ليكون استاذاً للتعليم [١] وتصريحه بزواج الشريفة بغير السيد هو سبب المنازعات فيما بين العرب . ولم تخمد نيران تلك المنازعات الا ببرودة أسواق التجارة . وكان من نتيجة هذه المنازعات انشاء جمعية الاصلاح والارشاد العربية ١٩١٤ وقد فتحت أول مدارسها فى يناير سنة ١٩١٥ قبل ٢٥ سنة كان تعليم ناشئة العرب منخفضا جداً جداً ، أى سقيماً . وفى الوقت الحاضر رغموا شأن التعليم ونظموه . ومن وقبل ذلك الحين ظهرت جمعيات ولها على ما نظن جمعية الخير التى أنشئت سنة ١٩٠٣ للتعاون . ثم أنشأت سنة ١٩٠٥ أول مدرسة لها . وتوجد الآن فى جاوه ١٤ مدرسة عربية .

وفى سنة ١٩١٩ اجتهد أحدهم فى تأسيس المدارس الهولندية العربية لاولاد العرب مثل المدارس الهولندية الصينية لاولاد الصينيين . وأظهرت الحكومة رغبتها فى تأسيسها على شرط إظهار العرب رغبتهم كذلك وارسال أولادهم إليها . ولكن لم يتأت ذلك بسبب عدم اتفاق العرب . وهذا التنافر هو سبب فشل المسعى فى تأسيس الوحدة العربية التى كانت تسعى فى توحيد بروقرام التعليم فى المدارس العربية . وبديهى أن هذه الأحزاب تحتاج إلى من حال لها لتعبير ما فى ضمائرهم . فاستعملت هذه الأحزاب فى الابتداء الجرائد الملايوية الثابة

---

١ — هذا الاستاذ أحمد سوركتى لم يسافر الى جزر الهند لطلب منصب ولكن نصرت الجمعية تطلب علماء بشروط معلومة ، لم يرض العلماء الذهاب عدا أحمد محمد سوركتى الذى قام من مكة بعد الاتفاق معه ولما عرض له فى البرنامج ان العلوى أفضل الناس ما عدا النبيين رفض تدريس هذه المادة التى تعارض قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) حدث الخلاف بينه وبين العلويين كما أخبرنى الشيخ العالم الذى كان مدرسا فى مدارس الارشاد

ولكى نعرف كثرة المراكب العربية . فانه جدير بالذكر أن فى سنة ١٧٧٥ أى فى وقت تقدمهم كان لم تزل ٧٥ مركباعربيا باقية . ولم يبق الآن من ذلك كله إلا تذكارات أليمة فى عقول بعض الشبان العائشين الآن بكل بساطة . بعد ان كانوا من قبل فى منصات الرئاسة وذروة الشرف والترف . والعرب من الوسائل المهمة فى تبادل التجارة بين الأوزباويين والأهالى . وان كانوا فى ذلك أقل من الصينيين . وأكثر تجارتهم فى البرسيم الباتيك أى الارز الملونة وكثير من معامل الباتيك تحت أيديهم أو تمشى برؤوس أموالهم . وقد اغتنى كثير من ذلك . وفى السنين الأخيرة اجتهد بعض العرب الذين تعلموا فى أوربا فى توريد الحوائج التجارية رأسا من أوروبا وأمريكا واستراليا ولكن لم تكلل جهدهم بالنجاح النهائى بسبب سقوط الأسعار فى سنه ١٩٢٠ . ويكثر فى العرب من يملك الأراضى الوسيعة والبيوت الكبيرة فى المدن الكبيرة والقرى وقد ابتدأت الحكومة تشترى منهم البلدية هذه الأراضى الوسيعة . ومع الأسف نقول أنه مع ذلك كله يوجد فى العرب من يكسب المال بواسطة الربا المحرم فى دين الإسلام ، ولكى نفهم حالة العرب الاجتماعية فى البلاد يجدر بنا أن نذكر بكلمات قصيرة تقسيماتهم فى حضرموت حيث ينقسمون إلى أقسام كثيرة أهمها

١ — السادة وهم أنجال سيدنا الحسين ابن بنت الرسول . وهم لايحملون السلاح إلا آل الشيخ أبى بكر ولهم مكانة رفيعة ونفوذ عظيم . ووظيفتهم الاصلاح بين المتحاربين وكذلك التعليم الدينى .

٢ — القبائل وهم حملة السلاح . وهم دائموا المحاربة فيما بينهم .

٣ — الضعفاء وهم الفلاحون والصناع .

٤ — العبيد أكثرهم من أفريقيا أصلا .

وبنات الحضارم لايزوجن لمن هو أقل منهن مقاماً (١) ، وهذه العادة متبعة كذلك فى

(١) ماحرص العرب على تقاليدهم وعاداتهم الموروثة مهما تفرقوا فى أطراف الكرة الارضيه وتأثروا بالبيئات والأوساط الأجنبية . هكذا المادة فى السودان وغيره اذقال أحد قدمائهم

وبكر قلت موتى قبل بعل ... وان اثرى وعد من الصميم

أأمزج باللئام دمى ولحمى ... فما عذرى الى النسب الكريم

وكذلك ابتداء علاقاتهم التجارية غير معين . إلا أنه من الحقيقة التاريخية التى لا تقبل النقض أن مجيئهم إلى هاته الديار قبل البرتغال الذين هم قبل الهولنديين فى أواسط القرن الثامن الميلادى أقام كثير من تجار العرب فى مدينة كانتون . ومن المعلوم أيضاً أن العرب كانوا سادة الشرق فيما بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر من الميلاد . ونستدل من ذلك . أن مجيء العرب فى هذه الجزائر كان من عهد قديم ، وان ابتداء تجارتهم معها من أمد بعيد .

قبل القرن التاسع لم يذكر احد جغرافى العرب هاته الجزائر من ابتداء القرن السابع عشر كان أكثر العرب المهاجرين إلى هاته البلاد من العرب الحضارمة الذين تحصلوا على نفوذ كبير بذكائهم الفطرى وبكونهم من جنسية بنى الاسلام عليه السلام . اى بكونهم عربا وكثير منهم الذين خدموا الحكومة الهولندية خدمات جليلة بين سنة ١٨٢٠ وبين ١٨٢٧ ارسلت الحكومة السيد حسن بن عمر الحبشى إلى ملك سيام وسلطان برونى وامراء بالى وسورا كارتا لمخابرات كرذات اهمية . وكان للسيد المذكور نفوذ كبير فى تلك الجهات . فاستعمله لنجاح مهماته السياسية . وفى سنة ١٣٨٠ قدم السيد المذكور تقريراً مهماً للحاكم العام للهند الهولندية . فى بيان الوسائل الناجحة فى قطع دابر لصوص التجار . وجازته الحكومة باعطائه لقب (فنغيران) الذى هو اعلى لقب الاشراف الجاويين سنة ١٨٢٢ . وكذلك باعطائه معاش تقاعد مبلغ ٤٨٠٠ جنيه فى كل سنه اقراراً بفضله . وممن خدم الحكومة الهولندية فى حرب اجى السيد ابوبكر عيد يد الذى كان رئيس العرب فى بتاوى . وقد تحصل المذكور سنة ١٨٧٧ على لقب مايور . وبعد بضع سنين تحصل ايضاً على لقب فنغيران دليلا على تقديرها خدماته

ومن اهم أسباب المعايش العربية بجزائر الهند من الزمن القديم . إلى زمننا هذا التجارة وكانت ايضا من منابع ثروتهم استخدام المراكب التجارية البحرية . وكان بيدهم زمام الترحيلات البحرية . وكان منهم « الناخوذة » أى القبطان ونائب القبطان ومدير البضاعة فى . وأما سوى الثلاثة فكانوا من الأهالى الوطنيين . وفى ابتداء القرن التاسع عشر كانت المراكب البحرية هذه من الأسباب العظيمة من نمو ثروة العرب ورفاهيتهم . وقد بلغت تلك المراكب أسمى مراتب القوة المكانية فيما بين ١٧٤٥ و ١٨٥٥ . ومن ذلك الحين ابتدأت مراكبهم التقهقر بسبب منافسة المراكب البخارية لها فى تلك البحار .

والتبغ والنيلة والارز والتوابل ولب النخيل (ساجو) والصمغ المرن وجوز الطيب والسنكونا وصموغ الاشجار وكل أنواع الحبوب كالقمح والذرة والذرة الشامية والفول السودانى الخ :

وقد يعادل محصول تلك الجزر ٥٠ ./. من محصول جزر الهند فى العالم و ٧٠ ./. من محصول السكر .

أما معادنها فعظيمة جدا وأهمها القصدير والفحم الحجرى وزيت البترول والاحجار الكريمة . وفى بحارها الاصداف واللؤلؤ . وأهم صادراتها السكر والبن والتوابل والجوتا بركا وصموغ الاشجار وزيت جوز الهند والقصدير وجوز الطيب والشكونا .

وتبلغ مساحتها ضعف مساحة القطر المصرى . أما عدد سكانها فيربو على ٦٠٠٠٠٠٠٠ نسمة منهم ٢٠٠٠٠٠٠٠ من الصينيين ونحو نصف مليون من الاروباويين وهؤلاء هم المسيطرون على الجزر . وأما العرب فلا يزيدون على ٥٠٠٠٠٠ نسمة . وقد تضاربت أقوال المؤرخين فى دخولهم إلى تلك الجزر فمنهم من قال دخلوا فى سنة ٨٠٨ ه : ١٤٠٦ م وكان أولئك هم الرعيل الاول الذى حمل لواء الاسلام . وأسسوا مملكتى بنتام ومتارام . وقد حدثت انقسامات وتطورات حتى صارت فى جاوه أربع ممالك عربية الكل منها نظام قائم بذاته وكان ذلك قبل مجىء البرتغاليين فى سنة ٩٣٤ ه ١٥١٠ م ولنرجىء الكلام على تفصيل تلك الجزر إلى ما بعد هذه الديباجة . هذا ولقد عثرنا على مقال طريف نشرته مجلة الذخيرة الإسلامية لصاحبها الأستاذ أحمد محمد سوركتى ننقله هنا لما فيه من فائدة تاريخية وهو كما يأتى : —

« التاريخ »

مقالة عن العرب الساكنين بجزائر الهند الهولندية الشرقية مترجمة من اللغة الهولندية بقلم الشاب النجيب السيد اسماعيل العطاس . وهى المقالة التى كتبها السيد المذكور بمناسبة احتفال حكومة الهند الهولندية بجلوس الملكة ويلهلمينا مدة ٢٥ سنة على تخت الملك . وقد نشرت هذه المقالة باللغة الهولندية فى ضمن كتاب مخصوص ألف لتذكار الحفلة المذكورة واهدى منه نسخة للملكة فى مجلد مزركش داخل صندوق من الفضة . وهذا ترجمة المذكورة (إن أول مجىء العرب إلى هذه الجزائر الهندية الشرقية غير معروف بالتد

ولد هذا الحبر الجليل فى جزيرة ارقو بمديرية دنقلا فى سنة ١٢٩٢ هـ : ١٨٧٦ م وهو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد سوركتى ومعنى سوركتى فى لغة الدناقلة « سور » كتاب « وكتى » تستعمل للدلالة على كثرة الكتب ومعنى ذلك « محمد كثير الكتب » لأن اباه محمد كان من خريجى الأزهر وعاد من القاهرة يحمل كميات وافرة من الكتب العلمية . وهو من سلالة الفقيه النور صاحب القبة الكائنة فى عين النيل شرق جزيرة مقاصر بدنقلا العرضى. ويتصل الاخير فى نسبه بجابر بن عبد الله الخزرجى . فالاستاذ أحمد سوركتى خزرجى من جهة أبيه وامه . نشأ أحمد متوقد الذهن حاد الذاكرة كبير الهمة شديد الرغبة للطلب . فقد حفظ القرآن قبل أن يتجاوز الحلقة العاشرة من سنى حياته ثم تلقى مبادىء العلوم الدينية والعربية على والده وهناك تكونت فيه ملكة الفهم وطمحت نفسه إلى المزيد . فسار إلى الحرمين الشريفين لاداء مناسك الحج . وبقى يطلب العلم بالمدينة أربع سنين أخذ فى غضونها على كثير من كبار العلماء كالأساتذة الشيخ فالح المغربى المحدث والفقيه أحمد الحاج على المجذوب الذى توفى إلى رحمة مولاه فى بلدة الصوفى بالقاضرف وشيخ القراء الشيخ الخيارى المغربى والشيخ أحمد البرزنجى والشيخ عمر حمدان المغربى .

ومن ثم عاد إلى مكة المكرمة . واستأنف دروسه بها . ولم يزل مثابراً مجداً غير آبه لما هنالك من الغربة وطول البقاء حتى نال الشهادة العالمية بتفوق وعين مدرساً فى الحرم المكى سنة ١٢٢٦ هـ : ١٩٥٩ م فكان أول سودانى تبوء مقاعد التدريس فى ذلك المسجد ولحق به نفس العام الاستاذ عبد الله حمدوه الخناقى الذى ترجمنا له فى غير هذا المكان . وقبل أن نبسط فى الكلام عن أعمال الاستاذ أحمد محمد سوركتى فى جاوه . يخلق بنا إن نأتى بنبذة وجيزة عن جغرافية تلك البلاد إتماماً للفائدة التى نرمى إليها فنقول : —

« ماليزيا »

ماليزيا أو ارخبيل الملايو هى عبارة عن جزر الهند الشرقيه وقد تقع تلك الجزر بين جنوب شرقى آسيا واستراليا . يقال سميت كذا الاصليين لأنهم من الجنس المالزى الاصفر . وتلك الجزر ذات جبال عالية وبها كثير منها بحورها حار ورطب وتربتها خصبة ذات حاصلات مهمة الخ

« الأستاذ احمد محمد سوركتى »

هو نابغة الزمان ومعجزة البيـــان الذى ضاقت مناطق الصحف الافرنكيه والعربيه بأخباره الغريبة المدهشة وجهاده العظيم فى الذود عن كرامة الدين الحنيف . وكبح جماح دعاة البدع والضلال الذين يستهوون عقول السذج بما ينمقونه من الأحاديث الموضوعة والنزهات المستهجنة السخيفة لغاياتهم التى قد لا تتجاوز ارضاء شهوتى البطن والفرج غير حاسبين للعاقبة حساباً ولا مقيمين لآخرتهم وزنا قاتلهم الله أنى يؤفكون .

(الاستاذ أحمد محمد سوركتى رئيس مدارس الارشاد فى بتاويا)

١ — محمد اغا أبو مطر اولاده يقيمون بحلة المميه

٢ — رزق أغا » » » »

٣ — مبروك أغا بسيونى » » فى مدينة سنجه

٤ — ابراهيم أغا الكتاب » » » حلة الحلاليه

٥ — محمد أغا حسن ضابط » » » » »

٦ — حسن افندى على » » » » »

٧ — إسماعيل اغا مطر » » » » »

٨ — أحمد أغا بسيونى » » » » الكاملين

٩ — دفع الله اغا بسيونى » » » بمدينة الخرطوم

١٠ — محمد افندى يوسف » » » » الابيض

١١ — الحاج محمد المغربى الذى كان تاجر » » بحلة بالمساميه

وكذا يوجد كثير منهم فى نواح عديدة فى السودان ويقال ان اولاد بسيونى من عرب بنى على بالقطر المصرى

واقفال واكر وترابيس من الذهب . فانتدب خورشيد ضابطا تركيا للتحقيق مع عبد السلام والزامه برد ذلك الركاز لخزائن الترك التي ملئت من منهوبات البلاد فجاء الضابط مكشرا عن ارهاب عبد السلام إلا أن عبد السلام كان قوى الإرادة ثابت الجنان لم يبالى بالتهديد والوعيد . قيل ضرب ١٠٠٠ كرباج في فترات متواليه حتى تناثر لحمه ولم يعترف بدرهم واحد وضعوه بالسجن زمناً ولما يئسوا أفرجوا عنه .

وفى سنة ١٣٠٢ هـ : ١٨٨٥ خربت الخرطوم ونقلت أخشابها لعمارة أم درمان التي أصبحت العاصمة للمهدية وفى سنة ١٣١٦ هـ : ١٨٩٩ م انعكست الآيه وكانت النهاية بداية إذ ضربت أم درمان ولم يبق بها عدا القليل من سكانها وانتعشت الخرطوم وبدأت في طورها الحالي حيث شيد بها جامع وكليه وكنيسه انسكليزيه وحديقه للحيوانات وانيرت بالكهرباء وغرست في شوارعها أشجار لم ترى في القاهرة ونصب فيها تمثالان احداهما للجنرال غردون جهة الكنيسة الانكليزية لتغدق عليه الصلاة في كل آن لانه كان السبب في تساوق السودان بطوق الاستعمار المؤلم وتمثال اللورد كتشنر الذى غسل أديم البلاد بدماء المجاهدين

«ضباط المغاربه»

كان المغاربة من اقوى دعائم الجيش المصرى في عهد سمو محمد على باشا الأكبر وانهم ساهموا في الحمله في السودان في سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م وتجشموا المصائب والاحن في كبح جماح الثورات عندما تبرم السودانيون من نير الجنود الالبانيين وخلافهم من الضباط الذين كانت تقصيهم مصر إلى شقيقتها السودان . وبالرغم من قتل المغاربة في الخدمة المستديمة في السودان فانهم كانوا أمضى سلاح في السودان نكافح به في وقت الشدة حتى ماتوا في جهات شتى تاركين ابناءهم متفرقين بالبلاد . ولما استرجع السودان في سنة ١٣١٦ هـ : ١٨٩٩ م لم تعمد حكومة مصر إلى تعهد تلك البيوتات العسكريه بالتعليم والرفع من شأنها وهى الآن تحترف الحرف وتعانى مر الحياة فاليك أسماء أولئك السناجق ومكان أولادهم كما رواه عبد الكريم بسيونى بالكاملين

الخرطوم

١٢٤٥ هـ : ١٨٣٠ م

ما كان للخرطوم شأن يذكر وهي من القرى العاديه . سكانها جماعة من المحس كأولاد الفقيه حمدنا الله وأولاد القاضي . ومنازلها متواضعة سقوفها من القش وجلود الماشية سميت الخرطوم لانها في ملتقى النيل الازرق بالنيل الأبيض يمثلان خرطوما أشبه شئ بخرطوم الفيل . والخرطوم لغة هو الأنف كما قال تعالى سنسمه على الخرطوم (١) هذا وقد تقع في الدرجة ١٥ في الدقيقة ٣٦ من خطوط العرض . والدرجة ٣٢ والدقيقة ٣١ من خطوط الطول . ويبلغ ارتفاعها عن المحيطات ١٢٥٦ قدماً . فتلقى خورشيد باشا أمراً بنقل الرئاسة إليها . بعد حادث حرق اسماعيل باشا ولولا ما عدل محمد علي باشا عن أختيار الأطباء لشندي بعد مدني . وكانت في سوبا آثار مدينة أثيوبية يبدو آثار انقاضها فوق كثيب من الرمل فأمر خورشيد باشا الشيخ عبد السلام زعيم المغاربة في حلة كوكو بضاحية الخرطوم بحرى بحفر الطوب الأحمر من تلك الآثار ونقله على المراكب للخرطوم وكان عبد السلام ذا شخصيه بارزة جبارة فاستدعى أهله حراراً وعبيداً وامرهم بهدم آثار سوبا ونقل الطوب منها فكشفوا الرمال ونقلوا الطوب إلى الخرطوم ثم جاء المهندسون لتخطيط سراى الحكمداريه وجامع الخرطوم الأول فقامت المباني بأسرع مايكون هذا واني شاهدت نظام البناء في سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ عندما دخلها المهدى فكان نظامه عموما يدل على عدم سلامة ذوق المسئول عن تكوين المدينة شوارعها وتفاريج الازقة وتنافر دور الاهالى ووجود المقابر بين الأحياء ولست أدرى كم تعاقب كثير من الولاة واقروا تلك الأوضاع السقيمه وبعد الفراغ من بناء الحكمداريه والجامع شيد المستشفى وثكنات الجنود ودور الضباط . ومن ثم نقلت الرئاسة إليها .

ولنذكر هنا حادثاً نظيماً جرى على أثر اتمام ذلك البناء وهو تقدم أحد الوشاة وأبلغ خورشيد باشا قائلا أن الشيخ عبد السلام وجد في آثار سوبا بعض الشبابيك والابواب

---

(١) كان الوليد ممن أذوا النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيه قوله تعالى سنسمه على الخرطوم أي الأنف كما أصيب بأنفه في واقعة بدر الكبرى فبقي أثره

ليت السموْل كان حيا ايعلم أنهم أحق بقوله.

وإنا لقوم لانرى القتل سبة ... إذا مارأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات سيد حتف أنفه ... ولو طل منا حيث كان قتيل

واقعـــة العفينات

رأت الحكومة ضرورة كبح جماح الغديات فأعدت لهم حملة عسكرية كانت تتألف من ١٣٥٠ جنديا بين نظاميين وباشبزق ومدفعان وتطوع فى جانب الحكومه عبد الصمـــد ود أبو نجفيه واسماعيل الدلندوك ومع كل منهما نحو ٢٠٠ مقاتل وكذا انضم اليهم الشيخ نواى زعيم الحوازمة ونيط بالقيادة العامه الى محمد بك يس الدولابى أما الشيخ على كنونه فانه حالف الشيخ تاور أبى جرده الحازمى وبعض الجوامعة (الفضيلية) وكان جيشه يقدر بنحو ٦٠٠ مقاتل بين فارس وراجل إلا أنهم مسلحون بالرماح التى قد لا تتكافأ مع الإسلحة النارية . وكانت نقطة تجمع الغديات فى قرية (العفينات) فهاجمتهم جيوش محمد يس بك ونشبت بينهم حرب أظهر الفريقان فيها من ضروب الشجاعة ما يدهش وكان جيش على كنونه يتعرض فى كراته لنيران العدو التى برحت به تبريحا فظيعا وخسر كثيراً من صفـــوة رجاله وبالرغم من ذلك فانه هزم جيش الحكومة واستولى على المدفعين ولكن مالبث أن كر محمد يس ورجاله لحرب الغديات فهزم الغديات واستعادا المدفعين وهنا ترجل على كنونه وفرش وأمر ثلاثة من أولاده بالفرار من نيران العدو وكانوا أحمد على كنونه والياس على كنونة والمراد على كنونه فضرب كل منهم الى ناحية ونبعته نصيله من جيش أبيه الذى جلس متربعا فى الميدان فاجهز عليه فرسان الحوازمة وطعنوه بضع طعنات حتى خرجت أمعاؤه وهو يردد الشهادتين إلى أن فاضت روحه ولقد مثلوا به أبشع تمثيل وقد خسر الغديات وحلفاؤهم نحو ١٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح ولأهل كردفان خرافه غريبة وهى أنهم يعتقدون أن بعض الأموات يقومون بعد دفنهم ويتغنون فى نفوسهم فمن ذلك يقولون عن رجل قتل فى واقعة العفينات قام بعد موته يتغنى قائلا

ياجوزنى ألما دقيتو ويا ولدى ألما سميتو

جور على ما خل زول فى بيتو

أى انه كانت له مزرعة من الدخن عظيمة فقد حصدها ولكنه لم يدقها ورزق بمولود يحتفل بتسميته لدعوة على كنونه له لتلك الحرب التى قضت على آماله فى الحياة هذا ولزم الغديات حروب كثيرة تارة مع العرب فى إقليمى كردفان ودارفور وطورا مع النوبه كان ذلك سببا فى ضعفهم وتبديد رجالهم وما كدنا نسمع بأن زعيما غدويا مات حتف أنفه

الشيخ على ود كنون

ولد بدار الفديات غرب الرهد بكردفان حوالى سنة ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م كان على ود كنونه غدوى الاصل أى (أموى) وانه ذو حسب ونسب قديم فان لاسلافه الرئاسة العامة على كل قبائل كردفان بادية وحضر الى أن اغتصبها المسبعات بعد حروب مع الشيخ عبد الله جدى بلولة المقتول فى احدى تلك الحروب التى كان منشأها تنازع البقاء . فعلى ود كنون كان كبير الهمه طموحا يتوق بفطرته الى شق عصا الطاعة وطرد حكومة الترك المصرية ليعيد دولته الدائلة ومجده المنقرض وهيهات . فذلك أمر عسير لا يمكن أن تقوم به عشيرة واحدة كالفديات ولو كانوا ذوى بأس وشجاعة لان بالسودان أكثر من ٤٠ ألفا من أخلاط الجنود المصرية و ٥٠٠ مدفعا فلا يمكن يقابلها ألف أو ألفان من حملة الرماح .

وفى سنة ١٢٦٩ هـ : ١٨٥٣ م رأى على ود كنون ضرورة الاستيلاء على غدير الرهد بعد طرد الجوامعة منه وحالف النوبة (الضباب) لهذه الغاية ثم سار فى جيش جرار فقابله جيش من الجوامعة الفضيلية ولقد تحاربا حربا هائلة هزم فيها الجوامعة فردم الفديات الآبار بجثث الموتى من الجوامعة فغضب الجوامعة وكروا على الفديات فى جبل كردفان غدا فبددوهم تبديداً فظيعا ونهبوا أموالهم . وفى نفس اليوم هجم جيش من الجوامعة على حلة أم هجيليجه وفتكوا بالشيخ أبى ساره زعيم الفديات ومن معه وكان ذلك فى ١٤ محرم سنة ١٢٦٩ هـ كما جاء فى مذكرة القاضى عربى ود كنون قاضى شرعى كردفان إذ ذاك

وما زال يتجاوب صدى تلك الحروب على الاذهان الى سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م جاء على كنونه لدفع الضرائب ولما وجد الياس باشا أم برير عين مديرا لكردفان . (قال هذه ارقدل فيها الورل . أمثلى يدفع الضريبة لالياس ؟) ثم خرج من الابيض ساخطا ومضت بضعة أسابيع حتى شق عصا الطاعة وأخذت خيله تغير على دور الولاة وتقطع طريق لبابى فقال شاعره

اسم المشرك أنت هبرت شروك   العقيد الفى الخلا بشوروك

يا لبدين تيلا ما بكاملوك (١)

---

(١) تيلا فى اصطلاح عرب كردفان هو حثالة البعر

الحاج عربى ود دسكى

ولد فى بلدة أبى قسى بالدبه حوالى سنة ١١٨٠ ه أما أصله فيديرى أشتغل بالتجار
واقام فى تقلى جنوب أم روابه ورحل منها إلى الأبيض وشيد دارا بجوار الفولة المنسو
لعبيد والصحيح إنها له حفرت لبناء منازله كان الحاج ثريا طلبت حكومة مصر ذه
تسبكه جنيها مصريا بموجب عمولة وتعيده إليه فاحضر لها ٥٠٠,٠٠٠ أقية ذهبا ووضع
يوما أمام ديوان المديريه فلقبوه بالحاج ود دسكى جبل الذهب ، ولكن لم يكن مة
ولم يعلم أولاده فكان ذلك سببا فى انهيار تلك الثروة العظيمة التى لم يبق عنها أسمها و
بدعو إلى الغبطة والسرور انتظام أحد احفاده ، مختار عبدالله ، بمدرسة الطب بجامعة
بالقاهرة فى سنة ١٩٥٢ نرجو لأن تكون هذه أول خطوات انتعاش هذا البيت العر

لك الوادى لما تبذله من الانفاق على طلبة العلم من جميع العالم وقيام أول بعثة للتبشير
ن الجنوب برئاسة الأستاذ العلامة محمد أمين القرشى الذى عرف بورعه وشجاعته
قوة ارادته فلذلك سوف ينهض الاسلام ويغمر تلك المجارى الأربع ولا يجد مزاحما
ها نحن نرى الآن بضعة آلاف من رواد العلم يترددون على الازهر تحت عناية جلالة
فاروق ملك مصر والسودان والأمل وطيد أن يسير الاسلام سيرا يكلل بالفوز الدائم

الرئاسة

وقد تكون الرئاسة للولد وفى بعض القبائل لابن الأخت كقبيلة الميدوب فى
فور ولابن البنت ولكنهم لا يعرفون نظام الوراثة بل يترك الامر وبعد موت
لطان او الملك يطالب كل فرد من أبنائه وأبناء اخوانه بالرئاسة ويتحاربون حتى
كون للغالب كما ذكرنا ولا شك هذه من اهم سقطات السياسة لدى الزنج .

القضاء

لم يكن للقضاء قانون ولكن يؤدونه بطرق شتى منها المستحسن والمستقبح ومنها
ذى بوحشيته كقطع اليدين ومصادرة المال وغير ذلك مما تأباه المروءة وتنفر منه
باع كقطع المذاكير والخصاء ، وفى حالة القتل تعطى بنت القاتل لابن المقتول وغير
ـه والزانى يغرم بعدد من الماشية يعطى لوالد المرأة أو لزوجها .

هذه مقتطفات بسيطة فإذا ما أفردنا مؤلفا لقبائل الزنج ذكرنا من عاداتهم بما
و إلى الدهشة والاستغراب كالاعتقاد بالجبال والآبار والشجر وغير ذلك وعذ كرا
عرف لدى العالم .

سبيل الرقى الأدبى والسياسى والاقتصادى حتى ضربت الرقم القياسى للعالم وانها تتمتع بحرية كاملة أو شبه الكاملة .

الدين

يدين السواد الأعظم من زنوج زنجبار وأوغندا والصومال والسواحليو والسكنغو والداهومى والدناكل واسمرة والسودان ووداى والسنغال بالاسلا مع جهل تعاليمه ويبشر دعاه المسيحية فى كثير من تلك المناطق بغير جدوى هذا وق لوثروب ستودارد الأمريكى فى كتابه حاضر العالم الاسلامى فى الصحيفة ٢٨٦ جزء تحت عنوان (مجارى الدعوة الاسلامية فى أفريقيا) فالمجرى الاولى هو التيار المرا الذى يتكون من زوايا المغرب المديدة ومدارس فاس ومراكش ويخترق بلاد الأد (بجهة السنغال) فينشر دعوة الاسلام فى كارنة وفوناجالون والسودان .

والمجرى الثانى وهو الذى يخرج من مدارس القادرية فى تنبكتو ومن بعض ز التيجانية ويتبع مجرى النيجر الى بلاد سانفا بالكنغو الفرنسى فيتلاقى مع مرا التبشير المسيحى فى ملتقى نهرى النيجر والبنيوى

والمجرى الثالث هو الذى صدر عن زوايا السنوسية فى الجنوب وغدامس منته جهات بحيرة شاد وبه أصبحت وداى وبرنو مراكز تتأجج فيها حماسة الاسلام .

والمجرى الرابع يخرج من الأزهر بمصر فيتبع النيل إلى(١) كردفان وإلى أو حيث ينازع مبشرى البروستانت والكاثوليك على قيادة الأرواح إلى أن قال و يقال إن الإسلام فى هذه الصفحة الأخيرة من تاريخه قد دل على أنه يملك حيوية ع وقابلية شديدة الانتشار الخ ليس هذا ما عثر الباحثون عليه أخيراً بل كان الأزهر يزل يحتفظ بالاولويه فى هذا المضار وانه ينبوع الهداية واكبر شمس تمد اشعته أقطار العالم سواء فى ذلك الشرق والغرب بل كان يقف فى سبيله شح المسلمين ع دون المجازفات فى الأقطار النائية الأمر الذى تلاشى بما قامت به حكومة جلالة الم

---

(١) محلفا ودنقلا وبربر وكسلا وسنار وكردفان ودافور ووادى بحر الغزال ونيجريا وهو أقوى تيار اسلامى كما كان منذ القرون الوسطى .

رید الزواج بفتاة يدفع مبلغا زهيدا يسمونه فتح خشم وهناك يباح له الاختلاء بها
يكون المولود لخاله إذا لم يدفع المهر ويتمم الزواج .

الخرافات

لا يكاد يخلو زمان ومكان من الخرافات حتى أهل التمدين قال لى المستر مكفيل
لانكليزى مفتش كفا كنجي إن الانكليزى منهم إذا سقطت لقمة من يده أثناء الأكل
يعتقد أن الشيطان نظر اليه وسحره فيأخذ ملحا من الملاحة بالسفرة ويقذفه من فوق
تفه الشمال الى ورائه ويعتقد أن الملح يصيب عين الشيطان فيفقئها وفى أوائل رجب
نة ١٣٧١ زرت القرافة بالقاهرة فقال لى شيخ التربية أن بعض المصريات يدفعن
ود آ الى الترى ليقطع لهن من كفن الميت لتربط المرأة به وسطها فيزيل عنها وجع الظهر
إذا كانت عقيما تبول فى فم الميت فتحمل ومن خرافات عرب السودان المشاهرة
نطع ثوب المعادية وتذهب به الى أحد المشعوذين ليعمل لها به عملا يضر صاحبة
ربما —

أما خرافات الزنج فا كثر الاعتقاد بها جازما فيها إذا نضج الزرع فلا يأكل منه
ن الكجور والذى لا يحترم تلك التقاليد ويسبق الكجور فى الأكل من المحصول
تفترسه السباع ، وإذا أتهم أحد وانكر يحضرون له سنداله من الحديد ويضعون معها
ة بما لا يزيد عن ٢٠ درهما ويوضع معه ورشال ثم يؤمر المتهم بالقسم على السنداله
ول وحيات السنداله أنا ما فعلت كذا وذلك بعد أن يضع حبات من الذرة
هيفها ويضع يده على الثلاثة أنواع الحديد والورشال والذرة فاذا كان كاذبا يموت
غ عقرب أو ثعبان أو يسطو عليه أسد أو نمر والكجور ينزل المطر ويعالج
مراض بطرق عقيمه ويقول علماء النفس أن شيوع الخرافات فى أمة بعينها من
مم المنحطه لاقوى دليل على حدة التصور فهى ولهذا تدل على استعداد وتهيئة تدفعان
خطوات شاسعة نحو الكمال الفكرى والاجتماعى فى يوم ما ، وكفانا برهانا
ما كان لدى اليونان من خرافات دفعت بهم إلى فلسفه بزوا بها العالم وجروا شوطا
ا حتى غابوا عن مسارح النظر . فقال أحد الحكماء (هبطت الحكمة من السماء على
ة اليونانيين وأيد الصينيين والسنة العرب) وها هى طائفة الزنج بامريكا تمتمن فى

اخـــلاقهم

ليس من المستطاع أن أصف كل قبائل الزنج فى مثل هذه المذكرة الضيقة لأن منها الفاضل والمفضول ولكن نأتى بعبارة بسيطة على سبيل الإجمال ونترك الاسهاب الى ان نضع لهم مؤلفا خاصا كما فى العزم اذا مد الله فى الحياة .

يغلب على فطرة الزنجى الخفة والطيش كما رواه العلامة ابن خلدون فى مقدمته وان يرقص لأى نغمة ويفرح لغير موجب ولو سار الرجل فى الطريق يحمل (ربابة) التى هى آلة ذات أوتار كالعود يضربها الرجل أثناء سيره فى الطريق ويترنح طربا هذه أكثر ما تكون فى قبيلة كريش وغيرها فى بحر الغزال . وبالرغم من ذلك فانهم فى غاية الصدق والوفاء والسرقة لا تكاد تعرف بينهم إلا نادرا ويدمنون المشروبات البلدية المعروفة لديهم بأسماء (المريسة . البغو . ... وأم بلبل . وعسلية . وكشيب وبقينه . و... مسمار عمده . وعرق العيش) وغيرها . فهذه تكاد تكون غذاءهم الرئيسى

الشجاعـــة

إن أبرز صفات الزنج الشجاعة . وحب الفتك لأقل الأسباب والصبر على المكاره كما قال المتنبىء

واصرف نفسى كما اشتهى   وأملكها والقنا أحمر

ولهم حروب دائمة لولا أن ضربت الحكومات على يد مثيروها لاصبحوا أثرا بعد عين . ونقلوا الى أمريكا قدر بعض المؤرخين ما يؤخذ سنويا بخمسة ... فهم الذين نافسوا الأمركان فى مرافق الحياة

العـــادات

ما أكثر عاداتهم التى لا يمكن حصرها فى مثل هذه المقتطفات الموجزة . الشغار الذى هو تبادل النساء لدى غير المسلمين . وإعادة المرأة لأبيها إذا لم تلد المهر لدى الدنكاويين ووطأ الولد زوجات أبيه فى حال الوفاة الوالد أو مرضه أو وكل ما تلده الزوجات ينسب الى الأب المتوفى لدى البارىا والدنكا وغيرهما . و

(الزنـــج)

هؤلاء فصيلة من البشر . من سلالة زنج بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام يعرفون لدى الافرنج بالجنس الأسود . وهم أقل العالم ادراكا لبعدهم عن الحضارة حتى أنه لتوجد قبائل زنجية فى أفريقيا الوسطى وغيرها لا تزال تمثل الانسان الأول فى زيه وحياته وقد دلت التجارب على أنهم ليسوا بأقل ذكاء وأهلية من غيرهم أن توفرت لديهم شروط التعليم ، ولقد قسمهم المؤرخون على قسمين عظيمين فالأول منهما زنج الشرقيون سكان أوقيانيا وبلادهم هناك مالا يزيا . وجزائر أندمان وفيلبين غانة الجديدة وميلابيريا واستراليا وتسمانيا . تلك مواطنهم الأصلية . أما الآن فانهم ميمون فى شبه جزيرة ملقا واندمان وبعض جزائر الأرخبيل الهندى وفيلبين وغانة لجديدة وميلانيزيا واستراليا ويقدر عددهم بنحو ثلاثين مليونا

أما الزنوج الغربيون فهم سكان أفريقيا الشمالية والغربية والوسطى وهؤلاء تشرون فى المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر والمحيط الهندى شرقا وبين المحيط تلانتيكى غربا وصحراء ليبيا شمالا والبحيرات الاستوائية جنوبا أو بعبارة أخرى نهم ينحصرون بين الصحراء الكبرى ورأس الرجاء الصالح .

صفـــاتهم

زنج طوال القامات متوسطو الأجسام قد لا تكاد ترى فيهم ضخامة الأجساد وانهم كبار امات ذو أطراف سابلة وأصابع دقيقة وشعور جعدة وفى بشرهم فطست الأنوف غلظ المشفرين وأسنانهم بيضاء مصقولة متناسبه لماعة . إلا أن ألوانهم سوداء حالكة قد يوجد فيهم اللون الأبيض والنحاسى وهذان أكثر ما تكون فى قبائل مقنده ونيامى ندى وتركانا وانزكره والزاندى فى المناطق الاستوائية وكذا القرعان والمساليت رفور . والنمنم واندقو وبندا فى بحر الغزال ويوجد بعض الأقزام فى أوغندا قون باسم بنبى لا تزيد قامة الرجل عن ١٢٠ سنتيمترا ، ولكنه مفتول العضل ب البنية .

تعتبر أمين باشا عالما فى العلوم الطبيعية ورائدا فى المجاهل الافريقية . ولم يزل يعمل أمين لصالح أمته وشعبه الألمانى حتى مهد له وسائل الاستعمار وقد أصيب بضعف فى بصره وبينما كان فى الدور الثانى من داره التى كان يقيم بها فى أواسط أفريقيا إذ خانته قدماه فسقط على الأرض وتسبب له رضوض فى الجسم وارتجاج فى المخ ومن ثم اخذت صحته فى التدهور والانحطاط رغم عناية الاطباء به حتى توفى الكنغو البلجيكى وإليك شهادة طبية عن وفاته .

« وفاة أمين باشا الألمانى »

الدكتور ادوارد شنيتزر

فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٩٣ أصدرت ولاية الكنغو أشهادا رسميا عن وفاة أمين باشا موضحا بها أن الوفاة حدثت فى مكان يقال له «كنينه» فى شهر نوفمبر سنة ١٧٩٣ نوضح الآتى بالاشهاد الرسمى .

حكومة الكنغو الحره
مكتب المسجل نمرة ٣
شهاده وفاة

أنه فى السنة الثمنمائة وثلاث وتسعين بعد الألف وفى اليوم الرابع عشر من ديسمبر من تلك السنة حضر أمامى أنا سكرتير الشؤون الخارجيه الشخصان هنرى ارثر بارتز البالغ من العمر ٣٤ عاما ووظيفته مساعد سكرتير الشؤون الداخلية بحكومة الكنغو وريمون لومبارد وعمره ٣٤ عاما ووظيفته ريس الكتبه بالشؤون الداخليه بحكومة الكنغو . وأعلنا ان شخصا اسمه ادوارد شنيتزر المعروف باسم محمد أمين باشا البالغ من العمر ٥٢ عاما ويحمل لقب دكتور فى الطب . ومحل إقامته . . . . توفى فى بلدة كنينه بالكنغو الحره من شهر نوفمبر سنة ثمنمائة واثنين وتسعون بعد الألف . المتوفى ولد ببلدة أيلين من أعمال سيليزيا . ووالده ووالدته . . . . تقدمت إلى المستندات على الشخصين صاحبي الاشهاد ووقعا على هذا بامضاء

امضاء الشهود
ه . ا . بارتز — السكرتير العام
د لومبارد . عن سكرتير الحكو
الامضاء ع . ا . د . كوفلير

ـتابا ضمنه أصبح الخرط وكان إذ ذاك الكولونيل غردون ماموز خط الاستواء فى
اللادو شمال النيل جنوب الخرطوم يبعد عنها ١٧١٢ كيلوا مترا . ولما نقل غردون
اشا حكمدارا للسودان وخلفه ابراهيم فوزى بك مديرا لخط الاستواء وجد محمد أمين
مجالا واسعا للطعن فى كرامته وسوء تصرفاته فأخذ يكتب ذلك للجنرال غردون حتى
وغر صدره عليه فكتب الجنرال بعزله وتعيين محمد أمين مديرا لخط الاستواء مع منحه
رتبة الميرميران مع لقب باشا فى سنة ١٨٨٤ م وقد صادف ذلك احتياح المهدى مديريه
كردفان وانتصاره فى واقعة شيكان التى قضى فيها على حملة الجنرال هكس باشا ووصل كرم
كركساوى أمير المهديه إلى رومبيك بعد احتياح حامية بحر الغزال واسر لبتن بك مديرها
مختار أفندى عوض باشمعاون المديرية وكتب إلى أمين باشا يدعوه إلى الطاعة واخبره
بسقوط مديرية كردفان وهلاك حملة هكس باشا وبعث إليه ببعض عرائض الضباط
ورسالاتهم ففر أمين باشا مع الموظفين الافرنج والمصريين إلى ودلاى الواقعة فى الدرجة
والدقيقة ٤٥ من خطوط العرض الشمالى ولم يكن معه عدا ١٥٠٠ جندى وعشرة
ضباط مصريين واثنين أورباويين هما جنكر والكبتن كازاتى أما الأول فروسى الجنس
ولد فى مسكو سنة ١٨٤٠ م ارسلته إحدى جمعيات برلين العلمية إلى تلك المناطق بمأمورية
علمية . والثانى طليانى الأصل جاء سائحا إلى افريقيا وربما يضمر غاية سياسية ولما دخل
منطقة خط الاستواء كما مرت الثورة فى سبيله فاضطر إلى البقاء هناك هذا ولقد استطاع
الدكتور جنكر الوصول إلى مصر عن طريق زنجبار فى سنة ١٨٨٧ م ومنها سار إلى
أوربا وأذاع سوء حالة أمين باشا وفراره من محل عمله وبقائه بين تلك الشعوب
المتوحشة فاحدث ضجه صحيفة أوربيه تطالب بضرورة انقاذه مما هو فيه من ذلك الخطر
وكانت الشركة الإنكليزيه الشرقيه فى الزنجبار تسعى لبسط نفوذها على تلك المناطق فاتخذت
مسألة أمين باشا سبيلا إلى التوغل فى المناطق الاستوائيه فارسلت المستر ستانلى الذى
كان له اليد البيضاء فى العثور على بفجيشون السائح الذى مكث بضع سنين فى زوايا
افريقيا ولم يعرف له أثر بان يبحث عن أمين باشا . فسار ستانلى فى نهر الكنغو
سنة ١٨٨٠ وكانت حملته تتألف ٦٠٠ رجل ثم استأنف
[illegible] أورهيمن ومنه ورلاى التى وصل إليها فى اول يوليه
[illegible] اكتشف أكبر بحيرات خط الاستواء فسماها بحيرة
[illegible] الصحف العالمية بتلك النتائج وكانت الدوائر الجغرافية

وخيل لاتخر لهـا طمين كأن قنا فوارسها ثمام

هذا والذى يسمع بمحمد أمين باشا الذى ملأت شهرته العالم يتبادر إلى ذهنه أنه من أعرق السلائل العربية . والواقع أنه جرمانى الاصل يهودى المذهب . ولد فى أيلين من أعمال سيليزيا فى سنة ١٨٤٠ م الموافق سنة ١٢٥٥ هـ وتلقى علومه الأولية بها . ثم انتقل إلى جامعة بروسيا ودرس الطب حتى نال شهادة الدكتوراه وكان اسمه الدكتور ادوارد شنيتزر . وهناك انتدب لمأمورية سياسية فى تركيا . فأرسل لحيته وارتدى زيا شرقيا وأسمى نفسه « محمد أمين الاصفهانى » ثم أخذ يطلب العلوم الدينية الاسلاميه على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان فى جامع « أياصوفيا » حتى نال شهادة عالمه وكان يراسل دولته سرآ بأحوال تركيا وكان يسعى جهده للتعرف بالولاة والتودد إليهم مع بذر الفتن بينهم . وكان يتعاطى مهنة الطب واشتهر به وعين طبيبا لحاكم آسيا الصغرى ومن ثم وجد المجال ذا سعة لألاعيبه السياسية فمثل دورا كاد يقلب به عرش السلطان عبد المجيد خان فى الاستانه لولا مافطن له الأتراك وعلموا من دسائس هذا الماكر التى كان يبثها من وراء حجاب لثل عرش المملكة وأضعافها بالفتن الداخليه حتى لا تطمح إلى ما وراء بلادها المحاطه بالاعداء والمنافسين كروسيا ودول البلقان وغيرهامن دول أوربا . ولما أراد الاتراك القبض عليه والضرب على يده . مرق من بينهم مروق السهم من القوس حيث حلق لحيته وارتدى زيا أفرنكيا ليباح له السفر . ثم غادر الاستانة على إحدى البواخر القائمة بالقاهرة . واختفى فى سراى نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية وعندما أهمل الاتراك أمر البحث عليه . سافر إلى السودان يحمل كتابا إلى جعفر مظهر باشا حاكم السودان يوصيه بتعيينه فى منصب يليق به إلا أن جعفر باشا رأى من ملامحه وشحوب بشرته وخضرة عينيه مادعاه إلى الشك فى أمره ولكنه رأى العقليه السودانيه مثبتا خصبا للدعاية الدينية . فرأى أن يمثل دورا جديدا . فنهج نهجا جديدا حببه إلى الناس فى الخرطوم . بما كان يدرسه من التفسير والحديث ويعطى الطريقة القادرية زاعما انه من خلفائها . فهرع الناس اليه . وأخذ السذج يبالغون فى أطرائه على أنه شريف من آل البيت ومع ذلك فإنه يعالج المرضى حتى كانت له مكانة فى نفوس القوم .

عين الدكتور شنيتزر « محمد أمين » لصحة خط الاستواء فى « لادو » وما زال يعمل فى هذا المنصب ويدرس حالة البلاد الجغرافيه والسياسيه والتاريخية حتى ألف عنها

محمد امين باشا

مازال العالم فى دهشة لما تفيض به الصحف من أخبار لورانس ومبتكراته السياسية التى كادت تكون ضربا من ضروب الأساطير والأحاجى مع أن هذا التلون أصبح ديدنا وخلقا ملازما لرواد الاستعمار منذ القرون الوسطى والعصور المتوغلة وقد أفلح كثيرون وذهب آخرون ضحية المجازفات العديدة فى بلاد تغمرها المستنقعات وتتخللها
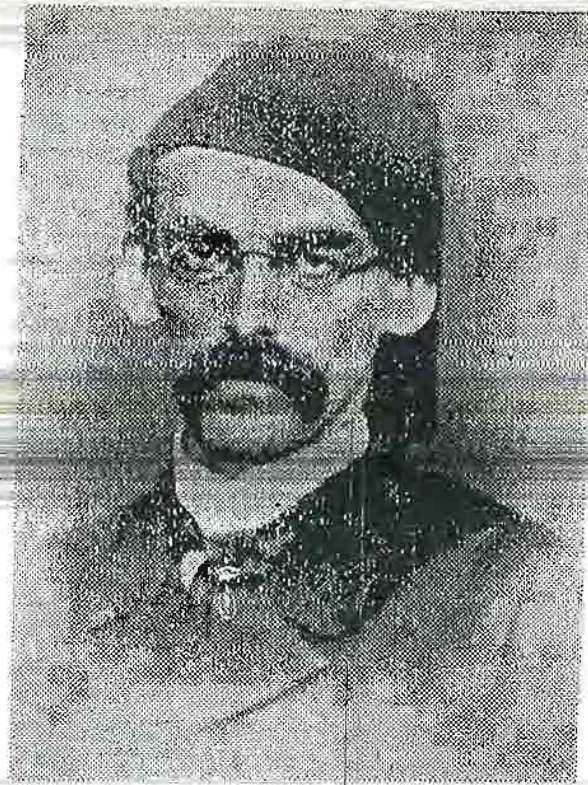
محمد أمين باشا

غابات لا تنتهى ما هنالك من جبال شاهقة وكهوف غاصة بوحوش ضارية تجعل المرور من أعسر الأمور والشرقيون لاهون بأنانيتهم الجوفاء وبطرهم المحجوج منصرفون عن السياسة حتى أفل أو كاد يأفل نجمهم ويدرجون فى أكفان العدم فرحم الله أبا الطيب حيث قال .

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة أجفانهم نيام

(رب السيف والقلم)

كلمة حق لا أخشى فيها لومة لائم : كنت جنديا من أنصار المهدى . قضيت الشطر الأول من حياتى بين صلصلة السيوف وموارد الحتوف . شهدت كثيراً من أخبار المهدية واشتركت فى أربع مواقع وهى عكاشه وفركة والجمير وكررى وأصبت فى الأخيرة بشظيتين من الدفعيه الانكليزية بقيت إحداهما فى فخذه الأيمن من الامام ثمانى سنين من سبتمبر سنة ١٨٩٨ الى مايو سنة ١٩٠٥ حتى أخرجت بعملية جراحية على يد الدكتورين مستر وتر فيلد الانكليزى والبكباشى حسن زكى المصرى . انتهى ذلك الطور بزعجانه ودمائه ، وها أنا أدافع بقلمى عن عرض أمتى تحت وحدة وادى النيل لا أريد من ذلك غير الثواب فى دار المآب ،

أما الصور فانها تمثل احتفالا عظيما تكرم بإقامته حضرة السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا فى فناء قبة الامام المهدى . لمناسبة مرور ٥٠ سنة على واقعة كررى وقد تقرى فى يده الشمال اطاراً به صورة آلاى انكليزى كان تطلق النار فى أثناء هجومنا عليه ويقف خلفى صف من أبناء الشهداء الذين ضحوا بحياتهم دفاعا عن الحرية واعلاء الكلمة التوحيدية تغمدهم الله برحمته . هذا ولى مؤلفات عن مشاهدات بريئة عن عبث الرواة اليك هى :

طبعت	١ — نفثات اليراع فى الأدب والتاريخ والاجتماع	مزين	بالصور
	٢ — العروبة	»	»
	٣ — الصراع المسلح على الوحدة فى السودان	»	
	٤ — النداء فى دفع الافتراء	»	»
	٥ — بدايع الاثر فى أخبار المهدى المنتظر	»	»
	٦ — الدر المنثور فى تاريخ العرب والغور	»	»
	٧ — أثيوبيا الجديدة	»	»

٨ — المسامرات فى الأدب والتاريخ والمضحكات

٩ — أمثال الحضر والبوادى بلهجات سكان الوادى

١٠ — فاروق الاول أو أبطال التاريخ فى السودان مزين بالصور

١١ — اقامة الدليل على وحدة وادى النيل
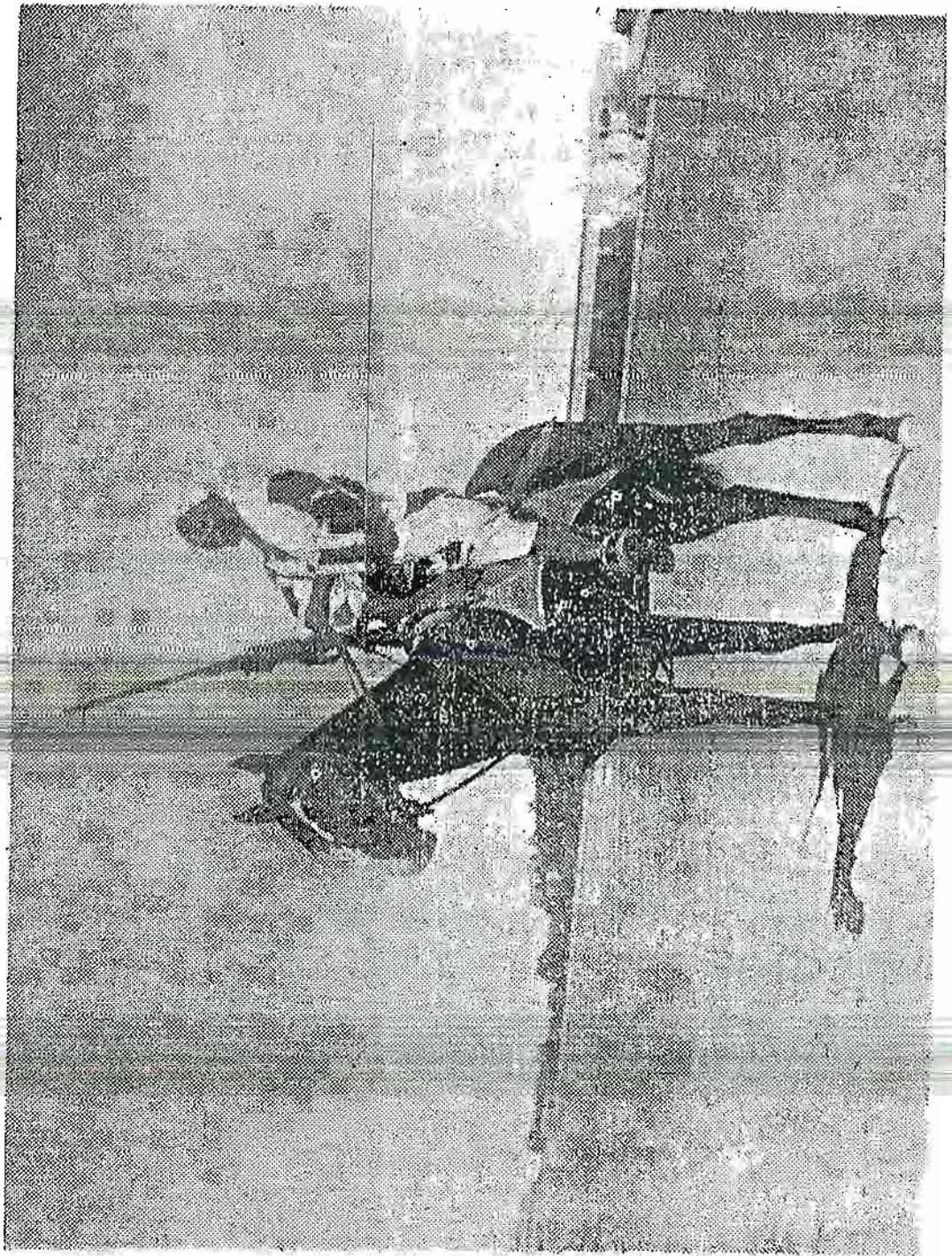
المؤلف فى زى فارس انصارى

صورة المؤلف فى رحبه جامع الامام المهدى فى صفر سنة١٣٦٩هـ ١٩٤٩م
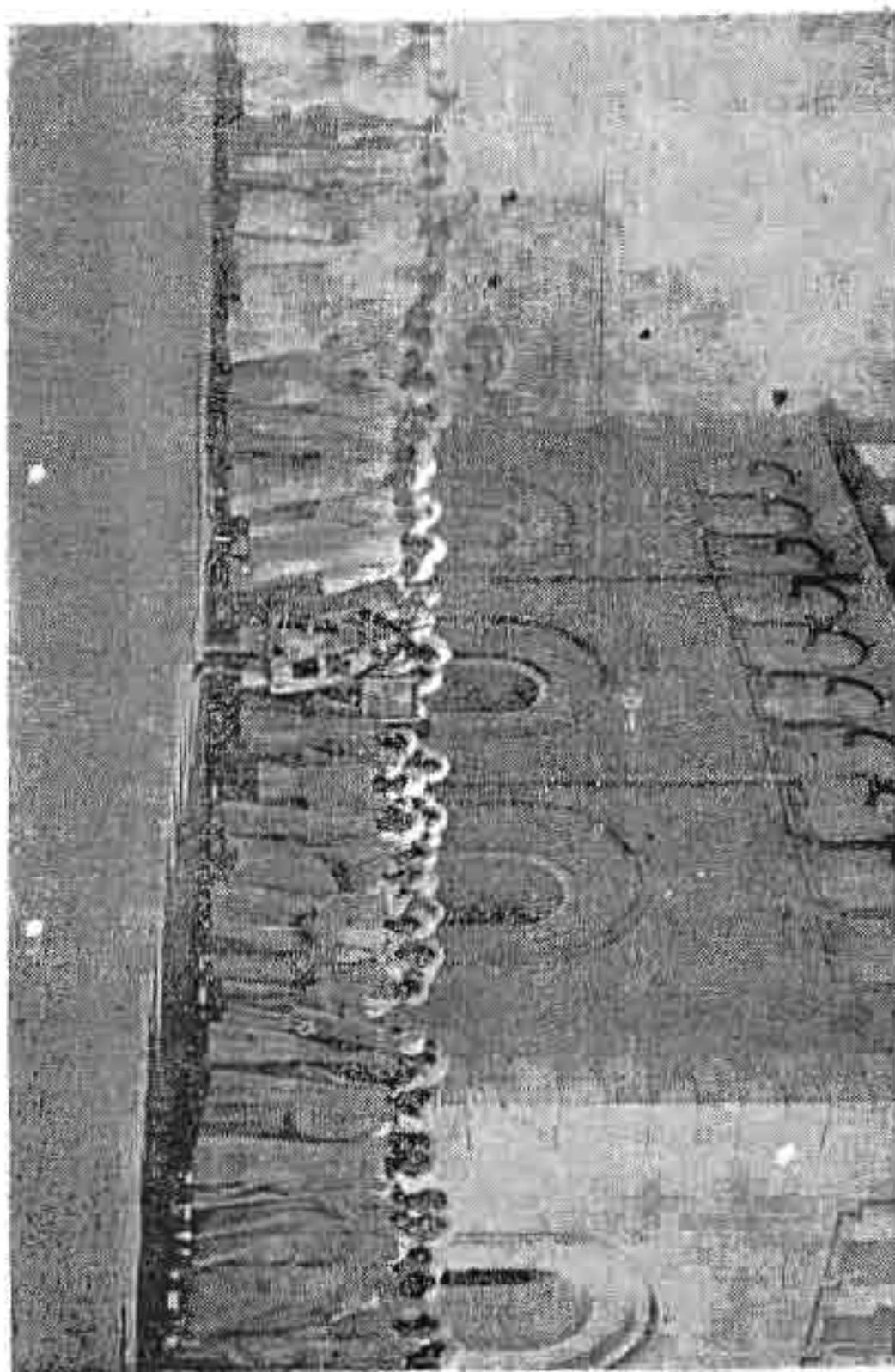
المؤلف

ويقف من ورائه أبناء الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الحرية واعلاء كلمة التوحيد وبيده اليسرى إطار به صورة ألاي انكليزي يطلق النار علينا أثناء هجومنا عليه .

ياسائل اين الذين عهدتهم كان الزمان لهم من الأعوان
كانوا إذا غضبوا رأيت كتائبا ضاق الفضاء بها من الفرسان
ولهم طأطأت الرؤس مهابة ولهم على الأمر الخطير يدان
ذهبوا فأصبحت الديار بلاقعا وبقيت فى عسف الزمان أعانى

لايتحرك ولا يضرب كأنه تمثال من صخر لايتأثر ولكنه سقط فى آخر الامر وانتهت بذلك الواقعة . وبعد انتهائها سرت بنفسى لانفقد محل الواقعة فرأيت أكثر من ثلاثين محاربا مجندلين حول الراية (١) ورأيته الذى بقى أخرهم طريحا على الارض بجانبها . وفى جسده أكثر من عشرين رصاصة أصابته .

ولقد استمر بعد هذا المنظر المؤثر اطلاق النيران من جنودنا بضع دقائق حتى خلا الجو من رائحة الدراويش . وكان بعضهم قد طلب الفرار وبعض ألقى بسلاحه إلى الارض كمدا وحزنا وصار يمشى الهوينا غير مكترث بالرصاص الذى يتبعه ولم يسلم إلى الباغين الذين البعيد الخ .

هذا هو مظهر من مظاهر الرجولة وعزة النفس ذهبت بذهاب أولئك الابطال وبقى أناس كما قال الاستاذ أمام دوليب .

أطريد دهر أم صريع غوانى   أم واجد لحوادث الأزمان
أم أخلفتك عظائم أملتها   أم ارهقتك طوارق الحدثان
لا بل بليت بأمة خرجت   على دين النبى وطاعة الرحمن
أن الشبيبة وشيوخ كليهما   يتسابقان لمورد الخسران
كم فاسق قذر ووغد ساقط   متظاهر بالدين والاحسان
يختال فى برد الغباوة رافلا   متسربلا بكبائر وهوان
ولحى كاعشابه الربيع بزوة   منقادة للافك والبهتان
حسبوا المكارم بزة وصامة   أو عدها متطاول الأركان

الى أن قال .

---

(١) أن من أهم دواعى الفشل عدم تكافؤ السلاح واهمال التدريب وفساد الذخيرة وتلاشى الاخلاص من ٧٥ ٪ لم يشتركوا فى الحرب . قال لى محمد افندى عبد الرحمن سوركتى كاتب ود الشريف فى الحرب انه ورد كتاب من خليفة المهدى الى ابراهيم ودالشريف يأمره بالبحث فى أم درمان عن الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد واعدامهم الا أن ابراهيم ودالشريف رفض تنفيذه

يتجاولون . ثم تطايروا إلينا مفوقين رماحهم ومرتقبــاتهم ترفرف فى الهواء . ولكن صاروا يسقطون واحدا بعد آخر حتى كان آخرهم أسبق الينا ولم يصب برصاصة إلا بعد أن كان على نحو ٣٠ ياردة منا وعندئذ انتهى دور الفرسان . وقد فرست الارض بأجسادهم جميعا . على أنه لم يكن هذا المنظر آخر مناظر الشجاعة الفائقة التى شهدناها بل كانت مقدمة لشجاعة أغرب وأقدام أعجب وأبهر .

آخر الحملات وحماة الراية الزرقاء

كل ما مضى لم يثن من عزيمة رجال التعايشى الراجلين بل هو زادهم حماسة واقداما وكانما نيران حب الانتقام اتقدت فى صدورهم فساروا الى الامام آخذين السهل عرض وجوههم مطالبين بثأر أولئك الفرسان البواسل . وقد ظلوا هكذا لا يلوون على شىء ويطلقون بنادقهم آنا فآنا وهم زاحفون على جنودنا حتى صار الجو اقتم مغبرا بسهامهم ولكن لحسن حظنا كانت مراميهم عالية فكان رصاصهم يتطاير فوق رؤوسنا بغير جدوى (١) وكانت هذه حملة الخليفة الاخيرة تخفق فى وسطها رايته الزرقاء وقد أخذت مدافعنا وبنادقنا تصب عليهم نيرانها حامية حتى قطعت صفوفهم لا سيما المدافع التى كانت على مرتفع مطل على الوادى فانها عملت عملا تذكر . إلا أننا شاهدنا بعد ذلك منظرا من أعظم مشاهد القتال شجاعة واقداما واخلاصا لا مثيل له فى تاريخ الامم ولا فى خيالات القصص والروايات حيث كانت الراية الزرقاء المنقوش عليها بعض الكلمات الدينيه تخفق وحولها الدراويش زرافات ووحدانا صرعى بقنابل مدافعنا ورصاص بنادقنا الى أن فر الخليفة التعايشى وبقيت الراية بين رجلين فقط . وقد وقفا بجانبها وكل واحد منهما قابض عليها بيده ، سعد الدين وسعد ، أعزلين من السلاح مواجهين النار . ثم سقط أحدهما مصابا برصاصة ولكنه بعد سقوطه تجلد وقام على ركبتيه ومد يده فأمسك الراية مع رفيقه وظل كذلك حتى تشحط فى دمه مسلما روحه مفارقة الحياة الدنيا .

عند ذلك فارق الراية وبقى رفيقه قابضا عليها بيده اليسرى وموليـــا بوجهه نحونا

---

(١) الراية الزرقاء حملة من قبيلة البرنى لهم أميريكنى بأبى جديرى اما الذين خاضوا بها المعركة فى ذلك اليوم فرجلان هما سعد الدين وسعد اللذان مثلا من ضروب البطولة ما دهش العالم تغمدهما الله برحمته .
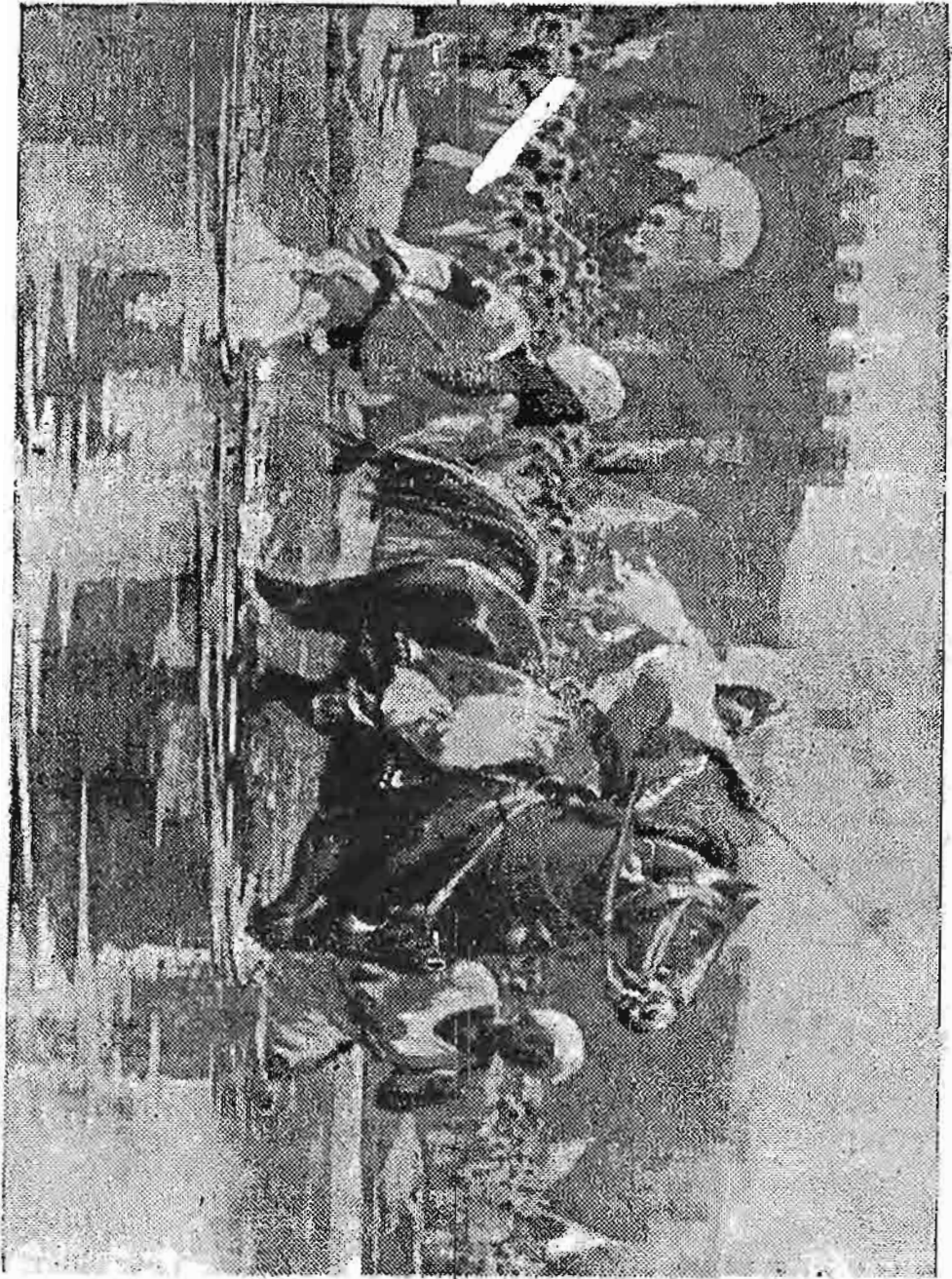
على الدراويش حتى اضطرتهم وهم أشجع البقارة وأقدرهم على القتال الى التقهقر فخفت وطأة هجومهم الشديد عما كانت عليه فى أول الواقعة . وكانت الجنود الانكليزية فى ساعة هذه الواقعة تشاهد القتال اذ كان العمل كله للجنود الخديوية

شجاعة الدراويش

ولم تكن فرسان الدراويش قد عملت الى هذه الساعة عملا يذكر حيث كان الرجالة يقدمون أنفسهم للموت قربانا بدون أدنى اكتراث ، ولكن بعد ذلك شاهدنا منظرا هائلا من الشجاعة والاقدام . فان الدراويش بعد تقهقرهم أول مرة انتظموا ثانيا بالجانب الغربى من الوادى وحملوا حملة أخرى حيث كنا نراهم على بعد وهم فى غاية الانتظام تلمع السيوف والحراب فى أيديهم لمعان الكواكب . وفى مقدمتهم نحو ألفين أو ثلاثة آلاف فارس على صهوات الجياد مسلحين بالحراب وكانوا يقصدون أن يحملوا حملة شديدة على مقدمتنا ليمنعوا الجنود من اطلاق النار فيتمكن بذلك رجالهم خلفهم من الالتحام معنا يدا بيد غير أن هذا العمل الحربى ليس من السهل اجراؤه مطلقا وان كان الدراويش لم يخافوا عاقبته فاندفعوا بشدة غير منتظمين وساروا الى الامام متقدمين لا يلوون بشىء حتى كانوا على مقربة من منطقة نيراننا . وقد أوقفنا اطلاق النيران برهة وجيزة بينما كان كل جندى من جنودنا يشاهد بعينيه هذا الاقدام متبهرا مندهشا وكيف أن هؤلاء الفرسان يتقدمون الى الموت بهذه البسالة العجيبة وظلوا متقدمين حتى صاروا على مقربة من صفوفنا وقد ساد السكوت وخيمت الرهبة على الوادى بجمعه واهتز الجند بالاعجاب العظيم لهؤلاء الفرسان البكواسل ولكن بعد بضع دقائق انقطع هذا السكوت حيث الفرسان لا يزالون يتقدمون الى أن صاروا على بعد ٣٠٠ ياردة فعند ذلك أطلق جزء من لواء مكسويل عليهم النار . ثم فارسين من فرسان البقارة (١) أقبلا من سرجيهما . ثم اندفع أحد جواديهما الى صفوفنا . فانصبت عليهم نيران البنادق كالسيل الجارف وقد سقط منهم ستة الى الارض ثم صاروا يسقطون واحدا بعد الآخر حتى لم يبق من ذلك الركب العظيم سوى ١٢ فارسا ظلوا زمنا

---

(١) كان هذا الهجوم من فرسان الراية الزرقا الذين ليس هم من البقارة خاصة وانما هم من أخلاط قبائل دارفور ومن اليعقوباب سكان الجزيرة وغيرهم

والسودانية قبل ذلك والتجأ العدو للتقهقر ولم يحصل في اليوم الأول على غير هذه الحركات
وفي اليوم الثاني كان التعايشي برجاله مستعدا للقتال في أعالي الموقع ثم استأنف الحمل على الجنود المصرية وحينذاك اندفع كالسيل الجارف الى الأمام غير أن المصريين والسودانيين قابلوهم بشجاعة وثبات يمدح عليها أعظم الجيوش المدربة على القتال السنين الطوال . وقد اصطفت الجنود المصرية على خط واحد منها لواء مكدونالد السوداني الذي كان جناحه الايمن مركزا على النهر والجناح الأيسر واصلا الى سفح الأكمة العالية كأنهم جميعا واقفون للتمرين أو الاستعراض لا يبالون بالموت الزؤام ولم تظهر عليهم علامة ما للاضطراب والقلق حتى في النقط التي كان الهجوم عليها قويا شديدا بل استمرت الجنود على اطلاق نيرانها بثبات غريب ومهارة فائقة ينصب رصاصها فيفتك بالعدو الذي بلغ عدده خمسة عشر ألفا وأكثر فتكا ذريعا . ولما كان السردار في هذا الحين يبتدىء في الزحف على أم درمان حيث الساعة ٨ صباحا وقد رأى ما هو واقع أمامه في الجناح الأيمن اضطر أن يوقف سير الجنود ويحول وجهها للاخذ بناصر الجنرال مكدونالد وقد كان الا أن بقيت الجنود المصرية والسودانية على ما كانت عليه ثباتا وشجاعة حتى أن الجندي الواحد أفرغ في هذه المعركة ساعتئذ ١٢٠ خرطوشا وفي الواقع ونفس الأمر أن الانتصار الباهر اكتسب في تلك الساعة . وأنه لم يأت لنصرت الجنود المصرية السودانية في هذه المعركة الهائلة من الجنود الانكليزية سوى أورطتي (السيفورت) و (الكمرون هالندرس) ويمكننا أن نقول بعد ذلك بكل ارتياح أن الفضل في رد الدراويش على الأعقاب والقضاء عليهم في ذلك اليوم هو الجنود الخديوي المصرية السودانية . وفي ذلك الوقت عمدت بطارية مكسيم وأورطة الميدان الثانية والثلاثون عملا نذكر . وقد كانت بالقرب من الواقعة دروة عالية كانت عليها فيه من الدراويش تطلق الرصاص فسار اليها السردار بالجنود الانكليزية وطردها من مكانها . ثم سحبت المدافع بسرعة عجيبة الى أعلا الذروة التي كانت تجاور السهل المنبطح الذي كان ميدان القتال بين الجنود المصرية والدراويش ولما وضعت المدافع في ذلك المكان أرسلت الى البقاره نارا حامية أصلتهم واخرجت بهم فاضطروا الى التقهقر ولكنه لم يثبت القتال وقتئذ .
فقد حاول الدراويش أن يتقدموا مرة ثانية عن جهة الوادي غير أن الجنرال مكدونالد اميرالاي الأورط السودانية أراد مقدمة جنوده بتحويل وجهها جنوبا . وناهيك بهذا العمل الصعب في موقعة هائلة لا كما يكون مثله وقت الاستعراض والتمرين غير أن الجنود انتظمت بسرعة مدهشة وبعد بضع دقائق كانت نيران بنادقها تنصب

الأمراء وتفاوضوا فى أمر الهجوم فقال الغالب لا أوفق أن يكون فى جنح الظلام ماعدا الأمير عثمان شيخ الدين قال بأن يكون الهجوم الصبح وفعلا كان كما قال وكان الأصلح رأى الجمهور كما عرف أخيرا

ففى الساعة السادسة صباحا من يوم الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ بدأنا بهجوم عنيف ووقف الجيش المصرى الانجليزى خطا واحدا فى شاطىء النيل وصفت المدافع أمام الجنود متجهة فوهاتها غربا واصطفت البواخر المدرعة بالنيل لحمايتها أما هجومنا فقد كانت أوله مع ابراهيم الخليل صعد فى طرف جبل (سرقام) الجنوبى جنا الجنود على ركبهم واطلقوا النار والراية الصفراء أميرها الخليفه على ود حلو فهؤلاء هجموا متجهين شرقا فى شمال جبل سرقام فى سهل واسع منبسط وهجم الامير عثمان شيخ الدين نحو الشمال الشرقى وكنت أنا ضمن هذا الجيش وبدأ اطلاق المدافع علينا من البواخر والبطاريات بالشاطىء وهجم فرساننا تحت وابل من نيران المدفعية وأسلحة الانكليز والمصريين على اختلاف أنواعها وكاد الدخان يحجب ضوء الشمس ففتكت نيران الانكليز والمصريين والآى السودانى بجيوشنا فتكا ذريعا ففى بضع ساعات أصبح السهل تلولا من جثث الشهداء الذين مزقتهم نيران العدو وقد تراجع الجرحى والنافذ من الذين لم يصابوا بأذى(١) اما خسائر المهدية فقد كانت زهاء ١٥٠٠٠ قتيل أما الجرحى فأكثر من ٢٠٠٠٠ ومن أغرب ما شهدته فى تلك الحرب أنى لم أر شخصا واحدا أصيب من خلفه وها أنا أقدم للقراء شهادة أجنبى.

جاء بالعدد ٢٥٧٢ فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ من جريدة المؤيد ترجمة مقالا ضافيا للمستر (بنت بيرلى) الكاتب الحربى لجريدة الدالى تلغراف الانكليزية . يصف تلك الجورة البشرية شارحا ما كان للمصريين والسودانيين من الفضل الأول فى ذلك الانتصار الباهر فرأينا أن ننشر ترجمتها حفظا للتاريخ قال حضرته

(شجاعة المصريين والسودانيين. فى أم درمان يوم السبت ٣ سبتمبر بعد الظهر. ارسل من جزيرة نفرتى يوم الاثنين ٥ منه — أصبحت وفى استطاعتى أن أبعث لكم شرحا وافيا عن اليوم الثانى من واقعة أم درمان . ولا يخفى عليكم انه لم يكن فى الامكان ارسال ذلك فى يوم الواقعة نفسها بسبب الخطر الشديد على المراسلات فاضطررت حينئذ للاختصار فى مذكرتى . واليكم الشرح الوافى عن حملة الدراويش الذين هاجمونا أول يوم فأصدر السردار أوامره للالويه الانكليزية بعد أن صارت الجنود المصرية

---

(١) أصبت أنا فى فخذى الأيمن بشظية من المدفعية الانكليزية فسقطت على الأرض حتى غرست سلاحى فى رمل ... مل أمر لنظر نظيف .

الدالة على الجبن والخور . وبعد صلاة الصبح ضرب النحاس وبوقات الحرب وبدأت الجيوش يتلو بعضها بعضا الى سمت الشمال الغربي وبعد هنيهة عرجت ... الى ... بمتوسط شمال خور شمبات وفى الجنوب الغربي من جبل (سرقام) أحمد جيال كررى وهناك شهدنا ست بواخر بيضاء مسرعة سائرة الى أم درمان . وفى نفس الوقت جاءت كتيبة من السوارى المصرية كشافة وقفت على بعد ٣٠٠٠ ياردة فقدم نحوها نحو ٢٠٠ جندى أطلقوا عليها الرصاص الا أنها عادت . ومن ثم ابتدأت البواخر اطلاق مدافعها على طوابى المهدية التى تصدعت واستشهد كثير من الأنصار تحت الأنقاض وتقدمت البواخر الى المدينة وأطلقت النار بشدة على قبة المهدى وسور الملازمية وكان الأمير يعقوب أبو زينب مع نحو ١٠٠٠٠ عسارى يرابط بداخل الجامع لحفظ الأمن بداخل المدينة فتمكنت مدافع البواخر من بعض أنصاره بداخل الجامع ومن أغرب ما حدث هناك قال لى الحاج ... الخورى ... كان ضمن تلك القوة شهدت فارسا من البقارة ... القبلة ... من رأس قبة المهدى فمزقته شر ممزق فسقط ظرف من يده فأسرعت الى التقاطه وفتحته ... فاذا هو من خليفة المهدى إلى يعقوب أبى زينب يأمره باعدام ... المسجونين ... منهم الاستاذ محمد شريف نور الدائم أستاذه فى طريقة السمانية فأسرعت فى ... فنجى بذلك جماعة . وفى الساعة السادسة مساء عادت البواخر والقت مراسيها و... النيل ونامت ليلة الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وفى تلك الليلة عقد مجلس من

جبل كررى « سرقام »

فهرست النداء في دفع الافتراء

تابع فهرست السودان في دفع الافتراء

تابع فهرست الكتاب فى دفع الافتراء